

محمود عبد الله مهدي عبد الحافظ

الزَّوْاجُ السِّيَاسِي

في أوروبا العصور الوسطى

(٤٩٢ - ٧٧٠ م)



نور جودات
للدراسات والنشر والتراث

الزَّوْاجُ السِّيَاسِي
فِي
أُورُوبَا الْعَصُورِ الْوَسْطَى
(492-770م)

الزواج السّياسي
في
أوروبا العصور الوسطى
(492-770م)

محمود عبد الله مهدي عبد الحافظ

العنوان: الزواج السياسي في أوروبا العصور الوسطى

المؤلف: محمود عبد الله مهدي عبد الحافظ

حجم الكتاب: 17 × 24

عدد الصفحات: 384

الطبعة: الأولى

سنة النشر: 2020

الناشر: نور حوران للدراسات والنشر والتراث دمشق

ISBN: 978-9933-600-98-3



التوزيع الخارجي

مرايا للطباعة والنشر

دبي - الإمارات العربية المتحدة

00971 55 624 1269

00971 50 709 9425

e.mail: marayabooks@hotmail.com



© نور حوران

للدراستات والنشر والتراث

دمشق - سورية - ص. ب 5658

00963 933 329 555

00963 941 329 555

e.mail: nourpublishing@gmail.com

* يُمنع طبع الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَلِكَ
يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾

صدق الله العظيم

سورة الرعد - الآية 17

إهداء

إلى أستاذتي الفاضلة والمؤرخة الجليلة

الأستاذة الدكتورة

زُبيدة محمد عطا

أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب جامعة حلوان

وعميد كلية الآداب الأسبق جامعة حلوان

المقدمة

لتاريخ العصر الوسيط Middle Age (476-1453م) أهمية كبيرة في حقل التاريخ عموماً، والتاريخ الأوروبي على نحو خاص؛ وتأتي هذه الأهمية لأسباب متعددة؛ فهذه الحقبة التاريخية الطويلة تشكل حلقة متصلة وأساسية في فهم التاريخ الأوروبي الحديث، واستمراراً منطقياً للتاريخ القديم بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية في أواخر القرن الخامس الميلادي على أيدي القبائل الجرمانية. فغالبية التطورات التي حدثت في أوروبا منذ عصر النهضة والعصور اللاحقة، تستمد أصولها من التاريخ الوسيط. إلى جانب ذلك فإن تاريخ العصر الوسيط في أوروبا يتزامن مع حقل التاريخ الإسلامي في الشرق، بل إنه يغطي الحقبة السابقة لظهور الإسلام، ويتزامن مع عهد الرسول محمد صلی اللہ علیہ وسلم والعصرين الأموي والعباسي، ثم الغزو المغولي للعالم الإسلامي وسقوط بغداد سنة (656هـ / 1258م)، وظهور عدد من الأسر الحاكمة في المشرق الإسلامي. ووفقاً لذلك، فإن فهم العصر الوسيط يمكن أن يكون مدخلاً لإدراك الكثير من التطورات التي حدثت في المشرق الإسلامي في ذلك العصر.

وقد وقع الاختيار على دراسة "الزواج السياسي في أوروبا العصور الوسطى (492-770م)" موضوعاً لنييل درجة الماجستير في التاريخ الوسيط لأسباب متعددة؛ منها أن القبائل الجرمانية كانت سبباً في سقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب سنة 476م، وبداية مرحلة جديدة في تاريخ أوروبا أطلق عليها مصطلح (العصر الوسيط). وقد أدى هذا التغلغل للقبائل الجرمانية إلى امتزاج الحضارة الرومانية مع التقاليد الجرمانية الجديدة، أسفر هذا الامتزاج تحولاً واضحاً، استمر نحو قرن من الزمان. وعبر هذا التحول عن نفسه بإنهاء وحدة

الإمبراطورية الرومانية الغربية وتشكيل عددٍ من الممالك الجرمانية التي حددت مصيرَ القارة الأوروبية ومسار العالم في الحقب اللاحقة.

وقد وجدت عدة علاقات بين هذه القبائل الجرمانية مثل الزواج السياسي فيما بينهم، وكانت رغبة الباحث في اختيار ذلك الموضوع هي إلقاء الضوء على هذه المصاهرات والظروف التي أدت إليها ودوافعها والنتائج التي ترتبت عليها مع إلقاء الضوء من خلال تناولها إلى أهم حوادث هذه الحقبة التاريخية المهمة في تاريخ أوروبا العصور الوسطى، إلى جانب الرغبة لمواصلة الدراسة في هذا المجال كانت الدافع للتخصص في هذا الحقل الشائك الذي يتطلب صبراً ومعرفة بعدد من اللغات الأوروبية للوصول إلى المصادر الأصلية.

كما يُعد موضوع الزواج السياسي من الموضوعات المهمة في مجال دراسات تاريخ العصور الوسطى؛ لشيوعه آنذاك عند مختلف العناصر التي حفل بها عالم العصور الوسطى، ولما له من الصفة الاجتماعية، السياسية والإنسانية أيضاً. وقد تم استخدام الزواج السياسي لتسوية النزاعات بين القبائل والعائلات النبيلة، ولإقامة تحالفات سياسية، ولتعزيز معاهدات السلام بين ذوي القربى. وقد مارست المرأة دوراً ملحوظاً في الحياة السياسية لزعماء الجرمان إذ حفلت علاقاتهم بإقامة تحالفات عن طريق المصاهرة أو ما يعرف بالزواج السياسي. وكان الزواج في الكثير من الحالات وسيلة ذات مضامين اقتصادية وسياسية وسلطوية مهمة. فإذا كانت الحروب هي التجلي الأكثر شدة ووحشية لحل المشكلات السياسية ما بين الأسر الحاكمة والدول المتنافسة، فإنَّ القصور التي عُقدت فيها حفلات الزواج والمصاهرات، كانت الوجه الأكثر دبلوماسية وإنسانية لحل تلك المشكلات المستعصية.

والزواج السياسي في جوهره يعني زواج المصلحة دون النظر إلى الهدف الحقيقي من وراء الزواج-كما رسمته الشرائع السماوية- الذي هدفه بناء عائلة جديدة قائمة على أسس المودة والرحمة. وقد وضع البعض للزواج أهدافاً أخرى

عملوا على تحقيقها وهم أهل السياسة والرياسة والمناصب والجاه ليحققوا من ورائها أهدافاً سياسية، مقلدين في ذلك من قبلهم طلباً للتصالح مع الجيران، وحفاظاً على حدود دولهم، أو حتى طمعاً في توسيع حدودها على حساب جيرانهم، وما إلى ذلك من أهداف ابتغوا تحقيقها من وراء دبلوماسية المصاهرات.

ولقد شاع الزواج السياسي في العصور التاريخية حتى صار ظاهرة في أوروبا العصور الوسطى، وهو ظاهرة تحتاج إلى الرصد والتدوين والتحليل والاستنتاج، وهو ما أحاوله في هذا البحث، ولكن في فترة محددة في تاريخ العصور الوسطى الأوروبية، في الفترة الممتدة من 492م حتى 770م. إذ برزت خلال هذه الحقبة التاريخية ظاهرة المصاهرات السياسية بين الممالك الجرمانية، واستغل ملوك تلك الممالك أهدافاً سياسية أو تلك التي كانت سياسية محضه في مظهرها وجوهرها، ووضحت أهدافها قبل أن تتم المصاهرات، وبعد أن تمت أو استمرت أو فشلت، محاولاً خلال هذا البحث تقييم مدى نجاح هذه المصاهرات من فشلها، ومعارنا هنا لم يكن نجاح المصاهرات اجتماعياً ودوام الزيجة والتناسل، بل كان المعيار هو الأهداف الموجودة نفسها من وراء هذه المصاهرات، وهي الأهداف السياسية، هل تحققت هذه الأهداف أم لا؟

والأهداف السياسية في هذا الموضوع جذبت انتباهي، واستحوذت على تفكيري، وربما يرجع ذلك إلى النتائج السياسية الخطيرة التي ترتبت على هذه المصاهرات. وفي واقع الأمر فإن الزواج من هذه النوع يخدم أولاً وأخيراً أهداف ومخططات سياسية بحتة، تحركها المصلحة السياسية وهي صاحبة الاعتبار الأول والأخير في هذه الزواج، أمّا الفتاة فهي مجرد (نص) أو (بند) في اتفاقية سياسية تُعقد بين المملكتين، فلم يكن لها رأي ولا إرادة في قبول من تزوجه إلا فيما ندر، ولذلك اتخذ الملوك من بيدهم الحل والعقد زواج أبنائهم أو بناتهم وسيلة معتادة مألوفة لدعم الروابط بينهم وبين غيرهم على النحو الذي يتوقعون،

وهذا ملحوظ في زواج الأمراء والأميرات الذي يقضي بالضرورة إلى دعم الروابط بين مملكتين.

ولم تنجح المصاهرات السياسية جميعها في تحقيق الأهداف التي تُرجى من ورائها، فلم تسفر إلا عن فترة سلام مؤقتة، ربما لبضع شهور أو لبضع سنين، ثم تتطور الأمور وتنقلب السياسات، وربما ينقلب ود وسلام الأمس إلى عدااء وقتال اليوم، وهنا تكون الطامة الكبرى لمثل هؤلاء الفتيات.

واتبع الباحث في دراسة تلك الفترة على المنهج الوصفي التاريخي، علاوةً على المنهج التحليلي النقدي. وقد مال الباحث إلى تناول تلك الفترة من تاريخ أوروبا العصور الوسطى بالدراسة لأنها ذات أهمية كبيرة في تاريخ العصور الوسطى وما يترتب عليها؛ إذ إنّ تلك الفترة شكلت مستقبل تاريخ أوروبا إلى حدٍّ بعيد، وذلك لأنّ ظهور عدد من الممالك الجرمانية في أوروبا وتأسيس كل قبيلة من القبائل الجرمانية "مملكة لها" نتج عنه ظهور عدة دول في تاريخ أوروبا الحديث مثل إيطاليا وإسبانيا والبرتغال وفرنسا وبلجيكا وألمانيا الغربية. ولقد واجه الباحث العديد من الصعوبات للحصول على المصادر المتعلقة بهذه الفترة من تاريخ الممالك الجرمانية؛ إذ تتميز مصادر هذه الفترة بقلّة الكتابات التاريخية، كما أنّ الكثير منها لم يترجم، بالإضافة إلى تشابك المعلومات والروايات وتداخلها أحياناً خاصة في تلك المصادر التي كتبها رهبان الكنيسة.

أما عن حدود الفترة الزمنية التي تناولها الباحث فتشتمل على الفترة من عام 492م وهو تاريخ أول مصاهرة سياسية في الفترة عنوان الدراسة بين ثيودريك العظيم ملك القوط الشرقيين وأودفيلدا شقيقة الملك كلوفس الفرنجي، وتنتهي الفترة الزمنية عام 770م وهو تاريخ مصاهرة الملك شارلمان Charlemagne ودسيدراتا ابنة الملك دسديريوس اللباردي وهي آخر مصاهرة تناولتها الدراسة. وبالنسبة للحدود الجغرافية فتشتمل على مملكة القوط الغربيين في جنوب غالة وإسبانيا، ومملكة البرجنديين والفرنجة بغالة ومملكة القوط الشرقيين ثم

اللمباردين بإيطاليا، وهي منطقة غرب أوروبا التي تشتمل حالياً على فرنسا وإسبانيا وإيطاليا والنمسا وبلجيكا وهولندا وألمانيا الغربية وجزء من البرتغال.

توزعت الرسالة على تمهيد وأربعة فصول وخاتمة. ورغم أن الفترة التي تناولتها الدراسة طويلة فإنها متشابهة الأحداث، فكان من المفيد تقديم فصل تمهيدي يتحدث عن القبائل الجرمانية وأصولهم، وعن الموطن الأصلي للجرمان، وعن أحوال الجرمان في هذه المرحلة المبكرة من تاريخهم، وعن أبرز القبائل الجرمانية مما ورد في كتاب جرمانيا Germania للمؤرخ تاكيتوس Tacitus. ويتناول التمهيد أيضاً تحرك القبائل الجرمانية وعلاقتهم بالإمبراطورية الرومانية التي مرت بأدوار مختلفة، وانتهت بغزو الجرمان لأراضي الإمبراطورية الرومانية وإقامة عدة ممالك جرمانية بين ربوعها.

وعالج الفصل الأول "نشأة الممالك الجرمانية في أوروبا العصور الوسطى" ليُشكل خلفية ضرورية لفهم العلاقات بين الممالك الجرمانية في أوروبا العصور الوسطى، وكيف نشأت هذه الممالك التي أدت دوراً رئيساً في تلك الفترة، وكان لها العديد من العلاقات فيما بينها. ويتناول ذلك الفصل نشأة مملكة القوط الغربيين في جنوب غالة وإسبانيا، نشأة مملكة البرجنديين في جنوب شرق غالة، نشأة مملكة القوط الشرقيين في إيطاليا، نشأة مملكة الفرنجة في غالة، ونشأة مملكة اللمبارديين في إيطاليا.

وناقش الفصل الثاني "ظهور الزواج السياسي في الممالك الجرمانية"، متتبِعاً ظهور الزواج السياسي ترتيباً زمنياً بدءاً بزواج ثيودريك العظيم ملك القوط الشرقيين وأوديلدا شقيقة كلوفس ملك الفرنجة، ثم زواج كلوفس ملك الفرنجة وكلوتيلدا الأميرة البرجندية ابنة شلبريك Chilperic ملك البرجنديين، وزواج آلاريك الثاني ملك القوط الغربيين وثيودوجوثا ابنة ثيودريك ملك القوط الشرقيين، وناقش هذا الفصل أيضاً "معركة فوييه" بين الفرنجة والقوط الغربيين التي انتهت بفقد القوط الغربيين لأراضيهم بجنوب غالة، وأخيراً زواج

سيجسموند البرجندي واوسترجوثة ابنة ثيودريك ملك القوط الشرقيين التي كانت من أسباب نهاية مملكة البرجنديين.

ويتضح في هذا الفصل ظهور المصاهرات السياسية في الممالك الجرمانية ودورها الكبير في عقد التحالفات بين تلك الممالك بل الأكثر من ذلك دورها في الحروب والدمار مثل الحرب بين كلوفس وآلاريك الثاني عام 507م، بل ودورها في القضاء على تلك الممالك مثل حالة الحرب ضد مملكة البرجنديين والقضاء عليها نتيجة زواج كلوفس وكلوتيلدا كما سوف يتضح في ثنايا ذلك الفصل.

أما الفصل الثالث فقد ركز على " الزواج السياسي بين مملكتي القوط الغربيين والفرنجة" بجانيه العسكري والدبلوماسي، وعالج فيه الباحث الأسباب التي أدت إلى الزواج السياسي، ومن بينها التنافس الداخلي في مملكة الفرنجة الذي أدى إلى التحالفات السياسية الخارجية، كما وضع الباحث في هذا الفصل أسباب اتجاه ملوك القوط الغربيين إلى التحالف مع الفرنجة، وذلك لحماية حدود مملكتهم الشمالية من غارات الفرنجة، كما وضع الباحث أيضاً فشل الزواج السياسي بين الفرنجة والقوط الغربيين؛ إذ إن الزواج لم ينجح في تقرير السلام بينهما إلا لبضعة شهور أو سنين وانقلب ود وسلام الأمس إلى عداة وقتال بينهما. ويتبين في ذلك الفصل أيضاً أن التأثير الديني كان له دور كبير في حياة الأفراد، فقد كان سبباً في الكثير من الحروب والخراب بين مملكتي الفرنجة والقوط الغربيين، كما سوف نرى في زواج الملك أماريك وكلوتيلدا الصغرى وزواج الأمير هرمنجلد وانجوند.

وتتبع الفصل الرابع والأخير "الزواج السياسي بين مملكتي الفرنجة والمبارديين"، تلك المصاهرات التي نجحت في البداية إلى تقرير السلام بينهما، ولكن طموح ملوك الفرنجة أدى إلى خرق الاتفاقيات بينهما بل والتحالف مع الإمبراطورية البيزنطية للقضاء على مملكة المبارديين، ولكن في

النهاية يتضح أن اللبارديين قد تعلموا من الدرس، وعملوا على محالفة مملكة الفرنجة، وهو ما سوف يتضح في ثنايا ذلك الفصل، ولكن قد يكون ضعف الممالك السبب في نهايتها، ولكن في حالة مملكة اللبارديين كان الزواج السياسي السبب في القضاء عليها كما حدث مع شارلمان، وهو ما سوف نراه في ذاك الفصل.

وكان من الطبيعي أن تجمع الخاتمة أهم القضايا التي ناقشها الباحث، والنتائج التي توصل إليها مع الحرص على تزويد البحث بالخرائط التي تتناسب مع أحداثه لإكساب البحث عمقاً علمياً، وتم تذييل البحث بالعديد من الملاحق. وفي نهاية الرسالة تأتي قائمة المصادر والمراجع الأجنبية والعربية، التي حصل عليها الباحث من خلال شبكة المعلومات الدولية "الإنترنت"، ومن مكاتب الجامعات المصرية.

وفي الختام فإنه لا يسعني بعد هذا كله إلا أن أنسب الفضل إلى أهله، وأسند المعروف إلى ذويه، فأتوجه بالشكر لله - عز وجل - أولاً وأخراً على ما أنعم به وتفضل، ومنح وأجزل فله الحمد وله الشكر.

كما أتقدم بالشكر إلى الأستاذة الدكتورة زبيدة محمد عطا أستاذ التاريخ الإسلامي والوسيط بكلية الآداب جامعة حلوان التي كانت خير مرشد لي للسير على درب العلم، وخير مشجع في تخطي جميع الصعاب التي واجهت بحثي، وبفضل نصائحها السديدة وخبرتها الطويلة تم إنتاج هذا البحث بهذا الشكل فجزاه الله عني وعن العلم كل خير. كما يسرني أن أشكر الأستاذة الدكتورة فاطمة عبد اللطيف الشناوي أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد بكلية الآداب جامعة حلوان لمشاركتها في الإشراف على الرسالة، التي لم تبخل على أيضاً بنصائحها السديدة فجزاه الله عني كل خير.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان إلى الأستاذ الدكتور عادل عبد الحافظ حمزة أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية

الآداب جامعة المنيا الذي أسعدني موافقته على مناقشة الرسالة رغم مشاغله
العديدة، فجزاه الله عني كل خير، ولا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بالشكر
إلى الأستاذ الدكتور صلاح محمد ضبيع أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية
الآداب جامعة سوهاج الذي أسعدني أيضا موافقته على مناقشة الرسالة، حتى
أستزيد من علمه الوفير رغم عناء السفر، فجزاه الله عني كل خير.

وفي النهاية أرجو من الله أن يكون هذا الجهد المتواضع إضافة جديدة إلى
المكتبة الأكاديمية العربية من باحث ما زال في بداية دربه الأكاديمي الشائك.

ومن الله التوفيق والسداد...

عرض لأهم مصادر البحث

- (1) تاكيتوس Tacitus .
- (2) كاسيودورس Cassiodorus .
- (3) جوردان Jordanes .
- (4) المؤرخ المجهول Anonymous Valesianus .
- (5) بروكوبيوس القيصري Procopius .
- (6) جريجوري التوري Gregory of Tours .
- (7) حولة ماريوس أسقف أفينش Marius of Avenches .
- (8) فينانتوس فورتوناتوس Venantius Fortunatus .
- (9) حولة حنا البقلاري John of Biclaro .
- (10) إيزيدور الإشبيلي Isidore of Seville .
- (11) حولة فريديجار Fredegar .
- (12) المؤرخ المجهول وكتابه تاريخ الفرنجة Liber Historiae Francorum .
- (13) بولس الشماس Paul the Deacon .
- (14) إينهارد Einhard .

لكي نتناول أحداث الزواج السياسي بين الممالك الجرمانية في تلك الفترة لا بُد من تتبع الحوليات والمصادر التاريخية اللاتينية والمترجمة للغات الأوروبية الحديثة أيضاً؛ نظراً لانعدام المصادر العربية المتعلقة بالحديث عن تلك الفترة. فمن الطبيعي أن تشكل المصادر اللاتينية المتعلقة بتاريخ أوروبا العصور الوسطى الجزء الأكبر في معالجة موضوع البحث؛ نظراً لأن اللغة اللاتينية هي التي كانت سائدة في غرب أوروبا آنذاك.

ومن المعروف أنه خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين ساءت ظروف الكتابة التاريخية في أوروبا أيضاً كان نوعها، بل وفي داخل الممالك الجرمانية أخذ نموذج العصور الوسطى في الظهور رويداً رويداً، إذ انحصر التعليم في الكاتدرائيات والأديرة، إذ كان الأسقف مسؤولاً عن التعليم في حدود أسقفيته، وكان واجب الأسقف الأساسي أن يدرب الإكليروس التابعين له، وقد يقوم هو بالتدريب في المدرسة الكاتدرائية التابعة له، وبعد ذلك ظهرت أنماط جديدة من التدوين التاريخي تلبية للاحتياجات الجديدة، وكانت الحوليات هي أكثر أشكال التدوين التاريخي في العصور الوسطى بدائية⁽¹⁾.

أمّا مؤرخو تلك الفترة فالزمان عندهم ممتد ما بين يوم الخليفة إلى يوم القيامة، أما المكان فهو عندهم محكوم بحدود التاريخ القديم، وحدود الكتاب المقدس في الماضي، ولم تكن الشعوب غير المسيحية تدخل التاريخ عادة سوى أن يدون المؤرخون المسيحيون أنباء الحرب التي نشبت على الحدود، أو البعثات التبشيرية التي كانت تُرسل إلى الوثنيين. كما كان الكاتب الذي يُدوّن

(1) بيريل سمالي: المؤرخون في العصور الوسطى، ترجمة: قاسم عبده قاسم، دار المعارف ط2، القاهرة (1984م)، ص 58-59.

سيرة أحد القديسين يشعر أنه يضيف صفحة جديدة إلى قصة الإنجيل ، بالإضافة إلى أن المؤرخين الجرمان يميلون إلى التاريخ المقدس أكثر من ميلهم إلى التاريخ العلماني ، ومن ثمَّ كان التاريخ الديني جزءاً أساسياً من كتاباتهم ، كما كان المؤرخ الجرمني يشعر بالفخر لبطولة شعبه في الماضي ما دفعه إلى أن يسجل الأعمال الباهرة التي أتاها القادة العسكريون ، كما كان بإمكان المؤرخ بصفته أحد رجال الكنيسة أن يجعل من اعتناق المحارب الناجح للمسيحية مجداً تكتسبه الكنيسة⁽¹⁾.

وفي خضم تلك الفترة تناول الباحث المصادر المتعلقة بموضوع البحث ، وتمثل قيمة تلك المصادر التي تناولتها هذه الدراسة في أن بعض منها كان معاصراً للأحداث التي تناولتها هذه الدراسة وذكر بعض المصاهرات بالتفصيل مثل : كتابات المؤرخ جريجوري التوري وفريديجار ، والبعض الآخر أشار إلى تلك هذه المصاهرات في إشارة وجيزة لم تتعد الجملة الواحدة ، فكان على الباحث التقصي والبحث في المصادر الأخرى المعاصرة لتلك الفترة حتى يتسنى له تغطية فترة الدراسة جيداً ، ولقد قام الباحث بتناول مصادر البحث ترتيباً زمنياً من الأقدم إلى الأحدث كما سيأتي بالتفصيل.

(1) بيريل سمالي : المؤرخون في العصور الوسطى ، ص 58-59.

• تاكيتوس⁽¹⁾ Tacitus

يُعد تاكيتوس واحداً من أعظم المؤرخين الرومان، عاش فيما يسمى العصر الفضي في الأدب اللاتيني. ولسنا نعرف متى أو أين ولد تاكيتوس، بل إننا لا نعرف اسمه الأول؛ وأكثر الظن أنه كان ابن كورنيليوس تاكيتوس الذي وكل إليه الإشراف على إيرادات الإمبراطورية في غالة البلجيكية. وبفضل ما ناله هذا الرجل من الرقي في المناصب الحكومية، ارتفعت الأسرة من طبقة الفرسان إلى طبقة الأرستقراطية الجديدة⁽²⁾. أما سنة ميلاده بالضبط فهي غير محققة، والراجح أنَّها كانت قرب نهاية حكم الإمبراطور كلوديوس⁽³⁾ Claudius (41-54م) أي نحو عام 54م أو 55م، وأنه ولد في انترامنا Interamna إحدى قرى شمال إيطاليا⁽⁴⁾. ظل تاكيتوس حياً يعمل وينتج حتى نهاية عهد الإمبراطور تراجان Trajan (ت 117م) وتوفي نحو 120م على الوجه الراجح وله قبر بني تخليداً لذكراه، وظل قائماً حتى هُدم بامر البابا بيوس الخامس في النصف الأخير من القرن السادس عشر الميلادي⁽⁵⁾.

(1) تاكيتوس: تاكيتوس والشعوب الجرمانية، ترجمة إبراهيم علي طرخان، الخرطوم 1959.

(2) ول ديورانت: قصة الحضارة، المجلد 3، ج 2: قصة الحضارة - ترجمة محمد بدران، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة، 1965م، ص 438.

(3) الإمبراطور كلوديوس: تولى كلوديوس عرش الإمبراطورية بعد مصرع كاليغولا حيث نادى به الحرس الجمهوري، وكان قد جاوز الخمسين من عمره، وكان يؤثر العزلة، ويتبع عن الظهور، وقام كلوديوس بضم بريطانيا إلى حظيرة الإمبراطورية في عهده. انظر: سيد أحمد علي الناصري: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، القاهرة 1991، ص 150، 155.

(4) تاكيتوس: تاكيتوس والشعوب الجرمانية، المقدمة، ص 11.

(5) تاكيتوس: المقدمة، ص 11.

وقيل إن تاكيتوس يرجع إلى طبقة العبيد الرومان، ولكن على الأرجح أن عائلته ترجع أصلاً إلى الدم الكلتي، وأنها وفدت مما وراء الألب من الإقليم المعروف في جنوب غالة باسم غالة البعيدة، وعلى هذا الأساس فإن تاكيتوس كغيره من الكثير من كُتاب اللاتينية الخالدين، ليس روماني الأصل أو حتى إيطالياً من حيث الجنس⁽¹⁾.

وقد تثقف تاكيتوس بالثقافة الرومانية العالية المعروفة في ذلك الوقت، فدرس القانون الروماني في السنوات الأولى من حياته. كذلك درس البلاغة حتى صار خطيباً، ولكن فقدت جميع خطبه⁽²⁾. وتلقى تاكيتوس ما يتلقاه الناس عادةً من تعليم، وأتقن الفنون الخطابية التي تجعل أسلوبه ذات بهجة ورواء، وحذق كما في طريقة إيراد الحجج المؤيدة والمعارضة التي يمتاز بها ما في تواريخه من خطب. وكثيراً ما استمع إليه بلييني الصغير في المحاكم، وأعجب بفصاحته وألفاظه الجزلة وسماء أعظم خطباء روما⁽³⁾.

وقد تدرج تاكيتوس في الوظائف التي يشغلها أعضاء مجلس الشيوخ حتى وصل إلى قمته. وبدأت حياته الرسمية منذ عهد الإمبراطور فسباسيان Vespasian (69-79م) مؤسس الأسرة الفلافية. فشغل وظيفة تربيون حربي، وهذه أول وظيفة لأعضاء مجلس الشيوخ وشاغلها عبارة عن ضابط في إحدى الفرق الحربية في الجيش الروماني. ثم ارتقى إلى وظيفة كويستور على عهد الإمبراطور تيتوس Titus (79-81م) في عام 80 أو 81م، ومهمة هذه الوظيفة هي الشؤون المالية، ثم تولى وظيفة المهمندار أو المحتسب المتعلقة بشئون البلدية كالإشراف على المنشآت العامة والأمن والأسواق والأسعار أي إنها تقرب من وظيفة المحتسب⁽⁴⁾. وعلى عهد الإمبراطور دوميتيان Domitian (81-96م)

(1) تاكيتوس: المقدمة، ص 11.

(2) تاكيتوس: المقدمة، ص 13.

(3) ول ديورانت: قصة الحضارة، ص 439.

(4) تاكيتوس: المقدمة، ص 13-14.

عُيِّنَ في منصب بريطور وذلك في عام 88م⁽¹⁾، وخلال شغله لهذا المنصب الأخير أُختير عضواً في جماعة الكهنة أو لجنة الخمسة عشر، والمعروف أن أعضاء هذه اللجنة لا يكونون إلا من كبار الرومان، فقد شغل عضويتها عظماء أمثال أغسطس وأجريبيا، ما يدل على أن من يصل إلى هذا المنصب لا بُد وأن يكون من عائلة رفيعة سامية، وهذا يرجح من ناحية أخرى سمو أصل تاكيتوس⁽²⁾. ثم حصل تاكيتوس على منصب في إحدى الولايات الرومانية، إما أنه كان ضابطاً مساعداً في إحدى الفرق الحربية الرومانية المعسكرة في ألمانيا السفلى، وإما أنه كان حاكماً على بلجيكا، ولذلك غاب عن روما أربع سنوات وخلال هذه المدة مات صهره أجريكولا Agricola⁽³⁾. وفي عام 97م ارتقى تاكيتوس إلى منصب قنصل زمن الإمبراطور نيرفا Nerva (ت98)⁽⁴⁾، ونحو عام 112م في عهد الإمبراطور تراجان شغل تاكيتوس وظيفة البروقنصل، وبهذا اللقب تولى حكم ولاية "آسيا" وهذه أرفع وظيفة يمكن أن يصل إليها عضو السناتو. وقد أشار تاكيتوس إلى هذه الفترة الأخيرة في كتابه عن حياة أجريكولا⁽⁵⁾. وما من شك في أنه كان خبيراً بشئون الإدارة، وأنه كان ذا تجارب عملية. ولقد كانت كتبه ثمرة تجارب حياته السابقة، ونتاج شيخوخته الخالية من الكد وعقله الناضج العميق.

أما عن مؤلفات تاكيتوس فلم يبق منها سوى خمسة كتب، وهي بحسب ظهورها الحوار، حياة أجريكولا، جرمانيا، التواريخ والحوليات؛ ورغم أن كتابي التواريخ والحوليات هما الكتابان التاريخيان الأساسيان، فإن الذي رفعه إلى مصاف المؤرخين العظماء كتابان آخران هما حياة أجريكولا وجرمانيا، إذ إنه فضلاً عن قيمة هذين الكتابين بشكل إجمالي، فإنه أضاف فيهما شيئاً جديداً ونعني بذلك

(1) تاكيتوس: المقدمة، ص 14.

(2) تاكيتوس: المقدمة، ص 14.

(3) تاكيتوس: المقدمة، ص 14.

(4) ول ديورانت: قصة الحضارة، ص 439.

(5) تاكيتوس: المقدمة، ص 15.

الوصف الشامل القيم لبريطانيا تحت الحكم الروماني في كتاب أجريكولا، وتلك الدراسة الاثنوجرافية لوسط أوروبا "جرمانيا"، ثم هما بجانب هذه الميزة الخاصة، من الكتب التاريخية البالغة الأهمية بالنسبة للبلاد التي تناولتها⁽¹⁾.

ويُعد كتاب جرمانيا من الكتب المهمة إذ إن تاكيوس قد شغل منصب ضابط في فرقة حربية رومانية في ألمانيا السفلى، وحكم بلجيكا لمدة أربع سنوات (90-94م)، وهذا ما أتاح له فرصة مشاهدة القبائل الجرمانية بنفسه، وجمع قدراً كبيراً من المعلومات عنها، يضاف إلى ذلك أنه كان شخصياً كثير الاهتمام بألمانيا والقبائل الجرمانية إذ أدرك في قراره نفسه مدى الخطر الذي يتهدد الإمبراطورية الرومانية من ذلك الجمع⁽²⁾.

وتناول تاكيوس في كتابه جرمانيا، ووصف أخلاق وعادات القبائل الجرمانية التي احتكت بها روما، كما تناول وصف جغرافية ألمانيا، ثم عرض لتاريخ القبائل الجرمانية وأحوالهم الاجتماعية والسياسية والدينية. إذ وصل الجرمان على عهد تاكيوس إلى درجة متقدمة نسبياً من المدنية، وكانوا لا يزالون يقيمون في قرى، وتكون مجتمعهم من ثلاث طبقات الأثرياء والنبلاء والعبيد، وكانت القبيلة هي وحدة النظام السياسي عندهم، وكان الجيش عندهم يتكون من الفرسان والرجالة. كما يؤكد تاكيوس فضيلة الجرمان فضلاً عن الرذائل البدائية من القبائل الجرمانية، وعلى النقيض من الانحلال الأخلاقي لروما المعاصرة، والتهديد بأن هذه القبائل إذا ما تصرفات واتحدت معاً، يمكن أن تتقدم إلى بلاد الغال⁽³⁾ Gaul الرومانية.

(1) تاكيوس: المقدمة، ص 21-22.

(2) تاكيوس: المقدمة، ص 36-37.

(3) بلاد الغال: هو الاسم القديم للمنطقة الواقعة في أوروبا الغربية التي تشمل فرنسا الحالية، بلجيكا، غرب ألمانيا وشمال إيطاليا. غزتها شعوب متعددة كالرومان والكلت والجرمان. وقد ارتبط اسم هذه المنطقة بالفرنجة، لأنهم استوطنوا فيها واستقروا على نحو دائم. فاشتق اسم فرنسا France من اسمهم. للمزيد انظر:

Edward James: The Origins of France, The Macmillan press, (London 1982), pp. 13-5.

وبيّن تاكيتوس أيضاً في كتابه جرمانيا عن مركز الألمان وأصلهم والفرق بين فضائل الشعب الحر المنبعثة عن الرجولة وبين انحلال الرومان وجبنهم في عهد الطغاة المستبدّين. تاكيتوس حين يثني على الألمان لأنهم يرون قتل الأطفال جريمة تجلّل مقترفها العار، ولا يعلنون من شأن العقم، فإنّه بذلك لا يمدح الألمان في واقع الأمر بل يندد بالرومان. وهكذا نرى الهدف الفلسفي يفسد موضوعية البحث، ولكنه يدل على اتساع أفق الموظف الروماني الذي يمتدح قدرة الألمان على مقاومة روما⁽¹⁾. إن الهدف من الكتاب تهذيب خلقي، وتاكيتوس يعد كاتباً أخلاقياً أكثر من كونه مؤرخاً علمياً، فهو يريد أن يهذب مما عنف مظاهر الحياة الجرمانية ويسخر في الوقت نفسه من مفاسد روما لعلها تعلو⁽²⁾.

وقد ظهر كتاب جرمانيا سنة 98م بعد انتصارات الإمبراطور تراجان على القبائل الجرمانية في صيف 98م عندما انتهجت روما بانتصاراته الرائعة، في ذلك الوقت ظهر كتاب جرمانيا حيث استغل تاكيتوس ميل الرومان إلى ولايتي جرمانيا العليا والسفلى ومظاهر الفرح العام بانتصارات تراجان على القبائل الجرمانية. وقد أخرج تاكيتوس كتاب جرمانيا في هذا العام عقب إصداره كتاب أجريكولا مباشرة، وكتاب جرمانيا عبارة عن رسالة أخرجها المؤلف نتيجة لخبرته الشخصية ومشاهداته وبحوثه ودراساته التي قام بها عدة سنوات، وكان ينوي أن يخرج مؤلفاً تاريخياً ضخماً، غير أنه آثر نشر هذه الرسالة على هيئة كتاب مستقل بمناسبة مشروعات تراجان على ضفاف نهر الراين.

ويُعد كتاب جرمانيا من المصادر التي أفادت الباحث كثيراً عن أصول القبائل الجرمانية، فقد أضاف تاكيتوس وصفاً شاملاً عن الجرمان في مؤلفه، وعن حياة الجرمان البدائية.

(1) تاكيتوس: المقدمة، ص 40-41.

(2) تاكيتوس: المقدمة، ص 41.

• كاسيودورس⁽¹⁾ : Cassiodorus

ولد ماجنوس أوريليوس كاسيودورس Aurelius Cassiodorus Magnus في مدينة سكويلاسي Squillace بإيطاليا عام 480 م⁽²⁾، واشتهر باسم جده، نظراً لمكانه ومنزلة أسرته، التي تعد من صفوف العائلات الأرستقراطية الرومانية، وقد تميزت تلك الأسرة بالثراء الشديد، حيث امتلكت المزارع الشاسعة، فضلاً عن قطعان الخيول، التي كانت تفوق الأسرة الملكية، وكانت أسرته تهدي بعضاً منها تجنباً للحسد⁽³⁾.

دخل كاسيودورس معترك الحياة العملية أثناء فترة شبابه، حيث تقلد العديد من المناصب المدنية في عهد ثيودريك Theodoric (489-526م) ملك القوط الشرقيين، كما تولى منصب الوالي البريتوري⁽⁴⁾ Praetorian Perfects لمدة ثلاث سنوات (534-537م) خلال عهد ملوك القوط الشرقيين ثيوداهاد Theodahad (534-536م) وويتيجيز Witigis (536-537م)⁽⁵⁾، ومن خلال تلك المناصب قام بكتابة العديد من الرسائل الملكية باسم البلاط الملكي، ثم جمعها في مصنف عرف باسم "المنوعات" Variae⁽⁶⁾.

(1) Cassiodorus: Letters of Cassiodorus, eng. Trans, Hodgkin, (London 1886).

(2) Cassiodorus: Letters of Cassiodorus, P. 4.

(3) Cassiodorus: Letters of Cassiodorus, P. 174.

(4) منصب الوالي البريتوري: يعادل منصب الوالي البريتوري في وقتنا الحالي منصب رئيس الوزراء، ومسؤوليته تتضمن إعداد الميزانية، وتدير احتياجات الدولة، وجمع ضرائب الأرض الزراعية، ورئيس الإدارة المركزية، بالإضافة إلى إصدار الأحكام القضائية، وهي غير قابلة للاستئناف. انظر: Cassiodorus: Letters, PP. 311-2.

(5) Moorhead: Theodoric in Italy, PP.1-2.

(6) Hodgkin: Italy, vol.3. P.289 .

بدأ كاسيودورس في تدوين مصنفه "المنوعات" عام 504 م، وانتهى من كتابته عام 540م، وربما قبل ذلك بسنة أو سنتين⁽¹⁾، والمصنف ينقسم إلى اثني عشر فصلاً، احتوت الفصول الخمسة الأولى على رسائل عرفت باسم ثيودريك، بينما احتوى الكتابان السادس والسابع على رسائل عرفت باسم الفورمولا Formula، والأخيرة لا تعدو أن تكون بمثابة قرارات التعيين التي أصدرها ثيودريك لمرءوسيه بمناسبة ترقيةهم إلى مناصب عليا، أما رسائل الكتابين الثامن والتاسع فقد كتبت باسم آتالاريك Athalaric (526 - 534 م) وجاءت رسائل الكتاب العاشر باسم أمالاسونتا Amalasuntha وثيوداهاد وويتجيز، أما رسائل الكتابين الحادي عشر والثاني عشر فقد كتبت باسم كاسيودورس عندما كان يشغل منصب الوالي البريتوري⁽²⁾. وتُعد كتابات كاسيودورس من أهم الكتابات التي تناولت تاريخ القوط الشرقيين، ولا غني عنها لأي باحث، وترجع أهمية كتاباته إلى أمرين، الأول باعتباره مؤرخاً معاصراً للأحداث، والثاني باعتباره رومانياً وليس قوطياً.

ولا شك أن مصنف كاسيودورس السالف الذكر قد أفاد الباحث في التعرف على ظروف الحرب التي وقعت بين الفرنجة والقوط الغربيين، وعلى الرغم من ذلك، فإن المصنف يؤخذ عليه أكثر من أمر، الأول: إغفاله لبعض الأحداث التي وقعت في أواخر حكم ثيودريك (523-526 م) ولا ندري السبب في ذلك، إن كان بقصد أم غير ذلك، وأغلب الظن أنه كان متعمداً ذلك، ما سبب الحيرة والارتباك في فهم كثير من الأحداث. الثاني: تجاهله -أيضاً- للأحداث الخارجية التي شهدتها إيطاليا أثناء حكم ثيودريك، فلم يتطرق إلى تفاصيل الحروب التي خاضها ثيودريك في إقليم الغال، إلا من خلال رسائل محدودة لا تشفي غليل الباحث، وأخيراً جميع الرسائل التي وردت في المصنف غير مؤرخة، ولا ندري السبب أو الهدف من وراء ذلك.

(1) Hodgkin: Italy, vol.3. P.290 .

(2) Hodgkin: Italy, vol.3. P.290 .

كتب كاسيودورس مصنفاً آخر عن تاريخ القوط بشطريه -شرقيين
وغربيين- عام 520م⁽¹⁾، ولكن من المؤسف فقدان ذلك المصنف، ولم يتبق منه
أثر سوى تلخيص جوردان له⁽²⁾، وبوجه عام يحتوى المصنف على اثني عشر
كتاباً، تحدث فيه كاسيودورس عن أصل القوط وقيام مملكتهم في إيطاليا حتى
زواج ماتاسونثا Matasuntha حفيدة ثيودريك من جرمانوس Germanus ابن
أخي جستنيان⁽³⁾. وكان كاسيودورس يهدف من وراء مصنفه السالف الذكر إلى
أمرين، الأول: تمجيد أسرة آمال Amal الملكية العظيمة التي ينتمي إليها
ثيودريك، والثاني: تمجيد القوط وبيان عظمة تاريخهم.

(1) Hodgkin: Italy, vol.3. P.29 3.

(2) Hodgkin: Italy, vol.3. P.29 3.

(3) Hodgkin: Italy, vol.3. P.29 3.

• جوردان ⁽¹⁾ : Jordanes

ينتمي جوردان إلى الجنس القوطي، وله مصنفان الأول بعنوان "رومانا" Romana، والثاني بعنوان "أصل وآثار القوط"، وهو من المصادر الأساسية التي اعتمد عليها الباحث في دراسته، إذ أورد معلومات قيمة عن تاريخ القوط منذ هجرتهم من أوطانهم الأصلية، وحتى نهاية حكمهم في إيطاليا، ولا نعرف الكثير عن حياة جوردان سوى ما كتبه بنفسه في فقرة سجلها في مصنفه السالف الذكر جاء فيها "كانت قبائل السكربين Scyrri والساداجريل Sadagril وبعض الآلان Alani تحت قيادة كانداك Candac، يقيمون في منطقة سكثيا Scythia ومؤيزيا Moesia بعد الإطاحة بالهون، وكان جدي باريا Paria يعمل سكرتيراً عند كانداك..." ⁽²⁾.

لم يكن مصنف جوردان سوى تلخيص وإيجاز لتاريخ القوط الذي سبق وكتبه السناتور الروماني كاسيودورس، وقد ذكر جوردان السبب الذي دفعه إلى ذلك العمل بقوله "بينما كنت أنوي الإبحار بجوار الشاطئ لأصطاد بعض الأسماك الصغيرة، جاءني أخي كاستاليوس Castalius وأقنعني بأن أترك ما كنت أقوم به، وأتفرغ لتلخيص المؤلفات الرومانية، وأن أركز جهدي على مؤلف واحد يجمع المحتويات الأساسية لاثني عشر كتاباً بشأن أصل وآثار

(1) Jordanes: The Gothic History of Jordanes, eng. trans. Charles Christopher Mierow (Princeton University Press, 1915).

ذكر اسم جوردان بأكثر من صورة، منها جوردان Jordanes أو جورنانديس Jornandes أو جوردانيس، وقد اشتق اسمه من نهر الأردن Jordan River، الذي كان مرتبطاً بشكل كبير بالشعائر الدينية المسيحية. انظر:

Hodgkin: (Th.): Italy and her Invaders, Vol. 1 (Oxford. 1891), p.32

(2) Jordan's: the Gothic History, P. 127.

القوط، بداية من ظهورهم ومروراً بالأجيال والملوك المتعاقبة حتى الوقت الحالي، وكانت طبيعة العمل في هذه المهمة شاقة . . . واستلمت الكتب واطلعت عليها في ثلاثة أيام فقط . . ."⁽¹⁾.

ولا شك أن مصنف جوردان يُعد ذا قيمة كبيرة بالنسبة لتاريخ القوط، فقد حفظ لنا الكثير من آثارهم السياسية والعسكرية، وعلى الرغم من ذلك، فإن تلخيص وإيجاز جوردان له، كانت له أضراره البالغة التي تمثلت في ثلاثة أشياء، أولاً: حذف أشياء قد تبدو ذات قيمة كبيرة كما ذكر هودكين Hodgkin⁽²⁾، ثانياً: عدم تحقيقه مما كتبه كاسيودورس عن أصل القوط الذي أرجعه إلى أصول رومانية⁽³⁾، وأخيراً خلطه بين تاريخ القوط Goths وتاريخ الجيتيين⁽⁴⁾ Getes حتى أطلق على مصنفه اسم "تاريخ الجيتيين" Getic History⁽⁵⁾، وأغلب الظن أن ذلك الخطأ راجع إلى ما قرأه كاسيودورس عن المؤرخين الرومان العظام أمثال ديو.

(1) Jordanes: The Gothic History, P. 51.

(2) Hodgkin: Italy, vol. 1.P. 28.

(3) Jordanes: The Gothic History, P.76.

(4) الجيتيين: أحد الشعوب التي سكنت منطقة داكيا Dacia، وأسسوا مملكة عرفت باسمهم، ونظراً لتحالفهم مع الفرس، فقد صاروا أعداءً للرومان، الأمر الذي لم يرض عنه الإمبراطور تراجان Trajan (98-117م)، حيث قاد حملة عسكرية، انتهت بهزيمتهم، وقام بتحويل داكيا إلى ولاية رومانية. انظر: P. 98 Hodgkin: Italy, vol.1.

(5) Jordanes: The Gothic History, P.66.

المؤرخ المجهول⁽¹⁾ Anonymus Valesianus :

يُعد مصنف المؤرخ المجهول من المصادر الأساسية التي اعتمد عليها الباحث في دراسته عن زواج ثيودريك وأودفيلد، وقد عرف المصنف بذلك الاسم نسبة إلى عالم فرنسي يدعى هنري دي فالوا Henri de Valois، الذي قام بنشره لأول مرة في باريس⁽²⁾ عام 1636م⁽³⁾، ويرى هودكين Hodgkin أن المؤرخ المجهول ما هو إلا ماكسيميان Maximian أسقف رافنا⁽⁴⁾ Ravenna،

(1) Anonymus Valesianus: Excerpta Valesiana, recensuit Jacques Moreau

(Bibliotheca Scriptorum graecorum et romanorum Teubneriana), Editionem correctiorem curavit Velizar Velkow, (Leipxig, 1968).

(2) باريس: تقع باريس على ضفاف نهر السين في الجزء الشمالي من بلاد الغال، واسم باريس مستمد من سكانها الأوائل، وهم إحدى قبائل الغال ويعرفون بباريسي Parisii حيث سكنوا المنطقة الواقعة على ضفاف نهر السين في عام 250 ق.م تقريباً ثم غزا الرومان باريس في عام 52 ق.م تقريباً، وقد سميت المدينة لوتيشيا Lutetia في عهد الإمبراطورية الرومانية، ثم تغير اسمها إلى ليوتيس. إلا أنها سميت باريس مرة أخرى في عهد الإمبراطور جوليان المرتد (363-360م). ويعتقد البعض أن اسم باريس يأتي من الكلمة السلطية الغالية باريسو التي تعني الشعب العامل أو الحرفيون. ثم أصبحت باريس تحت سيطرة الفرنجة في أواخر القرن الخامس. وجعل منها الملك كلوفس الأول عاصمة لبلاده. انظر: Moore: Encyclopedia of Places, pp.599-601.

(3) Moorhead: Theoderic in Italy, P.3.

(4) رافنا: مدينة إيطالية بإقليم إميليا رومانيا Emilia Romania وعاصمة مقاطعة رافنا في الوقت نفسه، شهدت ازدهارا كبيرا في عهد الرومان، حيث شيد بها الإمبراطور تراجان قناة بطول سبعين كم، تتميز بكثرة أثارها البيزنطية التي تعود إلى القرنين الخامس والسادس الميلاديين، وفي عام 402م نقل الإمبراطور هونوريوس Honorius (395-423م) عاصمة الإمبراطورية الرومانية من ميلانو إليها لأغراض دفاعية، فهي محاطة بالأهوار والمستنقعات، وعلى الرغم من ذلك، فإنها لم تصمد أمام غزو القوط الغربيين بزعامة ألياريك الأول Alaric I عام 409م. كانت عاصمة للقوط الشرقيين أيام ثيودريك العظيم ثم استعادها البيزنطيون عام 540م، ووقعت تحت سيطرة اللومبارديين بعد غزوهم إيطاليا حتى عام 756م حيث سيطر عليها بين القصير وأعادها للبابوية. انظر: خريطة رقم (9)، انظر: Moore: Encyclopedia of Places, p.647.

الذي توجد له صورة فسيفسائية في كنيسة القديس فيتال St. Vital يظهر فيها والصليب الذهبي في يده⁽¹⁾.

يتألف المصدر السالف الذكر من قسمين، الأول: يستعرض حياة الإمبراطور قسطنطين الأول Constantin I (324 - 337م)، والثاني يتضمن عهد الملك ثيودريك⁽²⁾، ويرى مورهد Moorhead أن المؤرخ المجهول هو مؤلف القسم الثاني، ويستند في رأيه إلى أسلوبه، فضلاً عن طريقته في ترتيب الفقرات⁽³⁾.

وعلى الرغم من أهمية ذلك المصنف، فإنه يؤخذ عليه ما يلي، أولاً: لم يكن المؤرخ المجهول معاصراً أو شاهد عيان للأحداث التي تناولها، التي وقعت قبل مولده بفترة تمتد إلى عشرين أو ثلاثين سنة كما ذكر هودكين⁽⁴⁾، ثانياً: نظرته للأحداث من وجهة نظر دينية، وتعصبه الشديد لمذهبه الكاثوليكي، الأمر الذي جعله متحاملاً في بعض كتاباته على ثيودريك، باعتباره آريوسي المذهب.

(1)Hodgkin: Italy, vol.3 . P. 261.

(2) Moorhead: Theoderic in Italy, P. 4.

(3) Moorhead: Theoderic in Italy, P P. 4-5.

(4)Hodgkin: Italy, vol.3 . P. 261.

• بروكوبيوس القيصري⁽¹⁾: Procopius

ولد بروكوبيوس سنة 500م بـقيصرية بفلسطين، وتلقى تعليمه في قيصرية وغزة، حيث تعلم المنطق والقانون، ثم رحل إلى القسطنطينية التي كانت مركزاً للدراسات القانونية والفقهية ليعمل هناك، وقد ذاع صيته هناك عام 527م أي العام الذي تولى فيه جستنيان دفة الأمور، لذلك عُين سكرتيراً خاصاً ومستشاراً قانونياً للقائد بليزاريوس⁽²⁾ Belisarius⁽³⁾.

كان بروكوبيوس كاتباً بليغاً، رفعه بيانه الناصع إلى عضوية السناتو حتى أن بعض المؤرخين يظن أنه وصل إلى منصب والي القسطنطينية عام 562م. ولعل وجود بروكوبيوس في منصبه كمستشار للقائد بليزاريوس قد هيا له الفرصة ليحصل على المعلومات من مصادرها الأساسية، وكان لمشاركته لبليزاريوس في

(1) Procopius of Caesarea: History of the Wars Books V and VI, eng. Trans Dewing, (H.b.) vol.3. (London, 2007).

Procopius of Caesarea: History of the Wars: Books 3-4 (Vandalic War), vol.2. بروكوبيوس القيصري: الحروب القوطية، ترجمة عفاف سيد صبرة، القاهرة، 1986، الجزء الأول والثاني.

(2) بليزاريوس: يُعد بليزاريوس من أشهر القادة العسكريين في التاريخ البيزنطي، ولد سنة 505م، وكان صديقاً للإمبراطور جستنيان وكانت زوجته أنتونيا Antonina صديقة للإمبراطورة ثيودورا Theodora، وبدأ نجم بليزاريوس يلمع منذ موقعة دارا ضد الفرس سنة 530م، ثم عُين قائداً للشرق، وفي عام 532م تمكن بالتعاون مع القائد ناريسيس من القضاء على ثورة نيقيا، وأرسله جستنيان سنة 533م إلى شمال إفريقيا إذ قضى على مملكة الوندال، ثم بعث به إلى إيطاليا ليخلصها من القوط الشرقيون. انظر:

Ostrogorsky: History of the Byzantine State. Trans - by Jon Hussey. (Oxford 1968), pp. 70-3; A.A. Vasiliev: History of the Byzantine empire, Wisconsin 1999, pp.91-2.

(3) بروكوبيوس القيصري: الحروب القوطية، ترجمة عفاف سيد صبرة، القاهرة، 1986، ج1، المقدمة، ص 6.

حروبه أكبر الأثر في تدوين تاريخ هذه الحروب من مواقعها وكشاهد عيان إذ شارك سيده بليزاريوس في حروبه ضد الفرس 531-537م، وضد الوندال Vandals⁽¹⁾ 533م، وضد القوط في إيطاليا 536م⁽²⁾.

ومن أهم المؤلفات التي ألفها بروكوبيوس ثلاثة أعمال تاريخية مهمة أولها تاريخ الحروب، وثانيها ما عرف باسم التاريخ السري Historia- Arcana، وثالثها عن المباني والمنشآت. ويهمن في هذا المقام كتاب الحروب الذي يقع في ثمانية أجزاء، الجزء الأول والثاني خصصها للحروب الفارسية والثالث والرابع للحروب ضد الوندال في شمال إفريقيا، ومن الخامس إلى الثامن للحروب ضد القوط الشرقيين في إيطاليا.

وقد أفاد الباحث كثيراً من كتاب بروكوبيوس عن الحروب القوطية حيث أشار إلى زواج ثيودريك وأودفيلدا، كما أشار إلى أن ثيودريك العظيم زوج ابنته

(1) الوندال: هم قبائل جرمانية شرقية عبروا بحر البلطيق باتجاه ما يعرف اليوم باسم بولندا، إذ استوطنوا منطقة سيليزيا نحو سنة 120 ق.م. وقد سجل المؤرخ الروماني تاكيتوس وجودهم في المنطقة الواقعة بين نهر أودر ونهر الفستولا في كتابه جرمانيا. ثم امتد نفوذهم حول ضفاف نهر الراين ناحية الغرب. وقد ظهر خطر الوندال لأول مرة عام 167م، حيث تحركوا حتى وصلوا إلى حدود بوهيميا، إذ تركوا اسمهم على الجبال التي تفصل بين سيليسيا وبوهيميا ومن ثم عرفت باسم جبال الوندال. ظل الوندال هادئين فترة من الزمن ثم زحفت قبائلهم وبدأت تنتشر تدريجياً في كل من الجنوب الغربي لألمانيا خلال القرن الرابع الميلادي، ثم تقدموا إلى بلاد الغال ووصلوا إلى إسبانيا عام 409م. وفي عام 428م دخل الوندال شمال إفريقيا تحت قيادة ملكهم جيزريك وأسسوا مملكة لهم بشمال إفريقيا، ولكن استطاع الإمبراطور جستينيان الأول القضاء على مملكة الوندال واستعادة شمال إفريقيا مرة أخرى إلى حظيرة الإمبراطورية عام 534م. للمزيد انظر: محمود سعيد عمران: مملكة الوندال في شمال إفريقيا، القاهرة 1985، المقدمة؛ عبد الهادي التازي: شمالي إفريقيا والوندال، 439-534م، المجلة التاريخية المصرية، مج 11 لسنة 1963، ص 92-93.

(2) بروكوبيوس: الحروب القوطية، ج 1، ص 6-7.

الصغرى ثيودوجوثا Theodichusa لآلاريك قائد القوط الغربيين، كما زوج آمالابرجا Amalaberga ابنة شقيقته أمالافريدا⁽¹⁾ Amalafriida إلى هرمنفريد Herminifred حاكم الثورنجيين⁽²⁾، كما تحدث بروكوبيوس عن الحرب التي وقعت بين الفرنجة والقوط الغربيين سنة 507م، وأشار إلى تحالف القوط الشرقيين والفرنجة ضد البرجنديين عام 523م. وذكر بروكوبيوس أيضاً زواج أمالريك وكلوتيلدا الصغرى عام 526 أو 527م.

وما يؤخذ على بروكوبيوس أنه كان شديد الانتباه للوصف الدقيق الذي يقدمه للقارئ حول أحداث المعارك، وفجأة ينتقل بك إلى حادث عارض يشرحه بإسهاب حتى ينسى القارئ الموضوع الذي وقف عنده من الحدث الأصلي، ثم ما يلبث أن يعود إلى حديثه الأول، وهكذا اختلطت أحداثاً ثانوية كثيرة مع الأحداث الأساسية التي سجلها بروكوبيوس⁽³⁾.

(1) أمالافريدا: تعد أمالافريدا شقيقة الملك ثيودريك العظيم، وقد تزوجت تراسموند ملك الوندال عام 500م، وعندما سافرت أمالافريدا إلى قرطاج ذهب معها ألف من القوط كحرس شخصي لها، ثم تبعهم نحو خمسة آلاف من المحاربين، كما قدم ثيودريك مدينة ليلييوم Lilybaeum - التي امتلكها القوط عام 490م- بانه لزواج شقيقته ... انظر:

Procopius of Caesarea: History of the Wars: Books 3-4 (Vandalic War), eng. Trans Dewing, (H.b.) vol.2. (London, 2007) pp.77-9; Merrills, Andy and Richard Miles: the Vandals, Blackwell 2010, p.196;

انظر أيضاً: محمود سعيد عمران: مملكة الوندال في شمال إفريقيا، ص 61-62.

(2) بروكوبيوس: الحروب القوطية، ج1، ص 90.

(3) بروكوبيوس: الحروب القوطية، ج1، ص 11.

• جريجوري التوري⁽¹⁾ : Gregory of Tours

ولد جريجوري التوري عام 539م في كليرمونت Clermont بفرنسا، لعائلة مميزة سياسياً وكنسياً، وقد توفي والده وهو طفل فانتقلت والدته للعيش في برجنديا⁽²⁾ Burgundy حيث توجد ممتلكاتها. وفي سن الثامنة تم إرساله إلى كليرمونت للحياة في بيت عمه سان جالوس أسقف المدينة. وبعد وفاة عمه احتضنه أفيتوس Avitus الذي خلف عمه في منصب الأسقف. وقد تم رسمه شماساً في سنة 563م وهو في الرابعة والعشرين من عمره، وفي عام 573م تم انتخابه أسقفاً لمدينة تور Tours⁽³⁾، واعتمد سيجبرت الأول ملك الفرنجة نتيجة الانتخاب، وظل جريجوري يخدم الكنيسة في هذا الموقع حتى وفاته عام 594م. وكان هدفه من وضع مؤلفه تسجيل الأحداث السائدة في بلاده في تلك الفترة⁽⁴⁾.

(1) Gregorii Episcopi Turonensis: Libri Historiarum Francorum X, editionem alteram curaverunt Bruno Krusch et Wilhelmus Levison (Hannoverae Impensis Bibliopolii Hahniani MCMLI) Monumenta Germaniae Historica Scriptores Rerum Merovingicarum I; Gregory of Tours: The History of the Franks, Translated by Ernest Brehaut, New York: Columbia University Press, 1916.

(2) برجنديا: منطقة تقع في الجنوب الشرقي من غاله، وتمتد من لانجرز إلى البحر المتوسط. على سهول الساوون عاصمتها ديجون Dijon، غزاها يوليوس قيصر وظلت تابعة للرومان حتى استولى عليها البرجنديون في القرن الخامس الميلادي، ثم استولى عليها الفرنجة الميروفنجيون عام 534م. انظر: Moore: Encyclopedia of Places, p.134.

(3) تور: هي مدينة فرنسية تقع على بعد 206 كم إلى الجنوب الغربي من باريس، استولى عليها القوط الغربيون في القرن الخامس، ثم استولى عليها الفرنجة من القوط في القرن السادس الميلادي، وتعد مدينة تور مثابة معبر على الطريق الرئيسي بين باريس وجنوب غاله، وهي تصنع النبيذ وتطحن الغلال وتصنع الآلات الزراعية والمخضبات. لمزيد من التفاصيل انظر: انظر: إينهارد: سيرة شارلمان، حاشية ص 157، Moore: Encyclopedia of Places, p.791.

(4) Shami Ghosh: The Barbarian Past in Early Medieval Historical Narrative, (Toronto 2009), P80-82;

انظر أيضاً: إسحق عبيد: من آلارك إلى جستنيان، دراسة في حويلات العصور المظلمة، الطبعة الأولى، القاهرة 1977م، ص 168-169.

وترجع شهرة كتاب تاريخ الفرنجة لجريجوري التوري لكونه يعطي الصورة الوحيدة عن أصل الثقافة الفرنجية، كما يوضح النفوذ المتزايد للكنيسة الذي قُدِّر لها أن تشغله في حضارة العصور الوسطى، هذا فضلاً عما يصوره كتاب جريجوري من سداجة مطلقة اتصفت بها عصور الإيمان، وذلك لأن كتابه جاء مليئاً بالخرافات والمعجزات والكرامات المقدسة، وكان العنصر الذي أدى إلى وجود وحدة في كتاب جريجوري من أوله لآخره، هو تأكيده أهمية الكنيسة بوصفها المحور الرئيسي الذي دارت حوله الحياة في غالة في عصر الفرنجة⁽¹⁾.

ويضم كتاب جريجوري الذي يحمل عنوان تاريخ الفرنجة عشرة فصول: الفصل الأول منها يغطي الفترة الأطول في هذا المصدر منذ نشأة العالم طبقاً للإنجيل حتى وفاة القديس مارتن عام 397م، ويغطي الفصل الثاني والثالث ومعظم الرابع الفترة من 397م حتى تولى جريجوري منصب أسقف تور عام 573م، ويتناول الفصل الخامس إلى العاشر الفترة من 575م حتى 591م وهي الفترة التي كتب فيها جريجوري مؤلفه؛ لذلك فهو مؤرخ معاصر⁽²⁾.

وعن كتاب جريجوري فهو تاريخ سردي وزمني، يحتوي على أحداث كثيرة، ومع ذلك غالباً كان جريجوري غير دقيق في الاقتباسات وتسلسل الأحداث، إذ كان يقطع روايته للحديث عن المعجزات التي حدثت في عهده، كأن يتحدث عن ميلاد ثيودريك الثاني بن الملك شلدبرت الثاني عام 587م، ثم ينتقل للحديث عن المعجزات التي حدثت في العام نفسه، دون التطرق لنتائج ميلاد الأمير ثيودريك الثاني، ويرجع ذلك إلى أن فكرة كتاب جريجوري هي الانتصار للمسيحية. وعلى الرغم من الصبغة المسيحية لعمل جريجوري فإنه يُعد أحد المصادر المهمة، وأحياناً الوحيدة لمعرفة التاريخ الفرنجي المبكر في تلك

(1) هاري المر: تاريخ الكتابة التاريخية، ترجمة محمد عبد الرحمن، الجزء الأول، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة 1963م، ص 90.

(2) علي عبد السمیع الجنزوري: جريجوري التوري وقيام دولة الفرنجة، القاهرة 1988م، ص 25-32.

الفترة. هذا علاوة على أن جريجوري أمد القارئ في نهاية الفصل العاشر بقائمة تضم جميع أسماء أساقفة تور مقرونة بإنجازاتهم. كما يذكر جريجوري أيضاً أعماله الأدبية، ويوصي من يأتون بعده بعدم تدمير مؤلفاته، أو إعادة كتابة جزء منها وترك بعضها الآخر، بل يتم كتاباتها بأكملها، والاحتفاظ بها في المكتبات من دون تعديلات، وقد تم الوفاء بهذه الوصية، وأفاد من مؤلفاته المؤرخون القدامى والمعاصرون⁽¹⁾.

كما أن تاريخ الفرنجة يحوي العديد من الكتب التي راجعها جريجوري بدقة مثل: كتابات القديس جيروم Saint Jerome، وكتابات يوسيبوس Eusebius، بالإضافة إلى معرفته بالإنجيل. وعند اعتماد جريجوري على تلك الكتب فإنه يذكر أنه أخذ منها، فيضيف كلمات مثل: Fertur و Ferunt بمعنى أنه يقال أو أنهم يقولون ليؤكد أنه يروى عن الآخرين⁽²⁾.

كما أن جريجوري كان متحيزاً في كتاباته إلى ملوك أوستراسيا؛ ففي أثناء حديثه عن ملك أوستراسيا سيجبرت الأول يذكر لفظ سيدي، في حين اتهم شلبريك ملك نوستريا Neustria⁽³⁾ بأنه نيرون العصر، ويرجع ذلك التحيز من جانب جريجوري إلى أن مدينة تور- التي ينسب إليها جريجوري- كانت خاضعة لمملكة أوستراسيا. كذلك تحامل جريجوري ضد الأريوسيين،

(1) وضع جريجوري في نهاية كتابه تاريخ الفرنجة قائمة موجزة بمؤلفاته حيث قال " كتبت أنا جريجوري العشرة كتب لهذا التاريخ، وسبعة كتب عن المعجزات، وواحد عن حياة الآباء، وألفت كتاباً في الشرح والتعليق على الترانيم المقدسة، كما كتبت كتاباً أيضاً عن مناصب الكنيسة، بالإضافة إلى كتاب بعنوان إحصاء حركة النجوم ". لمزيد من التفاصيل انظر:

Gregory of Tours: The History of the Franks, Translated by Ernest Brehaut, New York: Columbia University Press. 1916, PP. 247-8.

(2) علية الجنزوري: جريجوري التوري، ص 46-48.

(3) نوستريا: (المنطقة الغربية) وتقع في شمال غرب بلاد الغال بين القنال الانجليزي ونهر اللوار. وكان يقطنها الرومان الغاليون، وقد كثرت فيها الملكيات الواسعة. انظر:

Bouillet :Dictionnaire universel d'histoire et de géographie,pp.1341-2.

فوصف الأساقفة الآريوسيين بالمهرطقين في معرض حديثه عن تحول الملك ريكاردو (601-586م) ملك القوط الغربيين للمذهب الكاثوليكي، ويرجع هذا الموقف إلى أن جريجوري كان أسقفًا كاثوليكيًا متشددًا في كاثوليكيته⁽¹⁾.

كذلك اتهم جريجوري بأنه نظر إلى العالم من خلال نوافذ مبنى الكنيسة في تور؛ فقد أرجع السبب في العديد من الأمور إلى الكنيسة، وانغمس أيضاً في بعض القضايا الصغيرة مثل: حديثه عن أسقف ما، أو حديثه عن صراع دائر بين شخصين، كذلك أخطأ جريجوري في بعض المواضيع التي جاءت في تاريخه، فمثلاً قال جريجوري أن ألبوين Alboin ملك اللمباردين خرب إيطاليا لمدة تسع سنوات في حين أنها في الحقيقة كانت أربع سنوات فقط بداية من دخوله إليها في عام 568م حتى وفاته عام 572م، ثم أن جريجوري عيّن بالاسم شخصاً سماه بول Paul وجعله خليفة لأوثاري Outhary (584-590م) ملك اللمباردين، وهو شيء لم يذكره أي مؤرخ آخر، فمن المعروف أن الملك أجولف Agilulf (590-616م) هو خليفة أوثاري على عرش اللمباردين⁽²⁾. كذلك جعل حكم الإمبراطور جستين الثاني (578-565م) لمدة ثمان عشرة عاماً، وهو ما يخالف الواقع إذ حكم جستين الثاني 12 عاماً فقط.

ولكن في الحقيقة أن كل تلك الأخطاء ترجع إلى الصعوبات التي تواجه مؤرخي القرن السادس الميلادي في الغرب الأوروبي، ولا تقلل من قيمة هذا المصدر بشكل عام، ولموضوع الرسالة بوجه خاص، بالإضافة إلى أن كل تلك الهفوات قليلة في عددها، ومن ثم من السهل معالجتها.

أما جريجوري فقد كتب كتابه بأسلوب لاتيني واضح وبسيط، يقرأ ويفهمه الرجل العادي المتوسط التعليم في أيامه، كما تميز أسلوبه بالبساطة وقلة

(1) إسحق عبيد - من آلارك إلى جستينان، ص 159.

(2) Paul the Deacon: Langobards, Translated by William Dudley Foulke.

(University of Pennsylvania Press, 1907), P.194.

الزخرفة ، كما أنه أكثر من الاقتباسات خاصة من الكتاب المقدس ، كذلك فقد كانت معظم مقارنات جريجوري بسيطة ، فقد وصف الملك شلبريك بنبيرون العصر . وإذا كان جريجوري أسقفاً بعيداً عن ميادين القتال فإنه كان يستطيع أن يصف استعداداً عسكرياً بتفاصيله الكاملة ، فلقد وصف حروب الملك كلوفس وتوسعاته في بلاد الغال بكل جدارة ، وعلى الرغم من ذلك لم يعلق جريجوري على أي من الأحداث التي تناولها في كتابه تاريخ الفرنجة .

وقد اعتمد الباحث على نسخة جريجوري التوري المترجمة للإنجليزية في معظم البحث ، ولكن وجد النسخة الإنجليزية مختصرة في بعض الأحيان فاضطر إلى الرجوع للمصدر اللاتيني في تلك الأجزاء المختصرة فقط .

• حولية ماريوس أسقف أفينش⁽¹⁾ Marius of Avenches :

ولد الأسقف ماريوس في أبرشية أوتون Autun بغالة نحو عام 530م لعائلة غنية، وربما غالورومانية، وفي عام 574م تم تعيينه أسقفاً لمدينة أفينش Avenches التي تقع على بعد كيلومترات شمال غربي فريبورج في سويسرا حالياً. وقد نقل ماريوس مقر أسقفيته من أفينش إلى لوزان Lausanne (بسويسرا حالياً) حيث توفي نحو عام 593 أو 594م ودفن أيضاً بتلك المدينة، وقد ألف ماريوس التاريخ الذي أضيف إلى ترجمة جيروم، الذي كان تكملة لتاريخ يوسيبوس Eusebius.

ويعتبر ماريوس نفسه رومانياً، إذ يهتم بأباطرة الشرق أكثر من اهتمامه بملوك الفرنجة، ويؤرخ تاريخه وفقاً للقناصل الرومان، كما أن القسطنطينية تجذب أكبر قدر من اهتمامه حتى أنه يروى قصصاً عنها، باعتبارها عاصمة له، ويُعد ماريوس شاهداً معاصراً لأحداث النصف الثاني من القرن السادس. وتعد حولية ماريوس تأريخاً للأحداث من سنة 455م وتنتهي عام 581م، وضع فيها الأسماء والأحداث في قوائم، ويعتبر تاريخه موجزاً بليغاً جافاً غير مشوق، لكن أهميته تكمن في أنه كتب من جهة النظر البرجندية، وقد عرف ماريوس الملك جونترام جيداً مثل جريجوري التوري، ويقال إن الرجلين تقابلا في مجمع (شالون على الساوون) في عام 579م. وما هو مؤكد أن ماريوس استخدم جزءاً من تاريخ جريجوري عندما كان يؤلف تاريخه الذي كتبه في نهاية حياته.

(1) Marius of Avenches: Marii Episcopi Aventicensis Chronica In Chronica Minora Saec. IV. V. VI. VII edidit Theodorus Mommsen (Berolini apud Weidmannos MDCCCXCIII. 1898). Monumenta Germaniae Historica. Avctorum Antiquissimorum Tomvs, XI. VOL. II.

وقد أمدت الحولية الباحث بالكثير من المعلومات مثل أحداث الحرب الأهلية البرجندية بين الملك جندوباد (نحو 480-516) وشقيقه جوديـجل، فقد أضاف ماريوس وصفاً طويلاً عن الحرب في حوليته عاماً بعد آخر، كما أمدت الحولية الباحث بأحداث عصر الملك سيجسموند (516 - 523م)، وحرب البرجنديين ضد الفرنجة والقوط الشرقيين، وحملات الفرنجة على مملكة البرجنديين.

ومما يؤخذ على الأسقف ماريوس ذكره سنوات في حوليته دون ذكر أحداث لتلك السنوات، وتُعد حوليته عملاً صغيراً ومختصراً جداً، فهي لا تقدم الكثير من الأحداث الجديدة، ولكنها قيمة جداً لدقة المعلومات التي تقدمها لنا ولا غنى عنها لأي باحث، على الرغم من أن هذه المعلومات تقتصر تقريباً على الجانب السياسي فقط.

• فينانتوس فورتوناتوس ⁽¹⁾ : Venantius Fortunatus

ولد فينانتوس هونوريوس كليمنتينوس فورتوناتوس Venantius Honorius Clementianus Fortunatus بالقرب من مدينة تريفيو Treviso بشمال إيطاليا بين عامي 530 و 540م، وتوفي عام 600م، ودرس فورتوناتوس في رافنا في إيطاليا، ثم رحل إلى غالة سنة 564 أو 565م أثناء حكم أبناء كلوثر الأول لمملكة الفرنجة، - شاريبيرت Charibert (561-567م) بباريس Paris، جونترام Gunthram (561-592م) بأورليان ⁽²⁾ Orleans، سيجبرت الأول Sigibert I (561-575م) بريميس ⁽³⁾ Rheims، وشلبريك الأول Chilperic I (561-584م) بسواسون ⁽⁴⁾ Soissons ⁽⁵⁾ - وذلك لزيارة قبر القديس

(1) Venantius Fortunatus: Personal and Political Poems, Translated from Latin by Judith W. George. (Liverpool University Press, 1995).

(2) أورليان: مدينة فرنسية تقع في الشمال الشرقي على بعد 113 كم من باريس، بناها الإمبراطور أورليان (270-275) وقد سميت على اسمه. انظر: خريطة رقم (9)؛

Moore: Encyclopedia of Places, p.585.

Gwater: The Colmbia Encylopedia, P. 1452.

(3) ريميس: تقع مدينة ريميس على بعد 132 كم شمال شرق باريس، وقد تأسست أثناء الإمبراطورية الرومانية، وأثرت هذه المدينة بشكل كبير على التاريخ الفرنسي إذ كانت المكان الذي اعتلى فيه ملوك فرنسا على العرش وفي كنيستها تم تتويج كلوفس ملكاً على الفرنجة عام 496م. انظر:

Marie Nicolas Bouillet: Dictionnaire universel d'histoire et de géographie, (paris 1872), p 1036; Moore: Encyclopedia of Places, p.649.

(4) سواسون: مدينة فرنسية تقع في الشمال الشرقي من باريس وهي عاصمة لمقاطعة ازن Aisne وتبعد 3 كم جنوب غرب لاوون laon وهي أسقفية وبها أسوار مزينة بالنباتات العربية وفيها كاتدرائية من القرن السابع، أقيمت على أنقاض قصور ميروفنجية. انظر: Moore: Encyclopedia of Places, p.727.

(5) Gregory of Tours: Franks, P.87; Walter C. perry: The Franks From Their First Appearance in History To The death of King Pepin, (London, 1957)، p.128.

مارتن في مدينة تور التي كتب مؤلفا عنها أيضاً. وكان وصول فورتيوناتوس إلى مدينة ميتز⁽¹⁾ Metz بمملكة الفرنجة يتزامن مع زواج الملك سيغبرت من الأميرة القوطية برونهيلد فأعد لهما قصيدة أثناء حفل الزواج، وبعد عام من وصوله ميتز سافر إلى بلاط الملك شارببرت وبقي هناك حتى وفاة الأخير عام 567م فعاد إلى مدينة تور، واستقر فورتيوناتوس في بواتيه حيث أصبح الصديق الحميم للقديسة راديجوند⁽²⁾ Radegund أول رئيسات دير الراهبات بمدينة أجنس Agnes⁽³⁾، التي كتب العديد من القصائد على شرفها، وظل فورتيوناتوس

(1) ميتز: تقع في شمال شرق فرنسا، عاصمة منطقة اللورين وتابعة لإدارة أقليم موزيل. وهي تقع عند التقاء نهرى الموزيل والسال على بعد 99 كم من ستراسبورج، وكانت مقراً أسقفياً للفرنجة. انظر خريطة رقم (9):

Moore: Encyclopedia of Places, p.510.

(2) راديجوند: هي ابنة الملك برثيشار Berthechar ملك الثورنجيين، وقد قتله شقيقه هرمنفريد (532-507م) عام 507م، واستولى على مملكته، وكانت راديجوند تعيش في بيت عمها هرمنفريد، وعندما استولى كلوثر الأول على مملكة الثورنجيين عام 532م كانت راديجوند جزءاً من غنيمة كلوثر الأول فتزوجها. وبعد عدة سنوات من زواجها أصبحت راهبة وأنشأت ديراً للراهبات في بواتيه، وقد حاول الملك كلوثر أن يسترجعها ولكنها رفضت أن تعيش مع الرجل الذي شن حرباً ضد شعبها وقبض عليها وقتل شقيقها. وقد كتب فورتيوناتوس مؤلفاً عن حياة القديسة راديجوند الذي أكملته الراهبة بودونفيا Baudonivia. للمزيد انظر:

Baudonivia: De Vita Sanctae Radegundis libri duo edidit Bruno Krusch, Monumenta Germaniae Historica, Scriptores Rerum Merovingicarum II, pp380-2; Baudonivia: "The Life of the Holy Radegund" In Sainted Women of the Dark Ages. Jo Ann McNamara, John E. Halborg, with E. Gordon Whatley. (Durham and London: Duke University Press, 1992), P.86.

(3) Pfister, (CH.): " Gaul under the Merovingian Franks ", In Cambridge

Medieval History Vol. II, (Cambridge. 1913), P.156; Lewis Thorpe: The Introduction of The History of the Franks by Gregory of Tours, New York: Penguin, 1974, p.7;

انظر أيضاً، علية الجنزوري: جريجوري التوري، هامش ص 55.

بمملكة سيجبرت حتى وفاة الأخير عام 575م وتولي ابنه شلدبرت الثاني (575-596م) عرش الملكة، وبقي هناك حتى نحو عام 599-600م، حيث تم تعيينه أسقفاً على مدينة بواتييه.

وقد كتب فورتوناتوس العديد من المؤلفات عن حياة القديسين بالنثر والشعر، مثل "حياة القديس مارتين" Vita S. Martini في أربعة فصول، و"حياة القديسة راديجوندا" The Life of the Holy Radegund⁽¹⁾، وكان السبب الرئيسي لشهرته هو كتابه باللغة اللاتينية المسمى Carinina⁽²⁾ الذي ترجم إلى الإنجليزية تحت عنوان "أشعار وقصائد سياسية" "Personal and Political Poems"، وهو سلسلة من القصائد عن وضع المجتمع وقتئذ، وهو مقسم إلى أحد عشر فصلاً، وقد ضاع الفصلان الأول والثاني وبقي من الفصل الثالث حتى الحادي عشر، وفي الفصل الخامس كتب فورتوناتوس إلى أهالي مدينة تور في 573م لتهنأتهم باختيار جريجوري التوري أسقفاً عليهم. كما وجه إلى جريجوري التوري نفسه اثنا عشرة قصيدة في الفصل الثامن، إلى جانب قصيدتين في الفصل التاسع⁽³⁾.

كما كتب فورتوناتوس أربعة فصول رئيسية لأربعة ملوك ميروفنجيين: الملك سيجبرت الأول والملكة برونهيلد تكريماً لزوج سيجبرت وبرونهيلد وهي قصيدة خيالية، تحكي قصة كيف تم جمع العروس والعريس معاً من قبل كيوييد إله الحب عند الإغريق، والثانية للملك شاربيرت يحتفل فيها بحكمه، ويعطي انطباعاً بأن هذا الملك ينحدر من الملوك الرومان، والثالثة موجه إلى الملك

(1) Venantius Fortunatus: The Life of the Holy St. Radegund In Sainted Women of the Dark Ages. Jo Ann McNamara, John E. Halborg, with E. Gordon Whatley. (Durham and London: Duke University Press, 1992), pp.70-86.

(2) Lewis Thorpe: The Introduction of The History of Gregory of Tours, p.36;

انظر أيضاً، علية الجنزوري: جريجوري التوري، ص 56.

(3) علية الجنزوري: جريجوري التوري، ص 55.

شلبريك، مليئة بالجدل حيث كان شلبريك معروفاً بأنه حاكم عنيد، ولكن في هذه المرحلة، يصوره فورتوناتوس أنه ملك كريم ورحيم، ولا يصدر أحكاماً بسرعة كبيرة، بل يشيد بشعر الملك. وقد نُظمت هذه القصيدة بمناسبة محاكمة جريجوري التوري المتهم بالخيانة صديق فورتوناتوس. وقد اقترح بعض المؤرخين أن فورتوناتوس ببساطة يحاول استرضاء الملك شلبريك بسبب مستقبل جريجوري غير المؤكد.

وتعتبر قصائد فورتوناتوس مبهجة سارة في قراءتها، لكنها في الحقيقة لا تضيف سوى قليلاً من المعرفة عن الأحداث العظيمة لتلك الفترة⁽¹⁾. والواقع أن أشعاره بثرائها بالتلميحات والإشارات الميثولوجية، (أي التي لها علاقة بالأساطير والخيال) أرضت ذوق الأمراء والملوك الميروفنجيين، الذين كان يتملقهم ويداهنهم إلى حد ما⁽²⁾. وقد سعى فورتوناتوس إلى إرضاء العائلة الملكية عن طريق كتابة ما يريد جمهوره ورعاياه أن يسمعوه، لذا فأننا نأخذ قصائده وأشعاره المكتوبة على وجه التحديد للعائلة الملكية على أنها تعكس رغباتهم ودوافعهم. وقد كتب فورتوناتوس قصائد مدح لسيجبرت وبرونهيلد، الملك شاريبرت، والملك شلبريك، حتى أنه كان سخيا مع فريديجوندا بمدائحها التي قدمها إليها. كما قدم فورتوناتوس قصيدة رثاء طويلة في وفاة جالسيونثا قدمت مزيداً من الأدلة عن تاريخ وفاتها. ومع ذلك فقد كتب فورتوناتوس بعض الترнимات والتراتيل التي لا تزال الكنيسة تستخدمها.

(1) Venantius Fortunatus: Personal and Political Poems, Translated from Latin by Judith W. George. (Liverpool University Press, 1995).

(2) Pfister: " Gaul under the Merovingian Franks ", P.156;

انظر أيضاً، علية الجنزوري: جريجوري التوري، ص 56.

• حولية حنا البقلاري⁽¹⁾ John of Biclaro :

ولد حنا في مدينة Scallabis في ولاية لوزيتانا Lusitania في إسبانيا سنة 540م في عهد ثوديس Theudis ملك القوط الغربيين (548-531م)، بعد نحو نصف قرن من بداية استقرار القوط الغربيين في شبه الجزيرة الأيبيرية، ويُعد حنا قوطي بالمولد، وعندما بلغ مرحلة الشباب ذهب إلى القسطنطينية، وبعد أن تلقى علوم اليونان والرومان عاد إلى إسبانيا بعد سبعة عشر عاماً قضها في القسطنطينية، وقد شجعه على ذلك الملك ليوفجيلد، ولكن الملك الآريوسي المتعصب أجبره على اعتناق المذهب الآريوسي ولكنه قاوم ذلك بشدة، ومن ثم فقد تم نفيه إلى برشلونة لمدة عشر سنوات، وعانى حنا كثيراً من المؤامرات والاضطهادات من الجانب الآريوسي. وقام بعد ذلك ببناء دير يعرف باسم بقلار Biclar، وبعد أن تجمع فيه مجتمع من الرهبان، كتب دستوراً لهذا الدير. وقد صار حنا أسقفاً لكنيسة جيرونا Gerona في عام 590 أو 591م وظل في منصبه إلى أن توفي سنة 621م.

أما عن حولية (Chronicle) حنا البقلاري فكل ما تبقى منها هو تاريخ الفترة الممتدة من سنة 567 إلى 590م، ومن المحتمل أن يكون حنا قد بدأ كتابة تاريخه أثناء وجوده بالقسطنطينية. ويصور حنا في تاريخه الإحساس بقوة مملكة القوط الغربيين التي بدأت منذ عصر الملك ليوفجيلد Leovigild (568-586م). الذي أعاد لمملكة القوط حدودها فقاد الحملات ضد البيزنطيين وطرد المعارضين إلى المناطق الجبلية، وانتصر على الفرنجة، كما انتصر على السويقي.

(1) John of Biclaro: Chronicle in Conquersors and Chroniclers of Early Medieval Spain, Trans Kenneth Wolf, Liverpool 1999, P.67.

وتكمن أهمية تاريخ حنا البقلاري في أنه كان كاثوليكياً وليس آريوسياً، وأنه وصف الأحداث من وجهة نظر القوط الغربيين وقد أعطى حنا البقلاري تقريراً موجزاً عن حكم ليوفجيلد ملك القوط الغربيين في إسبانيا والسنوات الأولى لحكم ابنه ريكاردو. وقد اعتمد الباحث على حنا البقلاري في أحداث الملك أثاناجيلد وأيضاً أحداث حكم الملك ليوفجيلد، كما لاحظ حنا البقلاري زواج هرمنجلد وانجوند، إذ ذكر في أحداث عام 579م "إن الملك ليوفجيلد اختار ابنة سيجبرت ملك الفرنجة زوجة لابنه هرمنجلد، كما أعطاه جزءاً من المملكة لكي يحكمه"⁽¹⁾.

إن القيمة الحقيقية لتاريخ حنا تأخذ مصداقيتها من شخصية حنا نفسه، ذلك لمعاصراته للأحداث وأحياناً كان مشاركاً فيها. كما أن كتابات حنا تعكس التأثير المشترك لمولده القوطي وتعليمه وخبرته التي اكتسبها في الشرق وموقعه في الكنيسة الكاثوليكية، ما يجعله مصدراً تاريخياً من الطراز الأول. ومع أن حولية حنا البقلاري قصيرة ومختصرة، لكن لا يستطيع الباحث الاستغناء عنها.

(1) John of Biclaro: Chronicle, p.67.

• إيزيدور الإشبيلي⁽¹⁾ : Isidore of Seville

ولد إيزيدور الإشبيلي سنة 560م عندما كانت مملكة القوط الغربيين تعاني من الاضطرابات، وكانت البلاد قد توحدت تحت قيادة ملوك القوط في طليطلة، وعانت عائلته بعض الشيء بسبب عدم استقرار الأمور. وكان والده سفريانو مواطناً بارزاً في قرطاجنة، ثم تركها وانتقل إلى إشبيلية عند مولد إيزيدور، وربما هرباً من غزو القوات البيزنطية لجنوب إسبانيا في عهد الإمبراطور جستنيان، وكان إيزيدور أصغر إخوته، فقد كان له أخوان هما ليندر Leander وفولجنتيوس Fulgentius وشقيقته فلورنتينا Florentina.

وكل ما يعرف عن حياة إيزيدور أن والديه توفيا وهو في سن مبكرة، وقام ليندر شقيقه الأكبر برعاية الأسرة، وكان راهباً عندما انتقلت الأسرة إلى إشبيلية ثم صار بعد ذلك أسقفاً لمدينة إشبيلية، وتحت تأثير الأخ الأكبر لم يكن من المستغرب أن يتحول باقي الأسرة إلى الكنيسة، فصار فولجنتيوس أسقفاً لمدينة أستيجي Astigi، وصارت فلورنتينا راهبة، وبعد وفاة ليندر خلفه إيزيدور في الكرسي الأسقفي لمدينة إشبيلية وكرس باقي حياته للحياة الدينية والدراسة.

وقد كتب إيزيدور في موضوعات متنوعة حيث العلوم الدينية والعلمانية على مدار حياته الطويلة، ولكن أشهر أعماله هو كتاب الأصول أو الإيتمولوجيا Etymologiae. أما كتابه الذي تناول فيه تاريخ القوط والوندال والسويفي History of the kings of the Goths, Vandals, and Suevi، فقد أراد به إيزيدور أن يكتب تاريخاً للقوط لتسجيل إنجازاتهم في إطار سياق هذه الفترة والتأريخ لهم عصراً بعصر، وقد أظهرت كتاباته في بعض الأحيان رغبته في أن

(1)Isidore of Seville: History of the kings of the Goths, Vandals, and Suevi, Translated From The Latin by Guido Donini and Gordon B. Ford, (Leiden 1970).

يخفف ويهون من الانتكاسات التي تعرض لها القوط في إقامة مملكتهم آنذاك، وكان يرى السبب في وجود بعض المشاكل هو الطموح السياسي الزائد الذي ظهر لدى بعض الحكام القوط في ذلك الوقت، وفي بعض الأحيان يغفل مثل هذا القصور لصالح أحد الحكام الذي كان أكثر حظاً، كما في حالة إيورك (466-484م) ملك القوط الغربيين الذي قتل شقيقه من أجل الاستئثار بالسلطة، ويبدو أن السبب في ترفع إيزيدور عن النقد يرجع أساساً إلى إنجازات هذا الملك وجهوده في توسيع حدود المملكة.

ومن الملاحظ على إيزيدور أنه تجاهل تسجيل هزيمة القوط الغربيين على أيدي الفرنجة في معركة فويية عام 507م، كما تجاهل أيضاً ذكر العاصفتين اللتين تسببتا في منع أسطول القوط الغربيين من العبور إلى صقلية سنة 410م في عهد آلاريك، ومن العبور من إسبانيا إلى إفريقيا في عهد الملك واليا. ويبدأ إيزيدور تاريخه بالحديث عن فضائل إسبانيا، ثم ينتقل إلى الحديث عن أصل القوط، ثم يدخل في الحديث عن تدخل القوط في الصراع بين بومبي ويوليوس قيصر. وفي نهاية الكتاب يتحدث عن بداية عهد الملك سونثلا (621-631م) Suinthila وينتهي تاريخ إيزيدور بالحديث عن فضائل القوط. وقد أفاد الباحث كثيراً من كتاب إيزيدور الإشبيلي فقد أشار إلى زواج الملك أمالريك من كلوتيلدا الصغرى، وأشار أيضاً إلى تمرد الأمير هرمنجلد ضد أبيه ليوفجيلد.

وعلى الرغم من أن الكتاب مختصر جداً بل يمكن القول إنه مقتطفات من تاريخ القوط في إسبانيا، فإن قيمته العلمية عالية، كما يستمد الكتاب قيمته وأهميته من شخص إيزيدور نفسه، خصوصاً السنوات التي عاشها وكان شاهد عيان لها، ثم يجب ألا نغفل أنه وشقيقه ليندر قد شغلا منصب أسقف مدينة إشبيلية، وكان لهما دور بارز في السياسة الدينية في إسبانيا.

• حولية فريديجار⁽¹⁾ : Fredegar

يتفق جميع الباحثين على أن فريديجار كان من برجنديا⁽²⁾، وما يؤكد ذلك أنه كان بالفعل الأكثر معرفة وعلماً بتاريخ مملكة برجنديا؛ ولذلك فإن حوليته هي لملوك برجنديا، ولا يتكلم كثيراً عن ملوك أوستراسيا أو نوستريا إلا بمناسبة علاقاتهم مع البرجنديين، أو عندما تكون مملكة برجنديا قد اندمجت مع أوستراسيا ونوستريا، مثلما حدث تحت حكم كل من كلوثر الثاني (584-629م) وابنه داجوبرت الأول (629-639م).

ومن المحتمل أيضاً أن فريديجار كان ذا مكانة متميزة في البلاط البرجندي، فكان يستطيع الوصول إلى الوثائق الرسمية، كما كان يستطيع مقابلة المبعوثين الفرنجة، والعائدين من المدن الأجنبية مثل بيزنطة، أو من بلاط القوط الغربيين أو اللمباردين، ومع ذلك لا تبدو كتابات فريديجار رسمية الطابع، فلم يكتبها بناء على أمر أحد الملوك أو رؤساء البلاط. على الرغم من أن فريديجار أفاد في جمع معلوماته من قربه من البلاط الفرنجي.

(1) Fredegar: *Fredegarii et aliorum chronica*, In *Monumenta Germaniae Historica Scriptores Rerum Merovingicarum* (Hannoverae Impensis Bibliopolii Hahniani MDCCCLXXXVIII), edidit Bruno Krusch, Tomus II, (Hannoverae. 1888).
Fredegar: *The Fourth Book of the Chronicle of Fredegar, English & Latin with its continuations*. Translated by J.M. Wallace-Hadrill. Westport, CT: Greenwood Press, 1981.

(2) نسب أدريان فالواه Adrien Valois وطن فريديجار، ونسب محل ميلاده إلى مدينة أفينش Avenches، وذلك بسبب المحابة والتفضيل الذي يتكلم بها كاتب الحوليات عن هذه المدينة، وعن تاريخها، وبعض التفاصيل التي لا نجدها في أي مكان آخر، هو المسوغ الأساسي لهذا الترابط وهذه المواءمة. لمزيد من التفاصيل انظر:

M. Guizot, *Collection des Memoires Relatifs A L histoire de France*, Paris 1823, P.155.

وقد ذكر فريديجار في مقدمته أنه أخذ عن يوليوس الإفريقي Jules L Africain، ويوسايوس Eusebius، والقديس جيروم St. Jerome، وإيداس Idace، والقديس إيزيدور الإشبيلي St. Isidore de Seville، وجريجوري التوري، ثم اختتم كتابه بأحداث عصره، ومن ثم فإن مؤلف فريديجار ينقسم إلى أربعة فصول: الفصول الثلاثة الأولى منه لا تتضمن شيئاً جديداً مميزاً عن السابقين لفريديجار إذ تتضمن الأحداث منذ خلق العالم حتى عام 584م. أما الفصل الرابع فهو أكثر الفصول أهمية حيث أدرج فيه فريديجار أحداث عصره، وأصبح هو المؤرخ الوحيد المعاصر لتلك الأحداث⁽¹⁾.

وتتوقف حولية فريديجار بشكل مفاجئ في عام 643م، ويسود الغموض حول السبب الذي دفع المؤرخ فريديجار للتوقف عن الكتابة عام 643م، على الرغم من أنه توفي عام 660م، ربما يرجع سبب ذلك إلى أن كاتب حولية فريديجار أراد أن يضع في صدر كتابه مقدمة عن خلق العالم حتى يصل إلى العصر موضوع الكتابة. إلا أن حولية فريديجار اكتملت بعد ذلك بواسطة كتّاب آخرين. الجزء الأول الذي تم استكمالها يمتد بين عامي 643-680م، وكانت تلك الفترة جسر اتصال للأحداث بين كتابات فريديجار والكتابات اللاحقة التي أضيفت لحوليته بعد ذلك، وعلى الأرجح تمت كتابة هذا الجزء من قبل واحد أو أكثر من الرهبان، ولا تتوفر لديهم أي معرفة بالوقائع في تلك الفترة.

(1) يذكر فريديجار في مقدمته " لقد قرأت بدقة أعمال القديس جيروم St Gerome وإيزيدور Isidore وجريجوري Gregory منذ بدأ العالم إلى نهاية حكم جونترام، وأعدت كتابة ما سرده هؤلاء الأشخاص المثقفون مطولاً في سجلاتهم التاريخية، ولكن بلغة مناسبة وبدون الكثير من الحذف. ولكي أكون أكثر دقة لاحظت في الكتب المذكورة سلفاً فترات حكم جميع الملوك وترتيبها الزمني، وقمت بتجميع وترتيب هذه الصفحات، ورتبت أفعال العديد من الشعوب، وإذا كان لدى أي قارئ شك في شخص فعليه فقط أن يتحول إلى المؤلف الأصلي ليتأكد أن مقالته هو الحقيقة ". لمزيد من التفاصيل انظر: J. M. Wallace, Hadrill, Fredegar and the History of France, The John Rylands Library, Manchester, P. 527.

أما الجزء الثاني فيبدأ من عام 680 إلى 736م، وهو يعطي معرفة كافية لما حدث خلال تلك الفترة في أوستراسيا، أما الجزء الثالث فيمتد حتى عام 752م، ولم يتم معرفة من الذي قام بكتابة هذا الجزء، ولكن يبدو أن هذا الجزء قد تمت كتابته بناءً على أمر من أسرة نيبيلونج Nibelonge التي تنسب إلى الكارولنجيين عن طريق السيدة أليدا Alpaida زوجة شارل مارتل، والجزء الرابع من حولية فريديجار يمتد حتى قدوم شارلمان في عام 768م، وتتسم تلك الأجزاء من الحولية بالمصدقية، إذ إن مؤلفيها كانوا معاصرين للأحداث في تلك الفترة، ومن ثم تُعد هذه الحولية تاريخاً متصلاً تقريباً لبلاد الغال منذ الحكم الروماني حتى تأسيس الدولة الكارولنجية⁽¹⁾.

أما عن فريديجار فقد كان مجرد سارد أو مخبر للأحداث وليس مؤرخاً؛ فقد كانت توجهه المادة التي يعتمد عليها؛ لهذا السبب تنتقل روايته بشكل مرتبك وغير متناغم من بلاط فرنجي إلى آخر من خلال مسارات غريبة للأحداث، وعلى الرغم من أن هذه الأحداث يمكن أن تكون مهمة فإنّ التنقل وراء الأحداث يفكك وحدة الرواية.

فمن الملاحظ أن فريديجار يُؤرخ لبعض سنوات بشكل تفصيلي، بينما يترك أو يتجاهل سنوات أخرى، فمثلاً يتحدث عن السياسة الفرنجية ثم ينتقل بدون سابق إنذار بسرد مطول عن ثأر خاص، أو رواية عن سفارة لإسبانيا أو بيزنطة. كما كان لدى فريديجار معلومات وفيرة عن الشؤون البيزنطية سواء أثرت في بلاد الغال أو لا، ويمكن أن يرجع ذلك إلى قرب برجنديا من إيطاليا البيزنطية، ولقد مكّنه ذلك من تقديم بعض الإضافات لجريجوري عن جاندوفالد المدعي للعرش، التي تضمنت أحداثاً وقعت في بيزنطة أو لها علاقة بها، وعلى الرغم من ذلك حملت بعض كتابات المؤرخ فريديجار عن بيزنطة المبالغة الكثيرة في أحداثها؛ فيعرض على سبيل المثال الحروب البيزنطية الفارسية بشكل

(1)Hadrill, Fredegar and the History of France, P. 528; M. Guizot, Collection des Memoires Relatifs A L histoire de France, P. 159.

مبالغ فيه ، وربما يرجع ذلك لما كان يمثلته الشرق من عظمة ومهابة لدى الغرب الأوروبي في العصور الوسطى.

كما ذكر فريديجار في مقدمته أنه إذا كان لدى قارئ أي شك فيما تمت كتاباته، فعليه أن يرجع إلى المؤلف السابق أو القديم؛ ليتأكد أن ما ذكره هو الحقيقة، ولم يكن المؤرخ فريديجار هو المؤرخ الوحيد الذي اعتمد على كتابات إيزيدور وجيروم وغيرهم، وإنما كان الاعتماد على كتابات هؤلاء المؤرخين هي السمة المميزة لكتابات المؤرخين في تلك الفترة، فكانت تلك الكتابات تمثل دليلاً إرشادياً لأزمة العالم، وبشكل يمثل مقدمة أو تمهيداً لتأريخات العصور الوسطى المبكرة، وعلى أساس تلك الأعمال الموثوق بها يستطيع المؤرخ المحلي أن يبني تاريخه⁽¹⁾. ويرجع اعتماد فريديجار على المؤلفين السابق ذكرهم لعدة أسباب: أنه اهتم بتاريخ اليهود لأن ديانتهم كانت سابقة للمسيحية، ومن هنا تأتي أهمية مصدر إيزيدور بالنسبة له، كذلك كان اهتمام فريديجار بجانب معين من التاريخ اليوناني، وهذا الجانب هو الأصل الطروادي للفرنجة، الذي تحدث عنه فريديجار في بداية مؤلفه.

وعلى الرغم من أن فريديجار نقل عن جريجوري، فإن ذلك لم يمنع أنه أضاف العديد من الأمور التي لم يذكرها جريجوري مثل قصة كيف أن الملكة برونهيلد زوجة الملك سيجبرت الأول أنزلت ابنها الملك شلدبرت الثاني الصغير من نافذة محبسها في باريس عقب القبض عليها بعد وفاة زوجها سيجبرت عام 575م، إذ تم نقل ابنها شلدبرت إلى ميتز ليكون ملكاً على مملكة أوستراسيا. كما أضاف فريديجار إلى نص جريجوري أن الملك كلوفس تم تعميده على يد القديس ريميغيوس Remigius أسقف مدينة ريمس، وهي حادثة تفصيلية لم يذكرها المؤرخ جريجوري التوري. كما حذف فريديجار الجزء الأول من كتاب جريجوري الذي يتحدث فيه عن وفاة

(1) Hadrill, J. M. Wallace, Fredegar and the History of France, The John Rylands Library, Manchester., PP.527-8.

القديس مارتن St. Martin، وربما يرجع السبب إلى اهتمام فريديجار بالأحداث السياسية إلى حد كبير. وتبدأ الأحداث التي أخذها فريديجار من جريجوري منذ انهيار قبائل الوندال، ثم يتبع ذلك بالحديث عن أصل الفرنجة وتاريخهم قبل اندفاعهم لشمال بلاد الغال. ومن الواضح أن إضافات فريديجار لنص جريجوري بعضها ذو طبيعة واقعية مثل الشئون البرجندية، وتتمثل في وضع اسم شخص أو مكان لم يعرفه جريجوري، وعرفه فريديجار، والبعض الآخر إضافات من القصص الشعبية أو الملاحم الطويلة، ومن ثمَّ فرغم أن فريديجار يقبل ويتفهم سرد جريجوري لشئون الفرنجة حتى عام 591م، فإنَّه كان قادراً على تقديم إضافات مهمة يمكن أن تكون مستمدة من مصادر جيدة شفهية أو مكتوبة⁽¹⁾.

كما انفرد فريديجار في حويلته بالحديث عن النبلاء وصراعاتهم مع ملوك الفرنجة، ولكنه اقتصر الحديث فقط عن نبلاء برجنديا في معظم الأحيان، لأنَّ برجنديا كانت مقر إقامته. ولكن كانت كتابته تحمل المبالغة الواضحة في تناول أعداد الموتى في المعركة، فمثلاً عند الحديث عن معركة تولبياك Tolbiac عام 612م التي قامت بين كلٍّ من ثيودريك الثاني (596-613م) وثيرودبرت الثاني (596-612م)، وصف ضحايا المعركة بأنَّهم كانوا متراسين وقوفاً في صفوف، كناية عن كثرة أعداد القتلى في تلك المعركة.

وعلى الرَّغم من معاصرة فريديجار للأحداث فإنَّه تناول أحداث الفترة من عام 614م حتى 622م بشكل مختصر وسريع، فينتقل من الحديث عن سفارة اللمباردين إلى الملك كلوثر الثاني عام 616م مباشرة إلى تولية داجوبرت الأول على أوستراسيا عام 622م بدون ذكر أي من المعلومات عن تلك الفترة خلاف ذلك. ويرجع ذلك إلى أن فريديجار قد بدأ كتابة حويلته بأحداث عام 625م، ونقل الفترة السابقة من 614-624م من بعض المصادر الشفهية.

(1)Wallace, Fredegar and the History of France, PP. 534-40.

في نهاية الأمر وعلى الرغم من مميزات حولية فريديجار وبعض عيوبها فإنَّ الباحث لا يستطيع أن يستغني عنها حولية فريديجار لعدة أسباب يأتي في مقدمتها: أن فريديجار كان معاصراً لأحداث تلك الفترة، كما تميزت معلوماته في عددٍ كبيرٍ منها بالمصداقية، والسلاسة أيضاً في معظم الأحيان.

وقد اعتمد الباحث على الفصل الرابع من حولية فريديجار الذي تم ترجمته إلى اللغة الإنجليزية نظراً لأهميته ومعاصرته للأحداث، أما باقي الفصول فإنَّها لم تترجم من اللاتينية بعد، وقد عاد إليها الباحث في الأجزاء التي تخص البحث.

• المؤرخ المجهول وكتابه تاريخ الفرنجة⁽¹⁾ :Liber Historiae Francorum

يُنسب كتاب تاريخ الفرنجة Liber Historiae Francorum إلى مؤلف مجهول من القرن الثامن، ويُعد الجزء الأول من الكتاب مصادر ثانوية لتاريخ الفرنجة في الفترة المبكرة أيام الدوق ماركومير⁽²⁾ Marcomer (نحو 388م)، وأحداث قصيرة لمملكة الفرنجة في عهد الميروفنجيين. وكان المؤرخ المجهول معاصراً للفترة من نهاية الميروفنجيين واعتلاء الكارولنجيين، وهو مصدر أساسي لتلك الفترة.

ويعتقد البعض أن المؤرخ المجهول كان يعيش في مدينة سواسون، وربما في دير القديس ميدارد الملكي St. Medard، ويعتقد البعض أنه شخص علماني وليس كنسياً من نوستريا، وربما كان المؤرخ المجهول من الطبقة الأرستقراطية.

يرجع كتابة تاريخ المؤرخ المجهول إلى سنة 727م، وربما كتبه في شمال باريس⁽³⁾، وذلك بسبب إشارته إلى نهاية السنة السادسة من حكم ثيودريك الرابع Theoderic IV (721-737م). وهو يرى الأحداث من وجهة النظر النوسترية⁽⁴⁾، وهو واحدة من مجموعة من كتب التاريخ الجديدة المكتوبة في القرن الثامن، وقد وزعت نسخها على نطاق واسع في القرن التاسع، التي عُرضت على القراء (والمستمعين) حيث وضعت خلفية عميقة بأن الفرنجة ورثة الإمبراطورية الرومانية.

(1) Liber Historiae Francorum, In Monumenta Germaniae Historica Scriptores

Rerum Merovingicarum (Hannoverae Impensis Bibliopolii Hahniani

MDCCCLXXXVIII), edidit Bruno Krusch, Tomus II, (Hannoverae. 1888).

(2) ذكر جريجوري التوري أن أول ظهور للفرنجة كان بظهور زعمائهم الأوائل وهم

جينوبود Genoboud، وماركومير Marcomer، وسونو Sunno الذين هاجموا مدينة

كلوني Cologne وهُزموا على يد قوات الإمبراطورية. انظر:

Gregory of Tours: Franks, P.27

(3) Emily Wilson: The Rise of the Carolingians or the decline of the

Merovingians?, Academic Essays, Access: History Vol. 2, No. 1, p.6.

(4) Emily Wilson: The Rise of the Carolingians, p.6.

ويقع الكتاب في 53 فصلاً، وتم تقسيمه إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول يمتد من القرن الرابع حتى عام 584م، وهو ملخص للفصول الستة الأولى من تاريخ جريجوري التوري عن الفرنجة، القسم الثاني من 584 حتى عام 700م، وقد استمد المؤرخ مؤلفه من وثائق رسمية، أمّا القسم الثالث فإنه يمتد من سنة 700 حتى سنة 727م. وفي بداية الكتاب يتحدث المؤرخ المجهول عن أصل ملوك وشعب الفرنجة وأهم أعمالهم. ويقول إن أصل الفرنجة يعود إلى أهل طروادة Trojan الذين وجدوا أنفسهم على الساحل الشمالي للبحر الأسود، ومن ثمّ عبروا نهر الدانوب إلى راينلاند Rhineland؛ وهو بذلك يعتمد بشكل كبير على تاريخ جريجوري التوري.

كما تقدم الفصول الإحدى عشر الأخيرة 43-53، تقريراً مستقلاً عن الأحداث في مملكة الفرنجة في القرن السابع وأوائل القرن الثامن الميلادي، وتجذب هذه الفترة اهتمام المؤرخين، لأنها تغطي فترة لم يتناولها مؤرخ آخر. فهو يقدم معلومات جيدة عن عصر رؤساء البلاط. ففي الفصل 43 يذكر محاولة جريمولد⁽¹⁾ (639-656م) رئيس بلاط أوستراسيا نقل التاج إلى ابنه شلدبرت (Childebert) وذلك سنة 656م بعد وفاة الملك سيجمبرت الثالث (632-656م) ملك أوستراسيا، ولكن لم يحقق نجاحاً في مشروعه وقتل مع ابنه في السنة

(1) جريمولد: تولى جريمولد Grimoald، رئاسة البلاط بعد وفاة والده بين أوف لاندن (الأول)، وقد نجح غريمولد في إدارة أوستراسيا مدة سبعة عشر عاماً، إلا أنه حاول سنة 656م نقل التاج إلى ابنه شلدبيرت (Childebert)، فلم يحقق نجاحاً في مشروعه وقتل مع ابنه في السنة ذاتها. وجاءت هذه الحادثة لتؤكد أن نبلاء أوستراسيا لم يرغبوا في أن يكون عليهم ملوكاً قوياً، فاتحدوا مع نبلاء أوستريا وأعدموا الملك الغاصب وأباه. وقد أدرك الحجاب الذين جاءوا بعد ذلك هذا الدرس ولم يفكروا في محاولة مشابهة لقرن من الزمن. انظر:

Liber Historiae Francorum, pp.315-6; C. W. Previte, Orton: The shorter Cambridge Medieval History, Vol.I, (Cambridge, 1952), P.158;

انظر أيضاً، محمود سعيد عمران، معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، 1986، ص145.

ذاتها⁽¹⁾. ويتحدث في الفصل 45، عن تولي إبروين⁽²⁾ Ebroin (؟ - 680م) حجابة القصر في نوستريا وبرجنديا، وينتهي هذا الفصل بتولي شارل مارتل (714-741م) لرئاسة البلاط. ويُعد المؤرخ المجهول مصدراً رئيسياً لحولية فريديجار.

وقد أفاد الباحث من كتاب المؤرخ المجهول Liber Historiae Francorum، حيث ذكر المؤرخ المجهول تفاصيل عن زواج كلوفس وكلوتيلدا لم يذكرها جريجوري التوري، وإن الذي أجبر جندوباد على قبول الزواج أنه كان منشغلاً في مناوره حربية ضد منافسه. كما يدعي المؤرخ المجهول أن كلوفس كان مستعداً للقتال من أجل خطيبته كلوتيلدا، وإن جندوباد كان مرتاباً من أن كلوفس يبحث عن ذريعة لمهاجمة البرجنديين⁽³⁾. ويقول في النهاية إن كلوفس حصل على عروس وثروة كبيرة، حيث إن كلوتيلدا في ليلة زواجهما طلبت من كلوفس مطالبة عمها جندوباد بميراثها من والديها⁽⁴⁾.

(1) Liber Historiae Francorum, pp.315-6; Orton: The shorter Cambridge Medieval History, Vol.I., P.158.

(2) أبروين: كان أبروين، حاجب نوستريا طموحاً إلى أن يصبح حاجب القصر الوحيد للمملكة، وقد قاومه الحاجب البرغندي ليويجر Leodegar أو ليجر Leger، أسقف أوتون Autun. وبعد حرب متقطعة استطاع أبروين الانتصار عليه وقتله، وتولى أبروين حجابة القصر في نوستريا وبرجنديا بالفعل، وتحدى سلطة النبلاء بعدم استشارتهم لتعيين خلف لكلوثر الثالث Chlotar III (657-673م) في نوستريا. فتجمع النبلاء في الممالك الثلاثة وعزلوا أبروين وحبسوه في أحد الأديرة سنة 670م. إلا أن أبروين هرب من السجن بمساعدة أنصاره ورجع إلى منصبه في نوستريا، واستمرت الحرب بين المملكتين وحجابهما حتى سنة 679م. إلا أن وفاته في سنة 680م أشرت بنهاية تفوق نوستريا في الشؤون الفرنجية. انظر:

Orton: The shorter Cambridge Medieval History, Vol.I., P. 158.

(3) Liber Historiae Francorum, p.256 .

(4) Liber Historiae Francorum, p.258.

• بولس الشماس⁽¹⁾ Paul the Deacon:

ولد بولس الشماس في الفترة من (720-725م) في دوقية فريولي Fruili بإيطاليا، ويحتمل أنه كان ينتمي إلى عائلة لمباردية نبيلة، وقد تلقى تعليمه على يد فلافيوس النحوي، ويحتمل أن ذلك كان في بلاط بافيا الملكي في عهد الملك ليتوبراند (712-744م)، وقد عمل بولس بالتدريس للأميرة اللمباردية أدليبرجا Adelperga ابنة الملك ديسدريوس (756-774م) وذلك حينما رحلت إلى دوقية بنفيتو جنوب إيطاليا للزواج من أريكييس الثاني Arichis II دوف بنفيتو وذلك نحو عام 763م فذهب بولس بصحبته، وهناك أصدر باكورة أعماله الأدبية.

وفي ظروف غامضة غادر بولس بنفيتو ودخل دير القديس بندكت St. Benedict في مونت كاسينو Mont Casion، وبقي فيه حتى عام 783م، حيث قرر السفر إلى البلاط الفرنسي لمقابلة شارلمان، في محاولة لإطلاق سراح شقيقه أريكييس Arichis الذي كان قد تورط مع النبلاء اللمبارد في ثورة فاشلة ضد شارلمان، فتم اعتقاله سنة 776م، وهناك لقي بولس الشماس حفاوة بالغة من جانب شارلمان الذي دعاه للبقاء في مملكته بعد أن أعجب بمواهبه الأدبية، ولذا فقد مكث بولس بضع سنوات في قصر الملك الفرنسي في آخن، وفي أواخر سنة 787م عاد بولس إلى إيطاليا حيث مر في طريقه على روما زائراً، وبعدها عاد إلى مونت كاسينو حيث توفي عام 790م.

وقد ترك بولس الشماس عدة مؤلفات أهمها كتاب "تاريخ اللمبارد"، ويبدو أنه صنّفه خلال السنوات الأخيرة من حياته بعد عودته من بلاد الغال وقبل وفاته بزمان قصير. وينقسم الكتاب إلى ستة فصول، الأول يتناول أصل

(1) Paul the Deacon: Langobards, Translated by William Dudley Foulke. (University of Pennsylvania Press, 1907).

للمبارديين وتحركاتهم فيما قبل القرن السادس الميلادي. بينما يوضح القسم الثاني مرحلة دخولهم إيطاليا بقيادة ألبوين، ثم تضمن القسم الثالث الصعوبات التي واجهت اللمبارديين في تأسيس مملكتهم بزعامة أوثاري Authari أما بالنسبة للأقسام الثلاثة الباقية فقد تناولت أحداث المملكة أيام أقوى ملوكها المشرعين روثير Rothair (636-652م)، وجريموالد Grimwald (662-671م)، وليبرتيراند Liutprand (712-744م)، ثم تعرض من خلال حديثه عن هؤلاء الملوك الثلاثة إلى شرح كثير من مواد القانون اللمباردي الصادر في عصر كل منهم.

ورغم امتلاء كتاب بولس الشماس بالخرافات والأساطير الشائعة في التراث اللمباردي القديم، كما أن التحديد الزمني غير واضح في أثناء سرده للأحداث، ومعلوماته قليلة عن الفرنجة، إلا أن أهمية ما كتبه بولس ترجع في المقام الأول إلى كمية المصادر المتنوعة التي اعتمد عليها في تدوين تاريخه، فقد اعتمد على كتاب أصل الشعب اللمباردي Origo gentis Langobardorum⁽¹⁾، وغيرها من المصادر المهمة.

كذلك ترجع أهمية كتاب بولس إلى أنه المصدر اللمباردي الوحيد الذي روى لنا أحداث القرن الثامن الميلادي بعيون لمباردية. وقد أفاد الباحث كثيراً من كتاب بولس الشماس فقد ذكر زواج ابنتي واكو (510-540م) ملك اللمبارديين من ملوك الفرنجة، كما أشار بولس إلى زواج ألبوين وكلوسندا،

(1) يُعد كتاب المؤرخ المجهول أصل الشعب اللمباردي Origo gentis Langobardorum من المصادر المبكرة عن تاريخ اللمبارديين، وهو عمل قصير ومختصر جداً، جاء في شكل مقدمة لقانون روثاري عام 643م، وقد اختلف المؤرخون في تدوينه، فهناك من ينسبه إلى وقت تدوين قوانين روثاري، في حين أن البعض يذهب إلى أنه دون بعد تنصيب بركتاريت (671-688م) ملكاً على اللمبارديين، والبعض الآخر يذهب إلى أنه تم تدوينه في السنة السابعة من عهد جريموالد (671-662م) أي سنة 669م. انظر:

Paul the Deacon: Langobards, p. 331.

وأن سبب الزواج في الحقيقة، أن ألبوين أراد أن يكتسب اسماً لامعاً ومتميزاً وتوطيد مكانته كملك مستقبلي للمبارديين⁽¹⁾. ويُعد أيضاً كتاب بولس الشماس مصدرنا الوحيد لخطبة ابنة ثيودبرت الثاني إلى الأمير أدلوالد Adaloald (616-626م) بن أجيلولف ملك اللمبارد، وهي عبارة عن إشارة وجيزة في تاريخ بولس الشماس⁽²⁾، كما أشار بولس إلى الحملات الفرنجية على مملكة اللمبارديين، وهكذا نجد أن كتاب بولس الشماس لا غنى عنه لأي باحث.

(1) Paul the Deacon: Langobards, p.49.

(2) Paul the Deacon: Langobards, p.173.

• إينهارد⁽¹⁾ : Einhard

يأتي كتاب إينهارد⁽²⁾ Einhard المعنون "حياة شارلمان" Vita caroli Magni في مقدمة المصادر المعاصرة لشارلمان، وقد كُتب بعد وقت قريب من وفاة شارلمان.

ويُعد الكتاب من أفضل الدراسات في حقل السير في العصر الوسيط، ومن المحتمل إن إينهارد شرع بتأليفه بين عامي (830-817م)⁽³⁾، أي بعد وفاة

(1) إينهارد: سيرة شارلمان، ترجمة عادل زيتون، دار حسان للطباعة والنشر، ط 1 دمشق 1989.

(2) إينهارد: يسمى أيضاً إينهاردوس Einhardus وإيجنهارد Eginhard. وكان شارلمان يناديه باسمه الأول بيزاليل Bezaleel، وقد درس إينهارد في دير فولدا Fulda الذي كان مركزاً كبيراً للتعليم خلال النهضة الكارولنجية. وكان إينهارد بارزاً في دراسته، فقدمه رئيس الدير إلى شارلمان، والتحق في سنة 791م بالبلاط الملكي، وأصبح أحد المقربين للملك ومستشاراً له. وقد حصل إينهارد على تعليم أوسع في مدرسة البلاط على يد ألكوين Alcuin (735-804م)، الذي كان رئيساً للمدرسة. فقرأ في مدرسة البلاط العديد من كتب التاريخ القديمة اللاتينية مثل كتب شيشرون وليفى وتاكيوتوس وسوتونيوس، واطلع على كتابات عدد من كتاب الحوليات الفرنجة الأوائل. بعد وفاة شارلمان سنة 814م، انتقل إينهارد إلى خدمة ابنه لويس التقي Louis the pious (814-840م) باعتباره سكرتيراً له ومعلماً لابنه لوثر Lothair (إمبراطور 840-855م) وفي سنة 830م ترك إينهارد البلاط، وتفرغ لدير سيليجنستاد Seligenstadt، الذي أنشأه، حيث توفي فيه بعد عشر سنوات في 14 مارس سنة 840م. للمقارنة انظر:

Lewis Thorpe (Translator), Einhard and Notker the Stammerer Two Lives of Charlemagne, London Penguin Books, 1969, pp.12-3; Indrikis sterns, The Greater Medieval Historians, Boston University Press of America, 1980, p. 94.

(3) يشير لويس ثورب إلى إن تأليف الكتاب تم بين (829-836م). ولإينهارد ثلاثة كتب أخرى ألفها باللاتينية للمقارنة انظر:

Lewis Thorp, Einhard and Notker., P. 15.

الإمبراطور شارلمان بثلاث سنوات⁽¹⁾. وقد كانت العلاقة بين إينهارد وسيدته شارلمان علاقة ودية، لذلك فإنه كتب عن مآثره وحروبه وأعماله العامة، وعن البلاط ومدرسة البلاط والسياسات الدينية، مع إشارات إلى أسلاف شارلمان وشبابه، وحياته الخاصة وساعاته الأخيرة. لذلك ترك إينهارد رواية معاصرة عن عصر شارلمان والنهضة الكارولنجية⁽²⁾.

اعتمد إينهارد أساساً على الملاحظات والانطباعات الشخصية حول الإمبراطور شارلمان. وباعتباره موظفاً لدى شارلمان ثم ابنه لويس الثاني فقد اطلع على وثائق البلاط الرسمية، وجمع بعض معلوماته من المراسلات والحواليات الملكية المعاصرة له. وقد تأثر في كتابة سيرته عن شارلمان بالمؤرخ الروماني سوتونيوس Suetonius الذي كتب عن حياة القياصرة الاثني عشر Lives of the twelve Caesars. ويتضح تأثير سوتونيوس كثيراً على إينهارد، فإلى جانب تأثره بالبنية المنهجية التي اتبعها سوتونيوس وأوصافه لحياة القياصرة، فإنه اقتبس منه عبارات متعددة ضمها إلى كتابه. حتى أن وصفه لمظهر شارلمان الجسماني كان مقارباً لمظهر أغسطس Augustus (27 ق.م-14م) طبقاً لوصف سوتونيوس⁽³⁾.

اعتمد إينهارد طريقة الحواريات، فسجل الأحداث التاريخية المرتبطة بحياة

(1) لم يسجل إينهارد اسمه على الكتاب، إلا أن الذي أدى إلى شيوع اسمه هو المقدمة التي كتبها رئيس دير ريشينو Abbot of Reichenau والافريد سترابو Walahfrid strabo للكتاب وأشار فيها إلى اسم مؤلفه إينهارد، إلى جانب معرفة الكتاب في القرن التاسع الميلادي لاسم المؤلف. للمقارنة انظر: Lewis Thorp. Einhard and Notker, P. 13.

(2) Sterns: The Greater Medieval Historians, pp. 94-5.

(3) يلاحظ أن نقد المؤرخين المحدثين لكتاب إينهارد فيه نوع من التجني. فعند فتح قبر شارلمان سنة 1861، تبين أن طوله مساوٍ لما كتبه إينهارد، وهو ستة أقدام. وهذا أدى إلى الاعتقاد أن إينهارد اقتبس فقط التعابير والوصف الذي ينطبق على شارلمان من كتاب سوتونيوس. للمقارنة انظر:

Sterns: The Greater Medieval Historians, PP. 95-6.

شارلمان، منذ توليه الحكم حتى وفاته، مع ذكر معلومات مختصرة عن أسلاف شارلمان والدولة الميروفنجية. إلا أن مما يؤخذ على إينهارد معلوماته القليلة في بعض الأحيان عن قضايا أساسية في سيرة شارلمان، كعلاقاته مع العباسيين والأمويين بالأندلس، التي أدت فيما بعد إلى مشكلة منهجية كبيرة في الدراسات التي تناولت العلاقات بين الكارولنجين والعباسيين، لا سيما أنه لم يذكر معلومات واضحة عن طبيعة هذه العلاقات.

وقد ركز إينهارد أيضاً على الإيجابيات في بلاط شارلمان وتجاوز بعض المسائل التي قد تسبب له بعض المشاكل والإحراجات مع عائلة شارلمان، يتضح ذلك بمروره دون تعليق على ولادة شارلمان وطفولته، وعلاقة والده بين القصير⁽¹⁾ Pepin the Short مع أمه برتراده Bertrada، التي يرى بعض المؤرخين أنها كانت زوجة غير شرعية. ومهما تكن الانتقادات التي وجهت إلى إينهارد، فإن سيرته عن شارلمان تُعد مصدراً أساسياً استقت منه الرسالة معلوماتها عن حياة شارلمان وعلاقاته الخارجية، فلا يخلو فصل تقريباً من إحالات إلى إينهارد، لتغطيته معظم نشاطات شارلمان العسكرية والسياسية والدينية.

(1) بين القصير: هو ابن شارل مارتل وكان رئيساً للبلاط في عهد ملك الفرنجة شلدريك الثالث (743-751م)، وأُرسل بين إلى البابا زكريا (752-741م) يستشير في عزل شلدريك هذا، وجاء رد البابا واضحاً، وهو من الأفضل أن يكون الملك لمن بيده السلطة الفعلية في البلاد، وبالفعل عزل بين الملك شلدريك من الحكم، ونفاه إلى أحد الأديرة في حين اعتلى هو عرش مملكة الفرنجة (768-752م)، وبذلك يعتبر شلدريك الثالث آخر ملوك الفرنجة من الأسرة الميروفنجية، في حين يعتبر بين القصير أول ملوك الفرنجة من الأسرة الكارولنجية. انظر: عاشور: أوروبا، ج 1، ص 151.

التمهيد

* القبائل الجرمانية وأصولهم .

* الغزوات الجرمانية على أوروبا .

* القبائل الجرمانية وأصولهم :

تميز العصر الأوروبي الوسيط⁽¹⁾ بثلاثة مظاهر، أدت دوراً كبيراً في نقل المجتمع الأوروبي إلى مرحلة تاريخية مختلفة، فقد انتقل من العصر القديم إلى العصر الوسيط، وتحددت هذه المظاهر في التأثير اللاتيني الروماني الكلاسيكي، والمسيحية وهيمنة البابوية، وتغلغل البرابرة⁽²⁾ Barbarians في أصقاع متعددة من أقاليم الإمبراطورية الرومانية⁽³⁾. وقد شكلت القبائل

(1) اصطلاح عدد من المؤرخين على المدة من 476م حتى منتصف القرن الخامس عشر الميلادي اسم العصر الوسيط.

(2) البرابرة: مجموعات متعددة من القبائل الرعوية الأسوية التي غزت الإمبراطورية الرومانية أو أحاطت بها مثل السكيثيين والساسانيين والهنون والبلغار والآفار والمجريين والمغول والأتراك والسلاف والجرمان والكلت. وقد أطلق عليهم الرومان هذا الاسم باعتبارهم يحملون قيماً وأعرافاً غير متحضرة. فالبربرية من التنظيم الاجتماعي القبلي الذي لم يرتق بعد إلى مرحلة الاستقرار المدني، وإقامة الدول ذات الحدود الثابتة. للتفاصيل ينظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ج1، التاريخ السياسي، دار النهضة العربية، القاهرة 7219، ص 55.

(3) الإمبراطورية الرومانية: هو مصطلح أطلق على المرحلة التي تلت الجمهورية الرومانية التي حكمت روما، فهي تطور للحكم السياسي لروما، وقد تميزت مرحلة الحكم الإمبراطوري لروما في تلك الفترة بالحكم الاستبدادي، وقد خلف الحكم الإمبراطوري 500 عام من الحكم الجمهوري لروما (510 ق. م - القرن الأول قبل الميلاد) الذي كان قد ضُعب بسبب النزاع بين جايوس ماريوس وسولا والحرب الأهلية من يوليوس قيصر ضد بومبي، وليس هناك تاريخ محدد يبين انتقال روما من الجمهورية إلى الإمبراطورية، ولكن يمكن اعتبار بداية الإمبراطورية الرومانية من بداية تعيين يوليوس قيصر دكتاتوراً دائماً لروما سنة 44 ق. م، في المرحلة التي انتصر فيها أوكتافيوس وريث يوليوس قيصر في معركة أكتيوم 31 ق. م. وكذلك منح مجلس الشيوخ الروماني عبارات التعظيم لأوكتافيوس وتلقيه أغسطس العظيم في 16 يونيو 27 ق. م... للمزيد انظر: إبراهيم طرخان: نهاية الإمبراطورية في الغرب 476م مجلة كلية الآداب. جامعة القاهرة. مجلد 20. ديسمبر 1958. ص 77.

الجرمانية⁽¹⁾ Germans جزءاً مهماً من العالم البربري الواسع الذي أحاط بالإمبراطورية الرومانية من معظم جوانبها، والذين لم يلبثوا أن أثروا في تغيير مصائر هذه الإمبراطورية عندما أخذوا يهاجمونها منذ منتصف القرن الثاني الميلادي. والواقع أنه كان من الممكن أن تعيش الإمبراطورية الرومانية في الغرب عمراً أطول، وأن تموت موتاً أبطاً رغم الانحلال الاقتصادي والاجتماعي والسياسي التي تعرضت له، لولا هجمات هؤلاء البرابرة التي أسرعت بالإمبراطورية نحو مصيرها المحتوم⁽²⁾.

واستمر اندفاع الجرمان نحو الجنوب والغرب طوال القرون الأربعة الأخيرة قبل الميلاد، وانتشروا في القرنين الأول والثاني قبل الميلاد في أواسط أوروبا وشرقيها عبر نهري الراين⁽³⁾

(1) الجرمان: أرجع معظم المؤرخين الموطن الأصلي للجرمان إلى المناطق المحيطة بالبحر البلطي وشبه جزيرة اسكنديناوه، ولغتهم الأصلية المشتركة هندو - أوروبية. ويتميز الجرمان عن غيرهم بصفات جثمانية معينة منها العيون الزرقاء الحادة والشعر الأصهب مع بسطة في الجسم ما ساعدهم على القيام بالأعمال العنيفة القاسية غير أن قدرتهم على العمل اليدوي الشاق قليلة، وهم من أقل الشعوب تحملاً للظمأ والحر، أما البرد فقد تعودوا عليه نتيجة للمناخ والتربة. وهم مجموعات كثيرة من القبائل أهمها القوط الغربيون، القوط الشرقيون، الوندال، الفرنجة، الألمان، السوفي، البرجنديون، الفريزيون، السوابي، اللباردين، الإنجليز، السكسون، الجوت، وغيرهم. ويُعد المؤرخ الروماني تاكيتوس (55-118م) أول من ألف كتاباً عنهم في القرن الأول الميلادي عنوانه (جرمانيا Germania) في سنة 98م، قدم فيه وصفاً لحياتهم وعلاقتهم بالإمبراطورية الرومانية. للتفاصيل انظر: تاكيتوس: تاكيتوس والشعوب الجرمانية، ص 50، الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 6؛ نورمان كانتور: التاريخ الوسيط: قصة حضارة البداية والنهاية، ترجمة وتعليق قاسم عبده قاسم، الجزء الأول، ط 5، عين للدراسات والبحوث، القاهرة 1997، ص 146.

(2) سعيد عاشور: أوروبا، ج 1، ص 55-54.

(3) نهر الراين: ينبع الراين من جبال الألب ويجري نحو الشمال والشمال الغربي ويصب في بحر الشمال طوله نحو 1319 كم. ويعتبر الراين من أهم طرق الملاحة النهرية في أوروبا الغربية. وقد شكل الراين في العصور الرومانية الحد الشرقي لبلاد الغال، كما أنه تمتع بأهمية استراتيجية كبيرة لعدة قرون وبخاصة بالنسبة لفرنسا وألمانيا. انظر:

Moore, W, Encyclopedia of Places, London, 1971, p.652.

والدانوب⁽¹⁾ وفي اتجاه الحدود الرومانية⁽²⁾، وأصبح الرومان وجهاً لوجه أمام العناصر الجرمانية على طول الحدود، على الرغم من أن الرومان لم يهتموا كثيراً بهذه العناصر الجرمانية أول الأمر، نظراً لانشغالهم بشئونهم الداخلية وتوسعهم الخارجي، ولعدم اكتراثهم بعد ذلك⁽³⁾، فضلاً عن أن الجرمان لم يكونوا قد بدءوا بعد غزوهم للعالم الروماني، لكن ترتب على نشاط الرومان في القرن الأخير قبل الميلاد، والقرن الأول الميلادي، أن أصبح الاتصال مباشراً بالجرمان، وسرعان ما انكشفت هذه العناصر الجرمانية أمام الرومان الذين فطنوا كثيراً من صفاتها⁽⁴⁾.

وكان الجرمان في اندفاعهم نحو الجنوب تجاه بلاد الغال قد دفعوا أمامهم قبائل الكلث⁽⁵⁾ Celts من كل الأراضي الواقعة شرق نهر الراين، ولولا ظهور

(1) نهر الدانوب: ينبع نهر الدانوب من ألمانيا مما يسمى بالغابة السوداء، طوله نحو 2816 كم، وهو ثاني أطول نهر في أوروبا ويجري عبر ثمانية بلاد ويصب في البحر الأسود. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.216.

(2) عاشور: أوروبا، ج 1، ص 61؛ كرسوفر دوسن، تكوين أوروبا، ترجمة محمد مصطفى زيادة وسعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، مؤسسة سجل العرب، 1967، ص 91.

(3) محمد مرسى الشيخ: الممالك الجرمانية في أوروبا في العصور الوسطى، دار الكتب الجامعية، (القاهرة 1975)، ص 5.

(4) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 5.

(5) الكلث: هم أحد عناصر الجنس الهندو-أوربي، وهم الذين عرفهم الرومان باسم الغالين، وكانوا يحتلون في أول الأمر الغابات الواقعة في شمال أوروبا حتى نهر الألب شرقاً المعروفة الآن بجنوب ألمانيا، ثم قاموا بعد ذلك بحركة توسعية ضخمة هددوا فيها جمهورية روما الناشئة بالزوال، إذ تدفقوا عبر جبال الألب في إيطاليا وعبر نهر الراين، كما غزوا غالة والجزر البريطانية، غير أنهم ما لبثوا أن ذابوا وسط محيط العالم الروماني... للمزيد انظر: عاشور: أوروبا، ج 1، ص 57؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 4.

يوليوس قيصر⁽¹⁾ Julius Caesar (50-44 ق.م)⁽²⁾ والفرق الرومانية على مسرح الأحداث في منتصف القرن الأول قبل الميلاد لتمكن الجرمان من غزو بلاد الغال، وتحتم على الرومان أن يسبقوهم إليها إذا كان لهم أن يحفظوا وحدة إمبراطوريتهم، وقد تمكن يوليوس قيصر بعد قتال مرير أن يدفع بالجرمان إلى وراء نهر الراين عام 55 ق.م⁽³⁾، وأصبح الرومان وجهاً لوجه مع الجرمان⁽⁴⁾، ما أدى إلى توجه الحملات الرومانية إلى الحدود، والقيام بالنشاط التجاري

(1) يوليوس قيصر: ولد يوليوس قيصر في عائلة عريقة من الأشراف الرومان عام 100 قبل الميلاد، وكان يوليوس قيصر منذ صغره محباً للعلم، إذ درس في اليونان العديد من العلوم، وانضم إلى صفوف الجيش الروماني كضابط ومحاسب تابع للحكومة الرومانية إلى أن قاد جيشه الخاص المعروف كأكثر جيوش روما انضباطاً على الإطلاق. وشكل قيصر وبومبي وكراسوس أول حكومة ثلاثية. وفي تلك الفترة انشغل قيصر بقيادة حملاته في بقاع مختلفة من العالم شملت توسعة نفوذ روما إلى كل من بلاد الغال (فرنسا) وسوريا ومصر وغيرها، إذ كانت معظم حملاته ناجحة إلى حد مثير، حيث عين حاكماً لإسبانيا البعيدة ليتم انتخابه قنصلاً. ونصب بعد ذلك حاكماً على بلاد الغال، ثم عاد إلى روما بعد انتصار عظيم على بومباي ليكون حاكمها الدكتاتوري المطلق، حاول تحسين ظروف حياة المواطنين الرومان وزيادة فعالية الحكومة وجعلها تبني مواقف تتم عن صدق واستقامة وأمانة، وأعلن عام 44 ق.م عن جعل ديكتاتورية المطلقة حكماً دائماً على روما، غير أن أعداءه دبوا له مؤامرة كانت نتيجتها اغتياله عام 44 ق.م... للمزيد انظر: يوليوس قيصر: فتح بلاد الغال، ترجمة على زيتون، ط2، دار علاء الدين للنشر، دمشق 2007، ص 5.

(2) يقصد بالتاريخ الأول سنوات حياته والثاني سنوات حكمه.

(3) يوليوس قيصر: فتح بلاد الغال، ص 115، 110. ذكر قيصر في مذكراته عام 55 ق.م أنه نجح في صد قبيلتان جرمانيتان هما البوسيتيون Usibetes والتينكثيرون Tencethri الذين اضطروا للنزوح من أوطانهم ووصلا إلى نهر الراين ولكن نجح قيصر في هزيمتهم. للمزيد انظر: يوليوس قيصر: فتح بلاد الغال، ص 115، 110.

(4) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 5؛ نورمان كانتور: التاريخ الوسيط، ج 1، ص 146.

وحدوث الاحتكاك بين الجانبين⁽¹⁾، وأيضاً انتشار الجرمان في القرنين الأول والثاني الميلاديين في أواسط أوروبا وشرقها، كما ازداد الاتصال المباشر بينهم، وأصبحوا أقرب الشعوب المتبربرة إلى حدود الإمبراطورية الرومانية⁽²⁾.

أما عن الموطن الأصلي للجرمان فقد أرجعه معظم المؤرخين إلى المناطق المحيطة بالبحر البلطي وشبه جزيرة إسكنديناوه⁽³⁾، إذ ذكر المؤرخ جوردان Jordanes أن القوط هاجروا من إسكاندزا Scandza ووصلوا إلى مصب نهر الفستولا⁽⁴⁾ Vistula⁽⁵⁾، كما أن بلييني Pliny ذكر ذلك، ولكنه كتب الاسم محرفاً إسكندنافيا Scandinavia⁽⁶⁾، كما ذكر بولس الشماس Paul the Deacon

(1) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 5-6. قام يوليوس قيصر بالعبور الأول لنهر الراين عام 55ق.م بعد هزيمة الجرمان وعقد تحالف مع قبائل اليوبيين، ثم عبر نهر الراين مرة أخرى عام 53ق.م. للمزيد انظر: يوليوس قيصر: فتح بلاد الغال، ص 163، 115.

(2) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 6؛ عاشور: أوروبا، ج 1، ص 58.

(3) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 6؛ نورمان كانتور: التاريخ الوسيط، ج 1، ص 146.
- اسكنديناوه: تقع شبه جزيرة اسكنديناوه شمال القارة الأوروبية، وهي تضم الدنمارك والنرويج والسويد، ويلحق البعض كل من فنلندا وأيسلندا وجزر فارو بهم على الرغم من عدم انتمائهم لشبه الجزيرة من الناحية الجغرافية، ولكن بسبب التقارب التاريخي والحضاري والعلاقات الثقافية التي تربط هذه الدول مع الدول الإسكندنافية، وأقدم المصادر التي تشير إلى اسكنديناوه ترجع إلى القرن الأول الميلادي في كتاب بلييني التاريخ الطبيعي "Natural History" ولكنه كتب الاسم محرفاً إسكندنافيا Scandinavia... انظر:

Pliny: Natural History, Translated by Philemon Holland, VOL. I., (New York, 1947), P.32 ; Moore: Encyclopedia of Places, p.701.

(4) الفستولا: أطول أنهار بولندا طوله 1594 كم ينبع من جبال كارباتيان في جنوبي بولندا ثم يتخذ مجرى دائريا نحو الشمال ثم يشق مدينة وارسو، ويصب من خلال عدة فروع في بحر البلطيق... للمزيد انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.837.

(5) Jordanes: The Gothic History, P.53.

(6) Pliny: Natural History, VOL. I, P.32.

أيضاً أن اللمبارديين هاجروا من إسكنديناوه التي أطلق عليها إسكدنافيا Scadinavia⁽¹⁾، وذكر ذلك أيضاً مؤرخ اللمبارديين المجهول Origo gentis Langobardorum، ولكنه أطلق عليها اسم إسكدنان Scadan⁽²⁾.

ويمكننا الوقوف على كثير من أحوال الجرمان في هذه المرحلة المبكرة من تاريخهم مما ورد في كتاب جرمانيا Germania للمؤرخ تاكيتوس Tacitus في أوائل القرن الثاني الميلادي من وصف لهم، إذ تتضح صورة الحياة التي كانت تحياها هذه العناصر المتبربرة، وطرقها في المعيشة وأساليبها في الحياة العامة وحياتها الحربية، فيشير تاكيتوس إلى أنهم قوم من البدو الرحل، يعشقون الحرب ويزدادون شغفا بالصيد، ولا يميلون كثيراً للعمل بالزراعة، لأنهم لا طاقة لهم بها من حيث حرث الأرض وبذر البذور، على أن أهم فضائلهم (كرم الضيافة، واحترام العهد، والشجاعة الفائقة والنظافة، والعفة)، ويتخذون من جلود الحيوانات المفترسة لباساً يغطي جانباً ضئيلاً من أجسادهم، كما كرهوا تعدد الزوجات فيكتفي الفرد منهم بزوجة واحدة، ويغتسل ذكورهم وإناثهم معاً في الأنهار، ويتجولون في الغابات والمستنقعات وهم دائماً على أهبة الرحيل من مكان إلى مكان آخر، وليس لهم دخل سوى ما يمكن أن يحصلوا عليه بطريق الحرب والعنف⁽³⁾.

ولكن تاكيتوس صور أولئك الجرمان في صورة هدفها الخلقي أن يقارن بين مثالية حياتهم وبساطتها وبعدها عن الانحلال، وبين انغماس المجتمع الروماني في حياة الترف والدعة والإغراق في الرفاهية، وأن يضع أمام عيون

(1) Paul the Deacon: Langobards, p.3.

(2) Anonymus: Origo Anonymus gentis Langobardorum in Monumenta Germaniae Historica. Scriptores Rerum Langobardicarum et Italicarum, Saec. VI-IX, edidit Societas aperiendis fontibvs, (Hannover: Impensis Bibliopolii Hahniani. 1988), p.2.

(3) تاكيتوس: تاكيتوس والشعوب الجرمانية، ص 60-69.

الرومان صورة الحياة البسيطة لهذا العنصر البدائي بما تنطوي عليه عن حرية ونبل في الصفات لتكون مادة لتطهير المجتمع المتحضر من شوائب الانحلال والرفاهية وإيثار العافية⁽¹⁾، وهو أمر جعل كتابات تاكيتوس تفتقر أحياناً إلى الدقة، وتبتعد إلى حد ما عن الحقيقة، إلا أنه مع ذلك أعطى صورة عن الشعوب الجرمانية في أوائل القرن الثاني الميلادي فيها جانب كبير من الوضوح قبل أن تزداد معرفة الرومان بهذه الشعوب ازدياداً مطرداً، ليصبح الجرمان معروفين تماماً للعالم الروماني في القرنين الثالث والرابع.

وجرمانيا كما وصفها تاكيتوس كانت منطقة تكتنفها الغابات وتغطيها المستنقعات رغم أنها تختلف بعض الاختلاف من مكان لآخر، انعكست وحشتها وما كان يكتنفها من غموض على طباع سكانها، ولم يكن العنف هو كل ما اختص به الجرمان من صفات، فهم كذلك أصحاب أجسام فارعة وبشرة ناصعة البياض وعيون حادة زرقاء وشعر أصهب مرسل، وكانوا يشربون الخمر حتى الثمالة، ويتيهون في عالم الشراب والأحلام ويهونون التشاجر والمقامرة، ويغنون ويشغفون بالغناء، ولا يفوق إخلاصهم الشديد للسيد والعشيرة سوى شهوتهم الجامحة دائماً نحو المغامرات الحربية⁽²⁾.

ويعتبر رباط الأسرة القوي لدى الجرمان، ورعايتهم للمرأة، وكرهم لتعدد الزوجات وحبهم للإكثار من الذرية، فضلاً عن تمتع الأب بسلطة تامة على زوجته وأولاده، هي أهم مميزاتهم الاجتماعية⁽³⁾، والواقع أن مبدأ الإكثار

(1) فشر: تاريخ أوروبا العصور الوسطى، ترجمة محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريني، الجزء الأول، دار المعارف، ط6، القاهرة 1966، ص 18-19؛ إبراهيم طرخان، تاكيتوس والشعوب الجرمانية، المقدمة، ص 40-41؛ نورمان كانتور: التاريخ الوسيط، ج 1، ص 149.

(2) تاكيتوس: تاكيتوس والشعوب الجرمانية، ص 50-51؛ فشر: أوروبا، ج 1، ص 20.

(3) تاكيتوس: تاكيتوس والشعوب الجرمانية، ص 64-65؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 8.

من الذرية في الأسرة الواحدة، أدى إلى تفوق الجرمان على الرومان تفوقاً عددياً حاسماً حين اندلعت الحروب بينهما⁽¹⁾.

وتتألف العشيرة الجرمانية من مجموعة الأسرات ذات القرابة، ولم يلحق العشيرة الجرمانية تغير كبير بمرور الأجيال، بل ظلت تحتفظ بكثير من خصائصها وسماتها، إذا عاشت دائماً في صخب، وتمتع رئيسها بمكانة متميزة وسلطة تكاد تكون مطلقة، وحصل من رفاقه المحاربين على يمين الولاء والعهد بالدفاع عنه وحمايته⁽²⁾، وتحتم عليه أن يبالغ في إظهار كرمه وسخائه نحو رفاقه فيبذل لهم الجياد والحراب، ويقيم لهم الحفلات والولائم من حصيلة الحروب والنهب والسلب⁽³⁾.

ومن مجموعة العشائر المختلفة كانت تتألف القبيلة الكبرى، أو الفرع الجرماني الكبير، أو الدولة الجرمانية، وانتظم الجرمان من حيث بناء المجتمع في ثلاثة طبقات طبقة النبلاء وطبقة الأحرار وطبقة العبيد، فبينما كان العبيد يقومون بأعمال الفلاحة وزراعة الأرض وغيرها من الأعمال اليومية، اقتصر دور النبلاء وهم صفوة المجتمع الجرماني على ممارسة الحرب والتمتع بشرف الانتساب للفتة المميزة في المجتمع وهي فئة المحاربين⁽⁴⁾، وكذلك قضاء فترات السلم في حياة لاهية، وممارسة الصيد والقنص وإبراز سمات الأرستقراطية الجرمانية، وهنا نلاحظ أمرين: أولاً: أن الحرية وملكية الأرض كانا أمرين متلازمين بعضهم مع بعض في المجتمع الجرماني، ثانياً: أن النبالة ارتبطت بشرف المولد والوراثة لا بملكية الأرض، ولم يعرف الجرمان حياة المدن في

(1) فشر: أوروبا، ج1، ص 19؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 8.

(2) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 9.

(3) تاكيتوس: تاكيتوس والشعوب الجرمانية، ص 54-60؛ الشيخ: الممالك، ص 9.

(4) موس: ميلاد العصور الوسطى، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، عالم الكتب، القاهرة 1967، ص 81؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 9.

عصورهم الأولى ، وإنما عاشوا في قرى متناثرة وسط الأدغال والغابات ، في حين كانت منازلهم عبارة عن أكواخ مشيدة من الأغصان والطيني⁽¹⁾ .

ونظراً لما اكتنف أرض جرمانيا من غابات ومستنقعات ؛ فقد كانت حياة الرعي تمثل عصب الحياة الاجتماعية في العصور الأولى ، رغم أن مساحات متفاوتة من تلك البلاد كانت تصلح للزراعة ، ولهذا حددت قطعان الماشية والخيول ثروة الأسرة أو العشائر الجرمانية ، وعينت قدرها في المجتمع⁽²⁾ ، وتجمع الجرمان في قرى صغيرة وكفور متناثرة حول منابع الماء والمراعي والأحراش ، وغدت القرية تشتمل في الغالب على حقل زروع ومرعى تمرح فيه القطعان وغابة تحمي القرية وتمدها بالأعشاب وحيوانات الصيد ، وكانت منازل القرية الجرمانية لا تزيد على أكواخ مقامة من أغصان الشجر ومدعمة بالطيني ؛ وكان طعام الجرمان بسيطاً خالياً من الإسراف قوامه الحبوب ولحوم الصيد وألبان الماشية والفاكهة وشرابهم يصنعونه من الشعير أو القمح⁽³⁾ .

وكانت الزراعة تمثل جانباً ضئيلاً من حياتهم الاقتصادية حتى تحولوا زمن هجراتهم من الرعي إلى الزراعة ، فلما استقروا داخل حدود الإمبراطورية الرومانية ، لم يعد ثمة فارق كبير بين حياتهم الزراعية وحياة المجتمع الروماني ، ولهذا تعاونت القرية الجرمانية مع المزرعة الرومانية في إظهار نظام الضياع في أوروبا الذي غدا عصب النظم الزراعية في العصور الوسطى⁽⁴⁾ .

واختلفت الوحدات السياسية التي انتظم فيها الجرمان ، فوجدت المجالس أو الجمعيات تضم جميع الرجال الأحرار في الوحدة ، سواء كانت قرية أم مائة أم

(1) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 9-10؛ صلاح الأمين عبد الله محمد: البرابرة الجرمان ودورهم في سقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب عام 476 م، مجلة العلوم والدراسات الإنسانية بجامعة بنگازي، العدد الأول - المجلد الثاني لسنة 2014 م، ص 152.

(2) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 10.

(3) تاكيتوس: تاكيتوس والشعوب الجرمانية، ص 62-69.

(4) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 10.

مقاطعة أم قبيلة جرمانية أم دولة قبلية كبيرة، فلكل من هذه الوحدات مجلسها العام. وكان للقرية وهي أصغر هذه الوحدات مجلسها أو جمعيتها العمومية Moot التي تضم جميع رجالها الأحرار، كما كان للدولة الجرمانية وهي أكبر هذه الوحدات جمعيتها العمومية التي تجتمع بكل أمر يتصل بمصلحة القبيلة بأسرها كالحرب أو الهجرة، غير أن تلك الأمور المهمة كان ينظر فيها رؤساء العشائر قبل أن يجرى عرضها على الجمعية العامة التي تضم جميع المحاربين الأحرار والزعماء ورجال الأسرات النيلية، ويتحدث فيها الزعماء والقادة كل حسب عمره ونبل أصله وفصاحة بيانه وصيته في الحرب، فإذا قبل الحاضرون رأيه وحاز إعجابهم صاحوا صخباً وقارعوا الحراب، وإذا لم يحز رأيه رضاهم أعلنوا رفضهم له بالصياح، وفي الجمعية العمومية الكبيرة أيضاً كان يجرى اختيار القادة الكبار طبقاً لسمعتهم الحربية ودرجة بسالتهم، ثم جرى اختيار الملوك بعد ذلك وفقاً لعراقة أصولهم ودرجة نبلمهم⁽¹⁾.

وعلى الرغم من وحدة أصول وعادات الجرمان، فإنهم عاشوا حياةً خالية من الروح القومية طافحة بالحروب الداخلية والمنازعات القومية، فحاربت القبيلة أختها من القبائل وشاجرت العشيرة جارتها من العشائر، حتى لم يعد الجرمان سوى جموع من القبائل المتحاربة المتشاجرة كما أن نظرتهم لجاراتهم الإمبراطورية الرومانية اختلفت أيضاً، فنظر إليها بعضهم على أنها عدو ينبغي محاربته ومناهضته، في حين نظر إليها البعض الآخر على أنها موطن يرجى استيظانه ومصدر للرزق يمكن الاستفادة منه ببذل الخدمة العسكرية⁽²⁾.

وتنقسم العناصر الجرمانية إلى شماليين وغربيين وشرقيين، فأساس هذا التقسيم هو الوضع الجغرافي لفروع هذه المجموعات؛ فالشماليون، هم الذين آثروا البقاء في شبه جزيرة اسكنديناوة وما حولها من شواطئ البحر البلطي، حيث تفرعت منهم الأمم السويدية والنرويجية والدانية الحالية⁽³⁾.

(1) تاكيتوس: تاكيتوس والشعوب الجرمانية، ص 58-60؛ موس: ميلاد العصور الوسطى، ص 79-80؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 10.

(2) فشر: أوروبا، ج 1، ص 21؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 12.

(3) فشر: أوروبا، ج 1، ص 16؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 12.

أما الغربيون، فإنهم انتشروا بين نهري الألب والراين، وأخذوا في التنقل والترحال جنوباً سعيًا وراء العيش أو الجو المعتدل، أو حباً في المغامرة والحرب، والجرمان الغربيين هم الذين حاربوا ماريوس ويوليوس قيصر، وهم الذين وصفهم تاكيتوس في كتاباته، ومن أبرز قبائل الجرمان الغربيين: الفرنجة والإنجليز والسكسون والسوفييين والألماني Alamans والثورنجين Thuringians⁽¹⁾. في حين اتجه الجرمان الشرقيون إلى ضفاف نهر الدانوب وسواحل البحر الأسود، وضمت مجموعة الجرمان الشرقيين: القوط والوندال والجيديا Gepids⁽²⁾ والبرجنديين واللمبارديين والرومانيين وغيرهم⁽³⁾.

(1) الثورنجينون: هم إحدى القبائل الجرمانية، الذين استوطنوا في المنطقة الواقعة جنوب غرب ألمانيا، التي عرفت باسم ثورنجا Thuringia، نسبة إلى اسمهم. وكان أول ظهور للثورنجينون نحو سنة 350م، ثم خضعوا للهون في الربع الثاني من القرن الخامس الميلادي. إلا أنهم استطاعوا تأسيس مملكة واسعة في سنة 500م، امتدت حتى نهر الدانوب. استطاع الملك الميروفنجي كلوفس أن يخضع مملكة الثورنجين لسيطرته عام 492م، وفي سنة 531م سيطر الملك ثيودريك الأول نهائياً على مملكة الثورنجين، وأصبحت ثورنجا يحكمها دوقات الفرنجة. انظر:

Gregory of Tours: Franks, PP.38,56-7; Moore: Encyclopedia of Places, p.780.

(2) الجيديا: يرجع الجيديا إلى عنصر الجرمان الشرقيين عاشوا على سواحل بحر البلطيق في القرن الأول الميلادي، ثم هاجروا جنوباً خلال القرن الثاني، وورد ذكرهم في جبال ترانسيلفانيا الشمالية بحلول نهاية القرن الثالث. اتحدوا مع القوط في هجوم على الإمبراطورية الرومانية عندما غزوا إقليم داكيا، ولكنهم هزموا في عام 269م في معركة بالقرب من نيسوس (نيس). وفي عام 454م اشترك الجيديا مع القبائل الجرمانية في هزيمة الهون على نهر نيداو (نيداد) في بانونيا، ثم استولوا على سيرميوم وداكيا الواقعة جنوبي الراين، وأسسوا مملكة لهم في سيرميوم، ولكن تمت هزيمتهم على أيدي اللمبارديين 567م، واندمجوا في دولة اللمبارديين في إيطاليا، ولم يؤدوا أي دور في التاريخ منذ ذلك الوقت. للمزيد انظر: موس: ميلاد العصور الوسطى، ص 98؛ الحويري: اللمبارديون، ص 31.

(3) فشر: أوروبا، ج1، ص 16؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 12؛ الحويري: رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية، ط3، دار المعارف، القاهرة 1995، ص 83.

* الغزوات الجرمانية على أوروبا:

ليس من المعروف الأسباب التي أدت إلى تحرك القبائل الجرمانية من مواطنها الأصلية فيما وراء نهري الراين والدانوب، كما أن المصادر المتاحة لدى الطالب لم تذكر تلك الأسباب، ولكن البعض يرى أن الدافع وراء ذلك هو التخلص من الضغوط الشديدة التي جاءت في مؤخرتها من أجناس أخرى أشد بربرية، إذ تعرضت هذه الأجناس لكثير من أحداث المجاعات والقحط، وهذا ما يؤدي إلى ضغطها على ما يجاورها من شعوب⁽¹⁾، ويرى البعض الآخر أن السبب الحروب المستمرة بين القبائل الجرمانية التي ترغم الخاسر إلى النزوح جنوباً والتجوال خلف الحدود الرومانية حتى يجد المأوى المنشود⁽²⁾، بينما يرى البعض أن التزايد في السكان المقترن بندرة المؤن والصيد في مجتمع يتميز بالخصب الجنسي، هذا فضلاً عن حبهم للمغامرات والحرب وعدم الاستقرار، كل تلك الأسباب يبدو أنها دفعت الجرمان إلى التحرك⁽³⁾.

وصفوة القول إن تلك الشعوب لم يكن لديها هدف أو سياسة مرسومة تسعى إلى تحقيقها عندما انهالت في جوف الإمبراطورية الرومانية، كذلك لم تقصد بداية- عند ظهورها على مسرح الأحداث- القضاء على الإمبراطورية، ولم تقم بتلك الحركات لغرض الاستعمار⁽⁴⁾، ولكنها عندما اقتربت من حدودها

(1) إبراهيم علي طرخان: دراسات في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى (دولة القوط الغربيين)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1958، ص 22؛ جوزيف نسيم يوسف: تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها، مكتبة شباب الجامعة، الإسكندرية 1984، ص 69؛ الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص 96.

(2) نورمان كانتور: التاريخ الوسيط، ص 148.

(3) طرخان: القوط، ص 21-22؛ الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص 96؛ نورمان كانتور: التاريخ الوسيط، ج 1، ص 148.

(4) جوزيف نسيم: العصور الوسطى الأوروبية، ص 69؛ الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص 96؛ نورمان كانتور: التاريخ الوسيط، ص 148.

أدهشها ما تتمتع به الإمبراطورية من ازدهار وتقدم ورخاء ومناخ لطيف معتدل، فأثرت بغزواتها وتجوّالها السلمي مشاركة الإمبراطورية ثرواتها وخبراتها من ناحية، وإيجاد مكان آمن للعيش بين ظهرانيتها من ناحية أخرى⁽¹⁾.

على الرغم من أنه لم يكن هناك اختلاف كبير بين الجرمان قبل هجراتهم فإن الاختلافات ما لبثت أن ظهرت بينهم بعد الهجرات بسبب اضطراب كل فريق إلى موامته حياته في البيئة التي حل بها، فبينما انسابت جماعات الفرنجة والسوفييين⁽²⁾ والسكسون⁽³⁾

(1) الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص 96؛ نورمان كانتور: التاريخ الوسيط، ج1، ص 148.
(2) السوفي: هم مجموعة من الشعوب الجرمانية التي دخلت في القرن الخامس نهر الراين للبحث عن وطن جديد وتمكنوا من الوصول إلى غاله ثم إلى إسبانيا واحتلوا جليقية بإسبانيا عام 409م، وأسسوا مملكة لهم في جليقية دامت قرابة مائة وخمسين عاما من 411 حتى سنة 585م عندما انتصر عليهم الملك ليوفجيلد القوطي وضم مملكة السوفي إلى مملكة القوط الغربيين عام 585م. للمزيد انظر: محمد عبده حتاملة: أيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، الأردن 1996، ص 198-201.

(3) السكسون: هم شعب جرمانى، قطن في العصور القديمة في منطقتي شلزلفيك Schleswig، وهولشتاين Holstein الألمانيتين وعلى طول ساحل بحر البلطيق. وخلال عصر الانحلال الروماني في الغرب، مارس السكسون القرصنة في بحر الشمال. وخلال النصف الأول من القرن الخامس الميلادي، انتشر السكسون بسرعة في شمال ألمانيا وعلى طول سواحل الغال وبريطانيا. وكان أول الصدامات بين الفرنجة والسكسون تعود إلى القرن السادس الميلادي، وقد تمكن كلوثر الأول ملك الفرنجة من إجبارهم على دفع إتاوة سنوية مقدارها خمسمائة بقرة، ظلوا يدفعونها حتى سنة 631م. وقد عمل أيضاً الإمبراطور شارلمان منذ سنة 772م على إخضاع السكسون لسلطته، ويؤكد إينهارد أن الحروب السكسونية كانت من أعنف الحروب التي خاضتها الدولة الفرنجية، واجهت خلالها شعباً عنيفاً اتصف بالوحشية والقسوة، استغل طبيعة بلاده ليوقع أفدح الخسائر بالقوى المهاجمة. وقد نجح شارلمان في إخضاع قبائل السكسون، واعتنق عدد كبير من السكسون المسيحية ودرب رهائنهم على التبشير بالديانة المسيحية... للمزيد انظر: إينهارد: سيرة شارلمان، ترجمة عادل زيتون، ط 1، دار حسان للنشر دمشق 1989، ص 65-66:

Seeliger, Gerhard, "Conquests and Imperial Coronation of Charles the Great", in: The Cambridge Medieval History, VOL.II, Cambridge, The University Press, 1964, P.610;

محمود عبد الواحد محمود حبيب القيسي: العلاقات الخارجية للدولة الكارولنجية في عهد شارلمان (768-814م)، أطروحة دكتوراه بكلية الآداب جامعة بغداد 2003، ص 84-89.

والألماني⁽¹⁾ من مواطنها نحو الجنوب إلى بلاد لا تختلف كثيراً في طبيعتها عن بلادهم، فصاروا إلى شيء من الزراعة والاستقرار قبل أن يغيروا على الإمبراطورية الرومانية، نجد أن القوط والوندال واللمباردين في الفرع الشرقي قد هاجروا إلى سهول البحر الأسود وإلى بلاد بالغة الاختلاف عن بيئاتهم، ولذا ظلوا رعاة يضربون في مناكب الأرض الوعرة والغابات طلباً للعيش والمرعى، كما ظلوا فرساناً شديداً البأس⁽²⁾. وهكذا ظل الجرمان الشرقيون في حالة بداءة لم يصبهم كثير من التغير، وغاراتهم ليست سوى هجرات وتحركات تبدأ وتنتهي من آن إلى آن بحثاً عن مراعي جديدة ومواطن صالحة لهذه الحياة، بينما اتخذت غزوات الجرمان الغربيين صفة الزحف الدائم مع الاحتفاظ بالأصول والموطن تمد وتدعم وتقوى بانتظام⁽³⁾.

والواقع أن علاقة الجرمان بالإمبراطورية الرومانية مرت بأدوار مختلفة، وانتهت بغزو الجرمان لأراضي الإمبراطورية وإقامة ممالك جرمانية بين ربوعها، وتشير دلائل كثيرة إلى أن علاقة الجرمان بالرومان في بدايتها مرت بفترة من السلم والتعاون بين الجانبين استمرت قرنين من الزمان حتى نهاية القرن الثاني الميلادي⁽⁴⁾.

(1) الألماني: ترجع قبائل الألماني إلى عنصر الجرمان الغربيين، وقد ورد أول ذكر لهم في المصادر التاريخية في كتاب المؤرخ كاسيوس ديو Cassius Dio في سياق حديثه عن حملة الإمبراطور كاراكالا على الألماني عام 213م، إذ كانت قبائل الألماني تقيم بالقرب من ملتقى نهري الراين والدانوب، وكانت تهدد حدود الإمبراطورية، ومن ثم قاد كاراكالا حملة تمكن فيها من سحقهم. كما تمت هزيمتهم على يد الإمبراطور كلوديس القوطي عام 269م. وكانت علاقة الألماني بالإمبراطورية الرومانية علاقة عدائية، بل كانوا يقومون بعدة حملات على حدود الإمبراطورية بين الحين والآخر بغرض السلب والنهب. وحاولوا عدة مرات الاستقرار ببلاد الغال إلا أن الملك كلوفس طردهم شر طرده وألحق بهم الهزيمة في معركة تولبياك Tolbiac عام 496م. انظر:

Gregory of Tours: Franks PP.13,39-40;

سيد الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص 333، 376.

(2) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 12.

(3) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 12.

(4) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 15.

وفي هذه الفترة تلاحظ عدم وجود أي عداء بين الرومان والجرمان في أول الأمر، كما أنه لم توجد مطامع للجرمان في أراضي الإمبراطورية، وإنما كل ما أرادته الطرفان هو الحياة الآمنة المستقرة في بلاده⁽¹⁾.

وبالفعل ساد جو من السلام بين الجرمان والرومان بين عهدي يوليوس قيصر (50-44 ق.م) وحتى بداية عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس⁽²⁾ Marcus Aurelius (161-180م)، فقد عاشت القبائل الجرمانية الرابطة على حدود الإمبراطورية حيثئذ في حالة واضحة من الهدوء والاستقرار. إلا أن هذا الوضع لم يستمر كثيراً وأخذ يتغير في أواخر القرن الثاني الميلادي، وذلك عندما تعرض المجتمع الجرمانى لنوع من الضغط والقلق سببا له شيئا من الحركة⁽³⁾. وذلك لأن السلاف⁽⁴⁾ وغيرهم من العناصر الشرقية أخذوا يضغطون

(1) عاشور: أوروبا، ج 1، ص 62.

(2) ماركوس أوريليوس: ولد الإمبراطور ماركوس أوريليوس (161-180م) في روما عام 121م لأسرة إسبانية ثرية، تلقى تعليمياً متميزاً، تولى حكم الإمبراطورية كإمبراطور مشارك مع لوكيوس فيروس Lucius Verus وذلك بعد وفاة الإمبراطور أنطونيوس بيسوس عام 161م... للمزيد انظر: سيد الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص 276-277.

(3) عاشور: أوروبا، ج 1، ص 62.

(4) السلاف: يرجع السلاف Slavs أو الصقالبة في أصلهم إلى مجموعة الشعوب الهندو-أوربية، واستقروا في بداية أمرهم في أواسط آسيا، ثم تعرضوا لضغط العناصر الآسيوية فبدءوا يهاجرون إلى أجزاء أخرى من أوروبا ما بين عامي 200 و500م، وكان أول ظهور للسلاف في الإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي منذ عهد الإمبراطور جستنيان الأول حتى عهد الإمبراطور موريس، حيث أخذوا يغيرون على أقاليم الإمبراطورية، وقد استقر بعضهم في المناطق التي تشكل في الوقت الحاضر غربي الاتحاد السوفيتي السابق وشرقي ووسط أوروبا، وهاجروا فيما بعد آخرون إلى شبه جزيرة البلقان وأصبحوا يعرفون باسم البلقانيين، واستمروا في التوسع حتى القرن العاشر نحو الغرب والجنوب، وقد وقع الكثير من السلاف في الأسر أو العبودية حتى اشتقت كلمة عبد في كثير من اللغات الأوروبية Slave من اسم السلاف... للمزيد انظر محمود سعيد عمران: معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية 1986، ص 65؛ عاشور: أوروبا، ج 1، ص 57؛ وسام عبد العزيز فرج: السلاف في شبه جزيرة البلقان وجهود الإمبراطورية البيزنطية لاسترداد سيادتها 101859 - 1م، المجلة التاريخية المصرية، مج 3130، لسنة 1984، ص 143.

على الجرمان من جهة الشرق، في الوقت الذي ازدادت فيه أعداد الجرمان وضاعت أمامهم سبل العيش⁽¹⁾. وهنا نظر الجرمان حولهم فلم يجدوا إلّا أرضاً فقيرة مجدبة تغطيها الغابات وتكتنفها المستنقعات، فضلاً عن تأخرهم ووقوعهم تحت رحمة الطبيعة وظروفها القاسية من فيضانات خطيرة إلى قحط ومجاعات، ما جعلهم في حالة من الشدة ونقص في الأقوات دفعتهم إلى الحركة. وهكذا أخذ الجرمان يتطلعون إلى أراضي الإمبراطورية الرومانية التي جذبتهم إليها بنظامها المستقر وخيراتها الوفير وحضارتها الزاهرة⁽²⁾.

وهكذا نرى نتيجة الضغوط المستمرة على الجرمان أن بدأ موقفهم يتغير تجاه الإمبراطورية الرومانية، وكان ذلك في عهد الإمبراطور ماركوس أورليوس عندما تحالفت بعض القبائل الجرمانية المعروفة باسم الماركوماني⁽³⁾ Marcomanni والقواضي Quadi والصرماتيين Sarmatiani لمهاجمة جبهة أعالي الدانوب عند بانونيا⁽⁴⁾ Pannonia، ولكن استطاع أورليوس

(1) C.W. Previte - Orton, The shorter Cambridge Medieval History, Vol.I, (Cambridge, 1952), pp. 37 - 38.

(2) عاشور: أوروبا، جـ 1، ص 63.

(3) الماركوماني: وصفهم تايكتوس بأنهم من أشهر القبائل الجرمانية وأقواها وكانوا يسكنون على حدود ألمانيا بالقرب من الدانوب وكان حكمهم ملكياً. انظر: تايكتوس: تايكتوس والشعوب الجرمانية، ص 92.

(4) بانونيا: هي إحدى الأقاليم الرومانية المهمة الواقعة بطول نهر الدانوب، يحدها من الشمال والشرق نهر الدانوب ومن الغرب نوريكوم وإيطاليا العليا، وجنوباً مع دالماشيا وموزيا العليا، وتقع بانونيا في الوقت الحاضر على أراضي غرب المجر والنمسا الشرقية وشمال كرواتيا وشمال غربي صربيا وسلوفينيا وسلوفاكيا الغربية وشمال البوسنة والهرسك، وقسمت إلى أقاليم منفصلة بانونيا العليا وعاصمتها بتوفيو Petovio وبانونيا السفلى وعاصمتها سريميوم. وكان الكلث أول من سكن بانونيا، ثم وقعت تحت سيطرة الرومان وتم تقسيمها في عهد الإمبراطور دقلديانوس إلى أربعة أقسام بين عامي 293-296م، ثم استولى عليها الهون ثم القوط الغربيين إلى أن تمكن جستنيان من استعادتها ثم للمباردين والآفار حتى تمكن شارلمان من إخضاعها للسيادة الفرنجية... للمزيد انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.597; Matthew Busnan: A Dictionary of the Roman Empire, (New York 1991), P.310.

القضاء عليهم جميعاً وتدمير قوتهم واحتل مناطق هذه القبائل لمدة أربعة عشر عاماً⁽¹⁾.

ولكن في واقع الأمر تهديد الجرمان لحدود الإمبراطورية لم ينقطع بعد ذلك، إذ لم يلبث أن ظهر خطرهم من جديد على الإمبراطورية الرومانية في القرن الثالث الميلادي في عهد الإمبراطور كاراكالا⁽²⁾ Caracalla (211-217م)، وذلك عندما هددت قبائل الألمانى حدود الإمبراطورية ولكن استطاع الإمبراطور كاراكالا هزيمتهم عام 213م⁽³⁾، ولكن في عهده تقدم أيضاً القوط جنوباً من شواطئ البحر البلطي فسحقوا الصرماطين وهاجموا إقليم داكيا⁽⁴⁾ Dacia (ترانسلفانيا برومانيا حالياً) على الدانوب، إلا أن الرومان، وقد استشعروا خطرهم الداهم، تحالفوا معهم في نحو عام 225م، وقرروا لهم جزية سنوية نظير قيام القوط بحماية حدود الإمبراطورية ضد الصرماطين البرابرة الذين يقيمون فيما وراء القوط⁽⁵⁾. وظل القوط خمسين عاماً يعيشون فساداً في

(1) طرخان: القوط، ص 30؛ عاشور: أوروبا، ج 1، ص 63؛ سيد الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص 281.

(2) الإمبراطور كاراكالا: هو ابن الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس (193-211م) تولى الحكم بعد وفاة أبيه هو وشقيقه جيتا، ولكن اندلع الصراع بينهما الذي انتهى باغتيال كاراكالا لأخيه عام 213م وانفرد بحكم الإمبراطورية الرومانية حتى مقتله عام 217م. انظر: سيد الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص 325.

(3) سيد الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص 333.

(4) داكيا: يقع إقليم داكيا في الجزء الجنوبي الشرقي من أوروبا، ويتألف من الجزء الأكبر من رومانيا الحالية، وقد سكنه قديماً شعبه أطلق عليه الرومان داکي Daci، وأصبح هذا الإقليم رومانيا في أوائل القرن الثاني الميلادي. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.214.

(5) طرخان: القوط، ص 35.

منطقة البلقان حتى هزمهم الإمبراطور كلوديوس الثاني القوطي⁽¹⁾ Caudius II (270-268) في نيسوس⁽²⁾ Naissus سنة 269م⁽³⁾.

ويهمنا في أمر هذا الدور المبكر من أدوار الحرب بين القوط والرومان أن أباطرة الرومان اختاروا أن يسالموا القوط على الرغم من تفوق الرومان، فتنازلوا لهم عن إقليم داكيا وسحبوا منه الجيوش الرومانية والموظفين على عهد الإمبراطور أورليان⁽⁴⁾ (270-275م)، وعندئذ استقر القوط وأعرضوا عن أعمال السلب والنهب، وبدءوا يتأثرون بالمسيحية وغيرها من التيارات الحضارية، مما مهد لقيام أول مملكة جرمانية داخل حدود الإمبراطورية الرومانية⁽⁵⁾.

كما أن الخطر الذي هدد الإمبراطورية الرومانية في تلك الفترة لم يأت من جانب القوط وحدهم، وإنما قامت قبائل الألماني والفرنجة والبافارزيون والسكسون

(1) الإمبراطور كلوديوس الثاني: كان كلاديوس أحد القادة الإليريين الأكفاء تولى حكم الإمبراطورية بعد الإمبراطور جالينوس (253-268م)، واستطاع هزيمة القوط، ولهذا كرمه الرومان وانعموا عليه بلقب القوطي Gothicus وتوفي كلوديوس متأثرا بالطاعون عام 270م، انظر: سيد الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص 376.

(2) نيسوس: تقع مدينة نيسوس أو نيش حاليا على نهر نيشافا بالقرب من تقاطعه مع نهر جنوب مورافا في دولة صربيا الحالية، وتبعد 204 كم عن مدينة بلجراد، وتعتبر نيسوس من أقدم مدن البلقان وأوروبا، وتعتبر بوابة بين الشرق والغرب منذ العصور القديمة، وهي مسقط رأس كل من قسطنطين الكبير، وقسطنطين الثالث، وجستين الأول. وهي موطن لواحدة من أقدم الكنائس المسيحية في صربيا... للمزيد انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.563.

(3) عاشور: أوروبا، ج 1، ص 63؛ سيد الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص 376.

(4) الإمبراطور أورليان: بعد وفاة الإمبراطور كلوديوس تولى الإمبراطور كونتللوس ولكنه عُزل وانتخب أورليان إمبراطورا وكان يشغل منصب قائد الفرسان المدرعة واشترك في الحرب ضد القوط، للمزيد انظر: سيد الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص 377.

(5) عاشور: أوروبا، ج 1، ص 63؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 20.

والثوريجيون والفريزيون⁽¹⁾ والوندال بعدة هجمات أخرى متفرقة على أراضي الإمبراطورية الرومانية، حتى انتهى الدور الأول من حركة الهجرة الجرمانية سنة 300م لتبدأ فترة أخرى جديدة من العلاقات السلمية الهادئة بين الرومان والجرمان⁽²⁾. على أن توغل الجرمان داخل حدود الإمبراطورية لم يتوقف في هذا الدور السلمي الجديد، وإنما استمر بعد أن غير طابعه من الهجمات الحربية العنيفة إلى الزحف البطيء والتسلل السلمي الهادئ. وهنا نجد الإمبراطورية الرومانية تفتح صدرها لهؤلاء الوافدين من الجرمان، فتستخدمهم جنوداً في بعض الفرق الرومانية، وتمنحهم مستعمرات وأراضي يقيمون فيها داخل الحدود الرومانية، بل إن بعض ضباط الجيش الروماني البارزين في تلك الفترة جرت في عروقهم دماء جرمانية⁽³⁾.

وفي الحقيقة إن استخدام الجرمان في الجيش الروماني والسماح لهم بالإقامة السلمية لم يكن أمراً جديداً، إذ ترجع جذور هذه الظاهرة إلى أيام الإمبراطور أغسطس⁽⁴⁾

(1) الفرزيون: هم إحدى القبائل الجرمانية التي كانت تدفع الإتاوات للرومان بين القرنين الأول والخامس الميلاديين ثم اقتحموا غرب أوروبا بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية. وتمتد مواطن الفرزيين على جانب الراين حتى المحيط وحول البحيرات الواسعة حول سواحل خليج زيدرزي Zuyder-Zee. للتفاصيل انظر: تاكيتوس: تاكيتوس والشعوب الجرمانية، 84، 137؛

Encyclopaedia Britannica Online

(2) عاشور: أوروبا، ج 1، ص 64.

(3) عاشور: أوروبا، ج 1، ص 64.

(4) الإمبراطور أغسطس: ولد أغسطس عام 44 ق.م لعائلة غنية محترمة، تم تبني أغسطس من قبل خال والدته غايوس يوليوس قيصر. أقام أغسطس الحكم الثلاثي الثاني مع ماركوس أنطونيوس وماركوس ليبيدوس لهزيمة قاتلي قيصر. بعد فوزهم في معركة فيليبى، وتقاسم الثلاثي الجمهورية الرومانية وحكموها. وبعد سقوط الحكم الثلاثي، بسبب طموحات الثلاثي التنافسية، وكانت النتيجة نفي ليبيدوس وتجريده من منصبه، وانتحر أنطونيوس عقب خسارته معركة أكتيوم لصالح أغسطس في 31 ق.م. وقد توفي أغسطس قيصر عام 14 م، عن عمر يناهز 75 عاماً إثر عوامل طبيعية في الغالب، وإن كانت هناك إشاعات أن زوجته ليفيا سمته. وخلفه في الحكم ابنه بالتبني تيبيريوس. للمزيد انظر: سيد الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص 22-23، 127.

Augustus (27ق.م-14م) نفسه، ولكنها أخذت تتخذ مظهراً شاملاً واسع النطاق في القرنين الثالث والرابع الميلاديين، عندما بدأت العلاقة بين الرومان من جهة والجرمان المقيمين وسطهم من جهة أخرى تمتد إلى التزاوج والتفاعل الاجتماعي، ما ترك أثراً بعيد المدى في مستقبل الحوادث. وهكذا لا يمكن القول بأن الحدود السياسية للإمبراطورية الرومانية في القرن الرابع كانت تفصل بين العالمين الروماني والبربري لأن كلا الطرفين أخذ يتأثر بالآخر ويؤثر فيه⁽¹⁾.

ثم تجددت الهجمات الجرمانية على حدود الإمبراطورية الرومانية مرة أخرى منذ سنة 375م متخذة طابعاً جديداً. فحتى هذا التاريخ كانت تلك الهجمات عبارة عن عمليات حربية متقطعة لا تربطها رابطة واحدة ولا توحد بينها خطة موحدة. وكان يكفي أن تتعرض قبيلة لضغط قبيلة أخرى، أو تصاب منطقة من مناطق الجرمان بقحط أو نقص في الأقوات، أو يستكشف أحد زعمائهم الطموحين نقطة ضعف في الحدود الرومانية، للقيام بهجوم محلي على أراضي الإمبراطورية. ولكن هجمات البرابرة أخذت تتخذ شكل غارات عامة ضخمة منذ سنة 375م، وقد امتدت هذه الحركة الواسعة حتى سنة 568م، أي نحو قرنين من الزمان استطاع فيها كثيراً من الجموع الجرمانية اجتياح أقاليم رومانية مهمة، وتأسيس ممالك جرمانية جديدة داخل أراضي الإمبراطورية الرومانية، مما غير وجه العالم القديم تغييراً تاماً وجعل صورة أوروبا العصور الوسطى تبدو أقرب وضوحاً⁽²⁾.

وحدث ذلك في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي حينما اندفع

(1) عاشور: أوروبا، ج 1، ص 64.

(2) عاشور: أوروبا، ج 1، ص 65.

الهون⁽¹⁾ الآسيويون خلال المنفذ الواقع بين جبال أورال وبحر قزوين نحو جنوب روسيا، وانقضوا على القوط⁽²⁾. وجاء هجوم الهون على درجة من العنف والشدة جعلت الرومان والجرمان يتآزرون جميعاً لصد هذا الخطر المشترك، على أن ضغط الهون أحدث رد فعل عنيف بين الجرمان، مما أثر من ثم في أوضاع الإمبراطورية الرومانية تأثيراً خطيراً، ذلك أن القوط الغربيين لم يجدوا بداً من الفرار من وجه الهون، فطلبوا من الإمبراطور

(1) الهون: اختلف المؤرخون في أصل الهون، فالبعض يشير إلى أنهم مجموعة من القبائل الآسيوية ذات الأصول التركية المغولية، في حين يذكر البعض أنهم من أصول تورانية. ولا يُعرف الكثير عن مواطنهم الأولى وإن كانت بعض الدراسات ترجح انطلاقهم من شرقي سيبيريا أو صحراء غوبي الصينية، أو أعالي النهر الأصفر هوانج هو Hsiung -Hu شمال ولاية كان -سو kan-Sou الصينية. بدءوا التوسع والانتشار في القرن الثاني قبل الميلاد حتى وصلوا بنفوذهم غرب بحيرة بلكاس، وتمكنوا من القضاء على إمبراطورية الاورز Aorses، وفي القرن الثاني والثالث سيطروا على شمال الصين (منغوليا)، وفي سنة 370م اجتازوا نهر الدون Don، ثم أخضعوا القوط الشرقيين لهم عام 375م، كما أجبروا قبائل القوط الغربيين على التراجع باتجاه نهر الدانوب وبعدها باتجاه غالة وشبه الجزيرة الإيبيرية سنة 376م. وامتدوا في توسعهم في نهاية القرن الرابع لدرجة السيطرة على أجزاء من مناطق نهر الفولجا شمالاً ومنطقة البحر الأسود شرقاً وألمانيا غرباً، إضافة إلى معظم مناطق شرقي أوروبا شمال نهر الدانوب. وانتهت إمبراطورية الهون بهزيمتهم في موقعة شالون 451م... للمزيد انظر: الحويري: سقوط الإمبراطورية الرومانية، ص 111-114؛ صلاح محمد ضبيع: الهون وبيزنطة دراسة في العلاقات السياسية 337-450م ضمن كتاب دراسات في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص 453-456؛ أسامة إبراهيم حسيب: معركة شالون بين الهون والرومان، 451م، المكتسب العربي للمعارف، الطبعة الأولى القاهرة 2009، ص 29؛ مشتاق طالب حسين الخفاجي: أتيل و دوره السياسي والعسكري في بناء الإمبراطورية الهونية 453-406م، مجلة كلية التربية، جامعة بابل (العراق)، ع 1، لسنة 2008، ص 319-320.

(2) أسامة إبراهيم حسيب: معركة شالون بين الهون والرومان، 451م، ص 41-42.

فالنز⁽¹⁾ Valens (364-378م) السماح لهم بعبور الدانوب ليسلموا من خطر الهون، وبالفعل وافق الإمبراطور فالنز على طلبهم ليتخذ منهم ستاراً يحمي الحدود الرومانية من خطر الهون⁽²⁾، إلا أن عبور ما يقرب من مليون ومائة ألف محارب من أمة القوط الغربيين لنهر الدانوب سنة 376م - حيث سمحت لهم الحكومة الرومانية بالإقامة في دالماشيا وتراقيا - أحدث هزة عنيفة في جسم الإمبراطورية ذلك أن هؤلاء الدخلاء لم يلبثوا أن ثاروا على الإمبراطورية، وأنزلوا الهزيمة بالإمبراطور فالنز وقتلوه في موقعة أدرنة - Adrianople - سنة 378م⁽³⁾.

(1) الإمبراطور فالنز: تولى الإمبراطور فالنز الحكم مشاركاً لأخيه الإمبراطور فالنتينوس (364-375م)، ويعد وفاة فالنتينوس أصبح ابنه جراتيانوس مشاركاً لفالنز في الحكم، واستطاع فالنز هزيمة القوط 369م، وصد هجمات الفرس لاحتلال أرمينيا وبلاد ما بين النهرين، ولكن فشل في صد هجمات القوط عام 378 في معركة أدرنة، حيث لم يتظر قوات جراتيانوس ابن أخيه، وانتهى الأمر بهزيمته واحتلال القوط منطقة البلقان بأكملها... للمزيد انظر: المؤرخ المجهول: تاريخ ملوك القسطنطينية، تحقيق وتعليق طارق منصور، تقديم زبيدة عطا، القاهرة 2008، ص 79؛ سيد الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص 461-462.

(2) Jordanes: The Gothic, P.88.

انظر أيضاً، فشر: أوروبا، ج1، ص 22؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 21؛ كانتور: التاريخ الوسيط، ص 160.

(3) Ammianus Marcellinus: eng. trans, Rolfe,(J.c.), vol. 2, (London. 1935),

p.401; Jordanes: The Gothic, pp.89-90;

انظر أيضاً، فشر: أوروبا، ج1، ص 22؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 21؛ الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص 462؛ الحويدي: سقوط الإمبراطورية، ص 120-122؛ جوزيف داهموس: سبع معارك، ص 8.

ولكن أدرك الإمبراطور ثيودوسيوس العظيم⁽¹⁾ (378-395م) أن معاداة القوط الغربيين ليست من الحكمة في شيء، وتجنب الدخول معهم في مواجهة متعظاً من الماضي، وعقد معهم اتفاقية أصبحوا بمقتضاها معاهدين Foederati للإمبراطورية، كما سمح لهم بالإقامة في إقليم تراقيا، وقد تمتع القوط بسلطة مطلقة في هذه الأقاليم التي احتلوها فأعفوا من الضرائب مقابل الخدمة العسكرية التي تعهدوا بتقديمها إلى الإمبراطورية⁽²⁾.

وهكذا نجد أن علاقة الجرمان بالإمبراطورية الرومانية مرت بأدوار مختلفة، حيث كانت في بدايتها سلمية حتى نهاية القرن الثاني الميلادي، ولكن نتيجة الضغوط المستمرة على الجرمان أن بدأ موقفهم السلمي يتغير تجاه الإمبراطورية الرومانية، وكان ذلك على عهد الإمبراطور ماركوس أورليوس، كما أن تهديد الجرمان لحدود الإمبراطورية لم ينقطع حتى أن بعض أباطرة الرومان اختاروا أن يسالموا الجرمان، كما أن قبائل الهون وضغطها على الجرمان كان لها أثراً كبيراً على أوضاع الإمبراطورية الرومانية، على سبيل المثال نجد أن القوط الغربيين يطلبون من الإمبراطور فالنر السماح لهم بعبور الدانوب ليسلموا من خطر الهون، ولكن لم يلبث القوط الغربيين أن ثاروا على من الإمبراطور فالنر وأنزلوا به الهزيمة وذبحوه في موقعة أدرنه سنة 378م. ومن ثم نجد أن

(1) الإمبراطور ثيودوسيوس: هو ابن الجنرال ثيودوسيوس وهو من أصل إسباني، وقد عينه الإمبراطور جراتيانوس قائداً للفرسان عام 378م ثم رقيه إلى أغسطس شريكاً عام 379م وكان ثيودوسيوس في الرابعة والثلاثين من عمره حينذاك، وأوكل جراتيانوس إليه حكم ولايات الشرق وحل مشكلة القوط وعقد مع القوط اتفاقية سلام... انظر: سيد الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص 464.

(2) Jordanes: The Gothic, P. 92 ; Ostrogorsky: History of the Byzantine, p. 52.

انظر أيضاً، فشر: أوروبا، ج1، ص 22؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 22؛ الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص 461-462؛ الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص 123-

العلاقة بين الجرمان والرومان قد تغيرت وأنها بدأت سلمية ثم انتهت بغزو الجرمان لأراضي الإمبراطورية الرومانية، وإقامة عدة ممالك جرمانية بين ربوعها. وسوف نتناول نشأة تلك الممالك الجرمانية الخاصة بفترة الدراسة الواحدة تلو الأخرى، وكيف نجحت تلك القبائل في تكوين ممالك لها على أنقاض الإمبراطورية بدايةً من تحركهم من موطنهم الأصلي حتى استقرارهم داخل أراضي الإمبراطورية الرومانية.

الفصل الأول

"نشأة الممالك الجرمانية في أوروبا في العصور الوسطى"

- نشأة مملكة القوط الغربيين في جنوب غالة وإسبانيا.
- نشأة مملكة البرجنديين في جنوب شرق غالة.
- نشأة مملكة القوط الشرقيين في إيطاليا.
- نشأة مملكة الفرنجة في غالة.
- نشأة مملكة اللبارديين في إيطاليا.

لقد كانت الغزوات الجرمانية على أوروبا من أخطر الغزوات وأشدّها ضراوة، إذ تميزت هجمات الجرمان على الإمبراطورية الرومانية منذ أواخر القرن الرابع بطابع الهجمات المنظمة والهجرات الجماعية الكبيرة، وانتهى الأمر باستقرار الجرمان الدائم داخل حدود الإمبراطورية الرومانية، وتأسيس ممالك جرمانية معروفة، ظلت قائمة فترات متفاوتة من التاريخ، لتصبح أحد العناصر المكيفة للتاريخ الأوروبي الوسيط. ولكن تلك الشعوب لم يكن لديها هدف أو سياسة مرسومة تسعى إلى تحقيقها عندما انهالت في جوف الإمبراطورية، كذلك لم تقصد في البداية- عند ظهورها على مسرح الأحداث- القضاء على الإمبراطورية الرومانية عام 476م، ولم تقم بتلك الحركات لغرض الاستعمار، ولكن في النهاية انتهى الأمر بسقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية، ونجاح الجرمان في تأسيس ممالك لهم في جوف تلك الإمبراطورية. وسوف نتناول نشأة تلك الممالك الجرمانية الخاصة بفترة الدراسة الواحدة تلو الأخرى، وكيف نجحت تلك القبائل في تكوين ممالك لها على أنقاض الإمبراطورية الرومانية بدايةً من تحركهم من موطنهم الأصلي حتى استقرارهم داخل أراضي الإمبراطورية الرومانية.

* نشأة مملكة القوط الغربيين في جنوب غالة وإسبانيا :

ترجع قبائل القوط Goths إلى عنصر الجرمان الشرقيين⁽¹⁾، ويتمي القوط إلى العديد من الأسرات الملكية، من أهمها أسرة آمال Amal؛ وهي الأسرة المشهورة التي انحدر منها ملوك القوط الشرقيون⁽²⁾، ولتلك الأسرة شهرة واسعة

(1) طرخان: القوط، ص 32.

(2) Jordanes: The Gothic, P. 61.

في الحروب؛ وهي سليلة بطل مظفر يلقب "بآمال" أي العظيم⁽¹⁾، كذلك أشار جوردان إلى أسرة البلطيين Balthi أي (الشجعان)، نظراً لما تميزت به تلك الأسرة من أعمال البطولة في الحروب، وهي التي انحدر منها ملوك القوط الغربيون⁽²⁾، وتأتي في المرتبة الثانية بعد أسرة آمال⁽³⁾.

وقد هاجر القوط من جزيرة سكاندزا Scandza (جنوب مملكة السويد) تحت زعامة الملك بيرج Berig في ثلاث سفن اتجهت جنوباً حتى وطأت أقدامهم ساحل بحر البلطيق عام 330 ق.م⁽⁴⁾، واشتغلوا بتجارة العنبر Amber، الذي يجمعونه من سواحل البحر البلطي، وكانت إقامتهم طويلة حتى تركوا اسمهم عليه Gothic Scandza أي (الشاطئ القوطي)⁽⁵⁾.

بعد استقرار القوط على ساحل بحر البلطيق، قرر زعمائهم الاتجاه جنوباً⁽⁶⁾، وقد واجه زحفهم مصاعب وعقبات جمة، واشتبكوا خلالها مع قبائل الروجيون⁽⁷⁾ Rugii والوندال Vandali وأخضعوهما لسيطرتهم⁽⁸⁾،

(1) Jordanes: The Gothic, P.61; Bradley: The Goths, P.13; Hodgkin: Italy, vol. 1. p. 43;
انظر أيضاً، طرخان: القوط، ص 35.

(2) Jordanes: The Gothic, P.61.

(3) Jordanes: The Gothic, P.61.

(4) Jordanes: The Gothic, P.57; See Also, Bradley (H): The Goths From Earliest Times to the End of Gothic Dominion in Spain (London. 1888) P.19;
Hodgkin: Italy and her Invaders, vol.1. P.33.

(5) Jordanes: The Gothic, P.57; See Also, Hodgkin: Italy, vol.1. P.33.

(6) Jordanes: The Gothic, P.57; Bradley: The Goths, P.20.

(7) الروجيون: قبيلة جرمانية شرقية، عاشت في القرن الأول على الشاطئ الجنوبي لبحر البلطيق وفي بداية القرن الرابع تحركت أعداد كبيرة من الروجيين جنوباً واستقرت في بانونيا لكن تعرضوا لهجوم قبائل الهون، وبعد وفاة أتيليا أقاموا مملكة لهم في منطقة استريا الدنيا أو نوريكوم Norcium (454 - 488م) ... للمزيد انظر

Paul the Deacon: Langobards, Note p.2.

(8) Jordanes: The Gothic, P.57; see Also, Hodgkin: Italy, vol.1. P.33.

ثم انتشروا في المنطقة الممتدة بين نهري الأودر⁽¹⁾ و Oder والفستولا Vistula واستقروا بها لسنوات طويلة⁽²⁾.

بعد ذلك قرر زعماء القوط الاستمرار في الاتجاه جنوباً بحثاً عن أراضي أكثر خصوبة⁽³⁾، لا سيما بعد زيادة أعدادهم من جهة، وفقر البيئة من جهة أخرى⁽⁴⁾، وكانوا بقيادة الملك فيليمير Filimer وقد واجه القوط الكثير من المعاناة، حيث اضطروا إلى عبور مستنقعات "بريبِت" Pripet⁽⁵⁾، ثم انتشروا في المنطقة الواقعة بين نهري الدنيبر Dniپر والدنيستر Dniستر، التي تقع شمال البحر الأسود، وتعرف باسم "سكثيا"⁽⁶⁾ Scythia، وأطلق عليها القوط بلغتهم اسم "أويوم" Ouim أي (المروج الزراعية الخضراء)⁽⁷⁾.

(1) الأودر: يبلغ طول نهر الأودر 866 كم، وهو يقع في وسط أوروبا، وينبع من جبال السوديت التشيكية. ثم ينساب في اتجاه الشمال عبر غربي بولندا إذ يلتقي بنهر نيسا الذي يعرف رسمياً باسم لوسترز نيسا. ويكون النهران الملتقيان معظم الحدود بين بولندا وألمانيا. ويصب نهر الأودر في بحر البلطيق عن طريق بحيرة ستاتين... للمزيد انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.576.

(2) Hodgkin: Italy, vol. I. P.35;

انظر أيضاً، محمد شاكر محمود: الجرمان، نظمهم وعلاقتهم بالإمبراطورية الرومانية حتى نهاية القرن الثالث الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب جامعة عين شمس، 1993، ص 57.

(3) Jordanes: The Gothic, P.57.

(4) Jordanes: The Gothic, P.57; See Also, Bradley, The Goths, P.21.

(5) Jordanes: The Gothic, P.57;

انظر أيضاً: محمد شاكر: الجرمان، ص 57.

(6) سكثيا: هي منطقة تقع في النصف الشرقي من شمال أوروبا وفي غرب ووسط آسيا شمالي البحر الأسود، وعرفت بذلك الاسم نسبة إلى قبائل الإسكيث الإيرانية، وأصبح من يقطن تلك المنطقة - بعد ذلك - يطلق عليه ذلك الاسم... للمزيد انظر:

Smith, William: Dictionary of Greek And Roman Geography, Vol-2, London 1875, p.936.

(7) Jordanes: The Gothic, P.57.

وفي اتجاه القوط جنوباً قابلوا قبائل الصرماطين فسحقوهم، وهاجموا إقليم داكيا على الدانوب، حتى سيطروا على الساحل الشمالي للبحر الأسود⁽¹⁾، وذلك زمن الإمبراطور الروماني كاراكالا، وكان يجاورهم من الشرق قبائل الآلان⁽²⁾ Alans الإيرانية، ومن الشمال الغربي قبائل الفين Finns السلافية⁽³⁾، إلا أن الرومان، وقد استشعروا خطرهم الداهم، حالفوهم نحو عام 225م، وقرروا لهم جعلاً سنوياً نظير قيام القوط بحماية حدود الإمبراطورية ضد الصرماطين البرابرة الذين يقيمون فيما وراء القوط⁽⁴⁾.

وفي تلك المرحلة من تاريخ القوط حدث انقسامهم إلى فرعين، إذ حدث أثناء عبور القوط نهر الدنيستر أن تحطم أحد الجسور المقامة فوق النهر، فاطلق على الذين عبروا النهر بقيادة الملك فيليمير واتجهوا شرقاً باسم "الأوستروقوط" "Ostrogoths"⁽⁵⁾ أي (القوط الشرقيين)، بينما عُرف الذين لم يعبروا النهر واتجهوا غرباً حتى وصلوا إلى مصبات نهر الدانوب باسم "الفيزقوط" "Visigoths" أي (القوط الغربيين)⁽⁶⁾.

(1) نورمان كانتور: التاريخ الوسيط، ج 1، ص 148؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 20.

(2) الآلان: قبائل من البدو الرحل الذين احتلوا منطقة السهول شمال شرق البحر الأسود. وقد تم ذكر الآلان لأول مرة في الأدب الروماني في القرن الأول الميلادي، وكثيراً ما داهموا الإمبراطورية البارثية والمقاطعات الفوقازية في الإمبراطورية الرومانية. وقد سكنت قبائل الآلان منطقة Scitia ثم استقروا في منطقة Ponto Euxine، ومع ذلك وقعوا تحت ضغط الهون نحو 370 م، ولكن هرب الكثير منهم إلى بلاد الغال مع الوندال والسوفيى نحو عام 406م. واستقروا الآلان في منطقة لوزيتانيا في إسبانيا عام 411م. وعلى كلي فإن معظم الآلان ذهب إلى شمال إفريقيا مع الوندال... لمزيد انظر: طرخان: القوط، ص 86؛ محمد عبده حتامه: أيبريا قبل مجيء العرب المسلمين، ص 192-193؛

Alani in Encyclopædia Britannica Online.

(3) Jordanes: The Gothic, P.57; See Also Bury, (J.B): The Invisions of Europe by Barbarian, Aseries of lecture, London, 1928, without Numbers of the pages, Net, Lec.1.

(4) طرخان: القوط، ص 35.

(5) Jordanes: The Gothic, P. 57.

(6) Jordanes: The Gothic, P.57; See Also, Hodgkin: Italy, vol.1. P.41.

وقد اتجه القوط الشرقيون نحو حوض نهر الدون وسهول روسيا الجنوبية، بينما اتجه القوط الغربيون نحو بلاد البلقان وإقليم داكيا، الذي تنازلت عنه الإمبراطورية مرغمة كما ذكرنا على عهد الإمبراطور أورليان Aurelian (270-275)⁽¹⁾، وسمحت لهم بالإقامة فيه نحو قرن من الزمان (275-375م) قبل أن يعبروا إلى داخل الإمبراطورية ويقيموا مملكة مستقرة، ويقوضوا نفوذ الحكومة الغربية وسلطانها⁽²⁾. على أن القوط الغربيين ما لبثوا أن أظهروا من الحماسة لتقبل الحضارة التي أضحوها بقربها ما جعلهم شديدي التأثير بعناصر تلك الحضارة، مسرعة في تعلم كل ما كانت الإمبراطورية تبغي أن تعلمه لهم⁽³⁾، فكانوا أول الشعوب الجرمانية اعتناقاً للمسيحية الآريوسية⁽⁴⁾، على يد مبشر يدعى أولفلاس⁽⁵⁾ Ulfilas⁽⁶⁾.

(1) سعيد عاشور: أوروبا، ج 1، ص 63؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 20.
(2) ديفز: أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة عبد الحميد حمدي، ط 1، الاسكندرية 1958، ص 15؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 20.

(3) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 20.
(4) الآريوسية Arianism: نسبة إلى آريوس Arius، أحد رهبان الإسكندرية الذي اعتقد بأن السيد المسيح ليس من جوهر الله ولا يشاركه أزليته، ولا يمكن أن يسمو إلى الله قدراً أو منزلة، على خلاف رأي الكنيسة الكاثوليكية التي اعتقدت بألوهية السيد المسيح. وقد كان للآريوسية أثر كبير في تاريخ الجرمان وعلاقتهم بالكنيسة، لأن جميع القبائل الجرمانية، عدا الفرنجة، اعتنقوا المسيحية وفقاً للمذهب الآريوسي، كالقوط الغربيين والشرقيين والماردين والوندال وغيرهم. وعدت الكنيسة الكاثوليكية الآريوسية حركة هرطقية خارجة على الكنيسة الكاثوليكية، وتمت مطاردة الآريوسيين، وانتشر هذا المذهب في البلقان وما وراء الدانوب. للتفاصيل انظر:

Carl Stephenson, Mediaeval History, New York, Harper Brothers-publishers, 1951, pp. 62-3.

(5) أولفلاس: ولد أولفلاس نحو عام 310م وتوفي عام 380م وهو يوناني من إقليم قبادوقيا بآسيا الصغرى، نال قسماً من التعليم في القسطنطينية، وترجم الإنجيل إلى اللغة القوطية، واهتم بنشر المسيحية بين أهل البلاد التي اتخذها موطناً. وساعده على ذلك ما حدث من إقبال القوط على تفهم الدين الجديد، لاتخاذهم وسيلة للتلاؤم على المدنية الجديدة التي حرصوا على المشاركة في ركبها... للمزيد انظر: فشر: أوروبا، ج 1، ص 17؛ الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص 120.

(6) فشر: أوروبا، ج 1، ص 17.

غير أن الهون ما لبثوا أن نفذوا إلى ربوع داكيا Dacia سنة 376م، وهزموا عشائر القوط الغربيين وأجلوهم عن تلك المنطقة كما ذكرنا أيضاً، فتوسل القوط الغربيون إلى الإمبراطور فالنز Valens (364-378م) أن يهبهم ملجأً ثانياً يحتمون به من خطر الهون، فسمح لهم الإمبراطور بعبور نهر الدانوب والالتجاء إلى الأراضي المهملة في تراقيا (جنوب بلغاريا الحالية) ومحاولة استصلاحها⁽¹⁾. ويبدو أن الإمبراطور فالنز كان يهدف إلى الإفادة من القوط لحماية حدود إمبراطوريته عند الدانوب، واتخاذهم حاجزاً بينه وبين الهون⁽²⁾.

ولكن الإمبراطور فالنز أدرك خطورة هذا التصرف، وعرف أبعاد هذا الخطأ، إذ لم يكن بوسع السلطات الرومانية توفير سبل العيش والحياة المستقرة لهذه الجموع الكثيرة، وكبح جماحها عن العبث بالجهات المجاورة، وبالفعل سرعان ما أحس القوط بالضجر والضييق من الوضع الجديد، وقاسوا شظف العيش في مضاربهم الجديدة ولم يقتنعوا بأن يكونوا مواطنين، فأخذوا يفرضون سلطانهم على السكان المجاورين، ويستولون على كل المنطقة حتى نهر الدانوب لحسابهم الخاص، وإذ طفع الكيل بهم في النهاية، أعلنوا الثورة على الإمبراطور فالنز والتجئوا إلى السلاح⁽³⁾.

وقد استبد القلق بالإمبراطور فالنز، وكان حينذاك بأنطاكية، فبادر بالنهوض في جيش من الشرق غير منتظر قدوم إمدادات من الغرب، فتعرض

(1) Jordanes: The Gothic, P.88 ;

انظر أيضاً، فشر: أوروبا، ج1، ص22؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص21؛ كانتور: التاريخ الوسيط، ج1، ص160.

(2) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص21.

(3) فشر: أوروبا، ج1، ص22؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص21؛ الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص462؛ الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص120-122؛ جوزيف داهموس: سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى، ترجمة محمد فتحي الشاعر، ط2، القاهرة 1992، ص8؛ كانتور: التاريخ الوسيط، ج1، ص160.

لهزيمة ساحقة في موقعة أدرنة سنة 378م، ولقي حتفه على أيديهم، بعد أن اجتاحوا بخيلتهم الثقيلة جيوشه الراجلة، وحصلوا على نصراً كبيراً بدءوا به مرحلة مهمة في علاقتهم بالإمبراطورية الرومانية⁽¹⁾. ويمكن القول بأن هذه المعركة هي البداية الحقيقية للغزوات الجرمانية⁽²⁾، بل يضعها البعض نهاية العصور القديمة وبداية العصور الوسطى.

وقد كتب المؤرخ الروماني أميانوس مارسلينوس Ammianus Marcellinus عن هذه الموقعة يقول "ولم يضع حداً لتلك الكارثة المفجعة سوى الليل، تلك الكارثة التي تركت النتائج المترتبة عليها آثارها على مصير الإمبراطورية". وهو يعتبر تلك المعركة بمثابة نهاية للتاريخ الروماني القديم. ويأخذ بهذا الرأي إدوارد جيون وكثير من المؤرخين الغربيين المحدثين الذين يعتبرون موقعة أدرنة نقطة تحول في التاريخ، أو حداً فاصلاً بين العالمين القديم والوسيط⁽³⁾.

أدرك الإمبراطور ثيودوسيوس (378-395م) خليفة فالنز أن معاداة القوط ليست من الحكمة في شيء وتجنب الدخول معهم في مواجهة متعظاً من الماضي، ولهذا حرص على محاولة استرضائهم، ونجح بفضل مهارته السياسية في تحويل القوط الغربيين إلى معاهدين أوفياء Foederati، وذلك حين هباً لهم موطناً آمناً في إقليم تراشيا⁽⁴⁾، وسمح لمن يرغب منهم بالانخراط في الجيش كجنود مرتزقة، وأن تمنحهم روما معونة سنوية من الغذاء مقابل تجنيد جزء من

(1) Ammianus Marcellinus: vol. 2, p.401; Jordanes: The Gothic, pp.89-90;

انظر أيضاً، فشر: أوروبا، ج1، ص22؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص21؛
الناصرى: الإمبراطورية الرومانية، ص462؛ الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص120-
122؛ جوزيف داهموس: سبع معارك، ص8.

(2) كانتور: التاريخ الوسيط، ج1، ص160.

(3) Ammianus Marcellinus: vol. 2, p.401;

انظر أيضاً، جوزيف نسيم: تاريخ العصور الوسطى، ص73.

(4) Jordanes: The Gothic, PP.90-91 ;

انظر أيضاً، فشر: أوروبا، ج1، ص22؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص22.

قواتهم، ووافق على احتفاظهم باستقلالهم القبلي وخصائصهم القومية واحتفاظهم بقوانينهم وعقيدتهم الآريوسية، وإعفائهم من الضرائب نظير تقديمهم الخدمة العسكرية، وكان ذلك بمعاهدة عقدها معهم ترتبت عليها نتائج بالغة الأهمية بالنسبة للأحداث اللاحقة⁽¹⁾، وكان ذلك تصرفاً غاية في الذكاء لأن ثيودوسيوس أدرك أنه من العبث بل من المحال طرد القوط، وأنه من الأفضل احتوائهم في كيان الإمبراطورية وتجنيدهم في الدفاع عنها.

ولكن الظروف ما لبثت أن تغيرت في غير صالح الإمبراطورية بعد وفاة الإمبراطور ثيودوسيوس العظيم سنة 395م، حيث قُسمت الإمبراطورية بين ولديه فكان القسم الشرقي من الإمبراطورية وعاصمته القسطنطينية من نصيب أركاديوس⁽²⁾ Aracdius (395-408م) الذي كان وقتذاك في الثامنة عشرة من عمره، بينما عرش القسم الغربي من الإمبراطورية وعاصمته رافنا Ravenna من نصيب هونوريوس Honorius (395-423م)، وكان في الحادية عشرة من عمره⁽³⁾.

(1) Jordanes: The Gothic, P. 92 ; Ostrogorsky: History of the Byzantine, p. 52.

انظر أيضاً، فشر: أوروبا، ج1، ص22؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص22؛ الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص461-462؛ الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص123-124.

(2) أركاديوس: ولد أركاديوس عام 377م في إسبانيا، وهو ابن الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير، والدته تدعى إيليا فلافيا فلاكيا. كان أركاديوس غلاماً يافعاً عندنا تبوأ العرش البيزنطي في الحادية عشر من عمره، وكان بطيء الحس ضعيف الإرادة، دبر مؤامرة مع القائد جايناس للتخلص من القائد روفنيوس سنة 396م، واستمر في الحكم إلى أن توفي عام 408. انظر: أسد رستم: الروم، الجزء الأول، بيروت 1955، ص108-116.

(3) فشر: أوروبا، ج1، ص23؛ طرخان: القوط، ص63؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص22؛ الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص468؛ الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص124.

- تزوج الإمبراطور ثيودوسيوس الأول أكثر من مرة، الأولى عام 377م، وأنجب منها ولداً، الأكبر اسمه أركاديوس عام 377م، والأصغر اسمه هونوريوس عام 384م، ولما فارقت زوجته الحياة عام 388م، تزوج الأميرة جالا ابنة الإمبراطور فالنشيان الأول (364-375م) وشقيقة الإمبراطور جراتيان (375-378م) وأنجب منه طفلة سميت على

اسم والدتها. انظر: Hodgkin: Italy, vol. I. P.464.

ويُعد ذلك أمراً بالغ الأهمية بالنسبة لتاريخ الإمبراطورية الرومانية بصفة خاصة والتاريخ الأوروبي الوسيط بصفة عامة، إذا انقسمت الإمبراطورية منذ ذلك الوقت إلى قسمين، وبدأت وحدتها تفتت وقوتها تضعف، وخضع أركاديوس في القسم الشرقي لسلطة القائد روفنيوس⁽¹⁾ Rufinus، وقنع الآخر-هنوريوس- في القسم الغربي بسلطة شكلية في ظل القائد ستيلكو⁽²⁾ Stilicho⁽³⁾.

وفي تلك الأثناء ظهرت بعض التطورات المهمة بين القوط الغربيين، حيث اختار القوط ملكاً عسكرياً عليهم في سن العشرين ممثلاً بالحماس والجسارة وهو آلاريك الأول Alaric I (395-410م)⁽⁴⁾، الذي أفزعت أخبار

(1) روفنيوس: كان يشغل الوالي البريتوري في عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الأول، وعندما ذهب ثيودوسيوس إلى الغرب عينه مستشاراً لابنه أركاديوس، وقد اتهم أنه شجع آلاريك لمهاجمة اليونان، وقد كان يشعر بالغيرة الشديدة تجاه ستيلكو الذي كان له قوة عسكرية في الغرب، وقد قتله القوطي جانياس Gains بناء على تعليمات القائد ستيلكو وذلك في السابع والعشرون من نوفمبر 395م، وكان يأمل في أن يزوج ابنه إلى ابنة الإمبراطور أركاديوس... للمزيد انظر:

Alexander P. Kazhdan: The Oxford Dictionary Of Byzantium, Vol 3, Oxford University Press (New York 1991), p.1815.

(2) ستيلكو: ولد فلافيوس ستيلكو في الفترة ما بين 350 و360م، وهو ابن زعيم وندالي، انضم ستيلكو للجيش الروماني وترقى في المناصب على عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الأول حتى أصبح قائداً عاماً للقوات الرومانية عام 393م، وأصبح مقرباً من الإمبراطور ثيودوسيوس حتى تزوج من ابنته المتبناة سيرينا، وتولى الوصاية على هنوريوس بعد وفاة الإمبراطور ثيودوسيوس... للمزيد انظر: طرخان: القوط، حاشية ص 63.

(3) فشر: أوروبا، ج1، ص 23؛ طرخان: القوط، ص 63؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 22؛ الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص 468؛ الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص 124.

(4) Jordanes: The Gothic, P. 92 ;

انظر أيضاً، فشر: أوروبا، ج1، ص 24؛ طرخان: القوط، ص 63؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 23؛ الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص 125.

آلاريك الأول: ولد آلاريك الأول في الفترة ما بين 360 و370م في جزيرة بيوكي Peuce في دلتا الدانوب. انظر: طرخان: القوط، حاشية ص 64.

جسارته الحربية أفئدة المعاصرين⁽¹⁾، إذ قاد عشائره من القوط الغربيين، وهاجم أثينا وتساليا والبلوبونيز، واستولى على كورنثة وإسبرطة، وراح يعمل بحماس للحصول لقومه على إقليم خصب من أقاليم الإمبراطورية⁽²⁾. وهكذا نجد القوط الغربيين يغيرون على أقاليم الإمبراطورية الغربية، ولكن ليس بغرض السلب والنهب، ولكن من أجل الحصول على إقليم خصب من أقاليم الإمبراطورية يؤسسون فيه مملكتهم الخاصة، كما نجح آلاريك في حصار روما ذاتها عام 410م حتى اضطرت في النهاية لفتح أبوابها له، فأباحها لقومه يعيشون فيها فساداً⁽³⁾.

وبعد وفاة آلاريك اختار القوط الغربيون أتولف Athavulf (410-415م) - شقيق زوجة آلاريك - ملكاً عليهم⁽⁴⁾، الذي استطاع أن يحصل من الإمبراطور هنوريوس على منطقة ناربون Narbonne⁽⁵⁾ في جنوب غرب بلاد الغال في

(1) فشر: أوروبا، ج1، ص 24؛ طرخان: القوط، ص 63؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 23؛ الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص 125.

(2) Jordanes: The Gothic, pp.92-3;

انظر أيضاً، فشر: أوروبا، ج1، ص 24.

(3) Jordanes: The Gothic, p.94;

انظر أيضاً، فشر: أوروبا، ج1، ص 24؛ طرخان: القوط، ص 70، 77؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 24؛ الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص 125-127.

(4) Jordanes: The Gothic, p. 95;

انظر أيضاً، طرخان: القوط، ص 82؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 25.

(5) ناربون: مدينة فرنسية تقع في الجنوب الشرقي من فرنسا، على ساحل البحر المتوسط، هي أول مستعمرة رومانية في بلاد الغال، وفي عام 462 أصبحت ناربون عاصمة لمملكة القوط الغربيين في إسبانيا، وفي عام 759م سقطت ناربون في أيدي الفرنجة على يد بين القصير. انظر إينهارد: سيرة شارلمان، حاشية ص 49:

Moore: Encyclopedia of Places, p.540.

المنطقة الممتدة من نهر اللوار⁽¹⁾ حتى حدود البرانس⁽²⁾ ومنطقة طركونه في أقصى شمال إسبانيا، لتكون موطناً لهم⁽³⁾. وبالفعل مضى القوط الغربيين في عام 411م نحو غالة وبسطوا سيطرتهم على مدن مهمة مثل بلنسية وبوردو⁽⁴⁾ Bordeaux وناربون وتولوز⁽⁵⁾ Toulouse⁽⁶⁾، وتزوج أتولف الأميرة

(1) نهر اللوار: ينبع نهر اللوار من الكتلة المركزية في وسط فرنسا، ثم يتجه نحو الشمال ثم إلى الشمال الغربي ماراً بأورليان وتور، وهو أطول نهر في فرنسا حيث يبلغ طوله 1009 كم ويصب في خليج بسكاي في المحيط الأطلسي. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.446.

(2) جبال البرانس: هي عبارة عن سلسلة من الجبال تمتد مسافة 440 كم من خليج بسكاي في الغرب إلى البحر المتوسط في الشرق، ويبلغ ارتفاع أعلى قممها نحو 3404 كم وتقع سفوحها الشمالية في فرنسا بينما سفوحها الجنوبية في إسبانيا أي أنها تفصل شبه الجزيرة الإسبانية عن فرنسا. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.638.

(3) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 26.

(4) بوردو: مدينة فرنسية تقع على نهر الجارون وعلى بعد 96 كم من البحر وهي في الجنوب الغربي من فرنسا وأصبحت عاصمة لمقاطعة أكويتين في القرن الرابع الميلادي. انظر: خريطة رقم (9):

Moore: Encyclopedia of Places, p.112.

(5) تولوز: مدينة فرنسية تقع في الجنوب الشرقي من فرنسا على ساحل البحر المتوسط، وتعد تولوز جزءاً من إقليم أكويتين، وكانت أول عاصمة لمملكة القوط الغربيين حيث اتخذها الملك أتولف (410-415م) عاصمة له، وقد استولى عليها كلوفس ملك الفرنجة عام 507م في معركة فوييه. تم نقل العاصمة من تولوز إلى ناربون. انظر خريطة رقم (9)؛ انظر: طرخان: القوط، حاشية ص 139:

Wood, Merovingian Kingdoms, p. 47; Moore: Encyclopedia of Places, p.790.

(6) Bury: History of the later Roman Empire: from the death of Theodosius I to the death of Justinian, Vol. 1, University of Toronto, (New York. 1923), p. 196;

انظر أيضاً، الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص 129.

جالا بلاسيديا⁽¹⁾ GalaPlacidia شقيقة الإمبراطور هنوريوس سنة 414م⁽²⁾ ليصبح مقرباً للإمبراطور وداخلاً في طاعة الإمبراطورية، وبذلك أسس أتولف نواة مملكة القوط الغربيين في جنوب بلاد الغال.

ثم نجح واليا Wallia (415-420م) الذي أصبح حاكماً على القوط الغربيين، في تهدئة غالة وطررد السويبيين إلى شمال غرب إسبانيا وإزاحة الوندال إلى جنوب نهر إبرو⁽³⁾ Epro، وترتب على حروب واليا في إسبانيا أن خضع للقوط الجانب الأعظم منها باستثناء الجزء الشمالي الغربي⁽⁴⁾

(1) بلاسيديا: ولدت نحو 390م وماتت عام 450م، وهي ابنة الإمبراطور ثيودوسيوس الأول (379-395م)، كانت زوجة لأتولف ملك القوط الغربيين من عام 414 حتى موته عام 415م، ثم تزوجت الإمبراطور قسطنطينوس الثالث من عام 417 حتى وفاته عام 421م. وتولت الوصاية على ابنها الإمبراطور فالنشيان الثالث (425-455م) من عام 425 حتى بلوغه سن الرشد عام 437م، ممّا جعلها الحاكمة الفعلية لروما لمدة خمسة عشر عاماً، ومنحت لقب الأوغسطا Augusta. كانت بلاسيديا ذات سلطة سياسية كبيرة في روما خلال معظم حياتها، ويتميز عهدها بالامتزاج بين البرابرة والطبقة الرومانية الحاكمة، وقد ماتت بلاسيديا عام 450م بعد أن بلغت من العمر ستين عاماً. للمزيد انظر: طرخان: القوط، حاشية ص 89؛ الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص 130-163، 131؛ حتامله: أيبيريا، ص 209-210.

(2) Jordanes: The Gothic, p.95; Isidore of Seville: History of the kings of the Goths, Vandals, and Suevi, Translated From The Latin by Guido Donini and Gordon B. Ford, (Leiden 1970), p.11; Bury: later Roman Empire, p. 197. انظر أيضاً، طرخان: القوط، ص 84؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 56؛ عمران: معالم تاريخ أوروبا، ص 72.

(3) نهر إبرو: هو نهر في إسبانيا كان يعرف قديماً باسم ايروس طوله نحو 917 كم ينبع من جبال كانتابرين ويجري في اتجاه الجنوب الشرقي نحو البحر المتوسط. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.245.

(4) Isidore of Seville: Goths, p.12;

انظر أيضاً، طرخان: القوط، ص 89؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 57؛ عمران: معالم تاريخ أوروبا، ص 74.

(جيلية)⁽¹⁾، وعقد اتفاقية سلام مع الرومان عام 418م حصل بمقتضاها على إقليم أكويتين⁽²⁾ Aquitaine، وأُعترف به حاكماً معاهداً سنة 419م فاتخذ من مدينة تولوز عاصمة له، ولم تمض عدة سنوات حتى كان القوط الغربيون قد استقروا في جنوب غالة وحول تولوز، وابتعلوا كل المنطقة بين نهري الجارون⁽³⁾ واللوار⁽⁴⁾. وبذلك نجح الملك واليا في تأكيد وضع القوط الغربيين في جنوب غالة وشمال إسبانيا.

كما نجح ثيودريك الأول Theoderic I (420-451م) ملك القوط الغربيين⁽⁵⁾،

-
- (1) جيلية: هي مقاطعة تقع في الشمال الغربي من إسبانيا، يحدها خليج بسكاي شمالاً والمحيط الأطلسي غرباً والبرتغال جنوباً، وقد احتلت قبائل السويبي جيلية في عام 409م، وأنشأوا مملكة لهم في جيلية دامت قرابة مائة وخمسين سنة من 411 حتى سنة 585م عندما انتصر عليهم الملك ليوفجيلد القوطي وضم مملكة السويبي إلى مملكة القوط الغربيين 585م. للمزيد انظر: إينهارد: سيرة شارلمان، حاشية ص 103؛ محمد عبده حتاملة: أيبيرا قبل مجيء العرب المسلمين، الأردن 1996، ص 198-201.
- (2) أكويتين: يقع إقليم أكويتين بجنوب فرنسا، يمتد بين نهر الرون شرقاً وخليج بسكاي غرباً، وبين اللوار شمالاً ونهر الجارون جنوباً، وكان الرومان قد أخضعوه عام 56ق.م واستولى عليها القوط الغربيون عام 418م وانتزعها منهم كلوفس ملك الفرنجة عام 507م في معركة فوييه، وأصبحت دوقية مستقلة في القرن السابع الميلادي وكانت تضم بواتيه وبوردو وتولوز. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.44;

انظر أيضاً، نجاة محمد أحمد: السياسة الخارجية لشارلمان لمملكة الفرنجة في عهد شارلمان (768-814م)، رسالة دكتوراه بكلية الآداب جامعة بنها 2005، حاشية ص 61.

- (3) نهر الجارون: هو نهر يقع في فرنسا طوله نحو 579كم، ينبع من أواسط جبال البرانس ويصب في المحيط الأطلسي. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.298.

(4) طرخان: القوط، ص 89-90؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 57؛ الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص 130؛ عمران: معالم تاريخ أوروبا، ص 74.

(5) Jordanes: The Gothic, p. 100.

في توسيع رقعة أراضيه في جنوب غالة بالحرب تارة، والخداع تارة أخرى، وبمحاربة الرومان والقضاء على نفوذهم حيناً، والتحالف معهم أحياناً أخرى، كما حدث أثناء حرب الهون في مستهل النصف الثاني من القرن الخامس، فقد التحقت قوات القوط الغربيين تحت قيادة ثيودريك بقوات الرومان وحلفائهم والتقوا بالهون، وأنزلوا بهم الهزيمة في موقعة شالون Chalons⁽¹⁾ سنة 451م، وأبلى القوط فيها بلاءً حسناً حتى أن ملكهم ثيودريك لقي حتفه في تلك الموقعة⁽²⁾. واستطاع الملك ثيودريك الثاني Theoderic II (453-466م)⁽³⁾ هزيمة السوفييين حين تجرّءوا فعبروا جبال البرانس وهجموا على غالة، فتبعهم إلى إسبانيا وأحدث كثيراً من الخراب ببلادهم سنة 456م⁽⁴⁾، ودخل ثيودريك براجا Braga عاصمة السوفييين دون مقاومة تذكر⁽⁵⁾.

(1) موقعة شالون: وقعت يوم 20 يونيو سنة 451 م بين ائتلاف الرومان بقيادة الجنرال الروماني إيتيوس وثيودريك الأول ملك القوط الغربيين والفرنجة السريين والآلان ضد الهون والتابعين لهم بقيادة ملكهم أتिला. وكانت أهم المعارك العسكرية الكبرى الأخيرة في تاريخ الإمبراطورية الرومانية الغربية، فقد أوقفت زحف الهون على أوروبا وعجلت بانتهاء إمبراطورية الهون، وتوفي أتिला بعدها عام 453م... للمزيد انظر: جوزيف داهموس: سبع معارك فاصله في العصور الوسطى، ص 48، 44؛ عمران: معالم تاريخ أوروبا، ص 8.

(2) Jordanes: The Gothic, pp. 104-105; Isidore of Seville: Goths, pp. 12-3; انظر أيضاً، طرخان: القوط، ص 90-91؛ الشيخ: الممالك، ص 57؛ الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص 131.

(3) Jordanes: The Gothic, p. 115.

(4) Jordanes: The Gothic, pp. 115-116; Isidore of Seville: Goths, pp. 15-6;

انظر أيضاً، طرخان: القوط، ص 92-93؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 58.

(5) Marius of Avenches: Marii Episcopi Aventicensis Chronica: in Chronica Minora Saec. IV. V. VI. VII edidit Theodorus Mommsen (Berolini apud Weidmannos MDCCCXCIII. 1898). Monumenta Germaniae Historica. Avctorum Antiquissimorum Tomus, XI. VOL. II, p. 232; Isidore of Seville Goths, p. 17; انظر أيضاً، طرخان: القوط، ص 92-93؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 58.

أما الملك إيورك Euric (466-484م) فقد نجح في توسيع رقعة مملكته ومد حدودها، ففي عام 469م دفع السوفييين إلى جيليقية Galecia، وفي عام 471م استولى على إقليم بروفانس Provence⁽¹⁾ وبري Berry، وفي عام 476م اتجه إلى تحقيق أطماعه في إسبانيا فعبر جبال البرانس، واحتل معظم شبه الجزيرة الإسبانية، باستثناء جيليقية (شمال غرب إسبانيا) وجزء من لوزيتانيا (جنوب غرب إسبانيا)، التي ظلت تحت حكم السوفييين⁽²⁾. كما نجح إيورك في حمل إمبراطور الشرق زينون⁽³⁾ (474-491م)

(1) بروفانس: تقع بروفانس في جنوب شرق فرنسا، وتعد من أهم وأقدم المقاطعات الفرنسية الحالية، كان يطلق عليها قديما Provincia، يحدها من الشرق الحدود الإيطالية، ومن الجنوب البحر المتوسط، ومن الغرب نهر الرون، تتميز بمناخها الرائع. انظر:

Moore, W.: Encyclopedia of Places, p.634.

(2) Isidore of Seville: Goths, p.17.

(3) الإمبراطور زينون: يرجع أصل زينون إلى إقليم ايسوريا في جنوب شرق آسيا الصغرى، جاء إلى الإمبراطورية عام 466م وأصبح محل ثقة لدى الإمبراطور ليو الأول وعينه كنيل أو أمير روماني في العاصمة ثم رقيه إلى والي بريتوري، وزوجه من ابنته آليا أريادن Aelia Ariadne عام 467م. وفي عام 469م تولى منصب القنصل. وقد تولى زينون عرش الإمبراطورية مرتين من 474 إلى 475م، ولكن قامت ثورة ضده وتم عزله ولكنه تمكن من العودة مرة أخرى عام 476م حتى 491م. للمزيد انظر: المورخ المجهول: تاريخ ملوك القسطنطينية، ص 118؛ مصطفى الروبي جمعة: الدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور زينون (474-491م)، رسالة دكتوراه غير منشورة بكلية الآداب جامعة حلوان 2013، ص 21؛ السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية (1081-323م)، دار النهضة العربية بيروت 1965، ص 55؛ محمود سعيد عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، القاهرة 2000، ص 40.

على منحه المنطقة الممتدة من نهر الرون حتى جبال الألب⁽¹⁾ جنوب نهر الديورانس Durance⁽²⁾.

وبذلك أصبح إيورك أقوى ملك في غرب أوروبا، وبلغت مملكة القوط الغربيين في عهده أوج اتساعها وقوتها على يديه سنة 476م، فامتدت من نهر اللوار شمالاً إلى بوغاز جبل طارق جنوباً، ومن جبال الألب شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، وعلى الرغم من أن القوط نجحوا حينذاك في ضم كل إسبانيا تقريباً، فإنهم ظلوا يفضلون الحكم من غالة ومن مدينة تولوز بصفة خاصة، وتوفي إيورك سنة 484م بمدينة آرل Arles⁽³⁾، بعد أن أسس مملكة كبيرة للقوط الغربيين في جنوب غالة وإسبانيا ظلت قائمة لفترة طويلة وأرسي دعائم حكم

(1) جبال الألب Alps: هي سلسلة جبلية كبيرة تقع جنوبي أوروبا الوسطى، وتكون قوساً عظيماً يمتد من سواحل البحر المتوسط بين فرنسا وإيطاليا إلى سواحل بحر الأدرياتيك بيوغوسلافيا ويقع طرفها الشمالي الأقصى في بافاريا، فهي تفصل سهل البو شمال إيطاليا عن فرنسا من الغرب وألمانيا في الشمال وسهل الدانوب من الشرق، وينبع منه ثلاثة أنهار: الراين ويتجه شمالاً، والرون ويتجه إلى البحر المتوسط، والبو ويتجه إلى الأدرياتيك. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.30.

(2) طرخان: القوط، ص 94-96؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 58-59.
نهر الديورانس: يجري نهر الديورانس في جنوب شرف فرنسا، وينبع من جبال الألب، ويصب في نهر الرون بالقرب من أفينون، وطوله 350كم، ويمر بالعديد من المقاطعات والمدن الفرنسية. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, pp.239-240.

(3) آرل: مدينة فرنسية تقع على الضفة اليسرى لنهر الرون، وتبعد عن مدينة مارسيليا بنحو 47 ميلاً من ناحية الشمال الغربي، تميزت بأهميتها طيلة العصور القديمة، وكانت عاصمة بلاد الغال في القرن الرابع الميلادي، وخلال عصر شارلمان كانت مركزاً رئيساً للتجارة، وفي القرن العاشر الميلادي أصبحت عاصمة لمملكة آرل، التي تشكلت من مملكة بروفانس ومملكة برجنديا. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.50.

القوط في تلك الجهات⁽¹⁾. وبذلك نجح القوط الغربيون في تحقيق هدفهم والحصول على إقليم خصب من أقاليم الإمبراطورية الرومانية وتأسيس مملكتهم الخاصة. وتُعد مملكة القوط الغربيين من أولى الممالك الجرمانية التي نشأت واستقرت في أوروبا العصور الوسطى وأسست كياناً خاصاً بها.



خريطة رقم (1) مملكة القوط الغربيين عام 476م.

نقلاً عن إبراهيم طرخان: دولة القوط الغربيين، ص 97.

(1) طرخان: القوط، ص 92-93؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 58؛ الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص 131. لمملكة القوط الغربيين انظر خريطة رقم (1)

* نشأة مملكة البرجنديين في جنوب شرق غالة :

البرجنديون Burgundians هم أحد الشعوب الجرمانية الشرقية، وقد هاجروا من موطنهم الأصلي في شبه جزيرة اسكنديناوة من جزيرة بورنهولم Bornholm التي حفظت اسمهم Burgunarholm⁽¹⁾، واستقروا بين نهري الاودر والفستولا في القرن الأول الميلادي، وفي نحو سنة 150م نزحوا إلى سيليزيا Silesia (بولندا حالياً)، ثم نحو سنة 286م دخلوا وادي نهر الماين⁽²⁾ Main ثم شقوا طريقهم إلى حوض نهر الراين، واستقروا هناك فترة من الزمن⁽³⁾.

في تلك الفترة، تولى عرش البرجنديين الملك جندكار Gundakar (411-436م) الذي ساعد الإمبراطور جوفيان⁽⁴⁾ Jovinus (411-413م) في الوصول لعرش الإمبراطورية الغربية عام 411م وحكم بلاد الغال، بعد الإطاحة

(1) الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص 140.

(2) نهر الماين: يقع نهر الماين في ألمانيا طوله نحو 515 كم (320 ميل)، ويعتبر أطول روافد نهر الراين اليمنى، يمر خلال الولايات بافاريا وبادن - فورتمبيرغ وهسن. انظر: Moore: Encyclopedia of Places, p.484.

(3) موس: ميلاد العصور الوسطى، ص 88؛ الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص 140.

(4) الإمبراطور جوفيان: يعد جوفيان سيناتور غالوروماني، أعلن جوفيان نفسه إمبراطوراً في مينز Mainz بغالة عام 411م بدعم من جندهار ملك البرجنديين وجور Goar ملك الآلان، بعد الإطاحة بالإمبراطور قسطنطين الثالث، وقد وحكم بلاد الغال لمدة عامين، وقد تحالف القوط الغربيين بقيادة أتولف مع الإمبراطور هونوريوس وقضوا على جوفيان وتم القبض على جوفيان وتم إعدامه بناريون عام 413م. انظر:

Olympiodorus of Thebes: in The Fragmentary Classicising Historians of the later Roman Empire, Trans by, R. C. Blockley, Francis Cairns 1983, p.183; Gordon, (C.d.) The Age of Attila, Fifth Century Byzantium and the Barbarians, (Michigan, 1960), p.39; Drinkwater, J. F., "The Usurpers Constantine III (407-411) and Jovinus (411-413)", Britannia, 29 (1998), pp.288-289.

بالإمبراطور قسطنطين الثالث⁽¹⁾ (406-411م)⁽²⁾، وقد حكم جوفيان الإمبراطورية لمدة عامين، ونتيجة على مساعدة البرجنديين له أن سمح لهم بالإقامة على الضفة اليسرى لنهر الراين حول ورمز Worms⁽³⁾ وسباير Speyer ومينز Mainz وستراسبورج Strasbourg⁽⁴⁾، واتخذوا من ورمز عاصمة لهم، وأصبحوا معاهدين للإمبراطورية، وذلك في عام 413م⁽⁵⁾. وبذلك استطاع البرجنديين تأسيس نواة لمملكتهم في جنوب شرق غالة.

ولكن لم يكتف البرجنديون بتلك المناطق الصغيرة ولم يجنحوا إلى السلم، وبدلاً من ذلك قاموا بإغارات على المناطق المجاورة لهم، وقاموا

(1) قسطنطين الثالث: هو فلافيوس كلوديوس قسطنطين قائد روماني أعلن نفسه إمبراطوراً روماني في بريطانيا في عام 406/407م، وشق طريقة إلى بلاد الغال، مستهدفاً انتزاعها من الجرمان وضمها إلى ممتلكاته، ولكنه عندما وصل إلى هناك اكتفى بعقد معاهدات هزيلة الشأن مع زعماء الجرمان ثم زحف جنوباً ووصل إلى إسبانيا واستفحل أمره مما اضطر الإمبراطور هونوريوس إلى الاعتراف به زميلاً في الحكم بلقب أغسطس، ولكن في النهاية استطاع قسطنطيوس القائد العام للقوات الرومانية القضاء عليه في مدينة آرل عام 411م. انظر: الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص 161-162.

Drinkwater: The Usurpers Constantine III and Jovinus, p. 271.

(2) Olympiodorus of Thebes: The Fragmentary, p.183; Gordon: The Age of

Attila, p.39; Drinkwater: The Usurpers Constantine III and Jovinus, p.288.

(3). ورمز: تقع ورمز بالقرب من الضفة اليسرى لنهر الراين على بعد 34 كم جنوب غرب دوقية هس - دارماستاد Hesse-Darmastead وهي حالياً مدينة بتلك الدوقية، ويوجد بورمز كاتدرائية قوطية. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.865.

(4) Edouard Sécretan: Le premier royaume de Bourgogne, (Lausanne 1868), p. 9;

انظر أيضاً، الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص 140-141.

(5) Sécretan: Le premier royaume de Bourgogne, p. 9;

انظر أيضاً، الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 29.

بأعمال سلب ونهب على جيرانهم، ما دفع القائد إيتيوس⁽¹⁾ قائد جيوش الإمبراطورية الغربية أن يحرض عليهم جنوده المرتزقة من الهون الذين اشتبكوا معهم، وانزلوا بهم هزيمة فادحة أدت إلى مقتل ملكهم جندكار سنة 436م، ففروا إلى منطقة الرون الأعلى وفقدوا مملكتهم الصغيرة⁽²⁾.

على أي حال، كان البيت البرجندي الحاكم قد أُزيل، إثر هزيمة البرجنديين القاسية على أيدي الهون سنة 436م، وتولى الحكم بيت آخر جديد، مارس أفراده دوراً بارزاً في تاريخ المملكة البرجنديّة قرب منتصف القرن الخامس الميلادي حيث استطاعوا إعادة تأسيس المملكة البرجنديّة من جديد، فتولى الملك جنديوخ Gondioc (نحو 436-473م) عرش المملكة، وهو من سلالة الملك أثناريك Athanaric القوطي⁽³⁾، وقد تزوج شقيقة القائد

(1) إيتيوس: ولد فلافيوس إيتيوس في دوروستولوم في ميسيا (وهي الآن سيلسترا في بلغاريا) في أواخر القرن الرابع الميلادي، أمضى إيتيوس سنوات من حياته كرهينة، في البداية مع ألياريك الأول ملك القوط الغربيين ولاحقاً مع رواس ملك الهون، فامتلك بذلك المعرفة اللازمة لكي يهزمهم لاحقاً. وفي الفترة من عام 433 إلى 450 كان إيتيوس الشخصية المسيطرة في الإمبراطورية الرومانية الغربية، فقد تم تعيينه قائداً عاماً للقوات الرومانية عام 433م، وأصبح صاحب النفوذ المطلق في الإمبراطورية الغربية يدير شئونها ويستقبل السفراء ويعقد المعاهدات معه بدلاً من الإمبراطور، وكان أعظم انتصاراته في شالون، وفي عام 454م ظهر إيتيوس في البلاط ليطلب يد يودكيا Eudocia ابنة الإمبراطور لابنه جاودينتيوس Gaudentius، ولكن فالنسيان شك في أنه يخطط للاستيلاء على العرش فقتله بيده. للمزيد انظر: الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص 163-166.

(2) Hydatius: The Chronicle of Hydatius, Edited with an English Translation by R. W. Burgess, (Oxford.1993), p.93; Gordon: Age of Attila, p.39;

انظر أيضاً، الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص 141.

(3) Gregory of Tours: Franks,, P.38.

ريكيمير⁽¹⁾ Ricimer⁽²⁾، واستطاع مصالحة الإمبراطورية الرومانية التي سمحت لهم بالنزول في منطقة سابوديا⁽³⁾ Sapaodia (سافوي Savoy) قرب نهر الساءون سنة 443م أو 447م كمعاهدين للإمبراطورية الرومانية⁽⁴⁾.

وقد استطاع البرجنديون التوسع فيما حولهم ذلك الوقت، وسلكوا في سبيل الحفاظ على مملكتهم طريق القوة حيناً والدهاء أحياناً أخرى، كما شارك البرجنديون بقيادة ملكهم جنديوك القائد إيتيوس جهوده في صد الهون حينما تطرقوا إلى غالة في موقعة شالون 451م، وأفادوا من هذه المشاركة فحصلوا على سلام امتد عدة سنوات حتى وفاة القائد إيتيوس والإمبراطور فالنشيان

(1) ريكيمير: ينحدر ريكيمير من بيت سوفى، وأمه ابنة واليا ملك القوط الغربيين (415-419م) وشقيقته قد تزوجت جنديوك (436-473م) ملك البرجنديين، وقد تدرج ريكيمير في سلك المناصب المدنية والعسكرية، فحصل أولاً على لقب كونت، ثم القائد العام للقوات الرومانية، وأخيراً حصل على لقب البطريق عام 457م، وكان صاحب النفوذ الفعلي في الإمبراطورية الغربية يقيم العروش ويثلها، يصنع الأباطرة ويخلعهم في الفترة منذ عام 456 حتى وفاته 472م وقد تزوج ريكيمير أليبيا Alypia ابنة الإمبراطور اثيموس. انظر:

Hodgkin: Italy, vol. 2. pp. 399-400;

انظر أيضاً، الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص 170-171.

(2) Sécrtan: Le premier royaume de Bourgogne, p. 51; Gordon: Age of Attila, p.205.

(3) سابوديا: سابوديا أو سافوي Savoy الحالية هي منطقة تقع في جنوب شرق فرنسا غربي جبال الألب، وقد ذكرت سافوي لأول مرة في كتاب أمانيوس مارسيلينوس Ammianus Marcellinus، سيطر عليها الرومان ثم تم احتلالها من قبل البرجنديين سنة 443م أو 447م، ثم أصبحت سافوي جزءاً من مملكة الفرنجة بعد القضاء على مملكة البرجنديين عام 534م. للمزيد انظر:

Ammianus Marcellinus: eng. Trans, Rolfe, (J.c.), vol. 1, (London. 1935), p.193; Gregory of Tours: Franks, P. 56; Ian Wood: The Merovingians kingdoms, 450 - 751, (London and New York. 1991), p.8; Moore: Encyclopedia of Places, pp.699-700.

(4) Wood: The Merovingians kingdoms, p.8;

انظر أيضاً، الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 137.

الثالث⁽¹⁾ Valentinian III (425-455م) سنة 455م⁽²⁾، وفي سنة 456 دخلوا في خدمة الإمبراطورية في غالة، وقاموا بحملة عسكرية ضد السويبيين في إسبانيا⁽³⁾. ويبدو أن البرجنديين انتهزوا فرصة ذلك التحالف لمد نفوذهم في الجهات المجاورة، فأخذوا في التوسع فيما وراء مضاربهم بجنوب شرق غالة عام 456م⁽⁴⁾، إلى أن وصل الإمبراطور ماجوريان⁽⁵⁾ Majorian (456-461م) إلى غالة لمحاولة إعادة

(1) الإمبراطور فالنشيان الثالث: هو ابن قسطنطيوس الثالث وبلاسيديا Placidia ابنة الإمبراطور ثيودوسيوس الأول العظيم. وكان بعمر ست سنوات عندما حصل على لقب أغسطس، وخلال سنوات طفولته كانت مقاليد الأمور في يد أمه التي أهملت تعليمه عن عمد، وحدث في عهده احتلال الوندال لإفريقيا، وهجر بريطانيا نهائياً في عام 446، وفقد جزء عظيم من إسبانيا والغال وأسس فيها البرابرة ممالكهم، وتخريب صقلية وسواحل البحر المتوسط الغربية من قبل أسطول جيزريك الوندالي، وأيضاً حدثت معركة شالون 451م في عهده. للمزيد انظر: الحويري: سقوط الإمبراطورية الرومانية، ص 163-165.

(2) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 137-138.

(3) Avitus of Vienne: Introduction of Letters and Selected Prose, Translated with an introduction and notes by Danuta Shanzer and Ian Wood, (Liverpool University Press. 2002), p.15;

انظر أيضاً، الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 137-138.

(4) Marius of Avenches: Chronica, p.232.

(5) الإمبراطور ماجوريان: هو يوليوس فاليريوس ماجوريان من عائلة رومانية أرسقراطية وقائد عسكري قدير، أسهم في انتصارات القائد اثتيوس العسكرية حتى أثار حقد اثتيوس وغيرته، ثم أجبره الأخير على الاستقالة من الجيش، وحينذاك انصرف ماجوريان إلى الهدوء والعناية بمزارعه، وقد استدعاه الإمبراطور فالنشيان الثالث بعد مصرع اثتيوس، وعينه في أحد المناصب الحربية المهمة، وقد وصل ماجوريان إلى العرش بعد أن تعاون مع القائد ريكييمير في الإطاحة بالإمبراطور أفيتوس Avitus (455-456م)، وكان ماجوريان آخر إمبراطور يقوم بجهد منسق لاستعادة أراضي الإمبراطورية الرومانية الغربية، فقد كانت ممتلكاته تكاد لا تتعدى إيطاليا ودلماشيا، وبعض المناطق في الغال الجنوبية، لذا فقد جاهد ماجوريان باستمرار طيلة ثلاث سنوات ضد أعداء الإمبراطورية. للمزيد انظر:

Priscus of Panium: In The Fragmentary Classicising Historians of the Later Roman Empire, vol.2, Trans, Blockley, Roger C (Francis Cairns. 1983), pp.335-9; Hodgkin: Italy, vol. 2. p. 404; Bunson, Matthew: A Dictionary of the Roman Empire, (New York 1991). P,256.

انظر أيضاً، الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص 171، 169.

السلطة الرومانية فيها، فعاد البرجنديون من جديد إلى حدود الطاعة عام 458م⁽¹⁾.

وقد استغل البرجنديون فرصة وفاة الإمبراطور ماجوريان عام 461م لتوسيع مملكتهم الصغيرة على حساب أراضي الإمبراطورية الرومانية الغربية، فاستولوا على ليون⁽²⁾ Lyons، وفيينا⁽³⁾ Vienne، وداي Die، وفيفاري Vivarais فيما بين سنة 461، 470م، لكنهم لم يستطيعوا الانتصار في بروفانس Provence وفيما وراء جبال الألب، بسبب وجود إيورك ملك القوط الغربيين، فقد كان يتحكم حينذاك في مداخل نهر الرون والساحل البروفنسالي⁽⁴⁾.

بعد وفاة الملك جنديوك سنة 473م احتل أبناؤه الأربعة مكان الصدارة وقيادة الأسرة الملكية الجديدة، وتم تقسيم المملكة فيما بينهم، فحكم جودمار الأول Godomar I (473-474م) في فيينا، وشلبريك الثاني Chilperic II (473-486م) في فالنسيا، وجوديجزل Godegisel (473-500م) في جينف، وجندوباد Gundabad (473-516م) في ليون⁽⁵⁾.

(1) Priscus of Panium: Fragmentary, p. 335; Gordon: Age of Attila, p. 116;

انظر أيضاً، الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 138.

(2) ليون: مدينة فرنسية تقع على نهر الرون، وهي عاصمة مقاطعة الرون وثالث أكبر المدن في فرنسا، أسست عام 43ق.م كمستعمرة يونانية وكانت أول مدينة في غالة تحولت إلى المسيحية في القرن الثاني الميلادي. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p. 477.

(3) فيينا: مدينة تقع على الضفة اليسرى لنهر الرون، وعلى بعد 27 كم إلى الجنوب من ليون. تحتوي آثاراً رومانية رائعة، وبخاصة معبد أغسطس كما تحتوي على كنيسة القديس موريس. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p. 833.

(4) Sécrtan: Le premier royaume de Bourgogne, p. 51;

انظر أيضاً، الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 138-139.

(5) Sécrtan: Le premier royaume de Bourgogne, p. 51;

انظر أيضاً، الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 138-139.

ومن بين الأربعة لعب جندوباد دوراً كبيراً في الأحداث السياسية في الغرب الروماني، فقد شارك في كثير من الأحداث السياسية في الإمبراطورية الغربية، حيث أشار حنا الانطاكي John of Antioche إلى أن جندوباد ساعد خاله ريكيمير في خلع الإمبراطور الروماني الغربي أنثيموس⁽¹⁾ (467-472م) Anthemius وقتله عام 472⁽²⁾. كما أصبح جندوباد قائداً عاماً للقوات الرومانية بعد وفاة ريكيمير⁽³⁾، وعُين حاكماً رومانياً على يد الإمبراطور الغربي أوليبريوس⁽⁴⁾ Olybrius (472م) عام 472 حتى 473م ونال لقب بطريق، وذلك قبل أن يصبح جندوباد ملكاً على البرجنديين، ويحكم المنطقة الممتدة من سهول شمبانيا Champagne إلى الديورانس⁽⁵⁾ Durance.

كما ساعد جندوباد الإمبراطور جليوريوس Glycarios (473م) في اعتلاء عرش الإمبراطورية الغربية عام 473م⁽⁶⁾، ولكن لم تعترف به القسطنطينية

(1) الإمبراطور أنثيموس: هو أحد كبار رجال البلاط، وقد استطاع الإمبراطور ليو الأول وضع أنثيموس إمبراطوراً في الغرب، ولكن القائد ريكيمير قام بشنقه علناً في روما عام 472م بسبب اتصاله بالسنانو الروماني من ورائه. انظر: الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص 482؛ مصطفى الروبي: الإمبراطور زينون، ص 83.

(2) Priscus of Panium: Fragmentary, p.373; John of Antioche: Fragments, in the Age of Attila, pp.122-3; Wood: The Merovingians kingdoms, p.15.

(3) Gordon: Age of Attila, p.126.

(4) الإمبراطور أوليبريوس: هو زوج ابنة فالتيان الثالث، عينه ريكيمير إمبراطور عام 472م، ولكنه لم يبق في الحكم غير شهرين فقط حيث تُوُفِّي في العام نفسه. انظر: الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص 482؛ مصطفى الروبي: الإمبراطور زينون، ص 83.

(5) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 139.

(6) John of Antioche: Fragments, in The Age of Attila, p.123; Evagrius: The Ecclesiastical History of Evagrius, eng. Trans, Whthby, (M.), (Liverpool. 2000), P.160; Wood: The Merovingians kingdoms, p.15.

واختارت بدلاً منه يوليوس نبوس⁽¹⁾ Nepos (473-475م) ليعتلى عرش الإمبراطورية الغربية، لذلك فضل جندوباد العودة إلى غالة خاصة بعد وفاة والده 473م⁽²⁾، ويعلق إيان وود على رحيل جندوباد على أنه متعلق بقدوم الإمبراطور الجديد الذي يدعم من القسطنطينية⁽³⁾، ولكن يبدو من الأحداث اللاحقة أن جندوباد عاد ليسيّطر على المملكة بعد وفاة والده.

وبالفعل عاد الملك جندوباد إلى وادي نهر الرون، حيث أرسى دعائم مملكة البرجنديين الناشئة في تلك الجهات، واحتل جندوباد وادي نهر الساءون الأوسط والأعلى حتى منابعهما⁽⁴⁾. وتشير بعض الروايات إلى أن جندوباد لجأ إلى قتل إخوته لينفرد بالحكم فقتل أخيه شلبريك الثاني لينفرد بالسلطة في المملكة، ويمد نفذه إلى ساحل البحر المتوسط⁽⁵⁾.

واستطاع الملك جندوباد السيطرة على المناطق من أفينون Avignon⁽⁶⁾ حتى بيساكون Besancon ولانجر Langre⁽⁷⁾، وحاول أن يثبت أقدام البرجنديين في

(1) الإمبراطور يوليوس نبوس: تم تعيينه إمبراطوراً من قبل ليو الأول إمبراطور بيزنطة عام 473م وبقي نبوس على العرش عامين فقط، إذ تمكن الجنرال اوريستيس Orestes القائد العام للجيش بالغرب من خلعه وتعيين ولده رومانوس مكانه عام 475م، واتجه نبوس بعد عزله إلى مدينة سالونا على ساحل دالماشيا وقضى بقية حياته هناك حتى قتل عام 480م. انظر: الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص 482؛ مصطفى الروبي: الإمبراطور زينون، ص 83-84، 89.

(2) John of Antioche: Fragments, in The Age of Attila, p.123; Wood: The Merovingians kingdoms,,p.15.

(3) Wood: The Merovingians kingdoms,p.15.

(4) Oman: The dark ages, London 1898, p.25.

(5) Gregory of Tours: Franks, P.38;

انظر أيضاً، الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 139.

(6) أفينون: تقع مدينة أفينون في وادي نهر الرون على الضفة اليسرى في جنوب شرق غالة، تبعد 91 كم عن مارسيليا، وهي من أكبر المدن تتميز بأنها سوق ومركز لتعليب

الخضروات. انظر: Moore: Encyclopedia of Places, p.66.

(7) Oman: The dark ages,p.25.

مواقعهم الجديدة، ويؤكد استقلال مملكتهم الناشئة، ولا سيما بعد أن غزا الفرنجة غالة، لكن يبدو أن البرجنديين كانوا أكثر توفيقاً في امتدادهم جهة الشرق والشمال، فقد نجحوا في إزاحة الألمان عن تلك الجهات والحلول محلهم⁽¹⁾، وبذلك نجح البرجنديون في تأكيد مملكتهم الجديدة في تلك الجهات.

وفي نهاية القرن الخامس الميلادي استقرت مملكة البرجنديين في جنوب شرق غالة، وأصبحت تمتد من نهر الديورانس في الجنوب إلى مشارف شمبانيا في الشمال، ومن سفيني Cevennes إلى ريوس Reusse وأقام ملوكهم في ليون وفيينا Vienne وجنيف Jeneva ويساكون وبصفة خاصة في جنيف وليون⁽²⁾.

* نشأة مملكة القوط الشرقيين في إيطاليا :

ينتمي القوط الشرقيون لفرع الجرمان الشرقيين، والقوط الشرقيين كما ذكرنا سابقاً كانوا قد نزلوا بالجهات الواقعة شمال البحر الأسود حول حوض نهر الدون وسهول روسيا الجنوبية في المنطقة الممتدة من نهر الدنيستر غرباً إلى نهر الدون شرقاً، وكان ذلك قرب منتصف القرن الرابع الميلادي⁽³⁾. ولكن سرعان ما خضع القوط الشرقيين لقبائل الهون عام 375م، حيث لم تنجح قبائل القوط الشرقيون في الفرار عبر الدانوب، كما فعل القوط الغربيون، ولذلك ظلوا خاضعين لحكم أتिला⁽⁴⁾ Attila (445-453م) ملك الهون يأترون بأمره،

(1) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 140.

(2) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 140.

(3) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 37.

(4) أتिला: هو ابن موندريك Moundiuch شقيق روجا Ruga ملك الهون السابق، تولى السلطة هو وأخاه بليدا Bledo كملكين مشتركين، وصفه المؤرخ جوردان بأنه "رجل ولد ليهز أركان الأمم" لم يسمح أتिला باقتراب أحد سوى أفراد أسرته وأكثر المستشارين تقرباً إليه، كما يصفه جوردان بأنه كان سوطاً على كل البلاد استطاع أن يهرب كل الجيوش بفضل الإشاعات المثيرة للذعر التي دأبت عنه، توفي أتिला عام 453م. انظر:

Jordanes: The Gothic, p. 101 ;

جوزيف داهموس: سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى، 35-36.

ولا يرفضون له أمراً، أكثر من ثلاثة أرباع قرن حتى وفاة أتيليا سنة 453م، وعندئذ طرخوا طاعه الهون، وشاركوا في تدمير إمبراطوريتهم واخذوا يؤدون دورهم الخاص كبقية الطوائف الجرمانية⁽¹⁾.

ولكن استطاع القوط الشرقيون الفرار من سيطرة الهون، خاصةً بعد وفاة ملكهم أتيليا عام 453م، وظهور الخلاف بين أبنائه عندما حاولوا اقتسام الإمبراطورية الهونية، كما تقسم أملاك الأسرة الواحدة على أفرادها بعد وفاة الأب، الأمر الذي أغضب رعاياهم من الجرمان والسلاف من المعاملة التي تشبه معاملة الرقيق، فقاموا بالثورات وحاول الابن الأكبر لأتيليا إللاك Ellac قمع تلك الثورات التي اندلعت بين القبائل، إلا أنه لقي مصرعه في معركة نهر نيداو Nedao في بانونيا Pannonia عام 454م⁽²⁾.

ولقد كانت الظروف رحيمة بالقوط الشرقيين، فغداة تحررهم من ساداتهم الهون، فضل القوط أن يطلبوا أرضاً من البيزنطيين ليعيشوا عليها، بالإضافة إلى مورد مالي منتظم أسوة بأقرانهم من قبائل الجيىداى، فبعثوا بسفارة إلى الإمبراطور البيزنطي مارقيان⁽³⁾ Marcian (450-457م) يطلبون السماح لهم

(1) Jordanes: The Gothic, P. 123;

انظر أيضاً، عاشور: أوروبا، ج 1، ص 85؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 37.

(2) Priscus of Panium: Fragmentary, p.321; Jordanes, The Gothic, P. 125.

(3) الإمبراطور مارقيان: ولد مارقيان عام 392م بإقليم تراقيا، وتولي عرش الإمبراطورية بعد الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني، وكان جندياً ماهراً وقائداً عسكرياً مميزاً وصل إلى العرش بزواجه من بولكيريا شقيقة الإمبراطور الراحل، وفي عهده استطاعت الإمبراطورية الغربية هزيمة الهون في موقعة شالون 451م وفي عهده تفاقمت المشاكل الدينية وزاد الخلاف بين روما والقسطنطينية. انظر: المؤرخ المجهول: تاريخ ملوك القسطنطينية، ص 112-113؛ محمد مرسي الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، القاهرة 1994، ص 32؛ محمود سعيد عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص 40؛ محمد بخيت محمد: الإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مارقيان دراسة في السياسة الداخلية والخارجية (450-457م)، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب جامعة سوهاج 2013م، ص 44.

بالاستقرار داخل أراضيه، فوافق الإمبراطور وسمح لهم بالاستقرار في بانونيا، ومن ثمَّ أصبح القوط الشرقيون محالفين Federati⁽¹⁾. ولكن لم تكن فترة السلام بين القوط والرومان طويلة العمر، إذ سرعان ما شهد عام ٤٥٩م توتراً في العلاقات بينهم، وذلك بسبب تأخر وصول الأموال السنوية للقوط الشرقيين من جهة، التي كانت قد وعدت بها الإمبراطورية البيزنطية كل عام⁽²⁾، ومحابة الإمبراطور ليو الأول⁽³⁾ (457-474م) لقوط تراقيا⁽⁴⁾، وما كانوا يتلقونه من أموال

(1) Priscus of Panium: Fragmentary, p.323; Jordanes: The Gothic, P. 127.

انظر أيضاً، محمد بخيت: الإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور ماريان، ص 100.

(2) Gordon: Age of Attila, P. 158 ; see Also Bradley: The Goths, p. 134.

(3) الإمبراطور ليو الأول: ولد ليو في إقليم داكيا، وبدأ حياته المهنية كضابط في الجيش، تولى حكم الإمبراطورية البيزنطية بعد الإمبراطور ماريان. كان ليو الأول إمبراطوراً قوياً تمكن من الاستقلال عن سلطة القائد أسبار ما أدى إلى تأزم العلاقة بينهما الأمر الذي أودى بحياة أسبار قتلاً في النهاية.... للمزيد انظر: المؤرخ المجهول: تاريخ ملوك القسطنطينية، ص 116؛ السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، بيروت 1965 ص 54-55؛ عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص 40.

(4) قوط تراقيا: مجموعة من القوط الشرقيين، نجحوا في الفرار من سيطرة الهون بعد معركة نيدوا عام ٤٥٤م، بزعامة ثيودريك سترابو، وقد دخلوا في خدمة الإمبراطورية البيزنطية، وأصبحوا يشكلون الركيزة الأساسية للجيش البيزنطي، ويرجع ذلك النفوذ الكبير الذي تمتعوا به في عهد الإمبراطور ليو الأول إلى محابة القائد أسبار Aspar لهم، وذلك بسبب وجود صلة قرابة أو نسب بينهما، إذ يعد ثيودريك سترابو ابن شقيقة زوجة أسبار، ومن ثمَّ يكون أسبار بمثابة العم له، وبعد وفاة ثيودريك سترابو خلفه ابنه ريسيتاش Recitach الذي لم يكن على نفس كفاءة أبيه، وقد تم اغتياله على يد اتباع ثيودريك بن ثيوديمير في بداية عام 484م، وانضم بعد ذلك كل القوط تحت رئاسة ثيودريك بن ثيوديمير وبذلك توحد القوط في البلقان... للمزيد انظر:

Gordon: Age of Attila, P. 159;

انظر أيضاً، مصطفى الروبي: الإمبراطور زينون، ص 78، 76.

وهدايا سنوية بانتظام⁽¹⁾، الأمر الذي أغضبهم وجعلهم يشعرون بالاحتقار والامتهان⁽²⁾.

ولم يكن من الطبيعي أن يسود الوفاق بين الطرفين إذ نزع القوط إلى حمل السلاح عام 459 م، وقاموا بتخريب إقليم إليريكيوم⁽³⁾ Illyricum سعياً وراء المغانم، عندئذ تنبه الإمبراطور ليو الأول إلى خطرهم وشعر بخطئه في تجاهل مطالبهم، وأخذ يجهز للاتفاق معهم على معاهدة سلام⁽⁴⁾. وعلى وجه السرعة أرسل الإمبراطور ليو الأول سفارة إلى فالامير Valamir (حوالي 444-470م) ملك القوط الشرقيين جددت معه الاتفاقية التي عقدت في عهد الإمبراطور ماركيان. وكان من ضمن شروطها أن يرسل القوط ثيودريك⁽⁵⁾ بن ثيوديمير Thiudimir أكبر وريث للعرش من بيت آمال كرهينة للقسطنطينية عام 461م⁽⁶⁾.

(1) Jordanes: The Gothic, P. 129.

انظر أيضاً، مصطفى الروبي: الإمبراطور زينون، ص 76، 78.

(2) Jordanes: The Gothic, P. 129 ; Gordon: Age of Attila, p.158.

(3) إليريكيوم: مقاطعة رومانية في الجزء الشمالي الغربي من منطقة البلقان، وقد تعرضت لليريكيوم في الفترة من القرن الخامس إلى السابع لمختلف الغزوات من القوط الشرقيين والهورن واللمباردين والآفار. للمزيد انظر:

Alexander P. Kazhdan: The Oxford Dictionary Of Byzantium, p.987.

(4) Priscus of Panium: Fragmentary, p.341; Jordanes: The Gothic, P. 129 ; See Also Bradley: The Goths, p.134; Hodgkin, (T): Theoderic the Goths, (New York and London, 1891) P. 37.

(5) ولد ثيودريك بالقرب من مدينة فينا Vienna عاصمة جمهورية النمسا Austria الحالية، ومعنى الاسم في اللغة القوطية حاكم أو قائد، للمزيد انظر:

Bradley: The Goths, p.133

(6) Gordon: Age of Attila, p.158;

انظر أيضاً، صلاح ضبيغ: القوط الشرقيون في البلقان، ص 172.

ويُعد بقاء ثيودريك في القسطنطينية - رهينة - لمدة عشر سنوات، نقطة تحول في حياته، حيث إنها أسهمت بدور كبير في تشكيل شخصيته إذ نشأ وترعرع في القسطنطينية، ونال قسطاً وافراً من التعليم على أيدي أفضل المعلمين في العاصمة⁽¹⁾، وزادت من إحساسه بالحضارة البيزنطية، فقد خبر عن قرب أساليب الحكم والإدارة والقانون والفنون⁽²⁾، الأمر الذي سيكون له أكبر الأثر على تشكيل شخصيته فيما بعد في إيطاليا.

بعد وفاة الملك فالامير تولى شقيقه ثيوديمير (470-474م) حكم القوط الشرقيين⁽³⁾، وفي عام 471م عاد ابنه ثيودريك من القسطنطينية محملاً بالهدايا، بعد انقضاء فترة وجوده كرهينة، وكان قد تجاوز السابعة عشرة من عمره، وشب عن فترة الصبا⁽⁴⁾، وفي عهد ثيوديمير بدأ القوط يعانون من خطر المجاعة، حيث شعروا بنقص حاد في الغذاء، ولما كانت الحرب هي وسيلتهم في الحصول على ضروريات الحياة، كان من الطبيعي أن يتوسل القوط إلى ملكهم ثيوديمير يطلبون منه القيام بالغزو للحصول على ما يريدون⁽⁵⁾، لذ دارت محادثات بين ثيوديمير وأخيه الأصغر فيديمير، تقرر على أثرها أن يتجه فيديمير إلى الشطر الغربي من الإمبراطورية، بينما يتجه ثيوديمير إلى الشطر الشرقي من الإمبراطورية⁽⁶⁾. وذلك للإغارة على أراضي الإمبراطورية أملاً في الحصول على منطقة جديدة لهم تكون أكثر خصباً يؤسسون عليها مملكتهم.

(1) Malalas, (J): Chronicle of Malalas, eng Trans, Jeffery, (A.) and Jeffery, (M.), (Melbourne. 1986) P. 212.

(2)Bradly: The Goths, p.135; Hodgkin: Theoderic the Goths, P.45; Hodgkin: Italy, vol.3, P.24; Oman: The Dark Ages, P.40.

(3) Jordanes: The Gothic, P. 132.

(4) Jordanes: The Gothic, P. 132.

(5) Jordanes: The Gothic, P. 133, See Also Bradley: The Goths, P.136.

(6) Jordanes: The Gothic, P. 133

وعلى كل، قاد فيديمر قسماً من الشعب القوطي تجاه إيطاليا، ولكن الإمبراطور الغربي جليريوس Glycarios (473م) استماله -عن طريق الهدايا- للذهاب إلى غالة، وهناك انضم بجماعته إلى القوط الغربيين⁽¹⁾. وبذلك فشل ذلك القسم في تحقيق مهمته. أما ثيوديمير فقد قام بغزو مدينة نيسوس أول مدن إقليم إليريكيوم، واتخذها قاعدة لعملياته العسكرية، ومن نيسوس أرسل ثيوديمير ابنه ثيودريك مع أكفأ قواد القوط لغزو مدينة أولينا Ulpina وغيرها من المدن المهمة⁽²⁾، ولم تقتصر غزوات ثيودريك على إقليم إليريكيوم، بل تعدتها إلى إقليم مقدونيا حيث سقطت مدن هيراقليا⁽³⁾ Heraclea ولاريسا Larisa⁽⁴⁾ في أيدي القوط⁽⁵⁾.

ولم يكتفِ الملك ثيوديمير بذلك بل غادر مدينة نيسوس عام ٤٧٤م، وتقدم بجيشه لغزو مدينة تسالونيك Thessalonica عاصمة إقليم مقدونيا Macedonia⁽⁶⁾، وعندما رأى هيلاريا نوس Hilarianus حاكم المدينة، حصار القوط للمدينة، أدرك عجزه عن مواجهتهم لذا بادر بإرسال الهدايا إليهم ليصرفهم عن تدمير المدينة⁽⁷⁾، وبالفعل تم توقيع معاهدة سلام بين الطرفين، تقرر على إثرها ألا يقوم القوط بالإغارة على أراضي الإمبراطورية مرة أخرى، مقابل

(1) Jordanes: The Gothic, P. 133

(2) Jordanes: The Gothic, P. 134.

(3) هيراقليا: مدينة تقع على الشاطئ الشمالي لبحر مرمرة marmara عند نقطة اتصال طريق إجناتيا Via Egnatia وطريق البلقان الرئيسي المؤدي إلى نيسوس. انظر:

Alexander P. Kazhdan: The Oxford Dictionary Of Byzantium, Vol 1, Oxford University Press (New York 1991), pp.915-16.

(4) لاريسا: مركزاً إدارياً تقع على الضفة اليمنى على نهر بنيسوس Peneios باليونان، عند نقطة اتصال الطرق التسالية الرئيسية. انظر:

Alexander: The Oxford Dictionary Of Byzantium, Vol 1, p.1180.

(5) Jordanes: The Gothic, P. 134.

(6) Jordanes: The Gothic, P. 134; See Also Hodgkin: Theoderic the Goths, P. 59; Hodgkin: Italy, vol.3. P.26.

(7) Jordanes: The Gothic, P. 134.

احتفاظهم بالمدن التي فتحوها⁽¹⁾، وبذلك نجح القوط الشرقيين في السيطرة على بعض المدن الجديدة، وبعد تلك الأحداث استدعى ثيوديمير مجلس القوط عام ٤٧٤م، وأخذ موافقتهم على انتخاب ثيودريك ملكاً عليهم بعد وفاته⁽²⁾.

وهكذا يمكن القول إن القوط الشرقيين انتقلوا من إقليم بانونيا إلى مقدونيا في سنة 473م، ويمكن القول أيضاً أن القوط حققوا الهدف الذين غادروا من أجله بانونيا، كما أثبت الأحداث أن الإمبراطورية البيزنطية كانت ضعيفة جداً آنذاك- من الناحية العسكرية، ويعلق بعض المؤرخين قائلاً: إن الإمبراطور ليو الأول عندما وجد أنه غير قادر على الدفاع عن أراضيه تنازل عن أجزاء منها للقوط الشرقيين للإقامة فيها⁽³⁾.

بعد ذلك بوقت قصير توفي الملك ثيوديمير 474م، وتولى ابنه ثيودريك (474-526م) عرش مملكة القوط الشرقيين⁽⁴⁾، وفي العام نفسه تولى الإمبراطور زينون (474-491م) حكم الإمبراطورية البيزنطية، وفي عهده تعاظم خطر القوط عن ذي قبل، ويرجع ذلك إلى أمرين، الأول شخصية زينون التي اتسمت بالجبن والضعف والتردد⁽⁵⁾، والثاني كثرة المؤامرات الداخلية التي باتت

(1) Jordanes: The Gothic, P. 134.

(2) Gordon: Age of Attila, p. 159; Bradley: The Goths, P137; See Also Hodgkin: Theoderic the Goths, P. 63.

(3) Warren Treadgold: A Concise History of Byzantium, (Palgrave, 2001), p.155.

(4) Hodgkin: Italy, vol.3. P.27.

(5) Malchus of Philadelphia: In The Fragmentary Classicising Historians of the Later Roman Empire, vol,2, Trans, Blockley, Roger C (Francis Cairns.1983),p.413; See Also, Bradley: The Goths, p.138; Oman: The Dark Ages, p. 37.

كما ذكر المؤرخ مالاخوس Malchus أن الإمبراطور زينون قد أعد حملة عسكرية ضد القوط الشرقيين، ولكنه تخلى عن قيادة تلك الحملة وأعاد الجيش إلى معسكره عام 479م، وقد أرجع المؤرخ مالاخوس سبب تخليه عن قيادة الحملة بسبب جبنه وخوفه من القوط. انظر: Malchus of Philadelphia: Fragmentary, vol,2, p.433.

تهدد حكمه⁽¹⁾. ولذلك حاول زينون طوال فترة حكمه أن يستفيد من القوط إلى أقصى درجة. فعندما قامت ثورة في القسطنطينية على يد باسيليسكوس Basiliscus أخي الأوغسطا فيرينا Verina وانضم إليهم ثيودريك سترابو⁽²⁾ Theoderic Strabo⁽³⁾ وذلك بعد أسابيع من تولية العرش، أن قام هو بالاتصال بثيودريك بن ثيوديمير قائد القوط الشرقيين في مدينة نونفا لمساعدته في القضاء الثورة في مقابل وعده براتب سنوي كبير، وأن ينعم عليه بمنصب قيادة الجيش الإمبراطوري، وأن يوافق زينون على إقامته هو وشعبه في الأراضي التي استولوا عليها مؤيذا السلفي Lower Moesae فوافق ثيودريك بن ثيوديمير واستطاع زينون العودة إلى عرشه، وقضى على الثوار بقيادة باسيليسكوس في نهاية

(1) Candidus of Isaurian: In The Fragmentary Classicising Historians of the Later Roman Empire, vol, 2, Trans, Blockley, Roger C (Francis Cairns. 1983), p. 471 ; See Also, Oman: The Dark Ages, p. 38.

(2) ثيودريك سترابو: هو ثيودريك بن القائد ترياريوس Triarius قائد القوط في تراقيا وكان يلقب أيضاً بثيودريك سترابو Strabo أو ثيودريك الأحول Squinter، ويعد ثيودريك سترابو ابن شقيقة زوجة أسبار، ومن ثم يكون أسبار بمثابة العم له، وقد قام قواط تراقيا تحت قيادة ثيودريك سترابو بالكثير من النهب والسلب لأراضي الإمبراطورية التي كانت تحالفهم أحيانا مقابل خدمتهم لها، وفي عام 481م قام ثيودريك بالإغارة على بلاد اليونان ولكن توفي ثيودريك سترابو بسبب سقوطه من فوق جواده على رمح كان مغروساً وسنه لأعلى أمام خيمته وأصابه في جنبه الأمر الذي أدى إلى وفاته عام 481م. انظر:

Evagrius: The Ecclesiastical History, P. 160; Theophanes: The Chronicle of Theophanes The Confessor, Byzantine and Near Eastern History AD 284-813, Trans by Mango, C. & Scott, R., (Oxford. 1997), p. 194;

انظر أيضاً، مصطفى الروبي: الإمبراطور زينون، ص 75-76.

(3) Candidus of Isaurian: Fragmentary, vol, 2, p. 467 ; Herwig Wolfram, The Roman Empire and its Germanic peoples. Translated by Thomas Dunlap. Berkeley: University of California Press, 1997, pp. 199-200;

انظر أيضاً، أحمد غانم حافظ: الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، دار المعرفة الجامعية، 2007، ص 181-182؛ مصطفى الروبي: الإمبراطور زينون، ص 61.

أغسطس عام 476م⁽¹⁾. وبذلك أصبح هناك تحالف بين القوط الشرقيين بقيادة ثيودريك والإمبراطور زينون.

كما ساعد ثيودريك بن ثيوديمير الإمبراطور زينون في القضاء على ثورة إيللوس Illus في أنطاكية، وذلك بعد أن اتفق مع زينون على أن يصبح قنصلاً وسيداً للجند، وأن يحصل هو وقومه على منطقة يعيشون فيها في إقليم داكيا ومؤيزيا Moesia⁽²⁾، وبذلك تتضح نية ثيودريك الذي أراد أن يؤسس لنفسه ولقومه موطناً آمناً يقيمون فيه؛ إلا أن ثيودريك لم يقتنع بهذا المقابل خاصة بعد زيادة عدد القوط وزيادة متطلباتهم مع حدوث فترة من الجفاف مما يهدد بحدوث مجاعة لهم لذا أخذ يطلب المزيد، فقام في عام 486م بعمليات سلب ونهب واسعة واستولى على مدينة ريجيوم Regium في تراقيا وخرب الأراضي المجاورة لها، كما فرض حصاراً شديداً على القسطنطينية نفسها وقطع المياه التي تغذيها عام 487م⁽³⁾.

وبذلك أصبح ثيودريك مصدر ازعاج وقلق للإمبراطور زينون، الذي لم يكن أمامه حلاً سوى التخلص منه، وأن يبعده نهائياً عن القسطنطينية، وقد فكر زينون أن يضرب قوة ثيودريك بقوة أدواكر في إيطاليا، لذلك عهد زينون إلى ثيودريك بالتوجه -مع قومه- إلى إيطاليا بهدف تخليصها من أدواكر⁽⁴⁾،

(1) مصطفى الروبي: الدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور زينون، ص 61-62.

(2) Theophanes: The Chronicle of Theophanes The Confessor, p.201;

انظر أيضاً، مصطفى الروبي: الإمبراطور زينون، ص 77.

(3) John of Antioche: Fragments, in The Age of Attila, P. 181; Malalas: Chronicle, p.

212; Theophanes: The Chronicle of Theophanes The Confessor, p.201;

انظر أيضاً، مصطفى الروبي: الإمبراطور زينون، ص 78-79.

(4) Anonymus Valesianus: Excerpta Valesiana, recensuit Jacques Moreau

(Bibliotheca Scriptorum graecorum et romanorum Teubneriana), Editionem correctiorem curavit Velizar Velkow, (Leipxic, 1968), p.14; Gordon: Age of Attila, p.129

وذلك حتى يبعده عن البلقان، ويتخلص من عبث قومه⁽¹⁾، ويؤكد سلطة الإمبراطورية الرسمية على إيطاليا حيث إن أدواكر قد بدأ في توطيد استقلاله عن الإمبراطورية⁽²⁾، ولا بد أنه أراد بإحداث الصدام بين ثيودريك وأدواكر، أضعاف الجانبين وشغلهم عن دولته⁽³⁾. ولكن الملك ثيودريك وجدها فرصة مناسبة جدا للقوط الشرقيين لتأسيس مملكتهم الذين يحلمون بها.

وبالفعل بموجب الاتفاق السابق غادر ثيودريك مقر إقامته في مدينة نوفاي Novae مع جميع أفراد قومه وتجهوا نحو إيطاليا الخصبة، وكان ذلك في أواخر فصل الخريف عام 488م⁽⁴⁾، ووصل القوط إلى الأراضي الإيطالية بعد عبورهم جبال الألب الجوليانية ذلك في شهر يوليو 489م⁽⁵⁾. ودخل ثيودريك في العديد من المعارك الطاحنة مع أدواكر واستطاع هزيمته في معركة نهر ايسونزو Isonzo ومعركة فيرونا⁽⁶⁾، وفر أدواكر إثر هزيمته إلى مدينة رافنا⁽⁷⁾، أما ثيودريك الذي واصل زحفه حتى استسلمت له مدن مثل فيرونا وميلان Milan⁽⁸⁾. وقد انتهى أمر أدواكر بحصاره في مدينة رافنا 492م؛ حيث ضرب ثيودريك حصارا برياً وبحرياً على المدينة، مما أدى إلى استسلامها وتفاوض

(1) عاشور: أوروبا، ج 1، ص 86.

(2) فشر: أوروبا، ج 1، ص 33.

(3) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 38.

(4) Anonymus Valesianus: Excerpta Valesiana, p. 14; Bradley: The Goths, P145; Hodgkin: Italy, vol.3. P.181.

(5) Hodgkin: Theoderic the Goths, P. 115.

(6) Anonymus Valesianus: Excerpta Valesiana, pp14-15; Bradley: The Goths, P147; Hodgkin: Italy, vol.3. P.191;

انظر أيضاً، عاشور: أوروبا، ج 1، ص 86؛ عمران: معالم تاريخ أوروبا، ص 99؛ إيهاب صديق حميدة العربي: مملكة القوط الشرقيين في شبه الجزيرة الإيطالية، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية النبات للآداب والعلوم والتربية جامعة عين شمس 2011، ص 153-155.

(7) Anonymus Valesianus: Excerpta Valesiana, p. 15; Bradley: The Goths, P147.

(8) Hodgkin: Italy, vol.3. P.196.

أدواكر على الصلح مع ثيودريك، وبمقتضى الصلح الذي تم بينهما دخل ثيودريك رافنا مارس 493م، وبذلك نجح الملك ثيودريك في تأسيس مملكة للقوط الشرقيين بإيطاليا في ظل تبعية اسمية للإمبراطورية الشرقية⁽¹⁾.

* نشأة مملكة الفرنجة في غالة :

يُعد الفرنجة أحد العناصر الجرمانية الغربية، وقد ورد أول ذكر للفرنجة في القرن الثالث الميلادي، وكان المؤرخ فلافيوس فويسكوس Flavius Vopiscus من أوائل الكتاب الذين ذكروا الفرنجة، إذ سجل في كتابه Divus Aurelinus أن الإمبراطور الروماني أورليان Aurelian (270-275م) قاتل الفرنجة Franks في مقاطعة مينز Mainz. وأقدم ذكر للفرنجة موجود في نقش Chamvi qui et Franci في Peutinger table⁽²⁾، ويؤكد هذا النقش أن الفرنجة استقروا شمال الراين الأدنى (المقابل لجزيرة باتافي Batavi بين نهري الشيلت والراين)⁽³⁾.

وقد ذكر جريجوري التوري أن أول ظهور للفرنجة كان بظهور زعمائهم الأوائل وهم جينوبود Genoboud، وماركومير Marcomer، وسونو Sunno الذين هاجموا مدينة كلوني⁽⁴⁾ Cologne وهزموا قوات الإمبراطورية الرومانية، وذبخوا العديد من الأهالي⁽⁵⁾.

(1) Anonymus Valesianus: Excerpta Valesiana, p. 16; Hodgkin: Theoderic, P.123; Bradley: The Goths, P150.

(2) Encyclopaedia Britannica, vol. 9, p. 808.

(3) عمران: معالم تاريخ أوروبا، ص 87؛ محمود القيسي: العلاقات الخارجية للدولة الكارولنجية، ص 22.

(4) كلوني: هي مدينة في جمهورية ألمانيا الاتحادية حالياً، وتقع على الضفة الغربية لنهر الراين وهي ميناء نهري، وأصبحت مستعمرة رومانية عام 50م، وأصبحت مقراً شعبياً في القرن الرابع الميلادي ثم رفعها شارلمان إلى مقر رئيس الأساقفة في عام 785م ولعب رؤساء أساقفتها دوراً سياسياً كبيراً. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, pp.190-91.

(5) Gregory of Tours: Franks, P.27

وينقسم الفرنجة إلى فرعين هم: البحرىون أو الساليون Salians نسبة إلى نهر السال، والبريون أو الريبواريون Repuarians. وتشترك هاتان المجموعتان باللغة والعادات، إلا أن كلاً منها مؤلف من مجموعات قبلية منفصلة، تتوحد أحياناً تحت قيادة زعيم واحد، ثم سرعان ما تتفرق بعد نهاية الحرب⁽¹⁾. وكان الفرنجة يعيشون في القرن الثالث على امتداد الجزء الأوسط من الحدود الرومانية على الضفة الشرقية لنهر الراين. وقد اشتملت أراضيهم على ثورنجيا وما يليها من الأراضي⁽²⁾.

وعلى مدى ثلاثين عاماً منذ أواسط القرن الثالث الميلادي، تغلغل الفرنجة في بلاد الغال، قبل أن ينجح الإمبراطور الروماني بروباس⁽³⁾ probus (276-282م) في إيقاف زحفهم واستعادة المدن التي احتلوها وإبعادهم نحو شرق الراين⁽⁴⁾. ومنذ أواسط القرن الرابع الميلادي، انطلق الفرنجة في غزوتهم الثانية لبلاد الغال، وتمكنوا من التمرکز في المنطقة المعروفة باسم توكساندريا Toxandria (شمال بلجيكا الحالية) الواقعة بين نهري الميز Meuse والشيلدت Scheldt سنة 358م. ولعجز قوات الإمبراطورية عن إزاحتهم قرر الإمبراطور

(1) الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص 148؛ محمود القيسي: العلاقات الخارجية للدولة الكارولنجية، ص 22؛

Encyclopaedia Britannica, vol. 9, p. 808.

(2) Gregory of Tours: Franks, P.31؛

انظر أيضاً، عليّة الجنزوري: جريجوري التوري، ص 80؛ محمود القيسي: العلاقات الخارجية للدولة الكارولنجية، ص 23.

(3) الإمبراطور بروبوس: تولى الإمبراطور ماركوس أورليوس بروبوس عرش الإمبراطورية بعد اغتيال الإمبراطور تاكيتوس، وكان بروبوس جندياً قديراً من أصل الليري، وبدأ عهده بتحرير بلاد الغال من الفرنجة والألماني، وأضاف سلسلة من الحصون على ضفاف نهر الراين الشرقية. للمزيد انظر: الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص 384.

(4) الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص 384؛ محمود القيسي: العلاقات الخارجية الكارولنجية، ص 24.

قسطنطيوس⁽¹⁾ (336-360م) الإفادة من الأمر الواقع، فعقد معهم معاهدة تحالف foederati لمواجهة غزوات القبائل الجرمانية الأخرى. ومن الواضح أنَّ مسلك الإمبراطور على هذا النحو، حقق للفرنجة الحصول على أول وطن استقروا فيه داخل أراضي الإمبراطورية الرومانية. وقد ساعد ذلك على وصول بعض قادة الفرنجة الذين خدموا الإمبراطورية إلى مراتب عليا في الإمبراطورية، فمنهم من وصل إلى قواد الفرسان وحكام الأقاليم كما وصل البعض منهم إلى منصب القنصلية، والبعض الآخر إلى مرتبة الأوغسطس⁽²⁾.

ويمكن القول إن الفرنجة خلال تلك الفترة وطدوا كياناتهم تحت قيادة ملكهم كلوديو Chlodio (نحو 428-448م) الذي انتصر على القوات الإمبراطورية، واستولى على مدينة كامبريا Cambria عام 438م، ثم استولى على البلاد الواقعة على نهر السوم⁽³⁾ Somme غرباً، واتخذ من مدينة

(1) الإمبراطور قسطنطيوس: بعد وفاة الإمبراطور قسطنطين الكبير قسمت الإمبراطورية بين أبنائه، قسطنطينوس الثاني الذي تولى حكم الولايات الغربية وقسطنطيوس الذي تولى الشرق وكونستانس الذي تولى حكم الليريا وإفريقيا والليريكوم، واستطاع قسطنطيوس توحيد الإمبراطورية تحت قبضته وحكمه بمفرده عام 353م، واستطاع رد الغزاة الفرنجة والألماني عن الدانوب والراين، كما حالف الفرنجة وجعل منهم foederati، وقد توفي قسطنطيوس فجأة في طرسوس بآسيا الصغرى عام 360م. انظر الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص 454-456.

(2) Gregory of Tours: Franks, p. 35 ;

انظر أيضاً، كرسوفر دوسن: تكوين أوروبا، ترجمة محمد مصطفى زيادة وسعيد عاشور، مؤسسة سجل العرب، القاهرة 1967، ص 104؛ أدوار بروي وآخرون، القرون الوسطى (تاريخ الحضارات العام)، م 3، ط 1، بيروت، منشورات عويدات، 1986، ص ص 27-28؛ الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص 151؛ محمود القيسي: العلاقات الخارجية الكارولنجية، ص 24.

(3) نهر السوم: ينبع نهر السوم من وسط بلاد الغال، ويمتد مجراه شمالاً ليصب في بحر المانش Manche. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.727.

تورناي⁽¹⁾ Tournai عاصمة له⁽²⁾. وبذلك يمكن القول إن كلوديو وضع اللبنة الأولى لمملكة الفرنجة.

وقد خلف الملك كلوديو على عرش الفرنجة بعد وفاته الملك ميروفتش Merovech (448-456م)، الذي تنتمي إليه الأسرة الميروفنجية، وبرز اسمه خلال تصدي الفرنجة والرومان لموجة الهون بقيادة أتيلا (445-453م)، ويروي المؤرخ جوردان أن الفرنجة بقيادة ميروفتش حاربوا بشجاعة فائقة جديرة بأصلهم⁽³⁾. وقد توفي الملك ميروفتش سنة 456م، فخلفه ابنه الملك شلدريك Cheldric (456-481م)، وكان حاكماً نشيطاً، حافظ على صلة قومه بالإمبراطورية، وساعد القائد الروماني بول Powl في قتال السكسون Saxon⁽⁴⁾. وفي الوقت ذاته، اتبع شلدريك سياسة توسعية، فتقدم نحو اللوار، واستولى على أنجرز Angers على سواحل الغال، بعد طرد السكسون⁽⁵⁾.

(1) تورناي: تقع في شمال غرب الغال، استولى عليها يوليوس قيصر أثناء حروب الغال، ثم استولى عليها كلوديو ملك الفرنجة واتخذها عاصمة لمملكته الناشئة. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.791.

(2) Gregory of Tours: Franks, P. 31 ;

انظر أيضاً، عمران: معالم تاريخ أوروبا، ص 87؛ فاطمة الشناوي: معركة سواسون عام 486م، مجلة كلية الآداب جامعة حلوان، العدد 22 لسنة 2007، الجزء الثاني، ص 874-875.

(3) Jordanes: The Gothic, p. 112;

انظر أيضاً، الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص 153.

(4) Fredegar: III, MGH SRM II,: pp.97-8 ; Jane Ellen Woodruff: The "Historia epitomata" (third book) of the "Chronicle" of Fredegar: an annotated Translation and historical analysis of interpolated material, Ph. D. University of Nebraska-Lincoln 1987, pp.24-5;

انظر أيضاً، محمود القيسي: العلاقات الخارجية للدولة الكارولنجية، ص 24؛ فاطمة الشناوي: معركة سواسون، ص 876.

(5) Gregory of Tours: Franks, P. 35.

خلف كلوفس⁽¹⁾ Clovis (481-511م) والده شلدريك على عرش الفرنجة، وكان في السادسة عشر من عمره، وقد حاول كلوفس توطيد وضع مملكته الناشئة فبدأ أول نشاطه في غالة بتوجيه ضربة ساحقة لسياجريوس Siagrius⁽²⁾ الذي كان يمثل الأرستقراطية الرومانية القديمة، حيث كان سياجريوس يحكم مملكة تضم كلا من ريميس، سانس Sens، تروي Troyes وشالون⁽³⁾ واوكسير Auxerre، ويتخذ من سواسون Soissons⁽⁴⁾ عاصمة له، وبذلك سيطر سياجريوس على الأراضي التي تمتد من سواسون في الشرق إلى

(1) اسمه الفرنجي Chlovech ويعني المحارب أو القس البارز Renowned Priest or Warrior للمزيد انظر:

Gregory of Tours: Franks, P. 35.

(2) سياجريوس: هو ابن أجيدوس Aegidius الحاكم الروماني في بلاد الغال، وقد حكم أجيدوس بلاد الغال بتفويض من الإمبراطور ماجوريان (461-457م) واستقل بعد وفاة ماجوريان واتخذ من مدينة سواسون عاصمة له، وقد دخل أجيدوس في صراع مع ثيودريك الثاني (453-466م) ملك القوط الغربيين انتهى بمقتله، وتولى سياجريوس الحكم بعد وفاة أبيه... للمزيد انظر

Priscus of Panium: Fragmentary, p.343; Gregory of Tours: Franks, P. 36; Woodruff: The Third book of the Chronicle of Fredegar, p.24.

(3) شالون: مدينة فرنسية تقع على نهر المارن Marne في الشمال الشرقي من باريس، وتبعد نحو 43 كم من مدينة ريميس، وقعت بها معركة شالون سنة 451م بين الرومان والهون. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.165.

(4) سواسون: مدينة فرنسية تقع في الشمال الشرقي من باريس وهي عاصمة لمقاطعة Aisne وتبعد 3 كم جنوب غرب لاوون laon وهي أسقفية وبها أسوار مزينة بالنباتات العربية وفيها كاتدرائية من القرن السابع، أقيمت على أنقاض قصور ميروفتجية. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.727.

حدود بريتاني (1) Bretagne في الغرب ومملكة القوط الغربيين في الجنوب، وهي مساحة شاسعة تمثل وسط بلاد الغال ذات الأهمية الاستراتيجية في تلك الفترة (2). وعلى هذا الأساس سعى الملك كلوفس لحشد قواته والقضاء على سياجريوس، وقام كلوفس بالتحالف مع راجناشار (3) Ragnachar ملك كامبري، وسار إلى سواسون عاصمة سياجريوس وأنزل به هزيمة ساحقة، وبذلك قضى كلوفس على آخر أثر للسلطة الرومانية في الغرب في معركة سواسون Bataille De Soisson سنة 486م (4).

(1) بريتاني: Bretagne أو Britaney ويطلق عليها إقليم أرموريكا أيضاً، يحدها من الغرب المحيط الأطلنطي، ومن الشمال بحر المانش ونورمنديا، ومن الجنوب بواتو Poitou ومن الشرق مملكة الفرنجة، وعاصمتها هي مدينة ران Rennes. وتنقسم بريتاني إلى بريتاني العليا وبريتاني السفلى، وجبالها قليلة الارتفاع، وأنهارها كثيرة. استوطنتها قبائل الكلث في أواخر القرن الخامس الميلادي، سيطر عليها الرومان عام 56 ق.م واستمرت سيطرتهم عليها حتى القرن الخامس الميلادي. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.127; Marie Nicolas Bouillet: Dictionnaire universel d'histoire et de géographie, (paris 1872), pp. 282-3

(2) Gregory of Tours: Franks, P. 36 ;

انظر أيضاً، فاطمة الشناوي: معركة سواسون، ص 880-881.

(3) راجناشار: هو ملك كامبري Cambrai وهو من أقارب كلوفس، وكان قد اصطحبه معه أثناء محاربة سياجريوس، وقد قتله كلوفس هو وإخوته فيما بعد واستولى أراضيهم وثرواتهم... للمزيد انظر:

Gregory of Tours: Franks, PP.49-50;

انظر أيضاً، عليّة الجنزوري: جريجوري التوري، ص 111؛ عمران: جريجوري التوري، ص 43-44.

(4) Gregory of Tours: Franks, P. 36 ;

انظر أيضاً، عليّة الجنزوري: جريجوري التوري، ص 88؛ عمران: جريجوري التوري، ص 26؛ فاطمة الشناوي: معركة سواسون، ص 882، 887.

بعد القضاء على سياجريوس قام كلوفس بنقل عاصمته إلى باريس⁽¹⁾، واستطاع كلوفس أن يوسع سيطرته على أنحاء بلاد الغال كلها فيما عدا برجنديا Burgundy وسبتمانيا⁽²⁾ Septimania وبروفانس Provence⁽³⁾، وبذلك مهد السبيل لقومه للانتشار فوق الجهات الشمالية من غالة، وبذلك نجح الملك كلوفس في تأسيس مملكة للفرنجة في بلاد الغال.



خريطة رقم (2) مدن غالة في العصر الميروفنجي

نقلاً عن : سعيد عاشور : تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ج1 ، ص 150 .

(1) Gregory of Tours: Franks, P. 36 ;

انظر أيضاً، ديفز: أوروبا، ص 42؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 188.
(2) سبتمانيا: هي منطقة ساحلية تمتد من جبال البرانس غرباً إلى مصب نهر الرون شرقاً، سميت بذلك الاسم لأنها تشمل سبع مدن وهم نيم وناربون واجديا ويرييه ولوديف وكركصون وعاصمتها مدينة ناربون. وتسمى أيضاً المقاطعة الناربونية أو بلاد الغال الناربونية وجوئية أو القوطية انظر: إينهارد: سيرة شارلمان، حاشية ص 113؛ نجاة محمد أحمد: السياسة الخارجية لشارلمان لمملكة الفرنجة في عهد شارلمان، حاشية ص 56.

(3) محمود القيسي: العلاقات الخارجية للدولة الكارولنجية، ص 25.

* نشأة مملكة اللمبارديين في إيطاليا :

يري البعض أن اللمبارديين ينتمون إلى مجموعة الشعوب الجرمانية الغربية، في حين يرى آخرون أنهم ينتمون إلى مجموعة الشعوب الجرمانية الشمالية⁽¹⁾، وقد هاجر اللمبارديون من شبه جزيرة اسكنديناوة في القرن الأول أو الثاني قبل الميلاد تحت قيادة الزعيمان آيبور Ibor وآيوا Aio إلى إقليم سكورينجا Scoringa على الضفة اليسرى لنهر الألب Elb إذ استقروا به بضع سنين⁽²⁾، ثم تحركوا منه إلى منطقة هولشتين Holstein أو مكلنبورج Mecklenburg على الضفة اليمنى لهذا النهر⁽³⁾.

ثم تحرك اللمبارديون جنوباً مرة أخرى إلى منطقة الدانوب الأوسط، وذلك زمن الإمبراطور ماركوس أورليوس (161-180م)، حيث قاموا بعبور نهر الدانوب إلى بانونيا على عهد هذا الإمبراطور، ولكن القائد الروماني فيندكس⁽⁴⁾ Vindex أذاقهم هزيمة ساحقة ارتدوا على أعقابها عن بانونيا، ثم

(1) Dudden, (H): Gregory The Great, In Two Volumes, Vol. I. (London, 1905), pp. 80-1;

انظر أيضاً، الحويري: اللمبارديون في التاريخ والحضارة (568-774م)، القاهرة دار المعارف، ط 1986، ص 30-31؛ أحمد محمد محمود عبد الله: اللمبارديون في إيطاليا (568-774م)، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب جامعة حلوان، ص 32.

(2) Paul the Deacon: Langobards, pp. 3-11;

أحمد محمد محمود عبد الله: اللمبارديون في إيطاليا، ص 32.

(3) Dudden: Gregory The Great, Vol. I, pp. 80-1;

انظر أيضاً، الحويري: اللمبارديون، ص 10؛ أحمد محمد: اللمبارديون في إيطاليا، ص 32.

(4) يوليوس فيندكس: قائد روماني تولى قيادة الجيش في منطقة بلاد الغال في أواخر عام 67م وفي بداية عام 68، وقد تزعم ثورة قامت ضد الإمبراطور نيرون، ولكن انتهت الثورة بالفشل وقُتل فيندكس. انظر: الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص 169.

أنفذوا سفارة إلى آيلوس باسوس Aelius Bassus حاكم بانونيا نجحت في عقد اتفاقية سلام وحسن جوار معه⁽¹⁾.

ومما يسترعي الانتباه أن المصادر التاريخية الرومانية والإغريقية تقف منذ ذلك التاريخ صامته إزاء أحداث اللمبارديين لفترة تربو على ثلاثمائة سنة (166-508م)، وهي فترة معتمة من تاريخهم تعرقل أي محاولة تستهدف تتبع تجوالهم الغامض وسط جموع البربر الصاخبة. وليس بإمكان الباحث سد فراغ هذه الفترة الطويلة واستجلاء أحداثها إلا من كتاب (بولس الشماس - تاريخ اللمبارديين).

ويروي بولس الشماس ترتيب الملوك اللمبارديين بعد وفاة الزعيم آيور وآيوا، وأن اللمبارديين اختاروا أجيلموند Agelmund بن آيوا ملكاً عليهم الذي قادهم إلى مناطق جديدة، وأنه أول من حمل لقب ملك، لأن من جاءوا قبله كانوا زعماء فحسب⁽²⁾، ثم حكم من بعده لاميسيو Lamissio، ثم خلفه ليثو Lethu الذي حكم أربعين سنة، وأتى من بعده ابنه هليديوك Hildeoc، ثم جوديوك Gudeok الذي كان ترتيبه الخامس في قائمة ملوك اللمبارد⁽³⁾. وفي عهد الأخير تحرك اللمبارديين من جديد، وواصلوا سيرهم حتى بلغوا أراضي الروجيين Rugii الواقعة على الضفة اليسرى لنهر الدانوب (مورافيا)، فاستولوا عليها⁽⁴⁾.

(1) Hodgkin: Italy, vol.V.P.88; Dudden: Gregory The Great, Vol. I,p.82-3;

انظر أيضاً، الحويري: اللمبارديون، ص14؛ أحمد محمد: اللمبارديون في إيطاليا، ص36-37.

(2) Paul the Deacon: Langobards,pp.24-26; Hodgkin: Italy, vol.V.P. 94;

انظر أيضاً، الحويري: اللمبارديون، ص19.

(3) Paul the Deacon: Langobards,p.30;

انظر أيضاً، الحويري: اللمبارديون، ص21؛ أحمد محمد: اللمبارديون في إيطاليا، ص43.

(4) Paul the Deacon: Langobards,p.33; Hodgkin: Italy, vol.V.P. 97; Gregory The Great, Vol. I, p.83;

انظر أيضاً، الحويري: اللمبارديون، ص21.

بعد وفاة جوديوك خلفه على العرش ابنه كلافو Claffo، وبعد وفاته خلفه ابنه تاتو Tato الذي غادر أرض الروجيين إلى منطقة فيلد Feld تقع بين نهري تيس Theiss والدانوب، وقاد الحرب ضد الهيرولي⁽¹⁾ Heruli، وأحزر عليهم انتصاراً ساحقاً نحو 508م، وبدأ اللمبارديون يمارسون دوراً مهماً وأكثر وضوحاً من ذي قبل على مسرح أحداث تاريخ أوروبا العصور الوسطى⁽²⁾.

استولى الملك واكو Waccho (510-540م) على العرش بعد الإطاحة بعمه تاتو⁽³⁾، وقد أثبت واكو جدارته في الحكم، إذ استطاع أن ينشر الأمن والاستقرار في أرجاء المملكة، التي بلغت خلال عهده الطويل البالغ ثلاثين عاماً درجة من القوة والبأس، جعلت زعماء القبائل الجرمانية في المناطق المجاورة يخطبون ودها، ويسعون إلى التحالف معها⁽⁴⁾. وعلى هذا الأساس تحالف واكو مع الكثير من زعماء الجرمان، فقد أرسل إليه ويتجيز⁽⁵⁾ Witigis (536-540م)

(1) الهيرولي: من أكثر القبائل الجرمانية تجولاً، حيث تجولت في جميع أنحاء أوروبا تقريباً، وظهروا على نهري الدنيستر والراين. ونهبوا اليونان وإسبانيا. ويعتقد هودجكين أن قبيلة الهيرولي انقسمت إلى قبيلتين أحدهما انتقلت من شواطئ بحر البلطيق إلى شواطئ البحر الأسود، والأخرى استقرت في نهاية المطاف على نهر الراين. واستقر الفرع الشرقي في هنغاريا على الضفة الشرقية لنهر الدانوب أثناء نضالهم مع اللمبارديين. للمزيد انظر:

Hodgkin: Italy, vol.V.PP. 103-104.

(2) Paul the Deacon: Langobards,p.33; Hodgkin: Italy, vol.V.P. 97;

انظر أيضاً، الحويري: اللمبارديون، ص 21؛ أحمد محمد: اللمبارديون في إيطاليا، ص 43.

(3) Paul the Deacon: Langobards,p.38; Hodgkin: Italy, vol.V.P. 117;

انظر أيضاً، الحويري: اللمبارديون، ص 21؛ أحمد محمد: اللمبارديون في إيطاليا، ص 50.

(4) الحويري: اللمبارديون، ص 29-30؛ أحمد محمد: اللمبارديون في إيطاليا، ص 50.

(5) ويتجيز: تولى ويتجيز حكم القوط الشرقيين بعد عزل الملك ثيوداهات عام 536م، نظر لما تمتع به من كفاءة وخبرة عسكرية تؤهله لتولي مقاليد الحكم، وقد اكتسب ويتجيز شهرة عسكرية كبيرة أثناء حرب ثيودريك ضد قبائل الجيبيداي، التي انتهت باستيلاء القوط على مدينة سيرميوم عام 504م. انظر: بروكوبيوس القيصري: الحروب القوطية، ترجمة عفاف سيد صبره، القاهرة، 1986، ج 1، ص 83-84.

ملك القوط الشرقيين بإيطاليا سفارة يعرض عليه مبالغ ضخمة، مقابل الدخول معه في حلف ضد الإمبراطورية البيزنطية، وذلك أثناء حصار القائد بليزاريوس لإيطاليا، ولكن رفض واكو، لأنه ارتبط مع الإمبراطور جستنيان (527-565م) بعلاقات وطيدة، بوصفه حليفاً (معاهداً) للإمبراطورية البيزنطية⁽¹⁾.

وقد دخل الملك واكو في العديد من التحالفات السياسية عن طريق الزواج، فقد تزوج ثلاث زوجات، فكانت الأولى تدعى رانكيندا Ranicunda ابنة ملك الثورنجيين، كما تزوج أوستريجيثا Austrigusa ابنة ملك الجيبيدي، التي أنجبت له بنتان، الأولى تدعى وزجارد Wisegarda⁽²⁾، التي تزوجت "ثيودبرت الأول" (نحو 534-548م)، ملك الفرنجة⁽³⁾، والثانية تدعى والديرادا Walderada، التي تزوجت ثيودوبلد الأول Theudebald I (نحو 548-555م) ملك الفرنجة⁽⁴⁾، وسوف يأتي الحديث عنهم بالتفصيل فيما بعد، أما زوجته الثالثة فهي سالينجا Salinga ابنة ملك الهيرولي، ومنها أنجب ابنه والتاري Walthari (540-546م)⁽⁵⁾.

وعندما توفي واكو عام 540م، خلفه على العرش ابنه والتاري تحت وصاية المحارب أودوين Audoin، ولكن والتاري لم يعيش طويلاً، إذ تُوفي بعد حكم

(1) Procopius of Caesarea: History of the Wars, Books I and II (Persian wars), In six Volumes, eng. Trans Dewing, (H.B.), vol.1, (London. 1913), p.265; Hodgkin: Italy, vol.V.P. 119-120; Dudden: Gregory The Great, VOL. I.p.85-6; انظر أيضاً، الحويري: اللبارديون، ص 29-30؛ أحمد محمد: اللبارديون في إيطاليا، ص 51.

(2) Paul the Deacon: Langobards, p.40; Hodgkin: Italy, vol.V.P. 120.

(3) Gregory of Tours: Franks, P.66; Paul the Deacon: Langobards, p.40; Hodgkin: Italy and her Invaders, vol.V.P. 120.

(4) Gregory of Tours: Franks, P.78; Hodgkin: Italy, vol.V.P. 120.

(5) Paul the Deacon: Langobards, p.40; Hodgkin: Italy, vol.V.P. 120.

دام سبع سنوات، اختار اللمباردين أودوين (546-565م) ملكاً عليهم⁽¹⁾، ويعتبر عهده من أبرز عهود مملكة اللمباردين، حيث ازدادت العلاقات والروابط بين اللمباردين وبين الإمبراطورية البيزنطية متانة أكثر من ذي قبل، على سبيل المثال عندما استعان بهم الإمبراطور جستنيان في حربه ضد القوط الشرقيين في معركة تاجيناي سنة 552م، ونتيجة لمساعدتهم الإمبراطور جستنيان أن سمح لهم بالإقامة في إقليم بانونيا⁽²⁾.

تولى الملك ألبوين Alboin (565-572م) عرش المملكة بعد وفاة أبيه أودوين، وفي عهده قرر اللمبارديون الرحيل عن بانونيا، وفي أبريل عام 568م، انطلقت الجموع اللمباردية إلى إيطاليا بقيادة ألبوين رجالاً ونساء وأطفالاً، ومعهم عبيدهم وماشيئهم وعرباتهم⁽³⁾.

لم يسلك ألبوين الطريق الذي سلكه آلاريك ملك القوط الغربيين عام 410م إلى إيطاليا، إذ اقتحمها من أضعف نقطة بها، وهي الجهة الشمالية الشرقية، وكان أن زحف ألبوين واجتاز جبال الألب الجوليانية عبر ممر برديل، ثم واصل زحفه عبر التلال إلى أن ظهرت إيطاليا أمامه حتى وصل إلى سهول البندقية، ولم يصادف أي مقاومة تذكر⁽⁴⁾، ثم واصل تقدمه حتى استولى على

(1) Paul the Deacon: Langobards, p.40-1; Hodgkin: Italy, vol.V.P. 119; Dudden: Gregory The Great, Vol. I, p. 86;

انظر أيضاً، الحويري: اللمبارديون، ص30؛ أحمد محمد: اللمبارديون في إيطاليا، ص51.

(2) Paul the Deacon: Langobards, p.41; Hodgkin: Italy, vol.V.P. 124;

انظر أيضاً، الحويري: اللمبارديون، ص30-31؛ أحمد محمد: اللمبارديون في إيطاليا، ص52.

(3) Gregory of Tours: Franks, P.95; Paul the Deacon: Langobards, p.62;

انظر أيضاً، الحويري: اللمبارديون، ص47.

(4) Dudden: Gregory The Great, VOL. I, p. 92;

انظر أيضاً، الحويري: اللمبارديون، ص48؛ أحمد محمد: اللمبارديون في إيطاليا، ص70.

البندقية Venice وفيرونا Verona وأكويليا Aquileia ، وأسس دوقية فريولي⁽¹⁾
Friuli⁽²⁾.

ثم واصل ألبوين زحفه على المدن الإيطالية في سهل البو Po⁽³⁾ ، فاجتاح في العام التالي 569م ولاية ليغوريا Liguria وميلان Milan⁽⁴⁾ ، وولاية الألب الكوتية ، وتمكن من إخضاع وادي نهر البو كله لسيطرته في سنة 570م ، دون أن يواجه أي مقاومة من الأهالي أو الحاميات البيزنطية. وفي العام التالي عبر ألبوين بجيوشه جبال الابنين حيث أمكنه الاستيلاء على توسكانيا Tuscany ، أمبريا Umbria ، بولونا Bologna ، وإيمولا Imola ، وفي العام نفسه استطاع نبيلان

(1) فريولي: منطقة تقع في الشمال الشرقي من إيطاليا، على الحدود الإيطالية اليوغوسلافية وتطل على البحر الادرياتيكي. انظر:

Moore, Encyclopedia of Places, p.291.

(2) Paul the Deacon: Langobards, p.71; Hodgkin: Italy, vol.V.P. 160; Dudden: Gregory The Great, VOL. I, p. 93;

انظر أيضاً، الحويري: اللمبارديون، ص48؛ أحمد محمد: اللمبارديون في إيطاليا، ص70.

(3) نهر البو: أطول الأنهار الإيطالية، يبلغ طوله نحو 417 ميلاً، وينبع من جبل فيزو Monte Viso في جبال الألب، ويتدفق شرقاً عبر الشمال الإيطالي، ويتجه نحو الجنوب الشرقي حتى يصل إلى مدينة تورين، وإلى الشرق منها يقترب من أطراف جبال الألب، ويجتاز سهل لمبارديا متجهاً إلى البحر الأدرياتيكي، حيث يصب فيه مشكلاً دلتا تكثر فيها البحيرات والمستنقعات، ويمر نهر البو على عدد من المدن الإيطالية المهمة مثل ميلانو وفيرونا وغيرها. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.625.

(4) Paul the Deacon: Langobards, p.79; Hodgkin: Italy, vol.V.P.161; Dudden: Gregory The Great, VOL. I, p. 94;

انظر أيضاً، الحويري: اللمبارديون، ص49؛ أحمد محمد: اللمبارديون في إيطاليا، ص71.

لمبارديان هما فارولد Farwald وزوتو Zorto إخضاع ولاية سبوليتو⁽¹⁾ Spolete بينما استولى الآخر على ولاية بنفتوم⁽²⁾ Benevent في جنوب إيطاليا وجعلها منهما دوقيتين قويتين⁽³⁾.

وحاصر ألبرين مدينة بافيا⁽⁴⁾ Pavia لمدة ثلاث سنوات (572-569م) حتى استولى عليها، وبسقوط بافيا فقدت الإمبراطورية البيزنطية ذاك الإقليم الذي عرفت سهوله منذ ذلك الحين بسهل لمبارديا⁽⁵⁾ Lombardi. ويعتبر سقوط هذه المدينة التاريخ الحقيقي لبداية حكم ألبرين في إيطاليا خاصة بعد أن اختارها

(1) سبوليتو: مدينة إيطالية عريقة في شرق إقليم اومبريا Umbria، كانت موطناً مهماً للقبائل الامبرية، تأسست عام 50م تقع على بعد 120كم شمال روما فيها مركز أسقفي وكاتدرائية كبيرة ومعبد الكونكورد وقصر الملك ثيودريك العظيم. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.741.

(2) بنفتوم: مدينة إيطالية تقع بنفتوم على بعد 220كم جنوب شرق روما. وهي عاصمة مقاطعة بنفتوم، تبعد 51كم عن نابولي، وهي أسقفية وبها كاتدرائية وأثار تعود إلى العصور القديمة والوسطى. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.94.

(3) Hodgkin: Italy, vol.V.PP.161-4; Dudden: Gregory The Great, Vol. I, p. 95; انظر أيضاً، الحويري: اللمبارديون، ص50-51؛ أحمد محمد: اللمبارديون في إيطاليا، ص72-73.

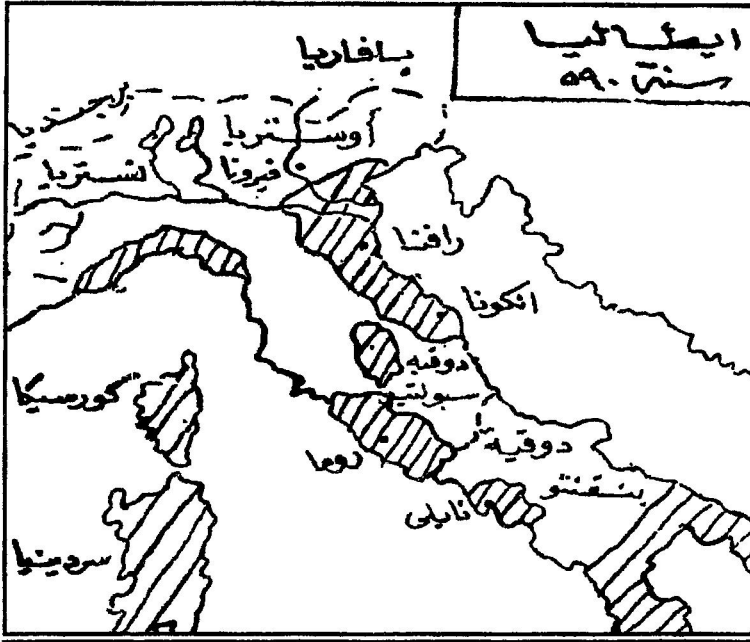
(4) بافيا: مدينة من أهم المدن الإيطالية، وكان يطلق عليها قديماً تسينوم Ticinum، عاصمة لمقاطعة تحمل نفس الاسم، وتقع المدينة على نهر التسينو Ticino، على مسافة 32ميلاً جنوب مدينة ميلان. انظر،

Moore, Encyclopedia of Places, p.567.

(5) لمبارديا: تقع لمبارديا في أقصى شمال إيطاليا، يحيط بها من جهة الشمال سويسرا، ومن الجنوب مقاطعة إيميليا روماجنا ومن الشرق مقاطعة فينتو، ومن الغرب مقاطعة بيدمونت وعاصمتها بافيا، وأهم ما يميزها مناظرها الطبيعية الخلابة التي تتمثل في جبالها وسهولها تلالها. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, pp.464-5.

عاصمة مملكته الجديدة، واتخذ لنفسه لقب (سيد إيطاليا) Lord of Italy⁽¹⁾.
وبذلك نجح الملك ألبوين في تأسيس مملكة للمباردين في شبه الجزيرة
الإيطالية.



خريطة رقم (3) إيطاليا عام 590م بين اللمباردين والبيزنطيين

نقلًا عن سعيد عاشور : تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ج1 ، ص 113 .

(1) Hodgkin: Italy, vol.V.PP. 162-3; Dudden: Gregory The Great, VOL. I,pp. 94-5;

انظر أيضاً، الحويري: اللمبارديون، ص 50.

لإيطاليا عام 590م بين اللمباردين والبيزنطيين، انظر خريطة رقم (3)

الفصل الثاني

"ظهور الزَّواج السياسي في الممالك الجرمانية"

- كلوفس وكلوتيلدا.
- ثيودريك العظيم وأودفيلدا.
- آلاريك الثاني وثيودوجوثا.
- سيجسموند وأوستر جوثا.

* كلوفس وكلوتيلدا:

يعلق المؤرخ إيان وود Ian wood على زواج كلوفس وكلوتيلدا Clotilda قائلاً: "إنَّ نفوذ كلوتيلدا على العلاقات بين الفرنجة والبرجنديين من الصعب تحديده"، إنَّ الاعتراف بهذا الزواج لا يمكن أن يكون فهمه أفضل من المفهوم التقليدي لزواج التحالف، وذلك بسبب طبيعة مصادرنا المتاحة⁽¹⁾.

أكثر المصادر المفصلة عن زواج كلوفس وكلوتيلدا عبارة مادة أسطورية سواء في تاريخ جريجوري التوري أو الإضافات الأخيرة لتاريخ فريديجار Fredegar أو المؤرخ المجهول وكتابه تاريخ الفرنجة Liber Historiae Francorum⁽²⁾. وقد ناقش كلٌّ من والتر جوفارت Walter Goffart، إيان وود Ian Wood، الكسندر كالندار Alexander Callander Murray، وروجر كولنز Roger Collins كل الاتجاهات الخرافية لهذه الأعمال على الرغم من فائدها في الوقت نفسه⁽³⁾. وقد أظهر عملهم روايات مخفية وأن هناك واقعاً أساساً للخروج من الخرافة، وأن هذه القصص يمكن أن تضيف شيئاً إلى فهمنا حقيقة الزواج،

(1) Wood: The Merovingian Kingdoms, p.43.

(2) Liber Historiae Francorum, In Monumenta Germaniae Historica Scriptores Rerum Merovingicarum (Hannoverae Impensis Bibliopolii Hahniani MDCCCLXXXVIII), edidit Bruno Krusch, Tomus II, (Hannoverae. 1888), p.256.

(3) Goffart: Narrators, p.10; Alexander Callander Murray: From Roman to Merovingian Gaul: a reader. (Readings in medieval civilizations and cultures,5) (Broadview Press, 1999), p.589; Wood: the Merovingian kingdom, p. 35; Roger Collins: Fredegar. Vol. 13 in Authors of the Middle Ages. Historical and religious writers of the Latin West, ed. Patrick J. Geary. (Brookfield, VT: Variorum, 1996), p.18.

وخاصة ما قصده هؤلاء المؤلفون في وقت لاحق على الرغم من أن التفاصيل على الأرجح لا يمكن الوثوق بها دائماً.

إن المفتاح لفهم هذا الزواج يكمن أولاً في ملاحظة كيف إن المصادر تميل لشرح ذلك الزواج وفقاً للتوقعات التقليدية للزواج السياسي، ثم كيف أن هذه المصادر أكدت أهمية المكانة والهيبة في الزواج؟، وأخيراً وضع هذا الزواج في سياق الصراع الداخلي الذي كان يشنه كلوفس ضد منافسيه الآخرين من الفرنجة، وليس في سياق شبكة مصاهرات ثيودريك الخارجية.

وقد وضعت سيرة ميخائيل روتشي Michel Rouche عن كلوفس تركيزاً كبيراً على الوضع الظالم بين كلوفس وكلوتيلدا، حيث أن كلوتيلدا أميرة برجنديّة، في حين كلوفس ليس أكثر من مجرد ملك سالي صغير⁽¹⁾، هذا ما دعا ميخائيل روتشي إلى دعوة زواج كلوفس وكلوتيلدا بأنه زواج من طبقة أعلى⁽²⁾.

كما أن المصادر التي لدينا تؤكد عدم رغبة جندوباد عم كلوتيلدا وولي أمرها في زواج كلوتيلدا إلى كلوفس، وقد وقع الزواج نحو عام 492 أو 494م وكان كلوفس لا يستطيع منافسة نفوذ جندوباد الذي كان حينئذ قائداً للقوات الرومانية في برجنديا. وبقرّب عام 508م كان كلوفس على الأقل يعادله، إن لم يكن قد تجاوز ذلك النفوذ عندما تولى القنصلية⁽³⁾ Counsilship

(1) Michel Rouche, Clovis (paris: fayard, 1996), p.229.

(2) Rouche: Clovis, p.241.

(3) منصب القنصلية: ظهر منصب القنصلية في العصر الجمهوري، وهى وظيفة عسكرية بالدرجة الأولى لأن حاملها كان يتمتع بالإمبريوم العسكري Imperium Militare المتمثل في تجنيد الجيش وقيادته خارج البلاد، كما كان يتمتع بالإمبريوم المدني Imperium Domi وهى سلطة مختصة بالقضاء والتشريع، والقنصلية من الوظائف الشرفية، لأن صاحبها لم يكن يتقاضى عنها راتباً أو أجراً خلال عمله، بل يكتفي بما يحصل عليه من امتيازات شرفية. للمزيد انظر: سيد أحمد على الناصري: الرومان من القرية إلى الإمبراطورية، القاهرة 1976، ص 105.

الشرفية من قبل الإمبراطور أنستاسيوس الأول⁽¹⁾ Anastasius I (491-518م).

في حين لا يذكر جريجوري التوري خبرة جندوباد في بلاط الرومان، كما أن عرضه لأسرة كلوتيلدا لا يؤكد سلالتها الملكية، ولكن أيضاً يعرض كلوفس خاتفاً للفرصة للوصول إلى بعض هذه المكانة حيث قال:

"الآن جنديوك Gundioc، ملك البرجندين من سلالة الملك أثناريك Athanaric المضطهد الذي سبق الحديث عنه. كان له أربعة أبناء هم جندوباد Gundobad وجوديجزل Godegisel وشلبريك Chilperic وجودمار Godmar. وقد قتل جندوباد شقيقه شلبريك بالسيف، وأغرق زوجته في المياه بوضع حجراً في رقبتها، وأبعد ابنتيه، الكبرى وتدعى كرونا Crona التي سلكت الرهبنة، والصغرى وتدعى كلوتيلدا. وإلى برجنديا كان كلوفس يرسل مبعوثيه من وقت إلى آخر، وقد شاهد هؤلاء المبعوثون كلوتيلدا ولاحظوا أنها فتاة صغيرة السن وذكية ولطيفة وأن الدماء الملكية تجري في عروقها، وقد أخبروا كلوفس بكل ما عرفوه، وعلى الفور أرسل كلوفس بعض الرسل إلى جندوباد يطلب الزواج منها، ولم يستطع جندوباد الرفض فوافق على الزواج، وسلم كلوتيلدا إلى مندوبي كلوفس فعادوا بها وقدموها لملكهم. ورغم أن كلوفس

(1) الإمبراطور أنستاسيوس: ولد أنستاسيوس عام 430م أو 431م، وتولى عرش الإمبراطورية البيزنطية بعد وفاة الإمبراطور زينون بمساعدة أريادن Ariadne أرملة زينون التي تزوجها فيما بعد، وقد تمكن أنستاسيوس من القضاء على النفوذ الإيسوري في الإمبراطورية وكسر شوكتهم بشكل نهائي، ولكن اتسم عهده بالكثير من الصراعات الدينية والحروب التي أدت إلى إراقة الكثير من الدماء. وبموته تبدأ أسرة جديدة هي أسرة جستنيان... للمزيد انظر: عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص 41؛ محمد فتحي الشاعر: السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية، "عصر جستنيان"، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة 1989، ص 30-32.

كانت له محظية أنجبت له ولداً يدعى ثيودريك، فإنه تزوج كلوتيلدا بعدما شاهدها وأعجب بها⁽¹⁾.

وهكذا نجد أن الدوافع الكاملة لبحث كلوفس عن زوجة له لم تكن واضحة هنا تماماً، فقد كتب جريجوري التوري مؤلفه بعد عدة عقود، وربما كان لديه معلومات قدمتها له كلوتيلدا بنفسها، إذ قضت عدة سنوات في مدينة تور Tours. وهذا ربما يوضح لنا لماذا ركز جريجوري هنا في الغالب على توفير أسباب مطالبة كلوتيلدا في وقت لاحق بالانتقام من ابن جندوباد لمقتل والديها⁽²⁾. ومع ذلك فإن كلوفس استشر قوة جندوباد، وعمل على إيجاد طريقة لإقناعه بالزواج من ابنة شقيقه ذات الدم الملكي. وقد لاحظ إيان وود "أن أسقف مدينة تور لمح إلى اختيار كلوفس عروس معتقداً السبب القلق"⁽³⁾ هذا القلق من قوة جندوباد وزيادة نفوذه وتقربه من الإمبراطور البيزنطي في الواقع قد جعل كلوفس يضغط على جندوباد للموافقة على زواج كلوتيلدا منه. ربما للتحالف معه عن طريق الزواج، وربما ليجعل هذا الزواج ذريعة لتدخله فيما بعد في مملكة البرجنديين.

أما عن موعد الزواج والدوافع لهذه المصاهرة، فقد حدد يوجين ويج Eugen Ewig زواج كلوفس وكلوتيلدا في وقت مما بين عامي 492 و 494م⁽⁴⁾، واستند في استنتاجه إلى حد كبير على الرجوع إلى تواريخ ولادة أطفال وأحفاد كلوتيلدا. واستند جوهريا على مشاركة حفيد كلوفس جونتر Gunther الابن الأكبر لابن كلوفس الأصغر كلوثر الأول Chlother I في حملة أبيه ضد القوط الغربيين عام 532م. ومن ذلك يوجين ويج يحسب أن جونتر ولد نحو عام

(1) Gregory of Tours: Franks, P.38.

(2) Moorhead: Theoderic in Italy, p. 214.

(3) Wood: the Merovingian Kingdoms, p.42.

(4) Ewig, Eugen: "Die Namengebung bei den ältesten Frankenkönigen und im merowingischen Königshaus." In *Francia* 18, no. 1 (1991):, pp.50,54.

518/517 ومن ثمّ كلوثر ربما ولد في موعد لا يتجاوز عام 502/501، ومن ثمّ فإنّ زواج كلوفس وكلوتيلدا يمكن أن يكون قد حدث قبل 8 أو 10 أعوام، وذلك بإعطائهم وقت لإنجاب أبنائهم الأكبر سنّاً⁽¹⁾.

ولكن حاول فان فيفر Van de Vyver إرجاع الزواج إلى ما بعد الحرب الأهلية بين جندوباد وجوديجزل Godegisel (500-473م) عام 501/500م⁽²⁾ التي أعطته الدور لتسوية أي عدواه بين كلوفس وجندوباد من ذلك الصراع. ولكن هذا يبدو بعيد الاحتمال، ومع النظر إلى حسابات يوجين ويج لا يمكن أن يكون كلوثر قد ولد نحو عام 510م كما يبرهن المؤرخ فيفر حججه، وذلك لما نعرفه عنه وعن أولاده، وحجج فيفر تبرهن إجازة كثير من التوقعات التي تتعلق بالزواج في وقت مبكر من فترة العصور الوسطى ولا يمكن التغلب على براهين يوجين ويج⁽³⁾.

وبذلك فإنّ زواج كلوفس وكلوتيلدا قد حدث في النصف الأول من عام 490م، وذلك بعد بضع سنوات من هزيمة سياجوريوس في معركة سواسون عام 486م، وقبل سنوات قليلة من إنتصاره على الألمانى 496م، البرجنديين 501/500م والقوط الغربيين 507م على التوالي، ويبدو أنّه يتّمي إلى فترة توليه الحكم في شمال الغال وبداية تحركاته التوسعية ضد التهديدات الخارجية الكبيرة. تلك الفترة التي يجب أن تشملها محاولة لتوسيع نفوذه من خلال جذب المزيد من المحاربين إلى جانبه، ومن خلال تقوية نفوذه من أجل كسب مزيد من الحلفاء في حملاته سواء الداخلية أو الخارجية. الزواج من كلوتيلدا يناسب تماماً هذه البيئة.

(1) Crisp, Ryan Patrick, M.A: Marriage and Alliance in The Merovingian Kindoms, 481-639, A Dissertation submitted for the Degree of Doctor of Philosophy (Ohio University 2003), PP.61-62.

(2) A. Van de Vyver, "La Victoire contre les Alamans et la Conversion de Clovis (suite).", In *Revue Belge de Philologie et d'Histoire* tome 16, (1937), p.85.

(3) Crisp: Marriage and Alliance, P. 62.

كما أشار جريجوري التوري أيضاً إلى أن كلوفس عندما تزوج كلوتيلدا، كان لديه بالفعل ولد، ثيودريك الأول، الذي كان من نسل امرأة سابقة لم يكشف عن اسمها، التي يدعوها جريجوري "محظية"، وقد صنف يوجين وياج هذا الزواج الأول بأنه زواج حقيقي بدلاً من أن يطلق عليه زواج من محظية، إذ إن ثيودريك لم يفكر مطلقاً في أنه ابن غير شرعي لكلوفس بل إنه وريث كلوفس أيضاً⁽¹⁾.

إذاً ما مغزى هذه النقطة التي تعتبر مؤشراً جيداً لتزايد طموحات كلوفس، سواء كان ذلك أم لا فإن الملك كلوفس بالفعل تنازل عن زواجه السابق، كما اقترح يوجين وياج وتوقع أن الملوك الفرنجة سوف يدخلون في مصاهرات أجنبية، لذلك نهض كلوفس وقام بالمنافسة على القيادة الفرنجية⁽²⁾. إذاً بهذا الزواج لا بُد وأنه فاق الملوك الفرنجة الآخرين الذين على الأرجح عقدوا مصاهرات مماثلة في وقت سابق من زواجه. لكننا لا نعرف شيئاً عن هذه المصاهرات لهؤلاء الملوك كما أن هذا ظل مضارباً في معظم الأحوال، ولكن يبدو منطقياً أن نتوقع أن هؤلاء الملوك الفرنجة القاصرين تزوجوا من عشائر جرمانية ضعيفة⁽³⁾.

وللمضي قدماً وراء سرد جريجوري الموجز يجب أن نتقل إلى مواد المصادر الأسطورية التي سبق ذكرها سابقاً، إذ أضاف فريديجار مؤرخ القرن السابع في تلخيصه لتاريخ جريجوري التوري قصة طويلة عن زواج كلوتيلدا، وربما تمكن فريديجار من الوصول إلى بعض المعلومات المحلية حول هذا الحدث الذي وجدته ذا أهمية إلى حد كاف لقطع ملخص جريجوري عن هذه القصة⁽⁴⁾.

(1) Eugen Ewig, "Studien zur merowingischen Dynastie." *Frühmittelalterliche studien* 8 (1974), p.42.

(2) Eugen Ewig, "Studien zur merowingischen Dynastie.", p.41.

(3) Crisp: Marriage and Alliance, P. 63.

(4) Roger Collins: Fredegar, pp.17-23; and Wood, "Fredegar's Fables" in *Historiographie im frühen Mittelalter*, ed. Anton Scharer and Georg Scheibelreiter, pp. 359-66 (Vienna, 1994), pp.359-360.

وتضيف القصة التي أخبرها فريديجار بعض التفاصيل المثيرة للاهتمام،
وقريبة من كتاب المؤرخ المجهول Liber Historiae Francorum المستقل،
التي تقترح أن كلا منهما وجد القصة جذيرة بما يكفي لتأخذ مساحة كبيرة من
كتابهما⁽¹⁾، وفي هذه التقارير لعبت كلوتيلدا دوراً كبيراً في مفاوضات الزواج.
وعلق فريديجار على كيف أن مبعوثي كلوفس ارتدوا مثل المتسولين وأتوا إلى
جنيف Geneva ووجدوا كلوتيلدا وشقيقتها التي تدعى سيديليوبا⁽²⁾ Sideleuba
في هذه القصة. ولكن فريديجار قال إن جندوباد كان يأمل بهذا الزواج "الدخول
في صداقة (amicicium) مع كلوفس"⁽³⁾ على عكس جريجوري الذي ذكر إن
جندوباد كان خائفاً من رفض طلب كلوفس.

إن القيمة الحقيقية لهذا الزواج تفترض الصداقة وتناقش أدناه عندما هاجم
كلوفس جندوباد أثناء الحرب الأهلية البرجندية، ولكن في تقرير فريديجار عن
مقتل عائلة كلوتيلدا نجد أنه أضاف شقيقين إلى عائلتها ورغبة كلوتيلدا في
الانتقام⁽⁴⁾، ومع ذلك ببساطة ربما يكون ذلك مبرراً للإجراءات اللاحقة التي

(1) See also the introductions to J.M. Wallace-Hadrill, *The Fourth Book of the Chronicle of Fredegar*, Press, 1960.

(2) يدعوها جريجوري التوري كرونا Chrona، ولكن فريديجار يدعوها سيديليوبا Sideleuba، ويعتقد والاس هاردلي Wallace-Hadrill في ترجمته للفصل الرابع من حوله فريديجار يعلق قائلاً إن سيديليوبا امرأة أخرى غير شقيقة كلوتيلدا. انظر:

Gregory of Tours: *Franks*, P.38; Fredegar: *Fredegarii et aliorum chronica*, In *Monumenta Germaniae Historica Scriptores Rerum Merovingicarum* (Hannoverae Impensis Bibliopolii Hahniani MDCCCLXXXVIII), edidit Bruno Krusch, Tomus II, (Hannoverae. 1888), p.99; Fredegar: *The Fourth Book of the Chronicle of Fredegar*, English & Latin with its continuations. Translated by J.M. Wallace-Hadrill. Westport, CT: Greenwood Press, 1981.p.14.

(3) Fredegar: III, MGH SRM II, p.99; Woodruff: *The Third book of the Chronicle of Fredegar*, p.32.

(4) Fredegar: III, MGH SRM II, p.99; Woodruff: *The Third book of the Chronicle of Fredegar*, p.33.

اتخذها كلودومير Chlodomer (511-524م) بن كلوفس وكلوتيلدا ضد سيجسموند بن جندوباد الذي في النهاية فقد مملكته أمام الفرنجة بداعي الانتقام لمقتل والدي كلوتيلدا. ولكن في كتاب المؤرخ المجهول يبدو أن جندوباد كان معارضاً لفكرة الزواج، ولكنه وافق بسبب خوفه من كلوفس ونصائح مستشاريه الذين يخافون الفرنجة، فيقول إنه "بغضب" قدمها للفرنجة⁽¹⁾.

وفقاً لكل من فريديجار والمؤرخ المجهول، فإن كلوفس رغب الزواج بكلوتيلدا وأرسل مبعوثيه إلى جندوباد لاتخاذ الترتيبات اللازمة، وقد قابل مبعوثيه كلوتيلدا وسلموها اقتراح كلوفس في السر، وقبلت كلوتيلدا العرض وحصلت على خاتم الخطوبة، ولكنها تلاعبت بالأمر لجعل الزواج ينجح. الآن الزواج تم ترتيبه بين كلوفس وكلوتيلدا، ولكن موافقة جندوباد ليست مضمونة. عند هذه النقطة تختلف الآراء، ففريديجار يقول إن جندوباد كان أكثر استعداداً لزواج كلوتيلدا من كلوفس أملاً في تكوين صداقة مع كلوفس. في حين أن المؤرخ المجهول يركز على خدعة كلوتيلدا في إخفاء خاتم الخطوبة في كنز جندوباد، وأن الذي أجبر جندوباد على قبول الزواج أنه كان منشغلاً في مناورة حربية ضد منافسه. ويدعي المؤرخ المجهول أن كلوفس كان مستعداً للقتال من أجل خطيبته، وإن جندوباد كان مرتاباً من أن كلوفس يبحث عن ذريعة لمهاجمة البرجنديين⁽²⁾. في النهاية حصل كلوفس على عروس وثروة كبيرة، إذ إن كلوتيلدا في ليلة زواجهما طلبت من كلوفس مطالبة عمها جندوباد بميراثها من والديها⁽³⁾.

وبذلك تتفق جميع الآراء على أن كلوفس كان يريد الزواج من ابنة أخيه جندوباد الذي كان لا يرغب في زواجها من كلوفس. كما اقترح كارل فرديناند

(1) Liber Historiae Francorum, p.256.

(2) Liber Historiae Francorum, p.256.

(3) Liber Historiae Francorum, p.258.

Karl Ferdinand أن كلوفس قد استخدم تحالفه مع ثيودريك العظيم للضغط على جندوباد للحصول على الزواج من كلوتيلدا، على الرغم من أن النتيجة النهائية للزواج هي حياد جندوباد في حروب كلوفس القادمة مع آلاريك الثاني بل إنه انضم إلى كلوفس بدلاً من الحرب ضده⁽¹⁾.

هذه الاحتمالات ليس ذات أهمية كبيرة، ولكن في هذه الحالة لا يكاد يترتب عليها خاصةً بعد إجبار جندوباد على زواج كلوتيلدا، أن يتوقع كلوفس مساعدة جندوباد له أو حتى الحياد مرتكزا على حقيقة أنه خطف ابنة شقيقه منه عن طريق خداع مندوبي كلوفس لجندوباد، إلى جانب ذلك لم يكن جندوباد محايداً تماماً في الحرب ضد آلاريك، ولكن تحالف مع كلوفس وتحمل العبء الأكبر في نهاية المطاف من هجوم ثيودريك المضاد. بين الزواج والحرب ضد آلاريك نجد كلوفس يقف ضد جندوباد أثناء الحرب الأهلية البرجندية، مع ذلك يذكر فريديجار أن جندوباد اعترف بحتمية الزواج، وأعرب عن أمله في صداقة كلوفس عن طريق هذه المصاهرة بينهما، التي ينبغي أن تحدث نتيجة قرابة الزواج الفعلية طبقاً للتوقعات التقليدية للزواج، ولكن بعد بضع سنوات كان كلوفس يهاجم جندوباد مهدداً حياته وملكه.

إن التفسيرات التقليدية للزواج باعتباره (زواج تحالف) لا تتناسب بشكل جيد مع رغبة كلوفس بالزواج من كلوتيلدا، إلى جانب رأى فريديجار بأن جندوباد كان يرغب في صداقة كلوفس، ولكن ليس هناك أي إشارة في الزواج على أنه تحالف سياسي. الحقيقة أن التعاون المتوقع مستقبلياً يركز على القرابة الزوجية المعلنة، والرغبة علامة جيدة على أن هذا ما يعنيه الزواج. والتوقعات ليس حقيقية وأقرباء اليوم يمكن أن يكونوا منافسين مثلما كانوا حلفاء، جريجوري التوري تحديداً رأى أن الزواج بمثابة بداية غزو الفرنجة لمملكة

(1) Werner, Karl Ferdinand: Histoire de France: Les origines (avant l'an mil) (Paris: Fayard, 1984), p.304.

البرجنديين، وليس من أجل التحالف السياسي أو العسكري بين كلوفس والبرجنديين⁽¹⁾.

ومع ذلك ما الذي اتفقت عليه جميع المصادر هو أن كلوتيلدا كانت عروسة ذات هبة، منذ وفاة والديها، وأصبحت شقيقتها راهبة فكانت كلوتيلدا الوريثة الشرعية لثروة أبيها التي سيطر عليها عمها جندوباد. إذ إن المصادر تخبرنا أن جندوباد أحكم السيطرة على ثروتها بمثابة الحامي لها، ولكن أظهرت كلوتيلدا رغبتها في الحصول على هذا الميراث ورسمت مخططاً لإجبار جندوباد على ذلك، وذلك بدعم من الفرنجة⁽²⁾. كلوتيلدا زوجة طاهرة غنية، كما أكد جريجوري أيضاً شهامة كلوتيلدا. وعندما قدم جندوباد وصفه "بأنه شخص من نسل الملك أثناريك Athanaric" (نحو 3605-376/381)، الذي كان في وقت مبكر حاكم القوط، وربط كلوتيلدا بالقوط والسباق الأول للجرمان في القرنين الخامس والسادس⁽³⁾، ومن ثم فقد نالت فضيلة الزواج من مكانتها وميلادها الرفيع. وذكر جريجوري أن مندوبي كلوفس "رأوا أنها امرأة أنيقة وحكيمة وذات سلالة ملكية وحسنة الخلق كذلك"⁽⁴⁾.

- كلوفس والحرب الأهلية البرجنديّة :

بعد زواج كلوفس وكلوتيلدا إقتصرت علاقة كلوفس بالملوك البرجنديين في المصادر التاريخية على حادثتين فقط، هما: تورط كلوفس في الحرب الأهلية البرجنديّة، ومشاركة البرجنديين في الحملة الفرنجية ضد القوط الغربيين عام 507 / 508م. ويقتصر تاريخ الحرب الأهلية البرجنديّة على السنوات 500-501م طبقاً لحولية ماريوس أسقف أفينش Marius of Avenches الذي كان معاصراً

(1)Crisp: Marriage and Alliance, P. 68.

(2)Crisp: Marriage and Alliance, P. 68.

(3) Gregory of Tours: Franks, P.38.

(4) Gregory of Tours: Franks, P.38.

لجريجوري التوري، وكان يعيش بالقرب من موقع الأحداث، الذي أضاف وصفاً عن الحرب الأهلية البرجندية في حوليته عاماً بعد آخر⁽¹⁾. وتورط كلوفس في هذه الحرب مثلاً جيداً على عقد تحالفات سياسية مع الملوك الأجانب، كما أنه في الوقت نفسه دليل على أن زواج كلوفس من كلوتيلدا لم يخلق أي نوع من السلام الطويل بين كلوفس وجندوباد.

إن الحرب الأهلية البرجندية في الأساس كانت قتالاً بين جندوباد (نحو 473-516) وشقيقه جوديغزل على حكم مملكة البرجنديين، ففي عام 500م كان الصراع بينهما على أشده ما هدد بزوال المملكة. يضاف إلى ذلك أن جندوباد قد قتل شلبريك الثاني Chilperic II (473-486م) والد كلوتيلدا، الأمر الذي جعل كلوتيلدا تَكُنُ حقداً شديداً لعمها جندوباد. وقد تهيأت الفرصة للملك كلوفس لقتال جندوباد عندما لجأ جوديغزل إليه - بعدما سمع عن انتصاراته- يطلب منه المساعدة للقضاء على شقيقه جندوباد سواء بالقتل أو بالطرد من المملكة، وذلك نظير الجزية التي يحددها كلوفس.

وبالفعل أرسل جوديغزل سراً مبعوثين إلى كلوفس يطلب مساعدته في الحرب ضد شقيقه، واعداء إياه "بالمبلغ الذي يحدده جزية سنوية"⁽²⁾. وقد وافق كلوفس بسرعة ووعد أن يأتي لمساعدته "متى ادعت الضرورة ذلك". ثم طبقاً لما ذكره جريجوري استعد جوديغزل حتى يأتي كلوفس، أما كلوفس فقد اختار الوقت المناسب وتحرك بجيشه ضد جندوباد الذي لم يكن يعلم شيئاً عن خيانة شقيقه. وقد اعتمد جندوباد على دماء القرابة بينه وبين شقيقه وطلب مساعدته لصدهجوم كلوفس، كما طالبه بتكوين جبهة واحدة ضد الغزو الأجنبي، ولكن خدعه جوديغزل ووعدته بالتقدم لمساعدته، ولكنه أعد جيشاً وانضم إلى

(1) Marius of Avenches: MGH AA XI, p.231.

(2) Gregory of Tours: Franks, P.41.

كلوفس ، والتقى الجميع عند مدينة ديجون⁽¹⁾ Dijon وفي هذه المعركة هُزم جندوباد الذي لاذ بالفرار عندما علم بخيانة شقيقه ، واتخذ من مدينة أفينون Avignon ملجأ له.

يبدو من سرد جريجوري أن جوديجزل درس شروط اتفاقه مع كلوفس ، وعرض جزءاً من مملكته لكلوفس ، ثم ذهب إلى فيينا Vienne بعد النصر للاحتفال بمملكته الموسوعة حديثاً. وقد حاصر كلوفس جندوباد في أفينون حتى وافق على دفع جزية سنوية له ، بعد ذلك رجع كلوفس إلى مملكته. ومع أن كلوفس وجد الفرصة المناسبة للقضاء على جندوباد ، لكنه اقتنع بقبول الغنائم التي استولى عليها ، بالإضافة إلى دفع الجزية السنوية في المستقبل ، ثم رجع إلى مملكته⁽²⁾ ، الملك البرجندي التابع ربما كان يستحق أكثر من ذلك في فرض النفوذ ، وربما مالياً كذلك ، إذ إن جندوباد دفع الجزية في السنة الأولى ، ولكن رفض دفعها بعدما سار ضد شقيقه وقتله⁽³⁾.

سرد جريجوري العام مؤكداً في حولية ماريوس أسقف أفينش⁽⁴⁾ ، سواء كانت تفاصيل جريجوري دقيقة تماماً أو ليس لها علاقة بالموضوع ، ولكن مع ذلك يكفي أن نعرف أن أنصاره سوف يصدقوه. كما أن هذه الحادثة لا تعتمد فقط على توقع السلوك بين الأخوين جندوباد الذي طلب مساعدة شقيقه عندما اعتدى كلوفس عليه ، وجوديجزل الذي طلب مساعدة كلوفس ضد شقيقه ،

(1) ديجون: مدينة فرنسية تقع على الطريق الرئيسي الذي يربط سواحل البحر المتوسط بشمال أوروبا بين منطقة باريس وحوض نهر الرون ، وعلى بعد 310 كم جنوب شرق باريس 190 كم شمال مدينة ليون. كانت مقراً لدوقات برجنديا في القرن الرابع والخامس عشر الميلاديين. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.226.

(2) Gregory of Tours: Franks, P.43.

(3) Gregory of Tours: Franks, P.43.

(4) Marius of Avenches: MGH AA XI: P.234.

ولكن في الحقيقة نجد أن رابطة القرابة ليست ضرورية لكلوفس لكي يتحالف مع جوديجزل. على الرغم من أن جوديجزل أيضاً عم كلوتيلدا، ولكن القرابة بين جوديجزل وكلوفس لم تظهر في المصادر كتعبير عن تحالفهم، وهذا ليس مستغرباً، كما أن المصادر عندما تناقش زواج كلوفس كلوتيلدا فإنها تشير دائماً إلى مشاركة جندوباد في الزواج بدون مساعدة جوديجزل، ولكن هذا لا يعني رؤية الكثير من التحالف بين كلوفس وجوديجزل في فترات مختلفة.

في الواقع الحرب الأهلية تورط فيها الأقرباء في القتال بعضهما ضد بعض. فبالنسبة لجوديجزل فإنه تحالف مع كلوفس ليتغلب على شقيقه. هذا يذكرنا بنهج كلوفس الخاص عندما هاجم أقربائه، ذلك النهج مفيداً في كثير من الأحوال، ولكنه خاضع للضرورة السياسية، مثل محاولة كلوفس إغراء أقربائه الخائفين. وسر تحالف جوديجزل مع كلوفس حدث بشكل جيد لأنه لا يستطيع الاعتماد على جندوباد واستدعائه لمساعدته عند هجوم كلوفس، وهكذا جندوباد لم يقلق عندما ظهر جوديجزل واندesh عندما لم يشترك معه ضد كلوفس طبقاً للسلوك المتوقع المرتبط بحكم قرابته.

أما بالنسبة لتحالف كلوفس وجوديجزل، يمكننا أن نستنج أن كلوفس وجوديجزل اتفقوا على الوقت المحدد للمعركة، وحددوا قيمة مساعدة كلوفس، إنها مع ذلك اتفاقية محددة النهاية والمدة، كلوفس لم يعد لمساعدة جوديجزل ضد أخيه مرة أخرى، حتى أنه قبل خسارة وعد جندوباد بالجزية بعد فترة قصيرة، لكنه أخذ غنائم لوطنه وملئ خزائنه. ومع ذلك لا جريجوري ولا ماريوس ذكروا زواج كلوفس وكلوتيلدا في مناقشتهم للحرب الأهلية التي أشاروا إليها على الأقل، ولم يروا أي علاقة بين الزواج والمساعدة المقدمة من كلوفس لجوديجزل، يمكن أن يكون كلوفس وجوديجزل عقدوا اتفاقية دون الاعتماد على روابط القرابة بينهما، ويبدو أن المنافسة على مملكة البرجنديين بين الأشقاء كانت شرسة مثلما كانت بين الفرنجة.

- اعتناق كلوفس للمسيحية الكاثوليكية :

يُعدّ اعتناق كلوفس للمسيحية الكاثوليكية من أطرف وأهم الموضوعات التي يمكن دراستها في فترة حكمه ، والواقع أن جريجوري التوري أمدنا في كتابه بأدق التفاصيل عن اعتناق كلوفس المسيحية ، وكان كلوفس وثنيا فلم يكن يقيده إيمان راسخ بالآريوسية مثل بقية القبائل الجرمانية ، وفي الوقت نفسه أقام علاقات ودية مع الأساقفة الكاثوليك في شمال غالة⁽¹⁾.

طبقاً لما ذكره جريجوري التوري فإن زوجته كلوتيلدا حاولت كثيراً إقناع زوجها باعتناق المسيحية ، ولكن دون جدوى ، والعلاقة بين كلوفس وكلوتيلدا حول تحويل الملك إلى الكاثوليكية جعلت كلوتيلدا ذات هيبة في عيون جريجوري التوري على الأقل ، وقد شاركت كلوتيلدا بشكل كبير في تحويل كلوفس للمسيحية ، على الرغم من القصة التي يرويها جريجوري التوري وهو على الأرجح ارتكز على نص حقيقي للقصة.

إن عملية تحويل كلوفس للمسيحية كانت طويلة ، التي قد تكون بتوجيهات من قبل ريميغيوس Remigius أسقف مدينة ريميس ، وتشجيعه من قبل كلوتيلدا أيضاً حتى النصر في المعركة على قبائل الألمان عام 496م⁽²⁾ ، كل ذلك قد يكون في النهاية السبب في إقناع كلوفس بالمسيحية الكاثوليكية وتعميده هكذا. لذلك فمن غير المحتمل ألا يكون لكلوتيلدا دوراً كبيراً في تحويل الملك للمسيحية ، كلوتيلدا ربما كانت ذات هيبة ومكانة في عيون كلوفس كذلك.

والحقيقة أن كلوتيلدا الشديدة الإخلاص لعقيدتها حققت نصف انتصارها بإقناع زوجها بتعميد أطفالهما⁽³⁾. ولم تأس كلوتيلدا مطلقاً ولم تتوان في حث

(1) Previté-Orton: The Shorter Cambridge Medieval History, Vol I,, p. 151;

انظر أيضاً، عليّة الجنزوري: جريجوري التوري، ص 92.

(2) William W. Daly, "Clovis: How Barbaric, How Pagan?", *Speculum* Vol. 69, No. 3. (Jul., 1994), PP.619-64.

(3) Pfister: " Gaul under the Merovingian Franks ", in CMH, vol II, P. 111.

انظر أيضاً، عليّة الجنزوري: جريجوري التوري، ص 94.

زوجها على اعتناق المسيحية حتى بعد وفاة طفلها الأول الذي قامت بتعميده، وصممت على تعميد طفلها الثاني، وعندما بدأ يتوعمك قال لها كلوفس: "إنه سيفارق الحياة بمجرد تعميده مثلما حدث لأخيه"، وهنا صلت لله حتى شفي الطفل⁽¹⁾. وفي عام 496م شن كلوفس الحرب على الألمان، وفي تلك الحرب وافق كلوفس "بإرادته الحرة على ما كان يرفضه" على حد تعبير جريجوري التوري، إذ حدث عندما تقابل الجيشان وكاد أن ينهزم كلوفس، عندئذ رفع عينيه إلى السماء، متوسلاً باسم المسيح أنه إذا وهبه النصر على أعدائه سوف يؤمن به، وبمجرد أن قال ذلك فر الألمان هارين⁽²⁾.

ما أن عاد كلوفس من حربه على الألمان حتى قص ما حدث لزوجته كلوتيلدا ورغبته في اعتناق المسيحية، ففرحت كلوتيلدا كثيراً وأرسلت سراً إلى الأسقف ريميغيوس، "وتوسلت إليه أن يمنح الملك كلمه الخلاص من الخطيئة" وتم تعميد كلوفس ومعه أكثر من ثلاثة آلاف من جيشه⁽³⁾. عندئذ كتب أفتيوس Avitus أسقف فيينا إلى كلوفس قائلاً: "إيمانك هو انتصارنا" ثم حثه بلغة معبرة رائعة أن ينشر الكاثوليكية بين البرابرة في أكبر مساحة من الأرض "التي لم تكن قد فسدت بعد بالمذاهب الهرطقية..."⁽⁴⁾.

(1)Gregory of Tours: Franks, P.39;

انظر أيضاً، علية الجنزوري: جريجوري التوري، ص 94-95.

انظر أيضاً، علية الجنزوري: جريجوري التوري، ص 94-95.

(2)Gregory of Tours: Franks, P.40;

انظر أيضاً، علية الجنزوري: جريجوري التوري، ص 95-96.

(3)Gregory of Tours: Franks, P.40-41;

انظر أيضاً، علية الجنزوري: جريجوري التوري، ص 95-96.

(4)Avitus of Vienne: Letters and Selected Prose, PP.369,373; Pfister: " Gaul

under the Merovingian Franks ", in CMH, vol II, P. 112; Previté-Orton: The Shorter Cambridge Medieval History, Vol I., pp. 151-52;

انظر أيضاً، علية الجنزوري: جريجوري التوري، ص 99.

- نتائج تحول كلوفس إلى المسيحية الكاثوليكية :

ومهما كان سبب اعتناق كلوفس للمسيحية الكاثوليكية، فإنه كان ذا تأثير بعيد المدى في تاريخ أوروبا. فخلافاً للملوك الجرمان الآخرين، أصبح كلوفس كاثوليكياً وليس آريوسياً، وبذلك أصبح زعيماً وليس عدواً لسكان بلاد الغال الكاثوليك وأساقفتهم. ومنذ هذا الوقت فصاعداً، أصبح مصطلح "لم يتلوثوا بالهرطقة" Free of Heresy يستخدم على نحو علني لوصف الفرنجة وحكامهم. وهكذا تحول الفرنجة من حلفاء Foederate مجهولين للرومان، ومن مجرد حماة حدود إلى سادة لمملكة كبيرة⁽¹⁾، وحلفاء للكنيسة الكاثوليكية. وقدر لهذا التطور أن يكون ذا تأثير بعيد المدى لتاريخ أوروبا عموماً، وللفرنجة الميروفنجيين والكارولنجيين بصفة خاصة.

إلى جانب ذلك، يبرز كلوفس بوصفه أول ملك جرمني يعتنق المسيحية الكاثوليكية، لأن القبائل الجرمانية الأخرى في أوروبا الغربية كانت اعتنقت المسيحية الآريوسية، وقد اتخذ كلوفس وخلفاؤه من الدين سبيلاً لتوسيع مملكتهم ودعم حكمهم، فأصبحوا بذلك حماة الكاثوليكية في بلاد الغال وخارجها، وقد دعمت البابوية، على نحو فعال، انتصار الفرنجة على القوط الغربيين في معركة فوييه⁽²⁾. كما مهد ذلك إلى التحالف والتقارب الذي قام بين الفرنجة والبابوية في الفترة التالية من حكم الفرنجة، هذا التحالف الذي كان من أهم مظاهره تنويع البابا لشارلمان الفرنجي وجعله إمبراطوراً للغرب الأوروبي عام 800م.

(1) Heinrich Fichtenau: The Carolingian Empire, Trans. by peter Munz,

University of Toronto Press, 1978, pp. 2-3.

(2) R.H. C. Davis, A History of Medieval Europe From Constantine to saint Louis, London, Longman, 1988, p. 103.

وهناك احتمالات بأن منافسي كلوفس من الفرنجة لم يكن لديهم زوجات كاثوليكيات، والكاثوليكية كانت مذهب الإمبراطور الروماني كذلك الرومان الغاليين وأساقفتهم. ولكن من الصعب إظهار إن كلوفس تزوج كلوتيلدا مع فكرة التحول إلى الكاثوليكية، ولكن مع العروسة الكاثوليكية كان يأمل تكوين علاقات جيدة مع الإمبراطور الروماني ويضمن ولاء الرومان الغاليين. كل هذه الفضائل معاً-ثروتها، جمالها، حكمته، الدم الملكي، وأنها كاثوليكية كل ذلك جعل كلوتيلدا عروسة ذات أولوية للملك الفرنجي مع طموحاته الكبيرة، وساهم ذلك في محاولات كلوفس في التغلب على منافسيه في شمال الغال وجنوب الغال ضد القوط الغربيين. أما عن نهاية كلوتيلدا فإنها قد ترهبت بعد وفاة كلوفس عام 511م، وتقاعدت في دير القديس مارتن St. Martin في مدينة تور⁽¹⁾.

(1)Gregory of Tours: Franks, P.50.

* ثيودريك العظيم وأودفيلدا:

أقام ثيودريك Theodoric (489-526م) ملك القوط الشرقيين العديد من المصاهرات السياسية مع العديد من الحكام البرابرة في الغرب من الفرنجة، القوط الغربيين، البرجنديين، الوندال، والثورنجنين، وذلك قرب نهاية القرن الخامس الميلادي، فقد تزوج ثيودريك شقيقة كلوفس Clovis (481-511م) ملك الفرنجة التي تدعى أودفيلدا Audefla⁽¹⁾، كما زوج ابنته ثيودوجوثا Theodichusa إلى آلاريك الثاني Alaric II (485-507م) ملك القوط الغربيين⁽²⁾، وزوج ابنته الأخرى أوسترجوثا Ostrogotho أو أريجيني Areagni إلى سيجسموند Sigismund (516 - 523م) بن جندوباد ملك البرجنديين⁽³⁾، وزوج شقيقته أمالافريدا Amalafri⁽⁴⁾ إلى تراسموند Thrasmund (493-523م) ملك الوندال، كما زوج أمالابرجا Amalabirga ابنة شقيقته أمالافريدا إلى هرمنفريد⁽⁴⁾ Herminifred (نحو 507-532م) ملك الثورنجنين⁽⁵⁾.

(1) Anonymus Valesianus: Excerpta Valesiana, p. 18.; Jordanes: The Gothic, p. 137; Gregory of Tours: Franks, P.68.

(2) Jordanes: The Gothic, p. 137 ;

انظر أيضاً، بروكويوس القيصري: الحروب القوطية، ج 1، ص 90.

(3) Gregory of Tours: Franks, P.54; ;See Also, Burns. (TH.): A History of the Ostrogoths, (Indiana. 1992), P. 95.

(4) هرمنفريد: تولى الملك هرمنفريد حكم مملكة الثورنجنين بعد قتله أخيه برثيشار Berthechar عام 507م، وظل هرمنفيد يحكم المملكة حتى سقوط مملكة الثورنجنين في يد الفرنجة عام 532م. انظر:

Ryan Patrick Crisp, M.A: Marriage and Alliance in The Merovingian Kindoms, 481-639, A Dissertation submitted for the Degree of Doctor of Philosophy (Ohio University 2003), p. 123.

(5) Anonymus Valesianus: Excerpta Valesiana, p. 18; Burns: the Ostrogoths, P. 95.

= انظر أيضاً، بروكويوس القيصري: الحروب القوطية، ج 1، ص 90.

وبناءً على التفسيرات التقليدية للتحالفات السياسية التي تُعد نتيجة لهذه الزيجات الكثيرة كان يجب أن يصبح هؤلاء قوة واحدة وتنسق التعاون بينها، وبالفعل حدثت تلك التوقعات في العقد الأول من القرن السادس، وأصبح من الواضح أن ذلك أفضل تفسير يجب أن يحدث، ولكن فيما بعد احتدم التنافس والنزاع بين هؤلاء الملوك في تلك الفترة، ولم تكن قرابة الزواج لتحل محل قرابة الدم. فمن وجهة نظر كلوفس أصبح الزواج من المنافسات الداخلية بين ملوك الفرنجة في بلاد الغال أكثر من الاعتبارات السياسية الخارجية. وعززت المصاهرة مع القوط الشرقيين مركز كلوفس بشكل كبير وجعلت نشاطه على شكل أوسع في العقدين الأخيرين من حكمه، أما بالنسبة لثيودريك فقد حاول أن يعقد عدداً من المصاهرات السياسية ليسيّط على المنافسات الخارجية ولتوطيد نفوذه الخارجي، وأيضاً ليسيّط على طموح كلوفس على حد قول البعض.

وقد استخدم ثيودريك الزواج السياسي على وجه الخصوص ليس لتأكيد نفوذه فقط، ولكن أيضاً لتعزيز سلطته وهيبته ضد منافسيه، وذلك عندما تزوج "أودفيلدا"، كذلك كان يعمل كلوفس على توطيد نفوذه ضد منافسيه، خاصةً أنه لم يحقق بعد أعظم انتصاراته ضد الألمان، البرجنديين والقوط الغربيين. ومع ذلك كان قد حقق إنجازات في شمال الغال، وهو ما كان كافياً لثيودريك أن يطلب عروسا من حاكم الفرنجة الشاب؛ ما ترتب عليه زيادة قوة ثيودريك في إيطاليا حتى لم يعد أحد من ملوك الجرمان الآخرين يتباهى بذلك.

إن زواج أودفيلدا من ثيودريك العظيم أبعدها مئات الأميال عن بلاط كلوفس وعن وطنها، ولم تترك الكثير من التأثير في المصادر الموجودة، ولم نعرف أي شيء عن أودفيلدا وعلاقتها بكلوفس باستثناء ما يذكر عن زواجها من

= أخطأ المؤرخ المجهول عندما ذكر أن ثيودوجوثا تزوجت من الأمير سيجسموند بن جندوباد ملك البرجنديين، وكرر المؤرخ المجهول نفس خطأه عندما ذكر أن الأميرة أوستروجوثا تزوجت آلاريك الثاني ملك القوط الغربيين، انظر:

Anonymus Valesianus: Excerpta Valesiana, p. 18.

ثيودريك في عدد قليل من المصادر، وقصة عنها وعن ابنتها آمالاسونثا في الفصل الثالث من كتاب جريجوري التوري. وأفضل معلومات موجودة عن أودفيلدا موجودة في حولية المؤرخ المجهول "Excerpta Valesiana" عن عهد الملك ثيودريك، وكتاب جوردان "Jordanes" عن القوط.

حيث ذكر المؤرخ المجهول أن "ثيودريك بالفعل اتخذ زوجة من الفرنجة تدعى أوجوفيلدا *Augoflada*"⁽¹⁾. وكتب جوردان القليل عن هذا الموضوع حيث ذكر "في السنة الثالثة من غزوه لإيطاليا... أن أرسل سفارة إلى لودن Lodoin (يقصد كلوفس) ملك الفرنجة يطلب يد ابنته أودفيلدا *Audefleda* للزواج؛ فوافق كلوفس وأبناءؤه شلدبرت *Celdebert* وهلدبرت *Heldebert* وثيودبرت *Thiudebert* عن طيب خاطر وبحرية معتبرين أن هذا الاتفاق بمثابة تحالف مع الشعب القوطي، وأنهم دخلوا في تحالف معهم، ولكن هذا التحالف لم يكن مفيداً للوئام والسلام..."⁽²⁾.

لتفسير هذا الزواج نجد أن جوردان استشهد بنموذج مبادئ الزواج لمثل هذه العلاقة التي يجب أن تجلب السلام والتحالف بينهما، ويجب علينا ألا نأخذ مثل هذه التفسيرات التقليدية للزواج على محمل الجد؛ إذ ماذا يبدو ليقول جوردان أن كلوفس كان له شرف مصاهرة القوط الشرقيين؟ هذا النص يوحي بافتراء على الفرنجة البرابرة مقارنة بالقوط رفيعي الثقافة، وأن الفرنجة محظوظون بما فيه الكفاية لأن يتزوج شخص من تلقاء نفسه مثل ثيودريك منهم، واعتقدوا أن هذا الزواج بمثابة تحالف رسمي بينهم. ومع ذلك يقول جوردان بوضوح ويتوقع أن هذه القرابة التي أنشئت بفعل الزواج سوف تنشئ التحالف بين الطرفين، على الرغم من أنه يشكو في واقع الأمر أن ذلك الزواج لم يحقق النتيجة المرجوة عندما قال "ولكن هذا التحالف لم يكن مفيداً للوئام والسلام".

(1) Anonymus Valesianus: Excerpta Valesiana, p. 18.

(2) Jordanes: The Gothic, p. 137.

من المحتمل أن جوردان كتب مؤلفه في وقت لاحق، وأساء فهم معنى هذا الزواج ودوافعه، كما أنه أساء فهم بعض الحقائق المحيط بهذا الزواج. ففي عهده كان الفرنجة قوة لا يستهان بها في السياسة الإيطالية، كما أن ثيودبرت الأول حفيد كلوفس أرسل عدة حملات إلى إيطاليا وسيطر على بعض أجزاء من شمال إيطاليا، وهكذا كما خططت القوة الفرنجية للتنفيذ أيام كلوفس فإن ثيودريك تحكم بكلوفس عن طريق الزواج، إذ لم يعارض كلوفس ثيودريك في حكمه لإيطاليا، ولم تقم بينهما أي عداوة طوال فترة حكم ثيودريك غير احتكاك كلوفس بآلاريك ملك القوط الغربيين وتدخل ثيودريك حفاظاً على القوى الجرمانية في الغرب، وعلى الرغم من ذلك كان كلوفس بعيداً عن القوة المحتملة في إيطاليا في ذلك الوقت مثلما فعل حفيده ثيودبرت الأول فيما بعد⁽¹⁾.

إن المشاكل الفعلية في تفاصيل جوردان تظهر بوضوح على الفور، ويلقى الشك في مصداقية كلامه، مثل شلدبرت وهلدبرت هما في الأصل شخص واحد، ولكنه ذكرهم على أنهما شخصان⁽²⁾، كما أنه ساوى شلدبرت الأول (511-558م) بثيودبرت الأول (534-548م) حفيد كلوفس من ابنه ثيودريك الأول (511-534م). على ما يبدو ببساطة أن جوردان أخطأ في أسماء الفرنجة التي سمعها من قبل، ثيودبرت الأول على سبيل المثال اشترك في حملة على إيطاليا قبل بضع سنوات من كتابة مؤلفه. أيضاً عندما غزا ثيودريك العظيم إيطاليا في عام 489م لم يكن كلوفس لديه ثلاثة أبناء بعد. علاوة على ذلك أشار جوردان إلى أودفيلدا على أنها ابنة كلوفس وليست شقيقته. يبدو أن هناك مشاكل كثيرة واضحة في تاريخ جوردان لا يمكن الاعتماد عليها بشكل ملاحظ حول الأحداث في الغرب⁽³⁾.

(1) Crisp: Marriage and Alliance, p. 51.

(2) أنجب الملك كلوفس (مات عام 511م) خمسة أولاد وبنت واحدة وهم انجويرم الذي توفي وهو طفل وكلوتيلدا التي تزوجت أمالريك ملك القوط الغربيين، وثيودريك الأول، وكلودومير، وشلدبرت الأول وكلوتر الأول. انظر: Gregory of Tours: Franks, P.58.

(3) Walter Goffart: The Narrators of Barbarian History (A.D. 550-800): Jordanes, Gregory of Tours, Bede, and Paul the Deacon. Princeton, N.J.: (Princeton University Press, 1988), pp. 65-68.

أما جريجوري التوري فهو شاهد أقرب للحدث كتب عن ذلك، وإن لم يمدنا باسم أودفيلدا، قائلاً: "ثيودريك الإيطالي تزوج شقيقة الملك كلوفس، وعندما تُوفي ترك ابنة صغيرة من زوجته"⁽¹⁾. ومضى جريجوري لربط مختلف الشائعات والقصص التي سمعها حول هذه الابنة الصغيرة أمالاسونثا Amalasuntha، التي جاءت دون اسم في السرد⁽²⁾.

أما خطابات كاسيدروس Cassiodorus - الذي شغل منصب وزير ثيودريك خلال بعض سنوات حكم كلوفس في بلاد الغال- فهي أقرب مصدر معاصر لدينا لهذا الزواج. وتؤكد خطابات كاسيدروس الزواج، وتمدنا بمعلومات كثيرة عن ظروف هذا الزواج في هذه الفترة، ولكن سوف نعرض القليل من التفاصيل المحددة⁽³⁾. إذا كنا على الأقل نقبل تحديد جوردان للزواج في السنة الثالثة بعد قدوم ثيودريك إلى إيطاليا، ثم كتبت خطابات كاسيدروس بعد 10 إلى 12 سنة بعد عقد الزواج. إذا ليس هناك ما يشير أو يقترح أن أودفيلدا تزوجت من حاكم القوط الشرقيين في إيطاليا في بداية عام 490م، وربما تزوجت عام 493م بعد أن أعلن ثيودريك ملكاً وقتل أداوكر.

يتضح مما سبق أن السبب الأساسي لزواج ثيودريك من اودفيلدا ليس له علاقة بأحداث عامي 507 / 508م⁽⁴⁾، مع الأخذ بعين الاعتبار موقف كلوفس عام 493م، وليس مرجحاً أن ثيودريك يتطلع إلى الفرنجة كحلفاء مهمين عندما تزوج منهم. ثيودريك ربما وضع ثقته بزواجه للمساعدة في ضبط السياسة في الغرب والسيطرة على طموحات كلوفس، ولكنه كان لا يملك أي شيء، ولكنها مجرد فكرة غامضة للإفادة من إمكانياتهم في السنوات القادمة.

(1) Gregory of Tours: Franks, P.68.

(2) Walter Goffart: The Narrators of Barbarian, p. 215.

(3) Cassiodorus: The letters of Cassiodorus, P.194.

(4) أحداث عام 507، 508، يقصد بها الحرب بين الفرنجة والقوط الغربيين ومعركة فوييه Vouille.

أما حياة أودفيلدا في بلاط ثيودريك فإنها مجهولة تقريباً، ولكن جريجوري التوري افترض أنها أصبحت آريوسية، وافترض أن تحويلها حدث في قصر زوجها⁽¹⁾. ولكن ينبغي أن نضع في الاعتبار أن سرد جريجوري لحكم كلوفس محرف بسبب تركيزه على الصراع الكاثوليكي الآريوسي في تلك الفترة الذي ربما لم يكن موجوداً⁽²⁾. وهناك أيضاً بعض الاقتراحات في الآونة الأخيرة إن كلوفس نفسه أصبح مسيحياً آريوسياً أو اعتنق هذا المفهوم، وربما هذه الآريوسية جاءت من بلاط ثيودريك عبر شقيقته⁽³⁾. قد يكون من الأفضل أن نفهم أن أي عبث مع الآريوسية هو مثال آخر لبحث كلوفس عن طرق لزيادة نفوذه مقارنة بالمنافسين الآخرين للقيادة بين الفرنجة، وذلك بجعل نفسه على قدم المساواة الدينية مع الملوك البرابرة الآخرين في عهده مثل ثيودريك، جندوباد وآلاريك الثاني.

من ناحية أخرى ثمة دليل على أهمية هذا الزواج في المنافسة الداخلية التي يواجهها كلوفس بدلاً من أن يكون وسيلة للتعاون الخارجي ووجدت خلفية أدت لهذا الزواج. والدليل على الجزء الأول هو فشل كلوفس بالاتصال بمملكة أدواكر بإيطاليا لا سيما أن كلوفس كان منهمكاً بتعزيز سيطرته على مملكة سياجريوس، وفي السنوات السابقة لزوج شقيقة كلوفس عين ثيودريك نفسه نائباً للإمبراطور زينون في إيطاليا ضد أدواكر⁽⁴⁾.

وهكذا فإن زواج ثيودريك وأودفيلدا قد حدث قبل أن يصبح الزعيمان البربريان للغرب جيراناً أو يصبحا متعارضين. إذاً الزواج من ثم لا يخدم أي وساطة للتوصل إلى سلام بين اثنين منافسين، أو خلق تحالف عسكري محدد بين ثيودريك القوطي وكلوفس الفرنجي. مع أن جوردان اقترح أن هناك أملاً في السلام من خلال

(1) Gregory of Tours: Franks, P.68; Wood: The Merovingian Kingdoms, pp.44-5.

(2) Wood: The Merovingian Kingdoms, pp.44-5.

(3) Wood, The Merovingian Kingdoms, pp.44-5; Roger Collins: Early Medieval Europe, 300-1000, (New York: St. Martin's Press, 1999), p.104.

(4) Crisp: Marriage and Alliance, p.54.

هذا الزواج يمكن أن يحدث، ولكنه كتب مؤلفه بعد أن أصبح الفرنجة مشاركين في الشئون القوطية، خاصة في عهد ثيودبرت الأول (534-548م).

هناك كاتب آخر من عهد جستنيان وهو بروكويوس، ولكنه أيضا ليس مصدراً أكثر موثوقية للشئون الغربية، إذ لم يشير إلى زواج ثيودريك وأوديلدا بالتزامن مع حملة ثيودريك ضد أدواكر واستيطانه في إيطاليا ولكن بدلاً من ذلك قال:

"لكن بعد سقوط أدواكر بدأ الثورننجيون Thuringian والقوط الغربيون يخشون سيطرة الجرمان (الفرنجة) التي كانت تنمو الآن أكثر فأكثر، ذلك لأن بلدهم كانت قد أصبحت منطقة آهلة بالسكان وكانوا يجبرون الذين يقفون في طريقهم بين حين وآخر على الإذعان دون موارد، وعليه كانوا متلهفين لاكتساب حلف القوط مع ثيودريك. وبما أن ثيودريك كان يريد أن يرتبط بهذه الشعوب لذلك لم يرفض الزواج معهم، وبناءً عليه زوج ابنته الأصغر سناً ثيودوجوثا Theodichusa إلى آلاريك قائد القوط الغربيين، وآمالابرجا Amalaberga ابنة شقيقته أمالافريدا Amalafrida إلى هرمنفريد Hermenefridus حاكم الثورنجنين. ونتيجة لذلك أحجم الفرنجة عن العنف ضد هذه الشعوب خوفاً من ثيودريك، ولكنهم شرعوا في حرب ضد البرجنديين، ولكن فيما بعد دخل الفرنجة والقوط في تحالف ضد البرجنديين، ووافقوا على وجوب جيش ضدهم..."⁽¹⁾.

ولكن رداً على دقة توضيح بروكويوس لهذا التطور التاريخي نجد أن توضيحه ذلك مشكوكاً به منذ إشارته الغامضة لتاريخ الفرنجة، كما أنها لا تكشف عن توقعاته للدوافع والنتائج المترتبة على هذه المصاهرة، كما أن بروكويوس يفسر المصاهرات التي تربط الشعوب بالملك ثيودريك على أنها أداة

(1) بروكويوس القيصري: الحروب القوطية، ج1، ص 90.

دبلوماسية مفترضة للحفاظ على سلامتهم من بطش الفرنجة الجشعين. كما ذكر جريجوري التوري أن كلوفس غزا مملكة الثورنجين في السنة العاشرة من حكمه (نحو 491م)، وأن زواج هرمنفريد وآمالابرجا ربما يكون رد فعل نتيجة تلك الحملة على الثورنجين، بعد ذلك أظهر كلوفس نفسه كقوة لا يستهان بها⁽¹⁾. ومن المثير للاهتمام يبدو أن أبناء كلوفس انتظروا حتى وفاة والدهم لاستكمال غزو الثورنجين نحو عام 531م، ولم توقف القراية بين ثيودريك وآلاريك، كلوفس من الصدام مع آلاريك في معركة عسكرية.

وبذلك فشل بروكويوس أيضاً في الإشارة إلى كل من زواج ثيودريك من العروسة الفرنجية، وأيضاً إلى زواج كلوفس من الأميرة البرجندية، وكل منهما تعارض مع شرحه الكبير لتطور العلاقات الدولية في هذه الفترة. ومن ثمّ يمكن أن يكون بروكويوس قد اختصر هذه الفترة في تاريخه، واعتمد بشكل كبير على توقعات القراية التقليدية لمثل هذه المصاهرات عندما قال إن القوط الشرقيين والفرنجة قد تحالفوا ضد البرجنديين⁽²⁾، ولم يشر مطلقاً إلى أي زواج يربط بينهم، وقد أظهر كذلك الإشارة إلى القراية على أنها ليست ضرورية لعقد التحالفات على الإطلاق، ومن ثمّ فإنّه من المنطقي أن نرى في زواج أودفيلدا وثيودريك على أنه محاولة من جانب كلوفس لتعزيز مكانته بين غيره من ملوك الفرنجة المنافسين، وليس أداة دبلوماسية لثيودريك لتعزيز نفوذه الخارجي.

وقد اقترح مورهد المؤرخ Moorhead أن بعض المصاهرات التي عُقدت بين عائلة ثيودريك وبين الحكام الجرمان الآخرين بدأت بهؤلاء سعيّاً إلى "حلف مرجوة" خاصة بعد هزيمة أدواكر⁽³⁾. ويعتقد جوردان إن كلوفس كان محظوظاً

(1) Gregory of Tours: Franks, P.56;

(2) ربما يشير إلى حملة أبناء كلوفس ضد البرجنديين عام 534 م.

(3) John Moorhead: Theoderic in Italy. Oxford: Clarendon Press, 1992, p.51.

لمصاهرة أسرة ثيودريك الحاكمة، لأن ذلك من شأنه وضعه فوق أي ملك آخر من ملوك الفرنجة المنافسين مثل سيجبرت الأعرج⁽¹⁾ Sigibert the Lamé ملك كلوني، وشاراريك⁽²⁾ Chararic وراجناشار Ragnachar ملك كامبري الذين كانوا لا يزالون ينافسون كلوفس على القيادة الفرنجية.

ويجب أن نلاحظ هذا على الرغم من وجود علاقة متفاوتة بين الفرنجة والقوط الشرقيين (لكنهم أحياناً حلفاء، وأحياناً أعداء)، ومع ذلك ثيودريك لم يطرد أوديلدا مطلقاً على الرغم من إنها أنجبت له ابنة واحدة. وفي الحقيقة أنه رغم أن الفترة من 493م حتى 511م تتميز بتغير التحالفات العسكرية باستمرار بين الفرنجة، البرجنديين، القوط الغربيين والقوط الشرقيين، ووجود مطامع للقوط الشرقيين تهدف إلى التوسع الإقليمي، وأيضاً مطامع الملوك الشخصية، فإنه لا أحد من هؤلاء الملوك الذين تزوجوا من الأميرات الأجنبية طلق زوجته مطلقاً، حتى عندما وقفت شعوبهم بعضها ضد بعض في المعركة.

(1) سيجبرت الأعرج: هو ملك الفرنجة البريون Ripuarian، وقد أوقع كلوفس بين شلودريك بن سيجبرت الأعرج وأبيه، وتحالف معه حتى أعلن الحرب ضد أبيه وقتله، ثم قتله كلوفس وسيطر على مملكته... انظر:

Gregory of Tours: Franks, PP.47-8;

انظر أيضاً، عليّة الجنزوري: جريجوري التوري، ص 107؛ محمود سعيد عمران: المؤرخ جريجوري التوري وتأريخه للملك كلوفس من خلال كتاب تاريخ الفرنجة، (بيروت 1980)، ص 41.

(2) شاراريك: هو ملك الفرنجة البحريين Salian Franks، وقد وقف على الحياد أثناء حرب كلوفس مع سياجريوس، ولكن كلوفس قضى عليه فيما بعد وقتله وأخذ ممتلكاته وثروته وأخضع شعبه... للمزيد انظر:

Gregory of Tours: Franks, P. 49;

انظر أيضاً، عليّة الجنزوري: جريجوري التوري، ص 109؛ عمران: جريجوري التوري، ص 42.

ولم تكن التحالفات العسكرية في هذه الفترة دائماً تجد الكثير من التعاون بالزواج منذ إرتباط ثيودريك بالملوك البرابرة عن طريق الزواج، على الرغم من قتال هؤلاء الملوك البرابرة أنفسهم في عدة معارك. ورغم استخدام جوردان كلمة العصبية والمساعدة في الارتباط بالزواج فإن هناك القليل من الأدلة على التعاون السياسي أو العسكري بين كلوفس وثيودريك إلى جانب الهزيمة اللاحقة التي كسرت الألمانى، وإرسال العازف قيثارا (Cithara) (Citharoedus)⁽¹⁾ إلى بلاط كلوفس، فإن المغزى والدوافع لهذه المصاهرة الكاذبة في حالة تقريرها ساعدت كل طرف على الوضع السياسي داخلياً سواء ضد ملوك الفرنجة المنافسين بالنسبة لكلوفس أو خارجياً بالنسبة لثيودريك وكلوفس أيضاً ضد الملوك الجرمان الآخرين.

(1) أثناء الحرب بين كلوفس وقبائل الألمانى عام 506م، فر العديد من الألمانى إلى مملكة ثيودريك، وعندها أرسل ثيودريك عدة رسالة لكلوفس بعدم مطارتهم، كما أرسل إليه العازف قيثارا بناءً على رغبة كلوفس... للمزيد انظر:

Cassiodorus: The letters, PP.194-5.

* آلاريك وثيودوجوثا:

تولى الملك آلاريك الثاني (Alaric II 485-507م) عرش مملكة القوط الغربيين بعد وفاة أبيه إيورك، وحكم في مدينة تولوز، وظل في الحكم لمدة 23 عاماً⁽¹⁾، ولكن لم يكن له ما كان لوأله من مهارة في الشؤون السياسية والعسكرية بل كان ضعيفاً قصير النظر، ليس على شيء من الحصافة والمرونة، وواجه في بداية عهده غزو الفرنجة لغالة بقيادة كلوفس وإنزال الهزيمة بسياجريوس Siagrius في معركة سواسون Bataille De Soisson سنة 486م⁽²⁾. وعلى الرغم مما ترتب على ذلك من خطر في قلب غالة، وفرار سياجريوس والتجائه إلى آلاريك الثاني وهدم الولاية الرومانية التي كانت حاجزاً بين الفرنجة والقوط الغربيين، فإن آلاريك أظهر جهلاً وقصر نظر حين بادر بتسليم سياجريوس إلى غريمه كلوفس فلم يتوان في قتله، فدل ذلك على رعونة وسذاجة آلاريك بعد أن أصبحت مملكة الفرنجة وجهاً لوجه أمام مملكة القوط الغربيين⁽³⁾.

يتضح مما سبق، أن سياسة ثيودريك العظيم الخارجية ارتكزت على حماية شبه الجزيرة الإيطالية من أي خطر يهددها، وتقويه نفوذه الخارجي، فقام بعقد سلسلة من المصاهرات السياسية مع ملوك الجرمان من أجل أن يفوت

(1) Isidore of Seville: History of the Goths, p. 18.

(2) Gregory of Tours: Franks, P. 36 ; Oman: Dark Ages p. 59;

انظر أيضاً، الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 60؛ عليّة الجزوري: جريجوري الثوري، ص 88؛ عمران: جريجوري الثوري، ص 26؛ فاطمة الشناوي: معركة سواسون، ص 882، 887.

(3) إبراهيم طرخان: القوط الغربيين، ص 97؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 59-60.

الفرصة على الإمبراطور البيزنطي أنستاسيوس الأول (491-518م) في اللجوء إلى سياسة "فرق تسد"، التي بواسطتها يستطيع تأليب ملوك الجرمان بعضهم ضد البعض، كما استخدم زينون - من قبل - ثيودريك ضد أدواكر، فإن أنستاسيوس يستطيع أيضاً أن يقوم بالدور نفسه⁽¹⁾، فكان من سياسة ثيودريك هذه أن زوج ابنته غير الشرعية التي تدعى ثيودوجوثا Theodoegotha إلى آلاريك الثاني ملك القوط الغربيين عام 500م⁽²⁾.

ولم يدرك ملوك الجرمان أهداف ثيودريك من وراء تلك المصاهرات السياسية، وبدلاً من الأخذ بالمبدأ القائل "الاتحاد قوة والتفرق ضعف" إنفرط عقد ملوك الجرمان، حيث غلب عليهم مصلحتهم الشخصية على حساب المصلحة العامة، ومن ثم لم يكن من المنتظر أن يستمر ذلك التحالف طويلاً، إذ سرعان ما إنهار تحت أقدام كلوفس ملك الفرنجة⁽³⁾.

- معركة فوييه VOUILLE :

ظل الملك كلوفس مقيداً بعد اعتلائه العرش لمدة خمس سنوات بواسطة إيورك ملك القوط الغربيين، لكن ما أن توفي الملك إيورك عام 485م⁽⁴⁾ وتولى ابنه آلاريك الثاني⁽⁵⁾ Alaric II (485-507م) عرش مملكة القوط الغربيين، حتى تنفس كلوفس الصعداء، وذلك لأن الملك آلاريك لم يكن له ما كان لوالده من

(1) Villari: Barbarina, pp.70-71; Bury: Roman Empire, vol. I. p.462;

انظر أيضاً، ايهاب صديق العربي: مملكة القوط الشرقيين، ص 218.

(2) Jordanes: The Gothic, p.137; Isidore of Seville: Goths, p.18; see also, Roger Collins: Visigothic Spain, p.33.

(3) Gregory of Tours: Franks, P. 45; Wood: Merovingian, p.41.

(4) علية الجنزوري: جريجوري التوري، ص 87.

(5) تولى الملك آلاريك الثاني (485-507م) عرش القوط الغربيين بعد وفاة والده الملك إيورك، وحكم في مدينة تولوز Toulouse، وظل في الحكم لمدة 23 عاماً. انظر:

Isidore of Seville: Goths, p. 18.

مهارة في الشؤون السياسية والعسكرية بل كان ضعيفاً قصير النظر، ليس على شيء من الحصافة والمرونة، فقد واجه في بداية عهده غزو الفرنجة لغالة بقيادة كلوفس وإنزال الهزيمة بسياجريوس في معركة سواسون سنة 486م⁽¹⁾، الذي هرب إلى آلاريك الثاني ينشد المأوى والملاذ⁽²⁾.

ويبدو أن كلوفس كان واثقاً من نفسه ومن قوة جيوشه فأرسل إلى آلاريك رسالة تهدد مطالباً إياه بأن يسلمه سياجريوس وإلا تعرض للهجوم. ويبدو أن آلاريك لم تكن لديه القدرة أو الجرأة لتحدي كلوفس أو ربما لم يكن مستعداً لمثل هذه الحرب التي لم يكن له فيها أي مصالح، ومن ثم فقد بادر بالاستجابة لمطالب كلوفس وتسليم سياجريوس تم الاحتفاظ بسياجريوس سجيناً إلى أن تمكن كلوفس من الاستيلاء على كل مملكته فأمر بقتله⁽³⁾.

ومن ثم فقد زالت الدولة الحاضرة وصار الفرنجة والقوط الغربيون جيراناً مباشرين، ولكن اللافت للنظر، أن دولتي القوط صارتا تخطبان وده، فقد بادر آلاريك الثاني بتسليمه سياجريوس سي يحافظ على علاقاته الجيدة بملك الفرنجة، بينما سعى ثيودريك ملك القوط الشرقيين إلى إقامة تحالف متين وعلاقات ود وصداقة فتزوج في سنة 493م من أودفيلدا شقيقة كلوفس. وعلى الرغم من هذا الحرص القوطي على عدم إثارة غضب ملك الفرنجة، فإن ذلك

(1) Gregory of Tours: Franks, P. 36 ; Oman: Dark Ages p. 59;

انظر أيضاً، الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 60؛ علية الجنزوري: جريجوري التوري، ص 88؛ عمران: جريجوري التوري، ص 26؛ فاطمة الشناوي: معركة سواسون، ص 882، 887؛ كريم عبد الغني عبد العاطي: هجرات القوط الغربيين ودولتهم في جنوب غالة وإسبانيا، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب، جامعة المنصورة 2009م، ص 195.

(2) كريم عبد الغني: القوط الغربيين، ص 196.

(3) Gregory of Tours: Franks, P. 139 ;

انظر أيضاً، كريم عبد الغني: القوط الغربيين، ص 196.

لم يمنع قيام بعض فصائل الفرنجة سواء بأوامر من كلوفس أو من تلقاء أنفسهم، بعبور نهر اللوار للاستيطان داخل أراضي القوط، وإذا كانت جيوش القوط قد تمكنت من طردهم فإنهم عادوا بعد ذلك واحتلوا مدينة بوردو⁽¹⁾.

وعلى الرغم مما ترتب على ذلك من خطر في قلب غالة، وفرار سياجريوس والتجائه إلى آلاريك الثاني وهدم الولاية الرومانية التي كانت حاجزاً بين الفرنجة والقوط الغربيين، فإن آلاريك أظهر جهلاً وقصر نظر حين بادر بتسليم سياجريوس إلى غريمه كلوفس فلم يتوان في قتله، فدل ذلك على رعونة وسذاجة آلاريك بعد أن أصبحت مملكة الفرنجة وجهاً لوجه أمام مملكة القوط الغربيين⁽²⁾.

ولكن لم يكن الملك كلوفس يبدقاً أو حتى فارساً في لعبة شطرنج ثيودريك السياسية والدبلوماسية التي قام بها، بل كان ملكاً طموحاً يريد أن يوطد حكمه ويوسع مملكته، ولم يكن أمام كلوفس سوى مملكة البرجنديين في جنوب شرق غالة، ومملكة القوط الغربيين في جنوب غالة الذين يسيطرون على جانب كبير من بلاد الغال، ولذلك عندما لاحظ كلوفس ضعف آلاريك ملك القوط الغربيين نجد أن أنظاره اتجهت نحو الجنوب لتوسيع مملكته، وقد أيد ذلك الأحداث التي وقعت في عام (507م) التي أدت إلى القول أعظم انتصاراً له على القوط الغربيين في معركة فوييه Vouillé⁽³⁾.

على الرغم من قيمة شبكة المصاهرات التي أظهرها ثيودريك العظيم وجهوده فإنه لا يمكن تفادي حدوث معركة فويسيه التي تحالف فيها الفرنجة والبرجنديون ضد القوط الغربيين، ما أسفر عن قتل ملكهم آلاريك الثاني صهر

(1) كريم عبد الغني: القوط الغربيين، ص 196.

(2) إبراهيم طرخان: القوط الغربيين، ص 97؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 59-60؛

كريم عبد الغني: القوط الغربيين، ص 196.

(3) Crisp: Marriage and Alliance, p77..

ثيودريك. وقد أرسل ثيودريك قوة لدعم القوط الغربيين ووصلت في الوقت المناسب لوقف توسع الفرنجة والبرجندين. وفي الوقت نفسه هبّ ثيودريك في الغرب هاجمها كلوفس، وموقفه في إيطاليا تعرض لضغوط كبيرة من القسطنطينية، وكان على وشك أن يبدأ حرب مع البيزنطيين⁽¹⁾.

ولكي نتبع نصر كلوفس في معركة فويسيه، فإن الإمبراطور أنستاسيوس الأول قد كافأه بالقبض على الشرفية التي تمثل اعتراف رسمي للإمبراطور بحكم كلوفس في الغرب وإبعاد ثيودريك ملك القوط الشرقيين (هكذا فضل الإمبراطور أكثر حاكم بربري في الغرب)⁽²⁾. كما أنّه في أعقاب النصر في فويسيه سيطر كلوفس على أجزاء كبيرة من الجزء الشمالي في أكويتين Aquitaine، وعمل على إبعاد ثيودريك عن أن يصبح ملكاً على القوط الغربيين، في حين أن ثيودريك وطد القوط الشرقيين في بروفانس Provence وحتى خارجها على حساب البرجندين⁽³⁾. ولكن من الواضح أن الطموح السياسي والمصالح الشخصية تغلبت على روابط القرابة بين كلوفس وثيودريك.

وهكذا يتضح مما سبق، أن اعتناق كلوفس للمسيحية الكاثوليكية جاء على غير هوى الملوك الجرمان، ونذيراً بفشل التحالف السياسي الذي عقده الملك ثيودريك معهم، حيث صمم كلوفس على أن يقضي على الآريوسيين عامة وفي إقليم الغال خاصة، وقد وجد تأييداً كبيراً من رجال الدين الكاثوليك لتحقيق رغبته، وذلك عندما كتب أفيتوس Avitus أسقف فيينا إلى كلوفس قائلاً:

(1) Moorhead, Theoderic in Italy, pp.184- 8 ; Heather, The Goths, p.229.

(2) Samuel Dill, Roman Society in Gaul in the Merovingian Age, London, George Allen &- unwin LTD, 1926, p. 104 ; Wolfram, History of the Goths, trans. Thomas J. Dunap (Berkeley: University of California Press, 1997), pp. 309-315; and Wood, The Merovingian Kingdoms, pp. 47, 48-9. ; Moorhead, Theoderic in Italy, pp.185-6.

(3)Wolfram: Goths,pp. 309-315; and Wood, Merovingian Kingdoms, pp. 47, 48-9.

"إيمانك هو انتصارنا"، ثم حثه على نشر الكاثوليكية بين الجرمان في أكبر مساحة من الأرض التي لم تكن قد فسدت بعد بمذاهب الهراطقة⁽¹⁾، أما كلوفس فقد نصب نفسه حامياً للكاثوليكية ونصيراً لها عندما صرح قائلاً: "يؤسفني أن يسيطر هؤلاء القوم الآريوسيون على هذا الجزء الواسع من بلاد الغال لنذهب ونهزمهم بعون الله ونخضع أراضيهم لسلطتنا"⁽²⁾.

ونتيجة لذلك لم يتردد الملك كلوفس في تنفيذ سياسته بالقضاء على الآريوسيين، فعندما لاحظ ضعف آلاريك ملك القوط الغربيين الشخصي بين قومه، وعدم شعبيته بين رعاياه من الرومان انتهز الفرصة في محاربته وطرده من غالة، وبرر قيامه بذلك العمل بكرهه للآريوسيين بسبب استمرار آلاريك الثاني في اتباع سياسة والده في التعصب ضد رجال الدين الكاثوليك⁽³⁾، إذ قام بطرد فولزيانوس Voulisianus أسقف مدينة تور، كما قام بنفي روريكيوس Ruricius أسقف مدينة ليموج Limoges وسيزاريوس Caesarius أسقف مدينة آرل إلى بوردو⁽⁴⁾.

(1) Avitus of Vienne: Letters and Selected Prose, PP.369,373; Pfister: "Gaul under Merovingian Franks" in CMH, vol II. P. 112; Previté-Orton: The Shorter Cambridge Medieval History, Vol I, pp. 151-2;

انظر أيضاً، عليّة الجنزوري: جريجوري التوري، ص 99.

(2) Gregory of Tours: Franks, P.45.

(3) Christian Pfister: "Gaul under Merovingian Franks" in CMH, vol II. P. 113. أظهر القوط الغربيون تسامحاً كبيراً نحو رجال الدين الكاثوليك، إلا أن تلك المعاملة لم تلبث أن انقلبت رأساً على عقب، عندما تولى إيورك أمور الحكم، حيث كان دائم الشك والارتياب في ولاء رجال الدين الكاثوليك للحكم القوطي... للمزيد انظر:

Ludwig Schmidt: "The Visigoths in Gaul", 412 - 507, Cambridge Medieval History, Vol.1 (Cambridge. 1911), P. 291.

(4) Pfister: "Gaul under Merovingian Franks" in CMH, vol II. P. 113.

انظر أيضاً، إسحق عبيد: من آلارك إلى جستنيان، ص 107.

ولما أحس الملك القوطي بخطر الفرنجة الوشيك، اتخذ العديد من الإجراءات لكي يحجب رجال الدين الكاثوليك في حكم القوط الآريوسيين، فأعاد بعض الأساقفة من منفيهم إلى أبرشياتهم، وأصدر مرسوماً جاء فيه أن حرية العبادة صارت مكفولة للرعايا الكاثوليك في غالة وإسبانيا يتعبدون حسب رغبتهم وأن تباشر المحاكم الكنسية القضايا الدينية، وصار حقاً لرجال الدين الكاثوليك أن يرفعوا الدعاوى أمام المحاكم المدنية، ومن الكهنة الذين ثبت كذب شهادتهم أمام المحاكم المدنية، ينالهم العقاب على الكذب ولا يتعرضون للتعذيب، وإن كان آلاريك منع الزواج بين القوط والرومان فقد كان ذلك استجابة للتعاليم الكاثوليكية، كما سمح لهم بعقد مجمع ديني في مدينة أجديا⁽¹⁾ Agde، وقد ورد في ديباجة قرارات ذلك المجمع الدعاء لآلاريك الثاني بطول العمر ودوام الحكم⁽²⁾.

على الجانب الآخر، لم يستطيع كلوفس التراجع عن تحدى آلاريك، كما أن موقفه كذلك كان الأقوى، حتى كما لو كان أصبح قريباً الأقوى، وسوى مشاكله مع الملوك البرابرة الآخرين فضلاً عن مكانته بين شعوب الفرنجة. ويخبرنا جريجوري التوري أن كلوفس وآلاريك قبل معركة فوييه كونوا صداقة، إذ يقول جريجوري أن آلاريك ملك القوط الغربيين عندما لاحظ أن كلوفس يقوم بهزيمة الشعوب واحداً تلو الآخر أرسل إليه المبعوثين قائلاً: "يبدو لي أيها الأخ العزيز أنه سيكون شيئاً جميلاً لو التقينا بمشيئة الله" وافق كلوفس على ذلك، وسافر للقاء آلاريك، التقى الاثنان بالقرب من أمبيز Amboise

(1) أجديا: تقع أجديا في جنوب فرنسا على مسافة 51 كم جنوب غرب مونبلييه، وتعد ميناء مهم على البحر المتوسط، وقد عقد فيها مجمع ديني في 10 سبتمبر عام 506م برئاسة قيصر يوس Caesarius أسقف آرل. وحضره خمسة وثلاثون من الأساقفة... للمزيد انظر:

Bouillet: Dictionnaire universel d'histoire et de géographie, p.23.

(2) Pfister: "Gaul under Merovingian Franks" in CMH, vol II. P. 113;

انظر أيضاً، إسحق عبيد: آلارك، ص 107.

على جزيرة نهر اللوار التابعة لمدينة تور، وتباحثا معا، وجلسا جنباً إلى جنب على المائدة، وأقسما على الصداقة الأبدية فيما بينهما، وعاد كل منهما إلى وطنه في سلام واطمئنان⁽¹⁾.

ولكن دام هذا السلام لسنوات قليلة، وعندما استفحل خطر الفرنجة تدخل ثيودريك ملك القوط الشرقيين في الأمر من أجل صالح الشعوب الجرمانية في المنطقة ومنهم القوط الغربيين، وأرسل رسالة إلى كلوفس مذكراً إياه بضرورة الحفاظ على السلام، وحاول أن يثنيه عن الحرب التي سيخوضها بدون سبب مقنع، كما أشار إلى المآسي التي تجلبها الحروب للشعوب، واستعداد كل ملك للحرب تحسباً للرفض منذ إرسال السفراء، واختتم ثيودريك رسالته قائلاً: "ألق بالسيف بعيداً يا من تريد رفعه لتسبب لي الخزي والعار، إنّه من حقي كأب وصديق أن أوجه إليك التهديد في هذا المقام، يا من تسعى إلى احتقار ما بيننا من مودة، سوف تلقى شيئاً لم تكن تتوقعه من قواتنا وقوات أصدقائنا"⁽²⁾، وفي الوقت نفسه بعث برسالة إلى آلاريك الثاني يحذره من مغبة الدخول في الحرب قائلاً: "رغم قوتك وشجاعتك وخاصة عندما تذكر عظمة أجدادك الذين أخضعوا أتيل الجبار، فإنّ عزم شعبك قد وهن من طول السلام وفترت حماسهم للحرب... لا تجعل استيائك من تصرف كلوفس يعمي بصيرتك عن مصالح شعبك، انتظر حتى أرسل السفراء إلى ملك الفرنجة وأحقق السلام بينكما، باعتباركما حليفين بالمصاهرة"⁽³⁾.

(1) Gregory of Tours: Franks, P. 44.

(2) Cassiodorus: Letters, P. 199; See Also, Hodgkin: Italy Vol.3. P. 356; Pfister: Gaul under Merovingian Franks, vol. II P. 113; Jonathan J. Arnold: Theoderic, the Goths, and the Restoration of the Roman Empire, (Michigan. 2008) P. 241-242.

(3) Cassiodorus: Letters, PP. 196 -7; See Also, Hodgkin: Italy Vol.3. P. 344; Pfister: Gaul under Merovingian, P. 113; Moorhead: Theoderic, P. 177; Arnold: Theoderic, P. 242.

وفي الوقت نفسه بعث ثيودريك برسالة إلى الملك جندوباد يحثه فيها على التعاون معه لإحلال السلام بين ملوك الجرمان بعضهم بعضاً⁽¹⁾، كذلك بعث ثيودريك برسالة إلى ملوك قبائل الهيرولي Heruli والوارني Warni⁽²⁾ والثورنيجيون حذرهم فيها من طموح كلوفس، واقترح إرسال بعثة مشتركة نيابة عن ملوكهم وملوك القوط الغربيين والشرقيين والبرجنديين إلى ملك الفرنجة، من أجل إحلال السلام بين كلوفس وآلاريك الثاني، وذكر ملوك تلك القبائل بالمنافع والحماية التي توفرت لهم على أيدي إيورك والد آلاريك الثاني الذي يتعرض للتهديد من قبل كلوفس⁽³⁾.

حتى الآن يبدو أن خطابات ثيودريك تشير إلى الخلاف الذي نشأ بينهما وقادهم إلى فوييه، وقد حاولت هذه الخطابات حل الخلاف بين كلوفس وآلاريك بطريقة ودية، ولكنها نوعاً ما كانت قاصرة وحجة للاثنتين للذهاب إلى الحرب. في مثل هذه الحالة فإنه ليس من المستغرب أن ثيودريك كان قادراً على وضع حدٍ لهذه الأزمة دون اللجوء إلى الحرب. ويجب علينا رؤية هذه المعركة على أنها واحدة تخص النفوذ والهيمنة، ومن هو الحاكم البربري الأكثر تفوقاً في

(1) Cassiodorus: Letters, P. 197; See Also, Hodgkin: Italy Vol.3. P. 344; Pfister: Gaul under The Merovingian, P. 113; Moorhead: Theoderic, P. 177; Arnold: Theoderic, P. 242.

(2) الوارني: تنتمي قبائل الوارني Warni أو الفارني Varni إلى فرع الجرمان الغربيين، وقد سكنوا في المنطقة الممتدة بين نهر الدانوب وبحر البلطيق، ودخلوا في تحالف مع الفرنجة، بعد وفاة ثيودريك ملك القوط الشرقيين حيث تزوج ملكهم رادجيس Radigis من شقيقة الملك ثيودبرت الأول Theudebert I بن ثيودريك الأول بن كلوفس ملك الفرنجة، وقد أثنى بروكوبيوس القيصري على شجاعتهم إذ كانوا يقابلون أعداءهم سيرا على الأقدام لأنهم كانوا لا يجيدون الفروسية. انظر:

Procopius of Caesarea: History of the Wars Books V and VI, eng. Trans Dewing, (H.b.) vol.3. (London, 2007) PP. 471- 2.

(3) Cassiodorus: Letters, P. 198; See Also, Hodgkin: Italy Vol.3. P. 355; Schmdit: The Visigoths in Gaul, vol.1. P.284; P. 121; Wolfram: Goths, P. 318; Arnold: Theoderic, P. 244.

بلاد الغال؟ وقد فضل جندوباد اتخاذ جانب كلوفس ضد آلاريك الثاني وثيودريك العظيم. كلوفس الذي تزوجت شقيقته ثيودريك القوطي، وجندوباد الذي تزوج ابنه ابنة ثيودريك، وآلاريك الذي كان متزوجاً من ابنة ثيودريك الأخرى.

وكانت حقيقة الوضع أن كلوفس وثيودريك يستطيعون استخدام علاقاتهم ببعض لتعزيز وضعهم ضمن حدود سياسة ممالكهم الخاصة، ولكن عندما جاء هذا الصراع إلى ممالكهم، فإن كل واحد منهم اقترب من الموقف بمملكته الخاصة إلى الأمام. وهكذا نجد أن الملك ثيودريك حاول تأكيد مركزه كأكثر ملك جرمانى شهره عن طريق فرض سيطرته على تلك المناطق التي يعتقد أنها تخضع لسيطرته. وقد أظهر ولفرام Wolfram كيف أن هذه الحرب ليست معركة واحدة ولكن الصراع ممتد منذ بداية عام 490م الذي بلغ ذروته في معركة فويسيه⁽¹⁾. كما يرى بيتر هيزر أن ثيودريك كان أكثر اهتماماً بشخصه من السلام العالمي. ثيودريك ربما حاول استخدام روابط الزواج مع الملوك الجرمان الآخرين للتأثير عليهم والحصول على ما يريد، ولكن لو فشلت هذه الطريقة فإنه كان مستعداً لطرق أخرى لتحقيق أهدافه⁽²⁾.

كما ناقش ولفرام أيضاً أن آلاريك دعماً جندوباد في الحرب الأهلية البرجندية 500-501م في مقابل السيطرة على مدينة أفينون Avignon⁽³⁾. ووفقاً للمفهوم التقليدي لزواج التحالف كان من المفروض أن ينضم جندوباد لمعسكر ثيودريك وآلاريك. ولكن على الرغم من هذه العلاقات بمجرد أن بدأ كلوفس الحرب ضد القوط الغربيين فإن جندوباد رأى أنها فرصة مناسبة للتوسع (أو على الأقل الحصول على أفينون مرة أخرى) وانضم إلى كلوفس وأدار ظهره لزواج التحالف مع ثيودريك وحليفه السابق آلاريك، وانضم إلى الرجل الذي حاصره قبل سبع سنوات وفرض الجزية عليه.

(1) Wolfram, History of the Goths, p. 191.

(2) Heather: The Goths, pp. 231- 2.

(3) wolfram, History of the Goths, p. 192.

وعلى الرغم من محاولات ثيودريك الدبلوماسية لوأد فتيل الحرب بين الفرنجة والقوط الغربيين ، فإن تلك الجهود باءت بالفشل بسبب عناد كلوفس وإصراره على توسيع حدود مملكته على حساب القوط الغربيين⁽¹⁾ ، كما أن كلوفس وجد الفرصة المناسبة لكي يخوض الحرب بصفته البطل المدافع عن العقيدة الكاثوليكية ضد آلاريك وعقيدته الآريوسية ، وقد قام كلوفس بتقدير قوة القوط حق قدرها ، وضم إلى جانبه سيجبرت الأعرج Sigibert ملك الفرنجة البرين كما ضم إلى جانبه -أيضاً- عدوه القديم جندوباد ملك البرجندين⁽²⁾ ، واعتمد كلوفس أيضاً على البيزنطيين الذين وضعوا أسطولهم في وضع الاستعداد على الشواطئ الشرقية⁽³⁾ .

أما بالنسبة للملك آلاريك فإنه لم يقف خاملاً في مواجهة الأحداث ، ولكن الحالة المالية السيئة في مملكته وقفت عائقاً أمام استعداداته ، ومن أجل الحصول على التمويل المناسب اضطر إلى سك عملة قليلة القيمة فقدت مصداقيتها في كل مكان. وكان من الواضح أن قوات الفرنجة تتفوق على قوات القوط الغربيين ، ولكن إذ قدر لقوات القوات الشرقيين التي عقد عليها آلاريك الآمال أن تصل في الوقت المناسب ، فقد يتمكن من التصدي لقوات خصومه⁽⁴⁾ .

(1) Bradley: Goths. P. 179.

(2) Gregory of Tours: Franks, P. 46; Isidore of Seville: Goths, P. 97; See Also, Collins: Early Medieval, P. 107.

(3) Schmidt: The Visigoths in Gaul, in CMH, Vol.1 p.286;

انظر أيضاً، كريم عبد الغني : القوط الغربيين ، ص 198.

(4) Schmidt: The Visigoths in Gaul, in CMH, Vol.1 p.286;

انظر أيضاً، كريم عبد الغني عبد العاطي : القوط الغربيين ، ص 198.

وهكذا كان على كلوفس أن يقوم بعمل حاسم قبل وصول قوات القوط الشرقيين⁽¹⁾. وتقدم كلوفس بالفعل وتقابل مع القوط الغربيين في سهل كامبوس فولجادنيسس Campus Volgadensis أو فوييه Vouille قرب مدينة تور⁽²⁾، وعندئذ تقهر آلاريك الثاني ربما انتظاراً لمساعدة ثيودريك، غير أن قادة جيشه أجبروه في نهاية الأمر على خوض المعركة⁽³⁾، وفيها أحرز الفرنجة نصراً كاملاً على القوط الغربيين، وقُتل آلاريك الثاني بيد كلوفس نفسه في ميدان القتال عام 507م⁽⁴⁾، أمّا ابنه أمالريك Amalaric الذي كان عمره لا يتعدى خمس سنوات فقد كان أحسن حظاً من والده، إذ نجح فريق من القوط في حمايته والفرار به إلى إسبانيا⁽⁵⁾.

تقدم الحلفاء غداة معركة فوييه نحو مدينة تولوز عاصمة القوط الغربيين واستولوا عليها⁽⁶⁾، ووضعوا أيديهم على كثير من كنوز القوط، التي كان آلاريك الأول قد حملها من إيطاليا قبل ذلك بنحو مائة عام⁽⁷⁾، ولم يكتف الحلفاء بالاستيلاء على مدينة تولوز بل أحدثوا فيها كثيراً من الخراب والدمار وأشعلوا فيها النيران⁽⁸⁾، ثم قسم المنتصرون أنفسهم إلى ثلاثة أقسام، الأول بقيادة كلوفس

(1) Schmidt: The Visigoths in Gaul, in CMH, Vol. I p.286;

انظر أيضاً، كريم عبد الغني عبد العاطي: القوط الغربيين، ص 198-199.

(2) Gregory of Tours: Franks., P. 46.

(3) بروكوبيوس القيصري: الحروب القوطية، ج 1، ص 92.

(4) Gregory of Tours: Franks., P. 46; Isidore of Seville: Goths, P. 97; See Also, Schmidt: The Visigoths in Gaul, in CMH, Vol. I. P.287; Wood: Merovingian, P. 42.

(5) Gregory of Tours, Franks P. 46.

(6) Gregory of Tours: Franks., P. 47.

(7) بروكوبيوس القيصري: الحروب القوطية، ج 1، ص 92؛ انظر أيضاً إسحق عبيد:

آلارك، ص 81.

(8) Gregory of Tours: Franks., P. 47.

ووجهته المنطقة الغربية من مملكة القوط الغربيين واستولى على مدن فوز Fauze وبازاس Pazas وبوردو وأنجوليم⁽¹⁾ Angouleme⁽²⁾، والثاني برئاسة ثيودريك الأول Theuderic I (511-534م) بن كلوفس ووجهته المنطقة الوسطى واستولى على مدن ألبى Albi ورودز Rodez وأوفيرني⁽³⁾ Auvergne⁽⁴⁾ والثالث برئاسة جندوباد ووجهته المنطقة الشرقية، إذ قام باجتياح إقليم بروفانس واستولى على كل مدنه بما فيها ناربون Narbonne باستثناء مدينة آرل التي صمدت بفضل مقاومة القوط الغربيين⁽⁵⁾.

من الأمور التي أدت إلى ضعف القوط الغربيين واضطراب أحوالهم - في تلك الفترة - ما حدث من انقسام داخلي على إثر مناوأة ابن آخر لآلاريك الثاني - غير شرعي - يدعى جيزالك Gesalic الذي أعلن نفسه ملكاً (507-511م) في ناربون وانحاز إليه فريق من القوط⁽⁶⁾، غير أنه اضطر إلى الفرار إلى برشلونة،

(1) أنجوليم: مدينة فرنسية تقع أنجوليم على بعد 443 كم جنوب غرب باريس، وهي مدينة وأسقفية وبها مدرسة إمبراطورية وقصور قديمة للكونتات، وكاتدرائية خربت على أيدي النورمان في القرن التاسع الميلادي. انظر:

Bouillet: Dictionnaire universel d'histoire et de géographie, PP.81-2.

(2) Gregory of Tours: 47; See Also, Pfister: "Gaul under The Merovingian, P. 114.

(3) أوفرنى: مقاطعة فرنسية قديمة تقع بين فوريز forez وفيلاي velay وليموزن limousine وكيورسي Quercy ولا مارش La marche. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.65.

(4) Gregory of Tours: 47; See Also, Pfister: "Gaul under The Merovingian, P. 114; Wood: Merovingian: P. 46;

انظر أيضاً، إسحق عبيد: آلارك، ص 81.

(5) Jordanes: The Gothic, P. 96; See Also, Pfister: "Gaul under The Merovingian, P. 114.

(6) Isidore of Seville: Goths, P. 97; See Also, Thompson, (E.A): Goths in Spain, (Oxford. 1969) P. 8

انظر أيضاً، بروكوبيوس القيصري: الحروب القوطية، ج 1، ص 92-93.

بعد أن لقي هزيمة مروعة على أيدي البرجنديين⁽¹⁾، وهكذا وجد أكثر من ملك على عرش القوط الغربيين، الأمر الذي كان ينذر معه بقرب زوال مملكتهم من إقليم الغال⁽²⁾.

تأخر ثيودريك عن مساعدة القوط الغربيين وذلك بسبب انشغاله بأحداث الحملة البحرية البيزنطية عام 507م على الساحل الجنوبي الشرقي لإيطاليا، التي جاء وصف أحداثها في حولية المؤرخ مارسيلينوس كومس Marcellinus Comes إذ قال: "زحف قائد روماني برتبة كونت Count وآخر يحمل نفس رتبته في أسطول مكون من مائة سفينة حربية مسلحة، تحمل ثمانية آلاف رجل مسلح، لتدمير ونهب المدينة القديمة تارنتيوم⁽³⁾ Tarentum، وعادوا بالنصر المشين على يد القراصنة"⁽⁴⁾.

ولا شك أن تلك الحملة البحرية كانت متعمدة ومقصودة من جانب الإمبراطور البيزنطي، ويقال إنها كانت بتحريض من كلوفس⁽⁵⁾، وقد حققت الهدف من ورائها، وهي صرف انتباه ثيودريك عن مساعدة صهره القوطي، فضلاً عن إلحاق الأضرار المادية بكل من المزارعين والتجار الإيطاليين على حد

(1) Isidore of Seville: Goths, P. 97; See Also, Thompson: Goths, P. 8

(2) Thompson: Goths, P. 8; Arnold: Theoderic, 246

(3) تارنتيوم: تقع مدينة تارنتيوم في الجزء الشرقي من جنوب إيطاليا على خليج تارانتو في البحر الأيوني ضمن إقليم بوليا، وهي عاصمة مقاطعة تارانتو، ثالث أكبر مدينة في منطقة جنوب شبه الجزيرة الإيطالية، أسسها الإغريق في القرن الثامن قبل الميلاد كمستعمرة، أطلق عليها المستعمرون القادمون من إسبرطة مدينة Taras نسبة إلى بطل خرافي، بينما الرومان دعوها Tarentum. انظر: سيد أحمد عبد الناصري: الرومان من القرية إلى الإمبراطورية، القاهرة 1976، ص 122 - 124.

(4) The Chronicle of Marcellinus Comes: Translation and Commentary, Brian Croke, (Sydney 1995), p.35; See Also, Villari: Barbarian. P. 170; Bradley: Goths, P. 180; Hodgkin: Italy, Vol. 3.P. 399; Moorhead: Theoderic, P. 182.

(5) Pfister: " Pfister: " Gaul under the Merovingian Franks ", in CMH, vol II, P.114

سواء⁽¹⁾. ولكن يقترح بيتر هيدر أن ثيودريك قد تأخر عمداً عن مساعدة آلاريك من أجل السيطرة على جزء كبير من مملكة القوط الغربيين لنفسه بعد وفاة آلاريك⁽²⁾، وعندما اندلعت الحرب عمل كل المشاركين لصالح موقفهم الخاص.

لم تقتصر مؤامرات ودسائس أنستاسيوس على الجانب العسكري، وإنما أخذت - أيضاً - شكل التحالفات السياسية مع أعداء ثيودريك، حيث أرسل أنستاسيوس سفارة تحمل رسائل المودة إلى كلوفس وتخلع عليه الروب القنصلي والعباءة الأرجوانية، وقد فصل جريجوري التوري ذلك بقوله "خرج كلوفس مرتدياً الأرجوان ممتطياً جواده، وأخذ ينثر العملات الذهبية على رعاياه وعلى طول الطريق من مدخل كنيسة القديس مارتن Martin حتى كاتدرائية تور، وأنه عرف منذ ذلك اليوم فصاعداً باسم قنصل أو أوغسطس"⁽³⁾، ولم يغب ذلك الاعتراف - أيضاً - عن ذهن بروكويوس القيصري حيث قال: "لم يعتبر الفرنجة أنفسهم حكاما على الغال إلا بعد موافقة الإمبراطور على حكم ملكهم"⁽⁴⁾، وإذا كان اعتراف الإمبراطور بكلوفس - كما يبدو من ظاهر تلك الروايات - جاء بمثابة المكافأة نتيجة الانتصارات التي أحرزها كلوفس على القوط الغربيين، فإن ذلك يعنى - وفي الوقت نفسه - تحالف الإمبراطور مع الفرنجة والبرجندين ضد ثيودريك، الأمر الذي كان بمثابة إزعاج وتهديد لحكم الأخير في إيطاليا⁽⁵⁾.

(1) Cassiodorus: Letters, P. 153; See Also, Wolfram: Goths P. 322; Heather: Goths, P. 232.

(2) Heather: The Goths, 232.

(3) Gregory of Tours: Franks, P. 47; See Also, Wood: Merovingian, P. 48
انظر أيضاً، عليّة الجنزوري: جريجوري التوري، ص 106.

(4) بروكويوس القيصري: الحروب القوطية، ت عفاف سيد صبره، القاهرة، 1986، ج2، ص 208 - 209.

(5) Moorhead: Theoderic, P. 186.

ولكن لم يستطع ثيودريك أن يغض الطرف عما حدث في إقليم الغال، فمن أجل تأمين حكمه في إيطاليا من جهة، وحماية أملاك حفيده من جهة أخرى، أرسل ثيودريك جيشاً بقيادة إيبّا Eppa، الذي ألحق بالفرنجة والبرجنديين المحاصرين لمدينة آرل هزيمة فادحة، حيث قتل العديد منهم⁽¹⁾، واستعاد العديد من المدن مثل ناربون وكاركاسون Carcassonne وكل الأراضي الواقعة جنوب نهر الديورانس Durance بالإضافة إلى إقليم سبتمانيا Septimania⁽²⁾، وبذلك أصبح الطريق مفتوحاً أمام ثيودريك للتوغل داخل إسبانيا لمعاونة حفيده أمالريك ضد شقيقه المناوئ له جيزالك، وعلى الرغم من تلك المكاسب التي حققها ثيودريك، فإنه عجز عن استرداد كل أملاك حفيده في الغال، حيث احتفظ كلوفس بمنطقة أكويتين، أما جندوباد فلم يحصل على ميزة أو فائدة من وراء اشتراكه في الحرب بعد أن خسر ناربون⁽³⁾.

(1) Jordanes: The Gothic, P. 96; See Also, Villari: Barbarbian, P. 172; Bradlery: Goths P. 180; Hodgkin: Italy, vol.3. P.365; Wood: Merovingian, P. 49; Moorhead Theoderic, P. 183.

انظر أيضاً، عليّة الجنزوري: جريجوري التوري، ص 116.
اتهم القوط واليهود من سكان مدينة آرل - أثناء الحصار - قيصر يوس Ceasarius أسقف المدينة بالخيانة وبأنه على اتصال بالفرنجة والبرجنديين المحاصرين للمدينة، لذا قاموا بإلقاء القبض عليه، وأثناء ذلك قام أحد اليهود بالمدينة بإرسال رسالة إلى الفرنجة والبرجنديين، وعرض عليهم تسليم المدينة بشرط البقاء على حرية وأملاك اليهود، ووقعت تلك الرسالة - بالصدفة - في أيدي القوط، فقاموا بإلقاء القبض على اليهود في المدينة، وإطلاق سراح الأسقف. انظر:

Hodgkin: Italy, Vol.3. P. 360

(2) بروكويوس القيصري: الحروب القوطية، ج 1، ص 93؛

Isidore of Seville: Goths, P. 97; See Also, Hodgkin: Italy, Vol.3. P.365; Burns: Ostrogoths, P. 95; Moorhead: Theoderic, P. 183 Arnold: Theoderic P. 24

انظر أيضاً، عليّة الجنزوري: جريجوري التوري، ص 116.

(3) Pfister: "Gaul under The Merovingian Franks" in CMH, Vol. II.. P. 114

هذا المشهد الذي نراه من الصعب أن نفهمه من حيث الآراء التقليدية حول زواج التحالف، ومن الأفضل رؤية هذه التحالفات المتغيرة على أنها غير مرتبطة بالمصاهرات السياسية، حيث كان لكل ملك مصالحه الخاصة ومخاوفه ومستقبله في المشهد السياسي في أوائل القرن السادس، وكل ملك يعمل سوياً مع القوى الخارجية عندما يعتقد أنها مفيدة لسياسته. حيث إن الخلافات والفرص المتاحة لتوسيع نفوذه يمكن تأتي وتذهب في مشاهد سياسية مختلفة، ولا يمكن تحديدها ببساطة على يد شخص تزوج بأخرى. كلوفس، جندوباد، ثيودريك وآلاريك يعرفون كيف تُصنع السياسة والحروب والتحالفات السياسية، وهم أيضاً يعرفون كيفية استخدام الأوضاع ونفوذ الدم الملكي، الثروة والنجاح في المعارك، لتعزيز نفوذهم ضمن محيطهم السياسي الخاص.

ولنضيف شيئاً لفهمنا، إن منافسة كلوفس ليس فقط مع منافسيه على قيادة الفرنجة، ولكن أيضاً لتعزيز مكانته بين الحكام البرابرة الآخرين، يجب علينا النظر إلى سرد جريجوري التوري، وذلك قبل معركة فويسيه 507م، أراد العديد من الناس في جنوب الغال أن يأتي كلوفس ويحررهم من القوط الآريوسيين⁽¹⁾، يجب أن نشهد نفس النهج، ولاحظنا حملات كلوفس ضد خصومه الفرنجة - رغبة جزء من صفوة هذه المنطقة لنقل ولائهم من حاكم بربري إلى حاكم آخر ناجح وذو هيبة ونفوذ - لا أن يكونوا في الجانب الخاسر وأصبح واضحاً أن كلوفس هو المنتصر، وربما رحب آلاريك بالفرصة لمحاولة إعادة تأسيس مكانته ضد الوافد القادم كلوفس.

عندما هزم كلوفس آلاريك الثاني في فويسيه فإنه استولى على أكبر جزء من مملكته تحت حكمه المباشر قدر ما يستطيع ووسع أراضيه وموارده. ومن أجل النصر في تلك المعركة فإن كلوفس جذب إلى جانبه قوات مساعدة، بما في ذلك وحده من الفرنجة تحت حكم سيجبرت الأعرج، ويبدو أيضاً الرومان

(1) Gregory of Tours: Franks, P.44.

الغال تحت قياده رجال مجلس الشيوخ⁽¹⁾. فبالنسبة لكلوفس النصر في هذه الحرب أحضرت له شهر كبيرة كفاتح، وفي الوقت نفسه عززت مكانته كملك للفرنجة بعرضه لحلفائه فرصة عظيمة للنهب.

وقد استخدم كلوفس نجاحه في المعركة لتوطيد هيئته الشخصية كملك جرمانى، وكذلك أضاف إلى أراضيه وجيشه كنوزاً من خلال الغزو، وهو أيضاً عزز نفوذه عن طريق عقد مصاهرتين ذات أهمية التي لا أحد من حكام الفرنجة الآخرين يمكن أن ينافسه فيها. وعلى الرغم من بعض التقديرات التقليدية المرتبطة بهذه المصاهرات التي لم تجلب لكلوفس الكثير من التحالف العسكري أو الدعم السياسي من مصاهريه، ولكنها جلبت له المكانة الملكية الرائعة لأكثر حاكمين جرمانيين شهرة في عصره ثيودريك وجندوباد. وهذا النفوذ ساعد كلوفس في الفوز بالزعامة على قيادة الفرنجة.

بعد ذلك نجد أن الملك ثيودريك يأخذ زمام المبادرة في إزالة أسباب التوتر واستعادة علاقات الصداقة والمودة المفقودة مع الإمبراطور البيزنطي، ومن أجل تحقيق ذلك الغرض أرسل ثيودريك وفداً إلى القسطنطينية يحمل الرسالة الآتية "أيها الإمبراطور الرحيم من الأولى لنا طلب السلام والسعي إليه، فلا يوجد أي سبب للعداء، فمن خلال السلام تتحقق السعادة والتقدم للشعوب... يا أتقى الأباطرة إنه ليشرفنا طلب التحالف والسلام معك، وفقاً لقوتك وقدرتك وطلباً لمحبتك"⁽²⁾، وقد اهتم الإمبراطور البيزنطي بأمر ذلك الوفد من أجل تأمين حدوده الشمالية الغربية، وعقدت معاهدة بين الطرفين عام 510م وتقرر بموجبها احتفاظ الإمبراطور بمدينة باسيانا Passiana التي تقع شرق مدينة سيرميوم⁽³⁾ في مقابل احتفاظ ثيودريك بكل إقليم بانونيا العليا بما فيها

(1) Gregory of Tours: Franks, P.45.

(2) Cassiodorus: Letters, P. 141; See Also, Hodgkin: Italy Vol.3. P. 400; Moorhead: Theoderic, P. 186.

(3) سيرميوم: مدينة تقع على نهر سافا Sava والدانوب، وتقع حالياً بالقرب من مدينة

مدينة سيرميوم عاصمة الإقليم، ولا شك أن تلك المعاهدة كانت في صالح ثيودريك أكثر منها في صالح أنستاسيوس، فبالإضافة إلى تأمين حدوده الشمالية الشرقية، أصبح ثيودريك في أمان من أي هجمة بحرية تستطيع أن تعصف بسواحله الشرقية من قبل القسطنطينية مثلما حدث عام 507م⁽¹⁾.

بعد أن نجح ثيودريك في الحفاظ على البقية الباقية من أملاك حفيده في بلاد الغال، عمل -في الوقت نفسه- على حماية مملكة حفيده في إسبانيا⁽²⁾، ومن أجل تحقيق ذلك الهدف أرسل جيشاً قوطياً آخر بقيادة إيباً من أجل القضاء على جيزالك، وقد تمكن القائد القوطي من حصار جيزالك لمدة عام في برشلونة⁽³⁾، غير أن الأخير تمكن من الفرار إلى بلاط تراسموند⁽⁴⁾ (496-523م) ملك الوندال، طالبا إمداده بالمال والسلاح، حتى يتمكن من استعادة عرشه، إلا أن تراسموند فضل مساعدته بالمال فقط⁽⁵⁾، ما أثار استياء ثيودريك، حيث بعث برسالة إلى ملك الوندال يلومه فيها على مساعدة جيزالك، وعدم الأخذ برأي ومشورة زوجته النبيلة الحكيمة أمالافريدا شقيقة ثيودريك⁽⁶⁾، وقد اعترف

بلجراد. انظر:

Bunson: Dictionary of the Roman Empire p.390.

(1) إيهاب صديق العربي: مملكة القوط الشرقيين، ص 235-236.

(2) Thompson: Goths, P. 8.

(3) Isidore of Seville: Goths, PP. 97- 8; See Also, Thompson: Goths, P. 8;

Heather, Goths, P. 232; Arnold: Theoderic, P. 248 -9

(4) تراسموند: تولى تراسموند عرش مملكة الوندال بعد أخيه الملك جونداموند

Gundamundus (484-496م)، وقد تزوج تراسموند أمالافريدا شقيقة الملك ثيودريك

العظيم عام 500م... انظر:

Procopius of Caesarea: History of the Wars: Books 3-4 (Vandalic War), vol.2.

pp.77-9; Merrills: the Vandals, Blackwell 2010, p.196;

انظر أيضاً: محمود سعيد عمران مملكة الوندال في شمال إفريقيا، ص 61-62.

(5) Cassiodorus: Letters, P 292; See Also, Hodgkin: Italy, Vol. 3 P. 365;

Wolfram: Goths, P. 308; Moorhead: Theoderic, P. 190.

(6) Cassiodorus: Letters, P 292; See Also, Hodgkin: Italy, Vol. 3 P. 365;

تراسموند بخطئه، وأرسل السفراء بالعديد من الهدايا، وقبل ثيودريك اعتذاره ربما مراعاة لشقيقته، وحتى لا تحدث قطيعة مع ملك الوندال⁽¹⁾.

أما جيزالك فقد استقر في منطقة أكوطين وتحالف مع كلوفس، وأخذ في تهديد ممتلكات القوط الغربيين لمدة عام⁽²⁾، ولما فشل في استعادة عرشه، عاد مرة أخرى إلى إسبانيا، إذ لقي هزيمة فادحة على يد القائد إيبّا بالقرب من برشلونة عام 511 م⁽³⁾، وبعدها لاذ جيزالك بالفرار -مرة أخرى- إلى إقليم الغال، وأثناء عبوره نهر الديورانس قبض عليه القوط وقاموا بإعدامه في نفس العام⁽⁴⁾.

نصب ثيودريك حفيده أمالريك ملكاً على القوط الغربيين بمساعدته الكونت ثيوديس Theudis وهو من أتباع ثيودريك⁽⁵⁾، وبذلك أقر ثيودريك الأمور في مملكة القوط الغربيين في إسبانيا وأضفى حمايته على حفيده، واستعاد له أجزاء من أراضيه المفقودة في الغال، ولمدة خمسة عشرة سنة (511-526م) وحتى وفاته كان ثيودريك يحكم مملكة القوط الغربيين في إسبانيا والغال من ناربون حتى برشلونة باعتباره وصياً على حفيده⁽⁶⁾ وغدت سلطة ثيودريك تمتد من سرميوم شرقاً حتى قادس Cadis غرباً، ومن الدانوب الأعلى إلى صقلية جنوباً، أي إنه حكم النصف الأكبر من الشطر الغربي للإمبراطورية الرومانية⁽⁷⁾، وأطيعت أوامره وسرت قراراته في إسبانيا مثلما سرت في

Moorhead: Theoderic, P. 190.

(1) Cassiodorus: Letters, P 293; See Also, Hodgkin: Italy, Vol. 3 P. 365; Wolfram: Goths, P. 308.

(2) Isidore of Seville: Goths, P. 98; See Also, Hodgkin: Italy, vol. 3.P. 366; Thompson: Goths, P. 8; Moorhead: Theoderic, P. 190.

(3) Isidore of Seville: Goths, P. 98; See Also, Hodgkin: Italy, Vol. 3 P. 366; Thompson: Goths, P. 8.

(4) Isidore of Seville: Goths, P. 98; See Also, Thompson: Goths, P. 8.

(5) Jordanes: The Gothic, P. 96; See Also, Thompson: Goths, P. 9.

(6) Bury: Barbarian, Lec xii; Thompson: Goths, P. 9; Arnold: Theoderic, P. 249.

(7) Oman: Dark Ages, P. 27.

إيطاليا⁽¹⁾، وهكذا اتحد شطرا القوط مرة أخرى بعد فترة انفصال دامت نحو مائتي عام⁽²⁾.

وهكذا نجد أن الحرب دمرت الكثير، فقد ذكر جريجوري التوري إن كلوفس وحلفائه لم يكتفوا بالاستلاء على مدينة تولوز، بل أحدثوا فيها الكثير من الخراب والدمار وأشعلوا فيها النيران. ولم يقف الأمر عند هذا الحد فعندما تحرك ثيودريك العظيم نحو مدينة آرل لرفع الحصار عنها فإنه هزم المحاصرين لها هزيمة فادحة، ليس ذلك فقط بل ذكر جوردان أنه قتل منهم ثلاثين ألف جندي، وكيف لا، بل إن الملك آلاريك نفسه قُتل أيضاً في معركة فويسيه، كما أن كلوفس كاد أن يفقد حياته أيضاً، فقد حدث بعد مقتل آلاريك وفرار جنود القوط من المعركة أن هاجم اثنان منهم كلوفس واحد عن يمينه وآخر عن شماله وقذفاه بحرابهما، ولكن درعه وسرعة حصانه أنقذه من الموت كما ذكر جريجوري. بل حدثت حرب أهلية في مملكة القوط الغربيين كما يتضح مما سبق وانقسمت المملكة إلى قسمين، قسم بقيادة جيزالك وآخر بقيادة ثيودريك وحفيده أمالريك، فالحرب أحدثت الكثير من الخراب والدمار في مملكة القوط الغربيين، ولم ينجح ثيودريك في استرداد كل أملاك حفيده في بلاد الغال، حيث احتفظ كلوفس بمنطقة أكويتين، وخرج جندوباد صفر اليدين بعد أن خسر ناربون.

(1) Cassiodorus: Letters P. 288; See Also, Oman: Dark Ages, P. 27; Heather: Goths, PP. 232 -33

(2) Oman: Dark Ages, P. 27.

* سيجسموند واوستر جوثا:

ذكرنا سابقاً أن ثيودريك العظيم ملك القوط الشرقيين زوج ابنته أوسترجوثا Ostrogotho إلى سيجسموند Sigismund بن جندوباد ملك البرجنديين⁽¹⁾، وبعد وفاة جندوباد عام 516م⁽²⁾، تولى ابنه سيجسموند (516 - 523م) عرش المملكة البرجندية، وكان سيجسموند من أصحاب المزاج المتقلب، فلم يترك خطأ دون أن يرتكبه، الأمر الذي عجل بزوال عرشه⁽³⁾، فبدلاً من أن يتقرب إلى صهره ثيودريك ويعمل على توطيد العلاقة معه، أخذ يتقرب من الإمبراطور البيزنطي أنستاسيوس الأول، ويكيل له عبارات المديح والثناء طمعاً في الحصول على ألقاب التشريف - مثل رتبة البطريق⁽⁴⁾ وقائد القوات الرومانية في برجنديا - ويظهر ذلك من خلال رسالته إلى الإمبراطور التي يقول له فيها: "لقد حافظ أسلافي على ولائهم للإمبراطورية، ولم يكن عندهم أشرف من الألقاب التي

(1) Gregory of Tours: Franks, P.54.

(2) Gregory of Tours: Franks, P. 54.

(3) Hodgkin: Italy, Vol. 3.P. 368.

(4) البطريق: منصب مدني ظهر في أواخر عصر الجمهورية الرومانية، وقد تلاشى تدريجياً في عصر الإمبراطورية، إذ وقع أصحابه ضحايا الموشاة والمخبرين، وقد أعاد الإمبراطور قسطنطين الكبير ذلك المنصب مرة أخرى، وجعله منصباً شرفياً أكثر منه منصباً فعلياً أو حقيقياً، وكان ذلك اللقب أعلى رتبة بعد الإمبراطور والقنصل، وقد منح الأباطرة هذا اللقب لحكام الولايات الإمبراطورية من الدرجة الأولى في حين منحوه للبرابرة بهدف إشباع غرورهم واسترضائهم. وأصبح صاحبه بمثابة الحاكم الفعلي والمسيطر على شئون الإمبراطورية وهو لقب كان منحة من الإمبراطور البيزنطي فقط وليس من حق البابا أن يخلعه على آخرين.

Hodgkin: Italy, Vol. 2.PP. 401-2;

انظر أيضاً: الحويري: للمبارديون، ص125.

خلعتوها عليهم ، ولقد التمس أفراد عائلتي دائماً ألقاب الشريف من الأباطرة ، لأنها أضفت عليهم مجداً أعظم مما ورثوه من آبائهم وأجدادهم ، وبعد وفاة والدي - يقصد جندوباد - الذي كان كثير الولاء للإمبراطور ، أرسلت لكم أحد مستشاري ليعرض عليكم وتحت رعايتكم عروضي في الولاء والخدمة . . . فشعبي في حوزتكم ، وإني لأقوم بحكمه تحت طاعتكم ، وإني لأجد في تلك الطاعة من السعادة ، أكثر مما أجد في القيام بحكم هذا الشعب ، ربما أظهر بمظهر الملك على هذا الشعب ، ولكنني لست إلا جندياً من جنودكم ، وإني لأنتظر منكم الأوامر التي تفضلون بإصدارها لي"⁽¹⁾.

ولا شك أن تلك السياسة أثارت قلق ملوك القوط الشرقيين والفرنجة على حدٍّ سواء ، فقد رأى ثيودريك في تلك السياسة خطراً عليه إذ كان من السهل على الإمبراطور أن يقوم بتحريض البرجنديين ضده في إيطاليا⁽²⁾ ، أما ملوك الفرنجة فقد شعروا بالضيق -أيضاً- إذ أصبح سيجسموند نداً لهم ، ومن أصحاب الخطوة عند الإمبراطور ، الأمر الذي اعتبروه قليلاً من شأنهم ومكانتهم ومساواتهم بغيرهم من ملوك الجرمان⁽³⁾.

كان سيجسموند قد أنجب طفلاً يدعى سيجريك Sigeric من زوجته أوستروجوثا Ostrogotho ابنة ثيودريك⁽⁴⁾ ، وبعد وفاتها تزوج مرة أخرى ، وكانت زوجته الثانية من أصل وضع ، وبدلاً من أن تعطف على سيجريك ، وتكون له نعم الأم ، تقمصت شخصية زوجة الأب الشريرة ، وأخذت تؤلب الملك على ولي العهد وتشعل نار العداء بينهما⁽⁵⁾ ، بزعم أن ولي العهد يريد

(1) Avitus of Vienne: Letters and Selected Prose, PP.149-150; Lot, (F.): The End of Ancient world and the Beginning of the Middle Ages, (London, 1931), P. 247;

انظر أيضاً: الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 144

(2) Wolfram: Goths, P. 312; Wood: Merovingian, P. 51; Heather: Goths, P. 248.

(3) Wood: Merovingian, P. 51.

(4) Gregory of Tours: Franks, P. 54.

(5) Gregory of Tours: Franks, P. 54.

التخلص من الملك ويتولى العرش بدلا منه ، ولا يريد الانتظار حتى يثول العرش إليه بالوراثة⁽¹⁾.

وقد لاقى ذلك الاتهام آذانا صاغية من سيجسموند ، وبدلا من أن يتأكد بنفسه من حقيقة الاتهام ، أو يعطي الفرصة لابنه لكي يدافع عن نفسه ، أقدم على التخلص منه ، وذلك بخنقه وهو على فراش نومه⁽²⁾ ، ولكن سيجسموند ندم على قتل ابنه وألقى بنفسه على جثته ، بعد أن اكتشف خطأه ، وأخذ يندب حظه ، ويلعن الحماقة العمياء التي حرمت منه ، وانزوى الملك في ديره المفضل في أفينون ، وهو في حالة بكاء وصيام ، وأمر بتكوين فرقة من الإنشاد الديني ترتل وتبتهل - ليلا ونهارا - بالدعاء والثناء على العلي المجيد⁽³⁾.

ولم يكن من الطبيعي أن يغض ثيودريك الطرف عما حاق بحفيده ، فقد استبد به الغضب ، وشرع في معاقبة البرجنديين⁽⁴⁾ ، ولكن يبدو أن ثيودريك استغل هذه الفرصة للاستيلاء على جزء من مملكة البرجنديين فتحالف مع الفرنجة من أجل تحقيق ذلك ، ويعلق بيتر هيدر على هذه الحادثة قائلا : إن البرجنديين ربما رأوا أن زواج سيجسموند من ابنة ثيودريك بمثابة هيمنة للقوط الشرقيين على البرجنديين ، وربما سيجسموند قتل ابنه للخلاص من هذه الهيمنة⁽⁵⁾.

وإذا كانت العلاقة بين البرجنديين والقوط الشرقيين على ذلك النحو من العداء ، فإن العلاقة بين البرجنديين والفرنجة لم تكن -هي الأخرى- بأفضل حالا منها. فقد كان ثيودريك الأول (534-511م) ملك الفرنجة متزوجاً من

(1) Gregory of Tours: Franks, P. 54; See Also, Bradley: Goths. P. 181; Wood: Merovingian, P. 52.

(2) Marius of Avenches: MGH AA XI: p.234; See Also, Gregory of Tours Franks, P. 55; Oman: Dark Ages, p. 27; Wolfram: Goth, P. 312.

(3) Gregory of Tours: Franks, P. 55.

(4) Wolfram: Goth, P. 312.

(5) Heather, The Goths, pp. 233, 248.

سوافيجوثا⁽¹⁾ Suavegotha ابنة سيجسموند من زوجته الأولى أوستروجوثا، التي تعتبر حفيذة ثيودريك العظيم⁽²⁾. وطبقاً لما ذكره جريجوري التوري فإن الانتقام الإلهي لمقتل سجريك أتى في شكل زواج ثيودريك الأول من ابنة سيجسموند، لأن ذلك حفز كلوتيلدا لدعوة أبنائها ولا سيما الأكبر كلودومير Chlodomer لمهاجمة البرجندين انتقاماً لمقتل والديها⁽³⁾. فلم تنس كلوتيلدا حجم المآسي والمصائب التي لحقت بأسرتها على يد عمها جندوباد، إذ قتل والدها شلبريك، وأغرق والدتها الملكة كارتين Caretene، بعد أن ربط حجراً حول رقبتها وألقاها في بحر⁽⁴⁾، ومن هنا حثت أولادها -بعد وفاة كلوفس - على الثأر والانتقام من ابنه سيجسموند⁽⁵⁾.

ولكن يرفض أغلب المؤرخين الأخذ بتلك القصة نظرياً وعملياً، فمن الناحية النظرية إذا كانت كلوتيلدا قد سعت للانتقام من جندوباد، فلماذا انتظرت أكثر من ثلاثين عاماً وانتقامت من أولاده، ولم تنتقم منه شخصياً؟ ومن الناحية

(1) سوافيجوثا: هي ابنة الملك سيجسموند من زوجته الأولى أوستروجوثا التي تعد حفيذة ثيودريك العظيم، وقد تزوج منها الملك ثيودريك الأول وقد تم ذكر ذلك الزواج أثناء الحملات التي أسفرت عن غزو برجنديا، ولكن لم يشر جريجوري إلى اسمها، وتم ذكر اسمها في كتاب فلودوارد، تاريخ كنيسة ريمس (Flodoard, Histoire de l'Eglise de Reims) في الكتاب الثاني فقرة رقم 1... للمزيد انظر:

Flodoard, Histoire de l'Eglise de Reims, Trans, M Guizot, (Paris.1824), p 130.

(2) Gregory of Tours: Franks, P.55.

(3) Gregory of Tours: Franks, P.54; Stephen D. White, "Clotild's Revenge: Politics, Kinship, and Ideology in the Merovingian Blood Feud." In Portraits of Medieval and Renaissance Living: essays in memory of David Herlihy, ed. Samuel Kline Cohn and Steven Epstein (Ann Arbor: University of Michigan Press, 1996), p.116.

(4) Gregory of Tours: Franks, P.38;

انظر أيضاً، عليّة الجنزوري: جريجوري التوري، ص 91.

(5) Gregory of Tours: Franks, P 55.

العملية كُتب على قبر الملكة كارتين العبارة الآتية "عاشت أم كلوتيلدا على قيد الحياة في كنيسة ليون Leon، وتوفيت عام 506م" وهكذا تبدو الراوية أسطورية، وليست حقيقة تاريخية قائمة بذاتها، ولا سيما أنها وردت في تاريخ جريجوري التوري، الذي عاش في القرن التالي لموت شلبريك والد كلوتيلدا، لذا يرجح أنه نقلها عن شخص غير ذي ثقة أو دخل فيها جزء أسطوري، وهو ما غلب على كثير من روايات العصور الوسطى⁽¹⁾.

ويشير جريجوري التوري إلى زواج ثيودريك الأول من ابنة سيجسموند ملك برجنديا أثناء الحملات التي أسفرت عن غزو برجنديا (523-534، 524م)، على الرغم من أن معظم المؤرخين المحدثين لم يصنفوا كثيراً زواج ثيودريك الأول من ابنة سيجسموند على أنه خدم مصالح ثيودريك الأول في المنافسة الداخلية في مملكة الفرنجة، على الرغم من أن ثيودريك نفسه لم يُقد كثيراً من هذا الزواج⁽²⁾.

ولكن مسار الأحداث يوحى بأن هذه الحرب لم يكن لها علاقة بالثأر، بل إنها متعلقة كثيراً بسياسة القوة، كما لاحظَ إيان وود "أن جريجوري ربط الهجوم مع ثأر كلوتيلدا، ولكن من المرجح أنه كان خطوة انتهائية لدفع الأزمة بعد مقتل سيجريك"⁽³⁾، وزواج ثيودريك من ابنة سيجسموند أيضاً⁽⁴⁾. حيث يُعد ثيودريك الأول أكبر ملوك الفرنجة عمراً بسنوات عديدة "لديه ابن عمره تقريباً من عمر أشقائه"، وأي تقوية لنفوذه سوف تهدد أخواته غير الأشقاء⁽⁵⁾. وبهذا الزواج من حفيدة ثيودريك العظيم وجندوباد ملك البرجنديين فإن ثيودريك من ثم أضاف إلى نفسه هبة ومكانة كبيرة، يجب أن تكون مصدر قلق لكلوتيلدا وأبنائها

(1) Hodgkin: Italy, Vol. 3 P.328.

(2) Ryan Patrick: Marriage and Alliance, p. 91.

(3) Wood. The Merovingian Kingdom, p. 52.

(4) White: "Clotild's Revenge", p. 116.

(5) White: "Clotild's Revenge", p. 117.

الصغار قليلي الخبرة. كم أن رد فعل كلوتيلدا (دعوة أبنائها) كما وصف جريجوري التوري يبدو أنه يقترح شيئاً مهماً، ذلك أن زواج ثيودريك من ابنة سيجسموند يوضح نوعاً من التهديد لنفوذهم، حيث تعتبر كلوتيلدا نفسها بمثابة حام لأبنائها منذ وفاة كلوفس.

ويرى ولفرام Wolfram أن مقتل سيجريك بن سيجسموند من زوجته القوطية بمثابة علامة ظاهرة لخرق تحالفه مع القوط الشرقيين⁽¹⁾. وبشكل أكثر تحديداً كما أشار إيان وود يحتمل أن سيجريك وريث محتمل لجده ثيودريك في إيطاليا، وربما كان القوط يثرون التمرد ضد سيجسموند الذي كان يحمي مملكته من ابنه، الذي ربما كان متجاوباً مع القوط الشرقيين وساعد تمردهم⁽²⁾. ومع وفاة ابنه فإن سيجسموند كان بحاجة إلى تقوية موقفه ضد القوط الشرقيين من خلال الألقاب الخاصة والاعتراف من جستين الأول⁽³⁾ Justin I (527-518م) إمبراطور القسطنطينية⁽⁴⁾. وقد يكون هناك أيضاً تحدٍ محتمل على السلطة من

(1) Herwig Wolfram, *The Roman Empire and its Germanic peoples*. Translated by Thomas Dunlap. Berkeley: University of California Press, 1997, p.256.

(2) Wood: *the Merovingian Kingdoms*, p. 53.

(3) جستين الأول: ولد الإمبراطور جستين الأول عام 450م في منطقة بدريانا Bederiana بمقاطعة إليريكوم Illyricum بالبلقان، وكان رجلاً آمياً لايدري من القراءة أو الكتابة شيئاً، والتحق بالجيش البيزنطي عام 470م وترقى في الوظائف حتى أصبح قائد فصيلة، ووصل إلى قائد حرس القصر في عهد الإمبراطور أنستاسيوس، ثم تولى العرش بعد وفاة أنستاسيوس، وقد اكتسب عهده أهميته من تأسيس سلالة جستينيان التي من أبرز حكامها ابن شقيقة جستينيان الأول، وتميز عهده بسن القوانين التي حدثت من تأثير طبقة النبلاء البيزنطية القديمة... للمزيد انظر: بروكوبيوس القصيري: التاريخ السري، ترجمة صبري أبو الخير سليم، ط 1، القاهرة 2001، ص 82-81؛ الشيخ: الإمبراطورية البيزنطية، ص 40-41؛ محمود سعيد عمران: الإمبراطورية البيزنطية، ص 45-46.

(4) Wolfram, *The Roman Empire*, pp.255-56; Heather, *The Goths*, p.248.

شقيقه جودمار الثاني⁽¹⁾ Godomar II (523-534م) الذي سيصبح ملكاً كذلك بعد وفاة سيجريك.

وقد تحالف الفرنجة مع القوط الشرقيين من أجل القضاء على عدوهما المشترك⁽²⁾، واتفقا فيما بينهما على أنه إذا تأخر أحد الفريقين عن القيام بالغزو لسبب ما، فعلى الفريق الآخر أن يقوم بالغزو، وأن يلتزم الفريق الذي تأخر بدفع الذهب إلى الفريق الآخر، على أن يقتسما أراضي الخصم فيما بينهما⁽³⁾، وبعد أن قام كلودومير Cholodmer وأخوه شلدبرت الأول Childbert I (511-558م) وكلوثر الأول Clothar I (511-561م) بتحريك جيوش الفرنجة، أمر ثيودريك قائد الجيش القوطي بتأخير الزحف، وعدم دخوله أراضي العدو حتى يتأكد من انتصار الفرنجة، وإذا حدث العكس فعليهم ألا يغادروا المكان الذي وصلوا إليه⁽⁴⁾.

وعلى أثر ذلك شرع القائد القوطي في تنفيذ أوامر سيده، أمّا الفرنجة فقد خاضوا المعركة ضد البرجنديين دون سواهم، ووقعت مذبحة كبيرة، راح ضحيتها الآلاف من الفريقين⁽⁵⁾، إلى أن تمكن الفرنجة من هزيمة البرجنديين عام 523م، وأخذوا سيجسموند أسيراً وقذفوا به وبزوجته وابنه في البئر⁽⁶⁾، وبناء على هزيمة البرجنديين أسرع الجيش القوطي إلى ميدان القتال حسب تعليمات ملكهم، وألقوا تبعة تأخيرهم على صعوبة عبور جبال الألب⁽⁷⁾، وبعد أن قاموا

(1) جودمار الثاني: تولى الملك جودمار الثاني (523-534م) حكم البرجنديين بعد مقتل أخيه سيجسموند، وقد نجح جودمار في هزيمة الفرنجة في موقعة فيزرون Vézeronce عام 524م، وقتل فيها كلودومير ملك أورليان، ثم تنازع ملوك الفرنجة تقسيم تركة الملك القتيل، وهذا ما ساعد جودمار على التقاط أنفاسه. انظر:

Gregory of Tours: Franks, P. 56.

(2) بروكوبيوس القيصري: الحروب القوطية، ج 1، ص 91.

(3) بروكوبيوس القيصري: الحروب القوطية، ص 1، ص 91.

(4) Gregory of Tours: Franks, P 55.

(5) Gregory of Tours: Franks, P 55.

(6) Marius of Avenches: MGH AA XI: p.235; Gregory of Tours: Franks, P 55.

(7) بروكوبيوس القيصري: الحروب القوطية، ج 1، ص 91.

بدفع المبلغ المتفق عليه اقتسموا أراضي البرجنديين مناصفة مع الفرنجة⁽¹⁾، وبموجب ذلك الاتفاق استولى الجيش القوطي على الأراضي فيما بين نهري الديورانس والدروم Drome بما فيها من مدن أفينون وأورانج Orange وفيفيرز Viviers وفاسون Vasion وكافالون Cafallon وكاربنتراس Carpentras، وبذلك بلغ التوسع القوطي أقصى مداه في الناحية الشمالية الغربية لمملكة القوط الشرقيين في شبه الجزيرة الإيطالية⁽²⁾.

وقد استحسن بروكوبيوس القيصري سلوك ثيودريك، وهو ما نستشفه من قوله "وهكذا ظهر بعد نظر ثيودريك، لأنه بقليل من الذهب، نجح في ضم نصف أراضي عدوه دون أن يفقد أي فرد من قواته"⁽³⁾، ولم يختلف رأي كاسيدروس عن بروكوبيوس إذ علق عليه بقوله "كان انتصاراً بدون حرب"⁽⁴⁾.

ومن الأمور التي تؤكد أن هذه الحملة قد استوفت مطالب الانتقام، وأنَّ الثأر أقل أهمية من الغزو والنهب، إن كلودومير يعود إلى برجنديا بعد وفاة سيجسموند العام المقبل إلى مدينة فيزرون 524 Vézeronce لمهاجمة جودمار الثاني Godomar II (523-534م) شقيق سيجسموند وملك البرجنديين الجديد⁽⁵⁾. ولكن نجح جودمار في هزيمة الفرنجة في معركة فيزرون عام 524م، وقتل كلودومير ملك أورليان. وهكذا نجد أن كلودومير كان عازماً بشكل واضح على غزو مملكة البرجنديين، ووجد في مطالب الثأر مبرراً نافعاً لمعاركة⁽⁶⁾.

(1) بروكوبيوس القيصري: الحروب القوطية، ج 1، ص 91.

(2) Pfister: Gaul under Merovingian Franks, in CMH, Vol. II. P. 117; Oman: Dark Ages P. 27; Wolfram: Goths, P. 312.

(3) بروكوبيوس القيصري: الحروب القوطية، ج 1، ص 91.

(4) Cassiodorus: Letters, P. 355.

(5) Marius of Avenches: MGH AA XI: P.235; Gregory of Tours: Franks, P.56.

(6) Gregory of Tours: Franks, P.56; Wolfram, The Roman Empire, p.256.

وقد استخدم جريجوري التوري هذه الحادثة لدعم شيء عن السلوك المتوقع لثيودريك الأول الذي فشل في مساعدة حماه سيجسموند في عام 523م عندما هاجمه كلودومير أخى ثيودريك، لقد كان موقفاً حرجاً بالنسبة لثيودريك، إذ كان قد تلقى مطالب من قرية بمساعدته، وقد تعرض جريجوري لحدث قرابة المصاهرة أعلاه؛ إذ إن كلودومير أخ غير شقيق لثيودريك، ولكن عندما هاجم كلودومير فإنه هاجم حماه ثيودريك ولكن تجنب ثيودريك التورط مع الجانب الآخر.

وفي مناقشة جوانب عداء الحرب بين الفرنجة والبرجنديين فإن ستيفن وايت Stephen White يصور مأزق ثيودريك الأول لدعم أحدهما فإنه محفوف بالمخاطر، أما منح أو منع الدعم للجانب الآخر سوف يثير غضب الجانب الثاني، ولكن أي جهود للتوسط بين الاثنين يمكن أن تلاحظ كازدواجية⁽¹⁾، ومع ذلك جريجوري لا يقدم أي ذكر لأي استغاثة من الجانبين في بداية الحملة ربما الاثنين كلودومير وسيجسموند لم يفهموا موقف ثيودريك وفضلوا عدم توريطه في مشاركة جانب ضد آخر.

بعد وفاة سيجسموند فقط فإن ثيودريك الأول وفقاً لما ذكره جريجوري وافق على الانضمام لكلودومير ضد البرجنديين، وبيع سرد جريجوري التوري في عدم الانتقام لوفاة حماه، واقترح هذا في النهاية من وجهة نظر جريجوري في التوقعات التي سيفعلها ثيودريك. كما أن كلودومير خطط لحملة جديدة ضد جودمار خليفة سيجسموند، ويشير جريجوري على وجه التحديد إلى فشل ثيودريك في الانتقام لوفاة سيجسموند قائلاً "هذا الرجل مع ذلك لا يرغب في الانتقام لخسارة صهره، ووعد أن يأتي لمساعدة كلودومير"⁽²⁾. إنّه لتصريح لا يتناسب تماماً مع التنافس المستمر بين ملوك الفرنجة الأشقاء في تاريخ جريجوري التوري، لكنه يكشف عن رأيه تجاه التزامات قرابة الزواج. وربما

(1) White, "Ciotild's Revenge", pp.117-118.

(2) Gregory of Tours: Franks, P.55.

ثيودريك اعتبر القتال المباشرة ضد الملك الفرنجي الزميل على أنه تصرف خطأ ضد معتقداته حول كيفية القرابة التي يجب أن يعاملوا بها بعضهم بعضاً أو على الأقل لن يؤيده أتباعه.

علاوة على ذلك لو أن الحملات البرجندية قصدت تعزيز نفوذ كلودومير على حساب ثيودريك، إذاً إننا لا نفهم لماذا قصد كلودومير ثيودريك كحليف؟ كما ناقش إيان وود أن ثيودريك الأول لم يكن موجوداً في فيزرون وأن الأمر قد اختلط على المؤرخ جريجوري التوري بين ثيودريك الأول وثيودريك العظيم الذي ظهرت قواته في المعركة⁽¹⁾.

ولم يذكر بروكويوس أي تحالف بين الفرنجة والقوط الشرقيين لتقاسم غنائم حملة البرجنديين، ولولا ارتبائه في الترتيب الزمني للأحداث فربما كان يشير إلى هذه التحالف⁽²⁾. فإذا كان هذا هو الحال فإنه لا يناسب بالضبط مع موضوع المنافسة بين ثيودريك وأبناء كلوتيلدا. إذ وجد كلودومير حليفاً مستعداً في ملك القوط الشرقيين عندما كان يحاول غزو مملكة البرجنديين، ومن ثم توسيع مملكته وسلطته ونفوذه.

بالنسبة للمنافسة الداخلية في مملكة الفرنجة نجد أن تحدي كلودومير لموقف ثيودريك قد انتهى في معركة فيزرون عام 524م، وذلك عندما توفي كلودومير أثناء المعركة⁽³⁾. ولكن بالنسبة للمنافسة الخارجية نجد أن الفرنجة

(1) Wood, "Clermont and Burgundy", 122-3; wood. The Merovingian Kingdom, p. 53; wolfram, the Roman Empire, p.256.

(2) بروكويوس القيصري: الحروب القوطية، ج 1، ص 91.

(3) Gregory of Tours: Franks, P.55.

حدث في معركة فيزرون بعد أن هزم كلودومير جودمار ملك البرجنديين أن تتبعه كلودومير لمسافة كبيرة بعيداً عن جنوده، وأصبح في وسط جنود جودمار الذين ادعوا أنهم جنود كلودومير حتى أنساق وأصبح وسطهم ثم قتلوه. انظر:

Gregory of Tours: Franks, P.56.

ما زالوا يقررون استكمال غزو مملكة البرجنديين على الرغم من أن جودمار استعاد المملكة بعد فترة قصيرة، إذ استأنف كلا من شلدبرت الأول وكلوثر الأول تصفية أملاك البرجنديين، إذ ضربا الحصار على مدينة أوتون Autun، وحينما تصدى لهم جودمار محاولاً تخليص المدينة، تعرض لهزيمة ساحقة فر على أثرها إلى إيطاليا متخلياً عن مملكته، وأخذ الفرنجة يستولون على البقية الباقية من مدن برجنديا الواحدة تلو الأخرى، حتى وصلوا بفتوحاتهم إلى حدود المملكة البرجنديّة مع مملكة القوط الشرقيين بحدود جبال الألب ونهر الدروم⁽¹⁾.

وهكذا نرى دور الزواج في عقد التحالفات السياسية بين الممالك الجرمانية، بل دوره في القضاء على بعض الممالك كما في هذه الحالة.

* * *

(1) Gregory of Tours: Franks, P. 56.

الفصل الثالث

"الزواج السياسي بين القوط الغربيين والفرجة"

- أمالريك وكلوتيلدا الصغري .
- سيجبرت وبرونهيلد .
- شلبريك وجالسيونثا .
- هرمنجلد وانجوند .
- ريكاردو وريجوثا .
- خطوبة ريكاردو وكلودوسندا .
- ثيودريك وارمنيرجا .

* أمالريك وكلوتيلدا الصغرى:

تولي الملك أمالريك Amalaric (509-531م) عرش مملكة القوط الغربيين بعد وفاة والده آلاريك الثاني عام 507م، وينقسم حكمه إلى فترتين: الأولى من سنة 509م إلى سنة 522م، وكان فيها تحت وصاية جده ثيودريك ملك القوط الشرقيين، والثانية من سنة 522م حتى سنة 531م وحكم فيها بنفسه. وفي الفترة الأولى نَصَب ثيودريك الكونت ثيوديس Theudis حاكماً لمساعدة أمالريك، وعندما أصبح عمر أمالريك في السادسة عشر توفي جده ثيودريك فتولى الحكم بنفسه⁽¹⁾.

على الجانب الآخر في مملكة الفرنجة نجد أن الملك كلوفس توفي عام 511م، وانقسمت مملكته بين أبنائه إلى أربعة أقسام، فأخذ ثيودريك الأول (534-511) ميتز، وكلودومير (524-511) أورليان، وشلدبرت الأول (558-511) باريس، وأخذ كلوثر الأول (561-511) Clothar I سواسون Soissons⁽²⁾، وأشدت التنافس الداخلي بين هؤلاء الملوك. وكانت هذه الفترة فترة العصر العظيم للمصاهرات السياسية الأجنبية للميروفنجيين⁽³⁾. وأرتبط هؤلاء الملوك بالزواج الأجنبي السياسي مثل جدهم كلوفس، وذلك للمنافسة فيما بينهم من أجل الذهب والأراضي والأتباع المخلصين. وتاريخ مملكة الفرنجة من عام 511م حتى وفاة كلوثر الأول 561م آخر ابن متبقى - من أبناء كلوفس - عبارة عن صراع بين ورثة كلوفس من أجل السلطة المستمرة، ولكن لم يدعي أحداً من خارج الأسرة الميروفنجية الملك كما واجهه كلوفس، ولكن سعى إلى ذلك أخواتهم، أعمامهم وأبناء أعمامهم.

(1) Jordanes : Goths ,P. 137 ; See Also, Thompson: Goths in Spain , P. 9;

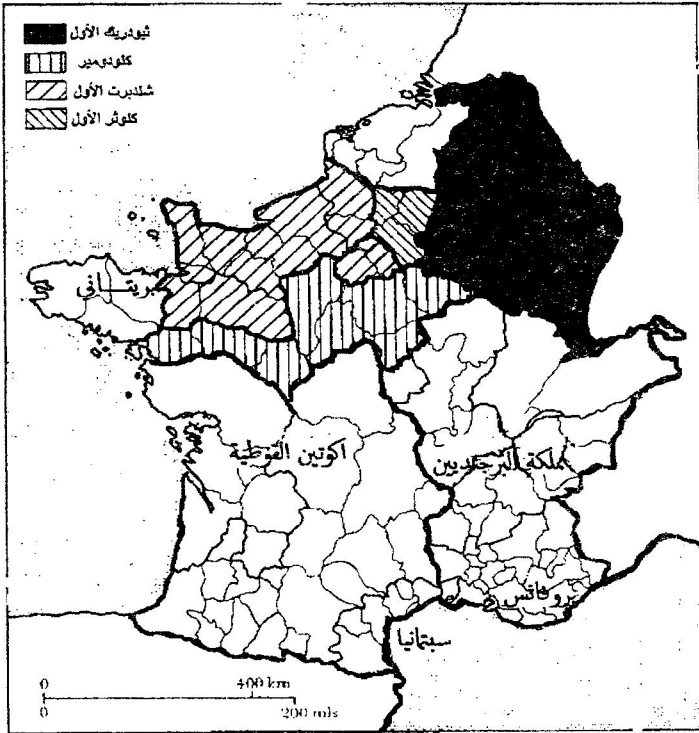
أنظر أيضاً، محمد عبده حتملة: ايبيريا، ص 224.

(2) Gregory of Tours : Franks , P.54.

ولمزيد من التفاصيل عن تقسيم مملكة الفرنجة عام 511م انظر خريطة رقم (4).

(3) Eugen Ewig: "Studien zur merowingischen Dynastie", p.40.

وفي وسط هذه المنافسة الشرسة نجد كل ملك من الملوك الميروفنجيين الأربعة، يسعى إلى تأكيد وتعزيز وضعه بين أشقائه، وذلك عن طريق الزواج السياسي، ومحاولاً كسب مزيد من السلطة والأراضي والثروة والاتباع المخلصين، والتي من شأنها تحسين وضعه من أجل التنافس الداخلي، فضلاً عن الدعم العسكري في حملاته الخارجية. وهكذا نجد أن تقسيم مملكة الفرنجة أسفر عن صراع كبير بين الملوك المنافسين، ففي عام 510 و عام 520م إحتدم الصراع بين ثيودريك الأول وأشقائه، فقد سعى هؤلاء الأشقاء إلى تحقيق التوازن، وأخذ كل واحد منهم يحاول الحصول على المساعدة في حملاته العسكرية والدعم في المشاريع السياسية الأخرى، ولكن في كثير من الأحوال كانت هذه المشاريع توجه إلى أقربائهم وليس إلى اعدائهم.



خريطة رقم (4) تقسيم المملكة عام 511م

نقلا عن Wood , Merovingian Kingdoms .p. 367.

أما عن العلاقات بين القوط الغربيين والفرنجة في تلك الفترة فقد أشار طمبسون Thompson إلى أن فترة وصاية ثيودريك على حفيده كانت فترة سلام نسبي بين القوط الغربيين والفرنجة، على الرغم من إن طمبسون يعترف بأن القوط الغربيين لم يستردوا أراضيهم المفقودة على أيدي الفرنجة عام 507م⁽¹⁾. ولكن مؤخراً أكد بيتر هيدر Peter Heather وادوارد جيمس Edward James استمرار الحرب بين الشعبين⁽²⁾. بينما ذكر جريجوري التوري إن الفترة التي تلت وفاة كلوفس مباشرة قد شهدت إستعادة القوط الغربيين لبعض أراضيهم التي فقدوها أمام الفرنجة⁽³⁾. وهذا يوحي إن العلاقات بين القوط الغربيين والفرنجة في هذه الفترة واحدة من حالات العداء بدلاً من السلام، على الرغم من احتمال وجود فترات سلام قصيرة وسط هذه الحروب.

يتضح مما سبق، إن أمالريك ملك القوط الغربيين، أراد أن يدعم موقفه في الداخل، ويتخلص من تهديدات ملوك الفرنجة في الخارج، في مقابل أن يتخلى عن ادعاءاته في إستعادة ممتلكات القوط الغربيين القديمة في بلاد الغال⁽⁴⁾، فقرر أن يتزوج الأميرة كلوتيلدا ابنة كلوفس ملك الفرنجة، وأرسل إلى أخواتها يطلب يدها للزواج، فقام الأخوة بتجهيزها وأرسلوها إلى إسبانيا، ومعها مهر ضخم من الجواهر الثمينة⁽⁵⁾. ويقال إن مهرها كان عبارة عن مدينة تولوز⁽¹⁾.

(1) Thompson: Goths in Spain p.9.

(2) Heather, The Goths, p.277; James, Edward. *The Franks Peoples of Europe*. Oxford, UK: Blackwell, 1991, p.92.

(3) Gregory of Tours : *Franks* , P.58.

(4) Barbero and Loring: *The Formation of The Sueve and Visigoths Kingdoms In Spain In The New Cambridge Medieval History, Volume 1*, Cambridge University Press, 2005, p.178.

(5) Gregorii Episcopi Turonensis :*Libri Historiarum Francorum X*, editionem alteram curaverunt Bruno Krusch et Wilhelmus Levison (Hannoverae Impensis Bibliopolii Hahniani MCMLI) *Monumenta Germaniae Historica Scriptores Rerum Merovingicarum I*, pp.97-8.

وقد ذكر جريجوري هذا الزواج في تقريره عن عهد خلفاء كلوفس بعد تقسيم المملكة قائلاً: "ولأنهم كانوا أقوياء جداً ولديهم جيش قوي، طلب أمالريك بن آلاريك ملك إسبانيا، شقيقتهم للزواج، فوافقوا على طلبه، وأرسلوها إلى إسبانيا، ومعها مهر ضخم من الجواهر الثمينة"⁽²⁾.

وقد اقترح جريجوري التوري إن كل أبناء كلوفس وافقوا على الزواج، وأرسلوها إلى إسبانيا مع كمية كبيرة من الثروة. ونحن نفترض إن شلدبرت الأول هو الذي رتب استعدادات الزواج النهائية، لأنه هو وحده الذي تولى مسئولية إنقاذ كلوتيلدا فيما بعد عام 531 م. كما أن تركيز جريجوري على حجم الثروة - تل من الزينة العظيمة - فإن ذلك إشارة هامه بأن هذا الزواج لعب دوراً هاماً في المنافسة الداخلية في مملكة الفرنجة. وقد أظهر شلدبرت دوره كملك سخي الذي نسق زيجة مرموقة لشقيقته. وقد ناقش برنهارد جيسن Bernhard Jussen شعائر الزواج التي أدها شلدبرت لتوطيد نفوذه⁽³⁾، كما أشار أيضاً إلى تعليق جريجوري على الثروة التي أرسلت مع كلوتيلدا، حيث أشار إلى عرض مفتوح لهذه الثروة تم عمله أثناء الأحتفال بالزواج، حتى لو كان حفل الزواج لم يحدث حتى وصلت إلى إسبانيا⁽⁴⁾.

بعد أن ذكر جريجوري التوري زواج أمالريك وكلوتيلدا في بداية الفصل الثالث من كتابه، فإننا لم نسمع شيئاً جديداً عن أمالريك وكلوتيلدا حتى الفصل العاشر، وهناك ذكر جريجوري إن كلوتيلدا تعرضت للضرب لدرجة النزيف

(1) Anita George: Annals of The Queens of Spain, Vol.1, New York 1850, p.6.

(2) Gregorii Turonensis: Francorum, pp.97-8.

(3) Bernhard Jussen: Spiritual kinship as social practice: godparenthood and adoption in the early Middle Ages. Translated by Pamela Selwyn. Rev. and expanded English ed. The University of Delaware Press series, The family in interdisciplinary perspective. Newark, DE: University of Delaware Press, 2000, pp.228-9.

(4) Jussen: Spiritual kinship as social practice, pp.228-9.

وسوء المعاملة من زوجها لأنها كاثوليكية وزوجها آريوسياً⁽¹⁾، وقد أرسلت مندبلاً ملطخاً بالدماء إلى شقيقها الأكبر شلدبرت⁽²⁾ الذي تحرك على الفور وهاجم أمالريك⁽³⁾، وطبقاً لما ذكره جريجوري فإن أمالريك بدأ استعداداته للهرب بمجرد أن سمع بقدوم الملك شلدبرت ضده. ومع ذلك قاده جشعه إلى العودة لبعض الكنوز التي تركها خلفه⁽⁴⁾ إلى قرب جنود شلدبرت الذين قتلوه على الفور، وأخذوا كلوتيلدا وكمية كبيرة من الغنائم معهم. ومع ذلك فقد ماتت كلوتيلدا أثناء طريق العودة إلى وطنها⁽⁵⁾.

وهكذا يبدو أن النقاش عن العلاقات الفرنجية القوطية أثناء عهد أمالريك سوف يبقى دائماً متضارباً لقلة المصادر المتاحة لدى الطالب، كما أن المعلومات الواردة في سرد جريجوري التوري محدودة، سواء عن فقدان بعض الأراضي الفرنجية للقوط الغربيين في هذه الفترة أو رد شلدبرت العسكري على شقاء أخته في مملكة القوط الغربيين مما أتاح له دعمها بكمية كبيرة من الثروة⁽⁶⁾. كما أن التركيز الشديد كان على كمية الثروة والغنيمة في توضيح العلاقات بين القوط الغربيين والفرنجة - "حيث أرسلت كلوتيلدا إلى إسبانيا برفقة ثروة عظيمة"، "وأمالريك عاد لكتنزه"، "وشلدبرت تحرك للكنز العظيم"، وفي حملة شلدبرت وكلوثر الأخيرة، فإن جريجوري يشير إلى أنهم "أخذوا إلى ممالكهم غنائم عظيمة"⁽⁷⁾ - دليلاً على أهمية الكنوز في زيادة الثروة والنفوذ، فضلاً عن توفير المحاربين، وفرص الغنيمة أيضاً في التنافس على السلطة في مملكة الفرنجة.

(1) Gregorii Turonensis: Francorum, p.106.

(2) Gregorii Turonensis: Francorum, pp.106-107.

(3) Isidore of Seville : History of the kings of the Goths, p.19.

(4) Gregorii Turonensis: Francorum, p. 107.

(5) Gregorii Turonensis: Francorum, p. 107.

(6) Gregory of Tours : Franks, pp. 54,58.

(7) Gregory of Tours : Franks, p. 67.

ولكن ليس من المستغرب في سرد جريجوري التوري، أن الصراع الكاثوليكي الآريوسي المتضمن في هذا الزواج جاء في المقدمة، حيث يواصل جريجوري موضوعه من الفصل الثاني بأن الآريوسيين دائماً يحصلون على جزاءهم العادل في النهاية، مثل آلاريك الثاني في فوييه الذي اقترب خطأ القتال ضد كلوفس الكاثوليكي. في واقع الأمر على الرغم من تصرف أمالريك كما ذكر جريجوري، فإنه من الصعب أن نفهم أن سلوك أمالريك الذي بحث ووافق على العروس الفرنجية، ولا بد أنه كان يعرف إنها كاثوليكية متوقعاً تحويلها، ثم قهر هذه العروس. وفي النهاية هرب سريعاً عندما جاء واحداً من أشقائها للانتقام. إنه أحد الأمرين، إما إن جريجوري يستخدم هذه الحادثة ليدعم موقفه "إن الله يعاقب دائماً الآريوسيين" وهكذا يشوه القصة أو هناك بعضاً من التوضيح لتصرف أمالريك لم تشير إليه المصادر.

وقد طرح طمبسون Thompson أسئلة مماثلة: "دوافعه في طلب الزواج ليست واضحة"، ولو إنها أصبحت آريوسية فإنها لن تقوم بأي دور وساطة بين زوجها وبين أخواتها الملوك الفرنجة، ولو ظلت كاثوليكية فإن موقفها في بلاط أمالريك لا يمكن الدفاع عنه، كما أصبح في واقع الأمر⁽¹⁾. ولكن وافق روجر كولنز Roger Collins على إن سرد جريجوري صحيحاً قائلاً: "حيث عدم فهم أمالريك، ومحاولاته العنيفة لإجبار زوجته التخلي عن معتقداتها الكاثوليكية وتأييد الآريوسية أعطى أشقائها ذريعة للتدخل"⁽²⁾. كما يشير أيضاً إلى تاريخ ايزدور الاشيلي Isidore of Seville الذي ذكر أن أمالريك قد قُتل على يد رجاله بينما كان يحاول الفرار على عكس ما ذكر جريجوري⁽³⁾.

(1) Thompson: Goths in Spain, p. 12.

(2) Collins: Early Medieval Spain: Unity in Diversity, 400-1000. 2nd ed. New York: St. Martin's Press, 1995., p. 34.

(3) Isidore of Seville: History of the kings of the Goths, p. 19.

من الواضح إن هناك ما هو أكثر من حملة عسكرية لمجرد تسوية النزاع العائلي، وتحدي موقف أمالريك كملك دون منازع، علاوة على ذلك هناك دليل للتأمل في تاريخ بروكويوس، الذي ربما لا يكون جديراً بالثقة كلياً منذ أن ذكر أن أمالريك تزوج شقيقة ثيودبرت الأول⁽¹⁾ Theudibert I ملك الفرنجة، وذلك لأن معظم تفاصيله الأخرى مدعومة من مصادر أخرى، ولكن قد يكون لديه شيء يستحق النظر، فقد ذكر بروكويوس:

"فيما بعد أساء أمالريك إلى شعور زوجته ولم يسمح لها بأداء طقوس دينها، فضلاً عن ذلك كانت تأبى أن تستجيب إلى عاداته، وكان ينظر إليها بعين الازدراء، ولم تستطع المرأة تحمل ذلك فقامت بإفشاء الأمر بأكمله إلى شقيقها"⁽²⁾.

على ما يبدو إن كلوتيلدا لم تكن قادرة على ترسيخ نفسها في البلاط القوطي دون أن تصبح آريوسية، وهو الشيء الذي تكره أن تفعله. وبالتالي فتكون عديمة الفائدة كزوجة للملك الآريوسي، ولم تستطع المشاركة في المهام الملكية المحاطة بالطقوس والأساقفة الآريوسيين. ومن ثم فإن أمالريك لجأ على نحو أوسع بطريقة عنيفة محاولاً اقناعها بالتخلي عن الكاثوليكية، وذلك لجعلها أكثر فائدة في البلاط الملكي.

وقد تحدث بروكويوس عن خوف أمالريك من الفرنجة كعامل تحفيز في البحث عن زوجة منهم⁽³⁾، كما أشار جوردان إلى "مؤامرات الفرنجة" عندما ناقش زواج أمالريك، عندما قال: "ولكن أمالريك وقع في مؤامرات الفرنجة

(1) أخطأ المؤرخ بروكويوس القيصري عندما ذكر إن أمالريك تزوج من شقيقة ثيودبرت الأول (حوالي 533-548م) ملك الفرنجة. انظر، بروكويوس: الحروب القوطية، ج1، ص94.

(2) بروكويوس: الحروب القوطية، ج1، ص95.

(3) بروكويوس: الحروب القوطية، ج1، ص95.

وفقد حياته ومملكته في وقت واحد⁽¹⁾. كما ناقش طمبسون رغبة الفرنجة منذ عهد بعيد استكمال غزوهم لبلاد الغال بالاستيلاء على مقاطعة سبتمانيا حتى لو كان هدف الزواج إحلال السلام بينهما بدلاً من الحرب التي كانت مستمرة سواء كان بينهما سلام أم لا⁽²⁾.

كما يرى بيتر هيزدر إن هذا الزواج حدث للحد من هجمات الفرنجة على الأراضي القوطية⁽³⁾. وبطبيعة الحال، يجب أن نعود إلى سلوك أمالريك الغريب تجاه كلوتيلدا. فإذا كان وصف جريجوري التوري مدعم من بروكويوس عن سلوك أمالريك تجاه زوجته فإنه مسلم به، كما يرى كولنز وطمبسون، إذاً فهو قد حاول الحفاظ على السلام مع الملوك الفرنجة⁽⁴⁾. ولكن لماذا يسأل عن عروس فرنجية، ثم يعتدى عليها وفقاً لما ذكرته بعض التقارير وعاملها بأسوء الأمور والأشياء؟ لماذا وقع في مؤامرات الفرنجة التي أشار إليها جوردان، وإن الفرنجة وضعوه فيها؟

للإجابة على هذه التساؤلات، لابد من الإشارة إلى الأحداث السياسية في مملكة القوط الغربيين، حيث تقدم تفسيراً لذلك. ففي عام 526م خرج أمالريك من تحت وصاية جده ثيودريك الذي حكم القوط الغربيين على مدى الخمسة عشر الماضية على الأقل بحكم الواقع⁽⁵⁾، وكان لا يزال إلى حد ما تحت ظل ثيوديس قائد ثيودريك العسكري في إسبانيا، ورفض أمالريك سلطة ثيودريك ونجح في نهاية المطاف في الوصول إلى الملكية⁽⁶⁾. ولإدراك ذلك إن وصاية

(1) Jordanes: The Gothic History, p.138.

(2) Thompson: Goths in Spain, pp.11, 15.

(3) Heather: The Goths, p.277.

(4) Thompson: Goths in Spain, 9-12; See Also, Collins: Early Medieval Spain, p. 34.

(5) Marius of Avenches : MGH AA XI, p.235.

(6) Jordanes: The Gothic History, p.138; See Also, Heather: The Goths, p. 278.

ثيودريك في إسبانيا كانت ضرورية، ولكن ثيودريك نوعاً ما لا يحظى بشعبية كبيرة بين القوط الغربيين⁽¹⁾، وقد سعي أمالريك في سنواته الأولى إبعاد نفسه عن حزب القوط الشرقيين في مملكته، وتجاوز نفوذ ثيوديس الذي ربما يمثل خطراً على مكانته⁽²⁾.

وقد ناقش بيتر هيدر ذلك قائلاً: "إن خلافة أمالريك كانت نتيجة بناء السلطة الجديدة (سلطة القوط الغربيين) لا القديمة (سلطة القوط الشرقيين)"⁽³⁾. كما أن هناك اتجاه يشير إلى وجود تغيير واضح في سياسة أمالريك تجاه القوط الشرقيين، وذلك عندما تزوج من أميرة فرنجية، على الرغم من أن الفرنجة أقل شعبية من القوط الشرقيين بين الارستقراطية القوطية الغربية، كما إن الزواج من أميرة أجنبية ليست من القوط الغربيين كان مؤشراً على رغبة أمالريك في أن تكون مملكته مستقلة عن القوط الشرقيين. وبالفعل أشار أمالريك إلى نيته عندما تفاوض مع ابن عمه اتالاريك Athalaric خليفة ثيودريك في إيطاليا (حوالي 526-534م)، حيث عقد معاهدة مواتية للغاية قطعت علاقات المملكتين بعد أعوام من هيمنه ثيودريك على المملكتين⁽⁴⁾.

(1) Thompson: Goths in Spain, p.10 ; See Also, Heather: The Goths, p.255.

(2) Wolfram: History of the Goths, p.310.

(3) Heather: The Goths, pp.277,234.

(4) بروكوبيوس: الحروب القوطية، ج1، ص 94-95؛

See Also, Thompson: Goths in Spain, pp.10-11.

وقد اعترف أمالريك في هذه المعاهدة بسيادة القوط الشرقيين علي بروفانس، وذلك في مقابل تنازل القوط الشرقيين عن التموينات التي كانت تأتي من إسبانيا، والتي كان ينظر إليها علي إنها شكل من أشكال الجزية، كما تم الاتفاق أيضاً علي عودة قوات القوط الشرقيين المتمركزة في إسبانيا وناربون، وحرية القوط الشرقيين الذين يقيمون في إسبانيا وتزوجوا من القوط الغربيين في الإقامة في إسبانيا أو العودة الي إيطاليا..... للمزيد أنظر،

Barbero and Loring: The Formation of The Sueve and Visigoths Kingdoms In Spain, p.177; See Also, Thompson: Goths in Spain, pp.10-11.

إذا السلطة والثروة المرافقة، التي جاءت من الزواج بالأميرة الفرنجية، ربما ساعدت أمالريك على توطيد منصبه كملك دون منازع. ولكن كان من المتوقع أن تتحول كلوتيلدا إلى الآريوسية من أجل تبديد أي مخاوف لنفوذ الفرنجة داخل مملكة القوط الغربيين، أو نقطة محورية للتمرد الكاثوليكي لرومان إسبانيا. وكانت كلوتيلدا تأمل أن تمارس نفوذاً كبيراً في البلاط القوطي الآريوسي في حين تظل على كاثوليكيته. ولكن أخطأ الملك أمالريك عندما توقع إنها سوف تصبح آريوسية، وعندما لم يحدث ذلك فإنه استعمل الأساليب العنيفة لتحويلها إلى الكاثوليكية. وكان يمكن أن تتحول كلوتيلدا إلى الآريوسية لكي تنجح مهمة الزواج على كافة المستويات ولكنها رفضت، وبهذه الطريقة جلبت السقوط والموت لأمالريك كما حدث.

* سيجبرت الأول وبرونهيلد:

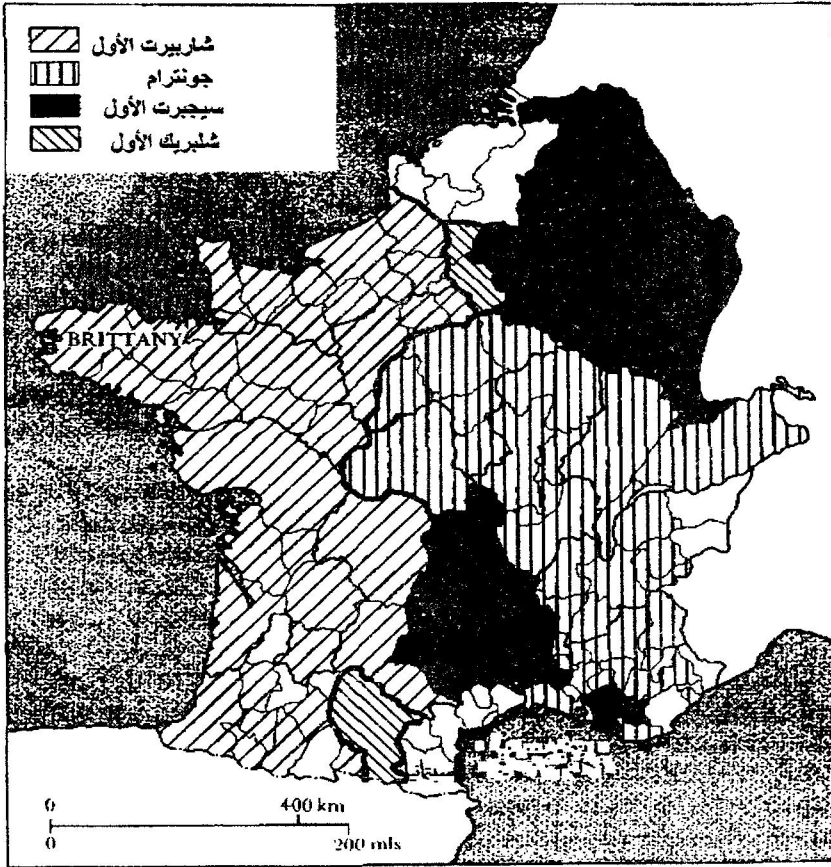
انفرد الملك كلوثر الأول (Clothar I 511-561م) بعرش مملكة الفرنجة عام 558م بعد وفاة أشقائه، ولكن بعد وفاته عام 561م قُسمت المملكة بين أبنائه الأربعة كما حدث من قبل بعد وفاة الملك كلوفس عام 511م، وكانت كالتالي شاريبيرت Charibert (561-567م) ورث مملكة شلدبرت الأول ومقرها باريس، أما جونترام Gunthram (561-592م) ورث مملكة كلودومير ومقرها أورليان، وقد ورث سيجبرت الأول (Sigibert I 561-575م) مملكة ثيودريك الشرقية ومقرها ميتز، أما الابن الرابع: فهو شلبريك الأول (Chilperic I 561-584م) قد ورث مملكة أبيه كلوثر ومقرها سواسون⁽¹⁾.

ولكن كان هؤلاء الأبناء أفضل من أبناء كلوفس، ولم يسعى الأشقاء الكبار شاريبيرت وجونترام للمصاهرات الأجنبية المرموقة، وإنما حاولوا إنجاب الأبناء

(1) Gregory of Tours : Franks , P.87; see also, Walter C. perry: The Franks From Their First Appearance in History To The death of King Pepin, (London 1957), p.128.

وبعد وفاة شاريبيرت تم تقسيم مملكته بين اخوته الباقين وظهر في تلك الفترة أن المملكة انقسمت إلى اقسام ثلاثة على اسس شخصية وليست قومية، وهي: اوستراسيا : (المنطقة الشرقية) : تمتد من ريمس وعلى طول نهر الراين وتشمل معظم القسم الجرمانى من فرانكيا مع قسم غاللي روماني استقر فيه الفرنجة على نحو واسع. ونوستريا : (المنطقة الغربية) وتقع بين القنال الانجليزى ونهر اللوار. وبرجنديا : إلى الجنوب الشرقي، وتمتد من لانجرز إلى البحر المتوسط. بينما تمتعت مقاطعة بريتاني Brittany باستقلال فعلي تحت حكم كونتات محلين. أما اكوين Aquitaine، حيث يسكن الباسك (البشكنس) Basques، فكانت تمتد من جيرونده Gironde وحتى غاسكوني (غسقوني) Gascony وتسمى (ارض الباسك). لمزيد من التفاصيل أنظر، محمود القيسي: العلاقات الخارجية للدولة الكارولنجية في عهد شارلمان، ص 28-29. ولمزيد من التفاصيل عن أملاك الأخوة الأربعة، أنظر خريطة رقم (5)

من خلال الزواج من العديد من النساء، أما الأشقاء الأصغر سنًا سيجبرت وشلبريك أصبحوا منافسين ألداء في محاولتهم جمع مزيد من الأراضي، الثروة والأتباع المخلصين لأنفسهم، وجعل أنفسهم متساوين، أو على الأقل الأفضل منزله من أخواتهم الكبار. وقد لعب الزواج الأجنبي المرموق دوراً هاماً في التنافس الداخلي على السلطة في مملكة الفرنجة في ذلك العصر، حيث حاول كل واحداً منهم التفوق على الآخر مثل جيل والدهم، واستخدم كل الأشقاء الأربعة الاتفاقيات العسكرية والتحالفات الدبلوماسية باستمرار لتوطيد موقفهم في المنافسة، وفي كثير من الأحيان على حساب بعضهم البعض.



خريطة رقم (5) تقسيم المملكة عام 561م

نقلًا عن Wood , Merovingian Kingdoms .p. 368.

على الجانب الآخر في مملكة القوط الغربيين نجد إن فرع أسرة الشجعان انقرض بعد وفاة أمالريك عام 531م، حيث استولى الكونت ثيوديس (548-531م) على السلطة، وظل يحكم المملكة لمدة سبعة عشر عاماً نجح خلالها في التصدي لمحاولات الفرنجة لغزو شبه الجزيرة الايبيرية⁽¹⁾. وبعد وفاة ثيوديس تولى ثيوديجزل Theudigisel (548-550م) الحكم، ولكنه لم يستمر طويلاً في الحكم، فقد تم اغتياله فجأة بعد أقل من ثمانية عشر شهراً في الحكم⁽²⁾. بعد ذلك اختار القوط اجيلا Agila (550-554م)، ليكون ملكاً عليهم وجرى الاعتراف به ملكاً في طليطلة وبرشلونة، في حين رفض كونتات الجنوب الاعتراف به، ربما بسبب ما كان معروفاً عنه من تعصب للأريوسية واضطهاد الكاثوليك، وحاول اجيلا غزو الجنوب ولكنه فشل، وقام قائد الثورة في الجنوب الكونت اثناجيلد Athanagild بالاستعانة بجيوش الإمبراطورية البيزنطية لمواجهة اجيلا، ونجح اثناجيلد والقوات البيزنطية في الاستيلاء على العديد من المدن على الساحل الجنوبي والشرقي، وواجهه اجيلا جيوش اثناجيلد وتعرضت البلاد لحرب أهلية ودمر القوط أنفسهم، وهُزم اجيلا مرتين وانتهى الأمر بقتله على يد قواته وأقاموا اثناجيلد قائد الثوار ملكاً عليهم⁽³⁾.

أصبح اثناجيلد (568-554م) بذلك ملكاً على القوط الغربيين، وحكم المملكة لمدة أربعة عشر عاماً، وكان أول عمل قام به هو حمل السلاح في وجه حلفائه البيزنطيين الذين كانوا يسيطرون على عدد كبير من المدن الاسبانية⁽⁴⁾.

(1) Isidore of Seville : Kings of the Goths, pp.19-20;

أنظر أيضاً، الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 64، 71.

(2) Isidore of Seville : Kings of the Goths, p.21;

أنظر أيضاً، الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 71.

(3) Isidore of Seville : Kings of the Goths, pp.21-2;

أنظر أيضاً، الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 72-73.

(4) Isidore of Seville : Kings of the Goths, p. 22;

أنظر أيضاً، الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 72-73.

ولكن لم يتمكن من إستعادة هذه المدن، وفقد ولاية باتيكا Baetica وجزء من ولاية قرطاجنة⁽¹⁾، وكانت النتيجة أن نقل اثاناجيلد عاصمة ملكة من ماردة Merida⁽²⁾ في الجنوب إلى طليطلة Toledo⁽³⁾ شمالها، وهي في قلب إسبانيا في موقع متوسط يمكن القوط من سهولة الأشراف على املاكهم فضلاً عن سهولة التوسع⁽⁴⁾.

أما عن زواج سيجبرت وبرونهيلد Brunhild عام 566م فيقول جريجوري التوري:

(1) قرطاجنه : تقع قرطاجنه في الجنوب الشرقي من إسبانيا علي ساحل البحر المتوسط واستولى عليها الرومان واصبحت مقاطعة رومانية حتى استولى عليها الوندال عام 424م، ثم استولت عليها قبائل السويفي وظلت تحت سيطرتهم حتى استولى عليها القوط الغربيين واصبحت تحت سيطرتهم. انظر، خريطة رقم(11). ص139؛ محمد عبده حتاملة: ايبيريا، ص200-199، 215.

(2) ماردة : مدينة تقع بالجنوب الغربي من إسبانيا، وقد تأسست في عهد يوليوس قيصر باسم اميريتا اوغسطه Emerita Augusta، وقد قام اجيلا (550-554م) ملك القوط الغربيين بنقل عاصمة المملكة القوطية إلي ماردة بدلاً من اشبيلية. أنظر، خريطة رقم(11)؛ طرخان: القوط، حاشية ص139؛ محمد عبده حتاملة: ايبيريا، ص173-174.

(3) طليطلة : مقاطعة في وسط إسبانيا عرفها الرومان باسم (Toleteum) حين استولوا عليها عام 192ق.م، وقد اتخذ الملك اثاناجيلد (568-554م) من طليطلة عاصمة لمملكته وقد عقد فيها عدة مجتمعات كنسية مثل مجمع طليطلة الأول لعام 400م، ومجمع طليطلة الثاني عام 527م، وعقد فيها أيضاً مجمع طليطلة الثالث عام 589م علي عهد الملك ريكاردو الأول(601-586م)، والمجمع الرابع عام 633م برئاسة ابزدور الاشيلي أسقف اشبيلية، كما كانت مقراً لعددًا من ملوك القوط الغربيين وظلت طليطلة عاصمة للقوط الغربيين حتى نهاية مملكتهم. للمزيد أنظر، خريطة رقم(11)؛ طرخان: القوط، حاشية ص139، 103؛

Moore : Encyclopedia of Places, p.787; Encyclopaedia Britannica online

(4) ابراهيم طرخان: دولة القوط الغربيين، ص103؛ محمد عبده حتاملة: ايبيريا، ص228

"عندما حان الوقت لسيجبرت لكي يتزوج ، فإنه بحث حول أشقائه الذين تزوجوا من محظياتهم من العبيد ، واعتبر مثل هؤلاء النساء غير جديرين ، وأرسل سفارة إلى إسبانيا لطلب يد برونهيلد ابنة اثاناجيلد ملك القوط الغربيين ، مع العديد من الهدايا ، ولم يرفض أبوها وأرسلها إلى سيجبرت مع ثروة عظيمة⁽¹⁾ .

ويرى جريجوري في زواج سيجبرت من برونهيلد إنه زواج ملائم لملك ، حيث أن الزواج من برونهيلد يمثل مصاهرة مرموقة لسيجبرت ، الذي حصل على زوجة من أعلى الرتب برفقة ثروة عظيمة ، والتي كانت ذات سمعة وجمال . وقد أمضى جريجوري عده فصول واصفاً الزوجات قليلي الشأن والمحظيات ، الذين اعتقد أنهم اخزوا أخوة سيجبرت قبل توضيح فضائل الأميرة برونهيلد المهيبة ، الجميلة ، العفيفة ، الحكيمه والجدابه⁽²⁾ . ويبدو إن جريجوري التوري قد عقد مقارنة ايجابية حول شلدبرت الثاني بن سيجبرت وبرونهيلد ، حيث كان لسيجبرت ابناً جيداً لأنه من زوجة جيدة ولم يرفضها مطلقاً ، والذي يتناقض مع وفاة أبناء جونتروام المبكرة من محظياته (فكان مضطراً لتبني شلدبرت الثاني كابناً ووريثاً له) . ولم يعجب جريجوري ببرونهيلد فقط ، ولكن الملك شلبريك أيضاً بدأ يحسد شقيقه على زوجته الرائعة ، وشرع على الفور تقريباً بعدئذ في البحث عن زوجة مماثلة له - شقيقة برونهيلد ، جالسيونثا Galsuintha . وقد أشار جريجوري إلى إن شلبريك كان مستعداً للتخلي عن زوجاته ومحيطاته الأخريات من أجل إتمام هذا الزواج المهم⁽³⁾ .

كما يكشف لنا أيضاً فينانتوس فورتيوناتوس Venantius Fortunatus (حوالي 540-600م) عن اهتمام العائلة الملكية بالمولد والمكانة الاجتماعية في

(1) Gregory of Tours : Franks , P.89.

(2) Gregory of Tours : Franks , P.89.

(3) Gregory of Tours : Franks , P.89.

المظهر العام، وقد سعي فورتيوناتوس إلى إرضائهم عن طريق كتابة ما يريد جمهوره ورعاياه أن يسمعه، لذا فأنا نأخذ قصائده وأشعاره المكتوبة على وجه التحديد للعائلة الملكية على إنها تعكس رغباتهم ودوافعهم. وقد كتب فورتيوناتوس قصائد مدح لسيجبرت وبرونهيلد. وقد لاحظت جوديث جورج Judith George كيف أن هذه القصائد تثبت الزواج الملكي وتؤكد⁽¹⁾. وتتبع هذه القصائد الانماط والرمزية التقليدية لهذا النوع من الشعر، ولكن يتوافق مع الظروف المحيطة بالزواج كما وضع جريجوري التوري. فالأمر لا يقتصر على قصيدة توضح بعض طرق الملوك مثل سيجبرت محاولاً توطيد هيئته ونفوذه، ولكن التكوين ذاته يوحي مدى أهمية المقارنة في صالح شخص ما مقابل شخص آخر منافس على السلطة داخل مملكة الفرنجة.

ففي القصيدة مملكة سيجبرت تقارن بالإمبراطورية الرومانية، وهيئة برونهيلد مقابل وضع زوجات أخواته المخزي، والقصيدة لا توضح فقط أصل، مرتبه ومنزلة سيجبرت، ولكن أيضاً برونهيلد. وقد أشاد فورتيوناتوس بـسيجبرت على أنه أعظم الملوك وذات نسب ملكي⁽²⁾. وأكد أصول برونهيلد الاسبانية الشهيرة، وذكر أبيها الملك اثاناجيلد على وجه التحديد⁽³⁾. وأشاد بجمال برونهيلد حتى قيل إنها فينوس الجديدة جميلة المظهر إنها جوهرة⁽⁴⁾. مثل هذا الوصف قد يكون في الأساس راجع إلى الأمثلة البلاغية لهذا النوع من الشعر الذي يتبعه فورتيوناتوس. ومع ذلك أشار جريجوري التوري أيضاً إلى مظهرها الجميل⁽⁵⁾.

(1) Judith George: *Venantius Fortunatus: A Latin Poet in Merovingian Gaul*.

Oxford: Clarendon Press, 1991, p.154.

(2) *Venantius Fortunatus: Personal and Political Poems*, Translated from Latin by Judith W. George. (Liverpool University Press, 1995), p.25.

(3) *Venantius Fortunatus: Personal and Political Poems*, p.26.

(4) *Venantius Fortunatus: Personal and Political Poems*, pp.25-27.

(5) Gregory of Tours : *Franks* , P.89.

وقد كتب فورتيوناتوس أيضاً عدة قصائد بعد الزواج عندما رأى الملك سيجبرت عروسته وعلم عن جمالها. ونحن نفترض لو أن ذلك مبالغ فيه، فإنه لم يزيّف تماماً ما اراده الزوجان الملكيان أن يسمعا عن جمال برونهيلد، وإلا أصبح ذلك مثلاً للسخرية إذا كانت قبيحة في الواقع. وقد طورت قصيدة فورتيوناتوس أيضاً أهمية شخصية الفرد للزوجين الجديدين سيجبرت وبرونهيلد، فقد وصف سيجبرت على أنه قوى وناضج، رمز الأب لشعبة كريم ومتسامح⁽¹⁾. إنه رجل في أي شيء يستحق أن تطلبه من ملك تجده⁽²⁾. أما بالنسبة لبرونهيلد فماذا الذي أكدته هذه القصيدة بالفعل:

"قريباً، عندما كان كيوييد⁽³⁾ Cupid مع سهم انتصاره رأى الملك الكريم يعشق الفتاة العذراء، قال في ابتهاج لفينوس Venus: "امي لقد خضت معاركي؛ لقد هزمت اخيليس الثاني Achilles بقلبه الشائر، سيجبرت وقع في الحب، لقد عشق برونهيلد، إنها تجعله سعيداً، إنها مستعدة للزواج، برونهيلد تفتح في زهرة عذريتها، إنها سوف تسعد زوجها منذ أول تعانق لهما، إنها لا تعاني من عاراً مخجل، ولكن حبهما يزداد قوة، هذه هي أيضاً رغبة الفتاة رغم تواضع جنسها الذي ابقت خلفها"⁽⁴⁾.

إنها على وجه التحديد عذريتها وعفتها اللذان اشاد بهما فورتيوناتوس، هذان وصفهما على أنهم شيء مرغوب ومبجل ينبغي أن ينظر إليهم على وجه التحديد مع تفاوتهم في مصاهرات أشقاء سيجبرت التي تعددت، حيث تزوجوا من عدة نساء قليلي الشأن، وربما عفتهم كانت مشكوكاً بها. كما تقول جوديث جورج، "إلى كل شخص وصل مؤخراً إلى البلاط الملكي فإن فورتيوناتوس رد

(1) Venantius Fortunatus: Personal and Political Poems, p.28.

(2) Venantius Fortunatus: Personal and Political Poems, p.30.

(3) كيوييد: هو اله الحب عند الاغريق.

(4) Venantius Fortunatus: Personal and Political Poems, pp.28-9.

بإبداع على طموحات الملك وعلى الحقائق الواقعية السياسية في هذا الزواج وعلى اهتداء برونهيلد للكاثوليكية⁽¹⁾. هذه الحقائق السياسية تدور حول المنافسة بين الملوك الأشقاء وحاجة سيجبرت لجذب واحتفاظه بأفضل الاتباع المخلصين، وهذا من شأنه أن يجعله قادراً على الدفاع عن مملكته وتوسيعها، والذي من شأنه أيضاً توفير فرص الغنيمة لهؤلاء الاتباع المخلصين.

كما يبدو واضحاً من سرد جريجوري أيضاً، إن سيجبرت احضر جمهوراً كبيراً ليعرض هبة عروسته الجديدة، فيذكر جريجوري إن سيجبرت حشد "رؤساء مملكته وأعد وليمه سريعة واستقبل زوجته بهجة وسرور غير محدود"⁽²⁾. كما أصدر سيجبرت بيان عن نفسه وعن طموحاته من هذا الزواج واستخدام الطقوس العامة للزواج ليؤثر ويجذب رجال مملكته ذوى السلطة.

وهكذا يبدو أن هذا الزواج يعرض أهداف متنوعة يمكن أن ترتبط بالمصاهرات السياسية الأجنبية، حيث أن الملك سيجبرت بالتأكيد لديه مصالح في جنوب بلاد الغال بحكم أن أراضي التي يحدها أراضي القوط الغربيين (سبثمانيا). وفي الوقت نفسه حدثت مهاجمة آرل Arles مدينة جونترام التي أيضاً تقع على حدود أراضي مملكة القوط الغربيين⁽³⁾. وسواء كانت رغبة سيجبرت تأكيد السلام مع القوط الغربيين من أجل تأمين موارده في الجنوب في أراضي أخواته أم لا، أو أنه سعى لدعم القوط الغربيين له في حملاته الخارجية، أو استخدم السلام في المنطقة في مقابل عروسة مرموقة، فأننا غير قادرين تماماً على حسم الآثار والنتائج المترتبة على ذلك الزواج. أما بالنسبة لاثاناجيلد فيرى البعض أنه هو الذي رتب أمر هذا الزواج السياسي من أجل حماية حدود مملكته الشمالية⁽⁴⁾.

(1) George, Venantius Fortunatus, p.43.

(2) Gregory of Tours : Franks , P.89.

(3) Gregory of Tours : Franks , P.92.

(4) محمد عبده حتاملة: ايبيريا، ص 229.

ولكن بالنظر إلى المصادر الأساسية التي لدينا نجد إنها لا تناقش الزواج بهذه الطريقة - كما إن مصادر القوط الغربيين لم تذكر الزواج مطلقاً - أو تقترح دعم القوط الغربيين لحملات سيجبرت، ويبدو من الأفضل لفهم الزواج من حيث صورة سيجبرت الملكية، إنه في الحقيقة دليل ضئيل جداً على التعاون الفرنجي القوطي، كما إن عامي 570 و 580 مثل عام 530 تميزوا بشكل عام بالصراع العسكري الفرنجي القوطي في جنوب بلاد الغال. كما أن المصادر صامتة تماماً عن العلاقات الفرنجية القوطية بين عامي 540 و 566م، ولكن مع الجيل الجديد من ملوك الفرنجة الحريص على عرض شجاعتهم العسكرية في توسيع ممالكهم، فنجد تهديد الفرنجة لسبتمانيا قد تجدد في هذه اللحظة بالذات عندما بدأ حكام الشعبين في المصاهرات مع بعضهما البعض⁽¹⁾.

وخلال فترة حكم الملك ليوفا الأول (568-573م) ركز بشكل خاص على منطقة سبتمانيا التي تقع على الحدود الفرنجية، وربما بسبب التهديد المتكرر، ثم في عام 573م أعطى ريكاردو Reccared (586-601م) أوامره في هذه المنطقة لمواصلة صد هذه المحاولات. وهكذا من الغالب نحن نرى في زواج سيجبرت وبرونهيلد على أنه علامة على العلاقات السلمية بين المملكتين، ولكن ربما هذا كان موجوداً حتى قبل الزواج. وقد اقترح إيان وود إن اثاناجيلد في زواجه لابنتيه لملوك الفرنجة ربما كان يأمل في حفيد يخلفه⁽²⁾. ولكن يبدو هذا بعيد الاحتمال بسبب تاريخ العداوة العامة بين الشعبين في القرن السادس، ولكن هذا مثال جيد إذاً اخذنا بعين الاعتبار الدوافع البديلة للمصاهرات الأجنبية بجانب القضايا السياسية أو الدبلوماسية الدقيقة.

وسواء ساعد زواج سيجبرت من برونهيلد في عام 566م في فهم الأوضاع الدبلوماسية والعسكرية المعاصرة في جنوب الغال أم لا، فإنه لا يمكن القول بأنه كان ذات تأثير طويل الامد على هذا الوضع. وعندما توفي اثاناجيلد بعد عامين

(1) Collins, Early Medieval Spain, p.40.

(2) Wood , Merovingian Kingdoms .p. 170.

من الزواج ، وجاءت سلالة جديدة للعرش ليس لها أي علاقة برونهيلد ، على الأقل حتى تزوجت والدتها الملك الجديد ليوفيجيلد Leovigild فإن علاقاتها ونفوذها في بلاط القوط الغربيين كان محدوداً ، ومن الأفضل رؤية برونهيلد بعد زواجها من سيجبرت كملكة الميروفنجيين بدلاً من أميرة القوط الغربيين . كما أنه بعد وفاة سيجبرت لم ترجع برونهيلد إلى إسبانيا ، ولكنها بقيت وأصبحت أهم شخصية في السياسة الميروفنجية .

- زواج برونهيلد الثاني :

بعد وفاة الملك سيجبرت⁽¹⁾ عام 575م انكشفت طبيعة المنافسة بين الملوك الميروفنجيين بشكل بارز ، ويبدو أن وفاة سيجبرت نتج عنها حرب أهلية وصراع في مملكة الفرنجة ، حيث أتى الملك شلبريك إلى باريس واستولى عليها⁽²⁾ ، كما أسر برونهيلد زوجة الملك سيجبرت المتوفي ، ولكن ابنها الصغير شلدبرت الثاني (حوالي 575-596م) استطاع الفرار من المدينة⁽³⁾ ، وأصبح ملكاً على مملكة والده (أوستراسيا) ، وكان يبلغ من العمر آنذاك خمس سنوات⁽⁴⁾ .

(1) توفي الملك سيجبرت عام 575م حيث قتل علي أيدي أتباع الملكة فريدجوند زوجة الملكة شلبريك ، وذلك أثناء حربه مع الملك شلبريك ، وبعد أن استولى شلبريك علي باريس . للمزيد أنظر ،

Gregory of Tours : Franks , PP. 99-100.

(2) بعد وفاة الملك شاربيرت تم تقسيم مملكته بين اخوته ، ولكن نتيجة لأهمية باريس فقد تم تقسيمها بين الأخوة الثلاثة بشرط عدم زيارة أي من الملوك الآخرين لها بدون موافقة الآخرين . أنظر

Gregory of Tours : Franks , P.173; see also, Walter: The Franks , p.129.

(3) استطاع أحد قادة الملك سيجبرت ويدعى جندوبالد Gundobald دوق كامبانيا Campania بانقاذ شلدبرت ابن برونهيلد قبل أن يقع في ايدي عمه شلبريك ، وذهب به إلى اوستراسيا حيث تم تتويجه ملكاً علي اوستراسيا في نهاية عام 575م . للمزيد أنظر ،

Walter: The Franks , p.139; see also, Wood , Merovingian Kingdoms .p.127.

(4) Gregory of Tours : Franks , P. 106.

أما شلبريك فاستولى على الكثير من الكنوز التي احضرتها برونهيلد إلى باريس ، كما أرسل ابنه ليستولى على أجزاء من مملكة شلدبرت ، في حين هاجمت قوات شلدبرت سواسون التي كانت مقراً لاقامة فريدجوند Fredegund وزوجها الملك شلبريك. إلى جانب استمرار الصراع بين شلبريك وخليفة سيجبرت في ساحة المعركة ، فإن جريجوري التوري يكشف لنا إن الآخرين رأوا هذه الازمة فرصة للطموحات الشخصية ، ويخبرنا جريجوري إن الحرب أصبحت سمه أساسية بينهم⁽¹⁾. وفي الحقيقة يقول جريجوري إن الكثير من الناس غيروا ولاءهم على الجانبين في ذلك الوقت. إنها لمحة مشوقة في التنافس على الاتباع المخلصين وتشير إلى مثل هذه القضايا التي لا يستهان بها.

وقد واجهت شلبريك مشكلة أخرى في هذه الفترة هي تصرفات ابنه ميروفتش Merovech. ففي عام 576م واثناء زيارة ميروفتش لوالدته اودفيرا⁽²⁾ Audovera التي كانت تعيش حينذاك في المنفى في مدينة روان⁽³⁾ Rouen ، فإن ميروفتش تزوج الأرملة برونهيلد التي كانت تعيش هناك أيضاً. ولاحظ جريجوري إن هذا الزواج يتنافي مع القانون الكنسي حيث أن ميروفتش تزوج

(1) Gregory of Tours : Franks , P. 106.

(2) اودفيرا: تعد اودفيرا الزوجة الأولى للملك شلبريك الأول، وقد انجبت له خمس أولاد، ثلاثة أبناء وبتان، ثيودبرت Theodobert وميروفتش Merovech وكلوفس Clovis وكلودوسندا وباسينا Basina. وقد اقنعت فريدجوند الملكة اودفيرا بتعميد ابنتها كلودوسندا عندما كان زوجها شلبريك غائبا عن المملكة، وكان القانون الكنسي يحرم تعميد الامهات للابناء، ولم تكن اودفيرا تعلم بذلك، وعندما عاد شلبريك اخبرته فريدجوند بما فعلته اودفيرا فقام بنفيها إلى أحد الاديرة، وقد قتلت اودفيرا عام 580م علي أيدي فريدجوند. أنظر،

Gregory of Tours : Franks , P. 90; Liber Historiae Francorum, p.297.

(3) روان: مدينة فرنسية تقع علي الضفة اليمنى لنهر السين، وهي عاصمة لمقاطعة نهر السين الأسفل La Seine Inferieure، تبعد 113 كم شمال غرب باريس. انظر،

Moore : Encyclopedia of Places, p.667.

أرمله عمه⁽¹⁾، وكانت النتيجة أن غضب الملك شلبريك وارتاب في أمر ذلك الزواج⁽²⁾.

ويكشف لنا هذا الزواج عن دهاء الملكة برونهيلد، حيث لم تقف مكتوفة الأيدي أمام انتصارات شلبريك المتتالية، وبالرغم من وضعها الصعب في الأسر تحت قبضة جنود شلبريك، إلا إنها استطاعت الاتصال بميروفتش بن الملك شلبريك، وقامت بتحريضه ضد أبيه، بعد أن استغلت خوفه من تصرفات فريدجوند زوجة أبيه التي كانت تسعى إلى إبعاد كل أبناء شلبريك مثل ميروفتش وثيودبرت لكي يبقى العرش بعد ذلك في أيدي أبنائها فقط⁽³⁾. بل أن برونهيلد لجأت إلى ترغيب ميروفتش في الزواج بها؛ ليصبح ملكاً شرعياً في مدينة تور بسبب زواجة من أرملة الملك الراحل سيجبرت، ولقد اقتنع ميروفتش بما دعتة إليه الملكة، وعندما علم شلبريك بما ألت إليه هذه الأمور أرسل جيشاً لمواجهة ابنه ميروفتش المتمرد في مدينة تور، فأسرع الأخير بالهرب إلى كنيسة القديين مارتن St. Martin في روان، أما برونهيلد فبعد فشل خطتها سارعت بالهرب إلى ابنها شلدبرت في مملكة أوستراسيا Austrasia⁽⁴⁾.

(1) Gregory of Tours : Franks , P. 106.

(2) Gregory of Tours : Franks , P. 106.

(3) Gregory of Tours : Franks , P. 106; see also, Walter: The Franks , p.140.

(4) Gregory of Tours : Franks , P. 106; see also, Walter: The Franks , p.140.

- أوستراسيا: (المنطقة الشرقية) : تقع أوستراسيا في الشمال الشرقي من الغال، وتمتد من ريميس وعلى طول نهر الراين وكانت عاصمتها ميتر، وتشمل معظم القسم الجرمانى من غالة مع القسم الغالو روماني، استقر فيها الفرنجة على نحو واسع، وكان أكثر سكانها من الفلاحين الأحرار من صغار الملاك ومتوسطيهم. أنظر،

Bouillet: Dictionnaire universel d'histoire et de géographie,p.145;

انظر أيضاً، محمود القيسي: العلاقات الخارجية للدولة الكارولنجية في عهد شارلمان، ص28-29.

وبذلك لعبت الملكة برونهيلد دوراً رئيسياً وحدها، ففي البداية نجحت في إخفاء ابنها شلدبرت حتى استطاع الهرب وتوج ملكاً على مملكة أبيه، مما يعني الحفاظ على إرث الملك سيجبرت. ثم سعت إلى جذب أنظار الملك شلبريك بعيداً عن ابنها في أوستراسيا، بعدما اتفقت مع ميروفتش بن شلبريك على أن يعلن نفسه ملكاً، وبذلك كسبت انشغال شلبريك بعيداً عن ابنها. ولم تترك برونهيلد وقتاً كبيراً لشلبريك حتى قامت بالهجوم على مدينة سواسون مقر إقامة زوجة الملك شلبريك، ولقد كشفت تلك الخطوة من جانب برونهيلد عما تمتع به تلك الأرملة من الذكاء السياسي؛ لأن شلبريك اضطر إلى تأمين المناطق المحيطة بسواسون، تلك المناطق التي تخضع لسيطرة الملك جونترام، مما أدى إلى نقل الصراع إلى مملكة جونترام، مما فتح مجالاً لإنشاء تحالف سياسي بين شلدبرت الثاني وجونترام ضد الملك شلبريك.

ولكن لم ينجح ميروفتش في التصدي لآبيه فهرب إلى كنيسة القديس مارتن، كما أن شعب أوستراسيا لم يقف بجانبه ووقف ضده، وهكذا نجد أن ميروفتش اضطر للبقاء في الخفاء لأنه لا يستطيع الوثوق في الفرنجة الشرقيين (شعب أوستراسيا)⁽¹⁾، وقد اقترحت جانيت نيلسون Nelson إن رفض شعب أوستراسيا لميروفتش كان لصالح ابن برونهيلد - شلدبرت - الذي في الواقع وريث سيجبرت وبرونهيلد الحقيقي⁽²⁾، وهذا تذكير جيد بأن زواج ميروفتش وبرونهيلد ما كان إلا جزءاً من خدمة مصالح ميروفتش في أن يصبح ملكاً على مملكة سيجبرت، ولكن في هذه الحالة لم يكن الزواج كافياً لميروفتش للوصول إلى العرش الملكي، وفي نفس الوقت كان الزواج جزءاً من مخطط برونهيلد لكي تشغل الملك شلبريك بعيداً عن ابنها حتى يوطد موقفه كملك،

(1) Gregory of Tours : Franks , P.119.

(2) Nelson, Janet L. "Queens as Jezebels: The Careers of Brunhild and Balthild in Merovingian History." In *Medieval Women*, ed. Derek Baker, Oxford: Basil Blackwell, 1978. p. 41.

كما أنه لا توجد إشارة واحدة إلى أن زواج ميروفتش من أرملة سيجبرت سوف يجلب له أي دعم سياسي من شعب أوستراسيا. ومع ذلك الحقيقة أنه تزوجها في هذه اللحظة، وحاول كسب تأييد شعب مملكة سيجبرت ليوضح الاضطرابات الناجمة عن موت سيجبرت والاشتراك في المنافسة الفرنجية. ومن المحتمل أن ميروفتش رأى إنها فرصة مناسبة للحصول على مملكة سيجبرت عن طريق الزواج من أرملة، وتقديم نفسه كملك راشد مرتقب، على النقيض من شلدبرت الثاني الشاب الصغير. وربما رأت برونهيلد في ميروفتش مناصراً ومدافع محتمل عن ابنها ضد شلبريك رثيما يظهر شخص أفضل في هيئة الملك جونترام⁽¹⁾.

أما عن نهاية ميروفتش، فإنه لم يخرج من ملجأه في كنيسة القديس مارتن في روان، إلا بعد أن تعهد له أبيه شلبريك بالحفاظ على حياته، ولكن بعد خروجه تم حرمانه من الامتيازات الملكية، وأُجبر على أن يصبح راهباً، وأمام هذا الوضع طلب ميروفتش من خادمه أن يقتله⁽²⁾.

وقد عاشت الملكة برونهيلد سنوات طويلة في مملكة اوستراسيا وظلت وصيه على ابنها شلدبرت الثاني حتى تولي الحكم بنفسه، وبعد وفاته تولت الوصاية على احفادها أبناء شلدبرت (ثيودبرت الثاني وثيودريك الثاني) أيضاً، ثم على أبناء حفيدها ثيودريك الثاني كذلك، واتبعت سياسة نشطة وراقية كما ذكر جريجوري التوري، لكنها سقطت في النهاية وعمرها (70 سنة) ضحية لعمل وحشي من قبل

(1) كان الملك جونترام يريد بقاء شلدبرت الثاني علي عرش المملكة، وقد أظهر جونترام عدة مهارات سياسة ودبلوماسية، بدلاً من التحدي ضد شلبريك منفرداً، فقد ساعد في الحفاظ على مملكة شلدبرت الذي قد تبناه في عام 577م كخليفة له. أنظر،

Crisp: Marriage and alliance, p. 177.

(2) Gregory of Tours : Franks , PP.114-115 ; see also, Walter: The Franks , p.140.

اعدائها وجرى تعذيبها في معسكر الملك كلوثر الثاني⁽¹⁾ بن فريديجوند، حيث جرى تعذيبها بأساليب قمعية لمدة ثلاثة أيام وعلقت أخيراً بجمل وأخذ يجرها في معسكر كلوثر. ثم ربطت بحصان لم يروض بعد فمزق جسدها اشلاءً، ثم تم احراقها عام 613م، واتهمت بإنها كانت سبباً في موت عشرة ملوك، وزاد آخرتها بلاءً إن متهمها وقاضيتها وجلادها كان كلوثر الثاني بن فريديجوند⁽²⁾.

(1) كلوثر الثاني: تولى كلوثر الثاني عرش مملكة الفرنجة عام 584م بعد وفاة والده شلبريك، وبعد وفاة الملك ثيودريك الثاني عام 613م تم تقسيم مملكته بين اولاده الاربعة سيجبرت الثاني وشلدبرت الثالث وكوريس Corbus وميروفتش تحت وصاية جدتهم برونهيلد، ولكن تم دعوة كلوثر الثاني من قبل النبلاء للسيطرة علي كل من أوستراسيا وبرجنديا، وبالفعل قبل كلوثر الدعوة ونجح في السيطرة علي أوستراسيا وبرجنديا، بل تخلص من أبناء ثيودريك الثاني، ليعلن نفسه ملكاً وحيداً علي عرش مملكة الفرنجة عام 614م. للمزيد أنظر،

Fredegar: The Fourth Book, PP.32-6; Aimoini Monachi Floriaacensis: Gestis Regum Francorum, dans Recueil des historiens des Gaules et de la France, Tome.3, Paris, pp.115-6.

(2) Fredegar: The Fourth Book, pp.34-5;

انظر أيضاً، نور الدين حاطوم: تاريخ العصر الوسيط في اوربيه، دار الفكر 1982، ص84؛ محمد عبده حتاملة: ايبيريا، ص229.

بعد وفاة الملك ثيودبرت الثاني استولى شقيقه ثيودريك الثاني علي مملكته، وبعد وفاة ثيودريك تولت الملكة برونهيلد الوصاية علي اولاد ثيودريك حيث قسمت المملكة بين ابنائه تحت وصاية جدتهما برونهيلد، وعندئذ ادرك النبلاء صعوبة موقفهم بعدما اصبحت برونهيلد هي المسيطرة علي السلطة في كلا من أوستراسيا وبرجنديا، مما يهدد مصالحهم فقاموا بالاتصال بكلوثر الثاني ملك نوستريا لمساعدتهم في التخلص من برونهيلد في مقابل مساعدتهم في السيطرة علي كل من أوستراسيا وبرجنديا، وبالفعل وافق كلوثر علي هذه الفرصة وسارع بالتحرك بجيشه علي مملكة أوستراسيا، وتظاهر النبلاء بانهم موالون للملكة برونهيلد. وفي ميدان القتال تم القبض عليها. انظر،

Fredegar: The Fourth Book, pp.30-31; Wood, Merovingian Kingdoms. p.58;

انظر أيضاً، سعيد محمد طه محمد: مملكة الفرنجة في عهدي كلا من كلوثر الثاني وابنه داجوبير الأول (614-638م)، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب جامعة بنها 2015، ص52.

* شلبريك وجالسيونثا:

وفقاً لما ذكره لجريجوري التوري فإن الملك شلبريك الأول Chilperic I (561-584م) قد تزوج جالسيونثا Galsuintha شقيقة برونهيلد كرد مباشر على زواج سيجبرت من برونهيلد، حيث ذكر:

"فهم الملك شلبريك ذلك، وعلى الرغم من إنه لديه عده زوجات بالفعل إلا إنه طلب يد شقيقتها جالسيونثا، واعدأ المندوب أنه قرر أن يطلق زوجته الآخريات لو العروس تستحق التقدير والحصول على فتاة قيمة لنفسه، وأرسل الأب ابته لذلك الرجل تماماً كما حصل من قبل مع ثروة كبيرة. وكانت جالسيونثا أكبر عمراً من برونهيلد، وعندما أتت للملك شلبريك استقبلها بشرف واحترام كبير، وتزوجها واحبها حباً كثيراً. وقد احضرت جالسيونثا معها ثروة عظيمة. ولكنه كان يحب فريدجوند إحدى محظياته، والتي نشأ بينها وبين جالسيونثا خلافاً كبيراً على الرغم من جالسيونثا اهتمت وقررت الايمان الكاثوليكي. ولكن عندما اشتكت للملك من إنها تعاني من الاهانات المتكررة، وقالت إنها ليس لديها احترام عنده، حيث كانت تعتقد ذلك، وإنه يجب أن يسمح لها بالعودة إلى وطنها بحرية وتاركة ثروتها التي احضرتها معها ورائها. ولكن هذا الرجل تظاهر من خلال المكائد البارعة وارضاهها بكلمات رقيقة. وفي النهاية، امر الخدم بضربها، ووجدوها ميتة في سريرها، ومع ذلك نعى الملك وفاتها، وبعد بضعة أيام تزوج فريدجوند"⁽¹⁾.

يقدم هذا التقرير بعض الرؤى الجيدة لدوافع هذا الزواج. وقد اخبرنا جريجوري إن شلبريك كان متزوجاً بالفعل، ولديه العديد من الزوجات

(1) Gregory of Tours : Franks , P.90.

والمحظيات، وعلى ما يبدو أكثر من واحدة، وهذه الملاحظة مثيرة للاهتمام، حيث أشار جريجوري إلى هؤلاء النساء كزوجات "wives" وليس محظيات "concubines". كما وعد شلبريك في مفاوضات الزواج أنه سوف يطلق زوجته الآخرى، ولكن استمرت فريدجوند إحدى محظياته المفضلة بالقدوم إلى القصر، حيث كانت لها مكانة عالية، بل كان لها تأثير كبير على الملك شلبريك حتى إنه قام بعد أشهر قليلة من زواجه من جالسيونثا بإعادة فريدجوند إلى القصر مرة أخرى، بل أهان الملكة جالسيونثا أمامها، وعندما أعلنت جالسيونثا رغبتها في العودة إلى بلادها، توفت بعدها بأيام قصيرة، وأشارت أصابع الاتهام إلى شلبريك وفريدجوند، خاصة وأن شلبريك أعلن زواجه من فريدجوند بعدة وفاة جالسيونثا بأيام قليلة⁽¹⁾.

على الجانب الآخر يبدو أن الملك اثاناجيلد كان يبحث لابنته عن السعادة في المستقبل والنجاح، فضلاً عن ضمان الاحترام المناسب المستحق لمثل هكذا عروس. ومن جهة شلبريك اعتبر أن الجائزة تستحق التضحية على الأقل في المدي القريب. وكان شلبريك متزوجاً بالفعل من نساء أخريات قليلي الشأن، وكان على استعداد تام لتركهم. على الرغم من انجذابه الواضح إليهم خاصة فريدجوند، من أجل الحصول على عروسة ذات هبة ومكانة. ويلاحظ أن جالسيونثا على وجه الخصوص شريفة ومن أصل ملكي وأكبر من برونهيلد، كل هذه النقاط تماثل اهتمام شلبريك بهبة زوجة سيجبرت حتى يتفوق عليه. حتى هذه اللحظة شاربيرت وجونترام لم يعقدوا مصاهرات مرموقة، ولكن عندما تنافس سيجبرت وشلبريك ظهرت أهمية الزواج المرموق.

ما هو المؤكد أكثر من هبة جالسيونثا، إنها الثروة والكنوز التي جلبتها معها، حيث ذكر جريجوري إنها أتت مع ثروة عظيمة⁽²⁾، التي كانت أيضاً مهمة

(1) Gregory of Tours : Franks , P.90. see also, Walter: The Franks , p.133.

(2) Gregory of Tours : Franks , P.90.

لشلبريك عندما قال جريجوري إنه أحبها على الفور عندما لاحظ إنها جبلت معها ثروة عظيمة⁽¹⁾. ومن الواضح إن جريجوري يقترح إن حب شلبريك لها يعتمد إلى حد كبير على ثروتها الكبيرة التي جلبتها معها. علاوة على ذلك ذكر جريجوري إنها عندما وصلت فإن شلبريك استقبلها بشرف كبير، والذي اقترح استقبال رسمي كبير لها حيث يمكن عرض ثروتها لشعب شلبريك جنباً إلى جنب هبة شخصية عروسته الجديدة. وعندما اعربت جالسيونثا في وقت لاحق عن العودة إلى ديارها فإنها عرضت المغادرة بدون ثروتها وإنها سوف تتركها بحرية، إنها أيضاً فهمت لماذا أحبها شلبريك؟.

ونحن فهمنا في وقت لاحق إن شلبريك أعطى جالسيونثا خمسة مدن في جنوب بلاد الغال كجزء من عقد الزواج⁽²⁾. وهذا دليل آخر على مدي أهميتها لشلبريك، ولكن يجوز أن نقترح موعد الزواج، وأن هذه المدن الخمسة تقع في المنطقة التي كانت جزءاً من مملكة شاريبيرت Charibert (561-567م) مما يعني إن شلبريك كان قادراً على إعطاء هذه المدن لزوجته بعد وفاة شقيقه شاريبيرت فقط. وقد توفي الملك اثاناجيلد عام 568م، إذاً أرسل ابنته إلى شلبريك قبل وفاته، كما أن شلبريك حصل على هذه المدن بعد وفاة شقيقه شاريبيرت عام 567م، إذاً الزواج حدث في الفترة بين وفاة شاريبيرت عام 567م ووفاة اثاناجيلد 568م.

أما عن وفاة جالسيونثا فإن إيان وود يحددها بعد وفاة اثاناجيلد بوقت قصير في عام 568م⁽³⁾. وإذا كانت قُتلت بالفعل بعد وفاة والدها فإن ذلك بالتأكيد يشير إلى عدم قلق الملك شلبريك من رد فعل القوط الغربيين نتيجة

(1) Gregory of Tours : Franks , P.90.

(2) Gregory of Tours : Franks , P.214; ; Crisp: Marriage and Alliance, p16.3.

انظر ، Bordeaux. بوردو و Limoges، ليموج Cahors, Lescar, and Cieutat، ذكرهم جريجوري التوري

Gregory of Tours : Franks , P.214.

(3) Wood, The Merovingian Kingdoms, p. 170.

مقتل الأميرة جالسيونثا، إشارة إلى حال كلوتيلدا الصغرى السابقة وانتقام شقيقتها شلدبرت الأول من القوط الغربيين. كما أنه بعد وفاة الملك اثاناجيلد انتهت أسرته الحاكمة، وصعدت أسرة جديدة لحكم القوط الغربيين مكان أسرته، وربما ذلك يقلل من مكانة جالسيونثا، وإزالة التهديد الخارجي لمقتلها.

وبذلك أصبح الزواج بلا فائدة دبلوماسية بعد وفاة اثاناجيلد، كما أنه يبدو عدم وجود أي أسباب للاعتقاد بأن ذلك الزواج قد عقد في المقام الأول مع أهداف دبلوماسية خارجية، حيث أن جريجوري التوري لم يحاول مطلقاً شرح هذا الزواج كأداة دبلوماسية للتعاون الخارجي بين المملكتين، ولكنه وضعه بوضوح في سياق التنافس الداخلي في مملكة الفرنجة بين سيجبرت وشلبريك⁽¹⁾. كما إن تعدد زوجات الملك شلبريك قبل زواجه من جالسيونثا يوحي إنه واحداً ممن يضعون أولوية الزواج على الجمال، أو على الأقل على جاذبية الشخص. ومن ثم فإنه تزوج فريدجوند بعد وفاة جالسيونثا، وهكذا نرى أن انجذابه الحقيقي لجالسيونثا يعتمد على هبتها وثروتها. وهذا ما يفسر أيضاً عدم موافقته بعودتها إلى وطنها عندما طلبت ذلك. وكان من الأفضل لمثل هكذا زوجة أن تموت بعد أن يموت شلبريك أو يهجرها بعروس رائعة، لا أن تُقتل غدرًا. علاوة على ذلك إن وفاتها قد تعني إنه شرعياً سوف يحتفظ بثروتها التي أحضرتها معها، في حين إنها إذا عادت إلى وطنها بدون ثروتها رغم عرضها ذلك، سوف يطالب والدها بأرجاع هذه الثروة، وقيام الحرب بين المملكتين.

وقد قدم فينانتوس فورتيوناتوس Venantius Fortunatus قصيدة رثاء طويلة في وفاة جالسيونثا قدمت مزيداً من الأدلة عن تاريخ وفاتها⁽²⁾. وركزت القصيدة بشكل خاص على حزن والدتها جوسنثا Goiswinth وشقيقتها برونهيلد، عليها وأشار فورتيوناتوس في نهاية القصيدة إلى أقرباء جوسنثا الذين

(1) Crisp: Marriage and Alliance, p16.4.

(2) Venantius Fortunatus: Personal and Political Poems, p.40.

يعيشون، ابنتها برونهيلد زوجة سيجبرت، وحفيدها (انجوند)، وحفيدها (شلدبرت الثاني) وزوجها⁽¹⁾. ولكن هذه الإشارة إلى زوجها، هل تشير إلى اثنانجيلد زوجها الأول ووالد جالسيونثا أم إلى زوجها الثاني ليوفجيلد Leovigild (568-586م) ؟ وتشير الإشارة أيضاً إلى شلدبرت الثاني، إذاً جالسيونثا لم تمت قبل عام 570م⁽²⁾.

أما حنا البقلاري John of Biclaro فقد حدد وفاة اثنانجيلد عام 568م⁽³⁾ كما حدد أيضاً زواج جوستنا ارملة اثنانجيلد من ليوفجيلد في العام التالي 569م، نفس العام الذي وصل فيه ليوفجيلد إلى الملكية⁽⁴⁾. وإذا كان محققاً في تاريخه، فإنه يبدو اقترح إن الزوج في قصيدة فورتيوناتوس هو ليوفجيلد وليس اثنانجيلد، إذاً توفيت جالسيونثا عندما اصبح ليوفجيلد ملكاً، ولم تمت في حياة والدها اثنانجيلد، ولكن على الأرجح ليس قبل عام 570م، مما يجعل الزواج يستمر فترة اطول مما حدد جريجوري وفورتيوناتوس. وبذلك لم تكن وفاتها مرتبطة مباشرة بوفاة اثنانجيلد، بل إن وفاتها بعد وفاة اثنانجيلد ببساطة تبدو اقل خطورة لعقد الزواج عندما قرر شلبريك التعديل فيه.

وهكذا نجد إن كل شيء عن هذا الزواج يشير إلى رغبة شلبريك في توطيد موقفه الداخلي من خلال الارتباط بالأميرة القوطية. وقد عمل شلبريك باجتهاد لاقناع اثنانجيلد أن يزوجه إياها- وإنه يستحقها- بوعده بقطع علاقاته بزواجه الأخريات، على سبيل المثال، وقدم لها هدية كبيرة.

إن رثاء فورتيوناتوس على موت جالسيونثا تأخر بعد وفاتها، كما تأخر أيضاً وداع شلبريك لها، وربما فورتيوناتوس يعرف القليل عن تفاصيل ذلك

(1) Venantius Fortunatus: Personal and Political Poems, p.50.

(2) Ewig: Die Namengebung bei den ältesten Frankenkönigen. p.58.

(3) John of Biclaro: Chronicl , p.59; Collins: Early Medieval Spain, p. 42.

(4) John of Biclaro: Chronicle , p.60.

الوداع، ولكن يجب أن يعرف كيف احبها والديها، وكيف عمل شلبريك باجتهاد على اقناعهم بزواجها له. وربما هذا سوف يساعد على تفسير لماذا تزوجت شقيقتها الصغرى برونهيلد قبلها؟ وذلك بسبب جهم الكثير لها وعدم رغبتهم على فراقها أو أن تتزوج بعيداً عنهم. كما إن فورتوناتوس يقول إن الجيش اقسم يمين الولاء لجالسيونثا علامة على مكانتها التي احضرتها إلى مملكة شلبريك⁽¹⁾. وقد ناقش ادوارد جيمس Edward James كيف إن يمين الولاء للملوك الميروفنجيين كان شائعاً في القرن السادس، ولكن جوديث جورج Judith George أيضاً أشارت إلى إنه نادراً ما تم حلف اليمين للملكات⁽²⁾. ويصفها فورتوناتوس أيضاً مثلما كسبت احترام الشعب، فإنها كانت تعطي الهدايا، وتعطف على الفقراء أيضاً⁽³⁾. يبدو إنها كانت تناسب معايير الزوجة الصالحة: إنها ذات دماء ملكية، احضرت معها ثروة عظيمة، وذات شخصية جيدة. إن الدوافع الرئيسية وراء زواج شلبريك منها يجب أن تكمن في هذه المعايير.

وقد كانت وفاة جالسيونثا سبباً في زيادة العداء بين الملك سيجبرت والملك شلبريك، حيث اتهم سيجبرت صراحة شقيقه شلبريك وزوجته فريدجوند بأنهما السبب في وفاتها، ومن ثم طالب سيجبرت بممتلكاتها، وهكذا كادت أن تتجدد الحرب بين سيجبرت وشلبريك، إلا أن تدخل شقيقهما الأكبر الملك جونترام أعاد الهدوء بين الأخوين بعد أن اتفق جونترام مع شلبريك على إعطاء برونهيلد كافة الأملاك التي كانت تخص جالسيونثا، وقد وافق شلبريك في النهاية، خوفاً من أن يتحد أخواته ضده⁽⁴⁾.

(1) Venantius Fortunatus: Personal and Political Poems, p.47.

(2) George, Venantius Fortunatus: Personal and Political Poems, p.47; James, The Origins of France, pp.142-3.

(3) Venantius Fortunatus: Personal and Political Poems, p.47.

(4) Gregory of Tours : Franks , P.89; Waiter C. perry: The Franks, p.130.

وقد اغتيل الملك شلبريك بعد عدة سنوات عام 584م⁽¹⁾، وتذهب كل الاحتمالات أن الملكة برونهيلد هي السبب في مقتل شلبريك؛ لأنه فضلاً عن المخاطر التي تعرض لها ابنها شلدبرت الثاني جراء هجمات شلبريك المتتالية على مملكة ابنها الشاب فإن الملكة برونهيلد لم تنسَ أن شلبريك سبق وأن قتل شقيقته جالسيونثا وزوجها سيجبرت من قبل؛ لذلك سعت إلى استغلال أي فرصة من شأنها القضاء على شلبريك وزوجته فريدجوند، والانتقام لمقتل شقيقته وزوجها. وهكذا نجد إن الزواج السياسي الأجنبي كان في بعض الحالات سبباً في الحروب الأهلية وسبباً في مقتل أحد الملوك مثلما حدث في حالة سيجبرت وشلبريك.

(1) قُتل الملك شلبريك علي أيدي قاتل يدعى فالكا Falca أثناء رحلة صيد في إحدى الغابات حول باريس، لمزيد من التفاصيل انظر،

Hugonis Viridunensi: Chronico Viridunensi Hugonis Abbatis Flaviniacensis , dans Recueil des historiens des Gaules et de la France, Tome III, PARIS, p 359; Walter: The Franks , p.147.

* هرمنجلد وانجوند:

بعد وفاة الملك اثاناجيلد عام 568م⁽¹⁾ ظل عرش مملكة القوط الغربيين شاغراً لمدة خمسة شهور⁽²⁾، فشل خلالها نبلاء القوط في اختيار ملكاً جديداً عليهم، ثم وافق حكام سبثمانيا على اختيار ليوفا Leova (568-572م) دوق ناربون ملكاً عليهم⁽³⁾، غير أن كونتات جنوب البرانس رفضوا قبول هذا المرشح من الإقليم الغالي، واندلعت حرب أهلية جديدة، ثم وقفت الحرب على أثر اقتراح ليوفا بأشراك شقيقه ليوفجيلد Leovigild (568-586م) معه في الحكم⁽⁴⁾، وكان ليوفجيلد معروفاً لدى الجنوبيين، ولهذا اقر هذا الاختيار معظم نبلاء إسبانيا، واحتفظ ليوفا بلقب الملك وحكم سبثمانيا، بينما حكم ليوفجيلد شبة الجزيرة كملك لإسبانيا، وظل الاخوان في السلطة لمدة اربع سنوات حتى مات ليوفا عام 572م، فانفرد ليوفجيلد بالحكم وظل يحكم حتى عام 586م⁽⁵⁾.

غدا ليوفجيلد أول ملك يحكم مملكة القوط الغربيين كلها منذ مائة عام، وربما اعتبر المؤسس الثاني لهذه المملكة، لانتشاله إياها من ظلمات الفوضى والاضطراب، ولأنه ارسى دعائم نظام جديد فيها، وضرب بشده اعدائها في

(1) John of Biclaro: Chronicle , p.59; Collins: Early Medieval Spain,p. 42.

(2) Isidore of Seville : Kings of the Goths, p. 22;

أنظر أيضاً، الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 75 ؛ محمد عبده حتامه: ايبيريا، ص 231.

(3) Isidore of Seville : Kings of the Goths, p. 23.

(4) John of Biclaro: Chronicle ,p.60.

(5) Isidore of Seville : Kings of the Goths, p. 23;

أنظر أيضاً، الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 75 ؛ ابراهيم طرخان : دولة القوط الغربيين، ص 104.

الشرق وفي الغرب واعطاها وحده جنبتها الوقوع فريسه في أيدي الفرنجة والبيزنطيين⁽¹⁾. واستطاع توحيد إسبانيا وحارب البيزنطيين وانتزع منهم مدن مالقة وشذونة وقرطبة Cordoba⁽²⁾، وشن حملات ضد البشكنس وضد السويقي، ونجح في تحقيق الوحدة الاسبانية⁽³⁾، واشرك ليوفجيلد ولديه معه في الحكم⁽⁴⁾.

على الجانب الآخر في مملكة الفرنجة نجد إن الملك سيجبرت الأول توفي عام 575م، وورث ابنه شلدبرت الثاني (حوالي 575-596م) مملكته، في حين بقي جونترام (561-592م) في مملكته ومقرها أورليان، وأيضاً شلبريك (561-584م) في مملكته ومقرها سواسون⁽⁵⁾، وقد عمل شلدبرت على توطيد ثقته في مملكته، وتأكيد موقف سلطته في علاقته مع اعمامه، ولكن استمر الصراع بين شلدبرت وعمه شلبريك كما كان من قبل بين ابيه وعمه، وانكشفت طبيعة المنافسة بين الملوك الفرنجة بشكل بارز، وأصبحت الحرب سمه أساسية بينهم في ذلك الوقت⁽⁶⁾. وفي الحقيقة يقول جريجوري التوري إن الكثير من الناس غيروا ولاءهم على الجانبين في ذلك الوقت. إنها لمحة مشوقة في التنافس على الاتباع المخلصين وتشير إلى مثل هذه القضايا التي لا يستهان بها.

وكان ذلك هو الوضع في مملكة الفرنجة، ونعود مرة أخرى إلى مملكة القوط الغربيين حيث أن الملك ليوفجيلد كان قد تزوج قبل اعتلائه العرش من

(1) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 75-76.

(2) قرطبة : مدينة ايبيرية تقع بجنوب إسبانيا، استولى عليها الفينيقيون ثم الرومان ثم خضعت للقوط الغربيين أنظر، خريطة رقم (11)؛ محمد عبده حاملة: ايبيريا، ص 128.

(3) Isidore of Seville : Kings of the Goths, p. 23;

أنظر أيضاً، الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 76 ؛ ابراهيم طرخان : دولة القوط الغربيين، ص 105 ؛ محمد عبده حاملة: ايبيريا، ص 232.

(4) John of Biclaro: Chronicle ,p.62.

(5) Gregory of Tours : Franks , P.87.

(6) Gregory of Tours : Franks , P. 106.

سيدة رومانية نبيلة هي ثيودوسيا Theodosia ابنة صفريانوس Severianus، الذي كان حاكماً لبعض الوقت على قرطاجنة⁽¹⁾، وانجب منها ولدين هرمنجلد Hermengild وريكاردو Recared، وقد تزوج جوستا Goiswinth ارملة سلفه اثاناجيلد⁽²⁾. ويقال إن الملك ليوفجيلد أراد أن يقيم تحالفاً مع الفرنجة فخطب انجوند Ingund ابنة الملك سيجبرت الأول⁽³⁾ وشقيقة الملك شلدبرت الثاني لابنه الأكبر الأمير هرمنجلد عام 579م⁽⁴⁾، وتُعد انجوند حفيدة جوستا واثاناجيلد أيضاً. ويقال إن برونهيلد هي التي رتبت أمر هذا الزواج الملكي كجزء من جهودها لتوطيد سلطه ابنها الملك الشاب شلدبرت⁽⁵⁾.

ويضع بعض العلماء المحدثين في كثير من الاحيان المصاهرات الفرنجية القوطية في النصف الأخير من القرن السادس في اطار العلاقات الدبلوماسية بين الفرنجة والقوط⁽⁶⁾. ويبدو إن الموضوع معقد، لكننا نستطيع تكمله تاريخ جريجوري التوري الذي غالباً ما يعرض ضعف سياسة القوط الغربيين المفهومة وحكمه على الآريوسيين بقسوه، من المصادر القوطية: مثل ايزدور الاشيلي وحنّا البقلاري.

(1) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 78.

(2) John of Biclaro: Chronicle ,P.60;

أنظر أيضاً، الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 78؛ محمد عبده حاملة: ايبريا، ص 233.

(3) كان للملك سيجبرت الأول (561-575م) ابناً واحداً وهو شلدبرت الثاني، وبتان وهما كلودوسندا Clodosinda التي تمت خطبتها إلى ريكاردو ملك القوط الغربيين وانجوند Ingund التي تزوجت الأمير هرمنجلد القوطي. أنظر

Wood: the Merovingian Kingdoms,p. 347.

(4) Gregorii Turonensis: Francorum, PP. 169-170,243-5; Paul the Deacon: Langobards, pp.124-5.

(5) Crisp: Marriage and Alliance, PP180.-81.

(6) Wood: the Merovingian Kingdoms, PP. 170-4.

نحن الآن أولاً على علم بهذا الزواج من سرد جريجوري التوري عندما أعلن خطبه بنات سيجبرت وشلبريك إلى أبناء ليوفجيلد⁽¹⁾ وذلك عندما أكمل جريجوري زواج انجوند وهرمنجلد. ولكن الإشارة إلى كلا الخطبتين كانتا في نفس الجملة معاً، وهي مفيدة لظهار هذا الزواج.

ولكن سرد جريجوري لهذا الزواج يركز على جوستنا أكثر من الاطراف الفعلية في الزواج، وقد بدأ باستطراد عن آريوسية جوستنا، وعند هذه النقطة إنه ثانية يربط زواج انجوند مع خطبة اثنتين من الأميرات الميروفنجيات إلى أبناء ليوفجيلد. وإن انجوند أرسلت إلى إسبانيا مع "فخامة عظيمة"، أو اننا قد نقرأ أيضاً مع "ثروة عظيمة"⁽²⁾. الغاية هي عندما أرسلت انجوند إلى إسبانيا فإنه ذلك تم مع احتفال كبير، وظهرها الملك السخي على الملأ. ثم يروى جريجوري بعد ذلك الصراع على إيمان انجوند الكاثوليكي مع حمايتها جوستنا، التي هي أيضاً جدتها في نفس الوقت. وقد رحبت جوستنا بحفيدتها انجوند في البداية، ولكن فيما بعد حاولت تحويلها من إيمانها بالكاثوليكية إلى الآريوسية أولاً بالحسن، وفي نهاية المطاف بالضغط العنيف. ومفردات جريجوري لوصف وصول انجوند إلى إسبانيا ربما تكون بليغة وذو مغزى حيث يقول إن جوستنا استقبلت انجوند بفرح عظيم⁽³⁾. وقد ناقش جيسن Jussen كيف إن كلمة "suscipio" التي استخدمها جريجوري غالباً ما تستخدم عند تعميده شخص ما، أو لقبول شخص دخيل في مجتمع جديد⁽⁴⁾، كما نرى هنا في هذه الحالة التي نشهدها.

(1) Gregorii Turonensis: Francorum, pp. 169-70, 243-4.

(2) Gregorii Turonensis: Francorum, pp. 243-5.

(3) Gregorii Turonensis: Francorum, pp. 243-5.

(4) Jussen: Spiritual kinship as social practice, p. 187.

- تمرد الأمير هرمنجلد :

بالنسبة لجريجوري التوري فإن قضية تمرد هرمنجلد أكثر أهمية بسبب ميوله الدينية أكثر من السياسية، كما أن جريجوري لا يذكر فقط مهاجمة جوستا لانجوند بسبب كاثوليكيته، ولكن يذكر أيضاً إن انجوند حثت في مساعدة زوجها هرمنجلد لكي يتحول إلى الكاثوليكية ونجحت في التأثير عليه⁽¹⁾. وعلى الرغم من إن جريجوري التوري عادةً ما يضطهد الأريوسيين للتأثير في سرده، إلا أنه كان قادراً على عرض قضية تمرد هرمنجلد وموقف انجوند منها بحياد وموضوعية دون النظر إلى النتائج الدبلوماسية المترتبة على تمرد هرمنجلد، لكننا دائماً نجده يتحامل على الأريوسيين طوال سرده.

وقد لاحظ حنا البقلاري John of Biclaro زواج هرمنجلد وانجوند، حيث ذكر في احداث عام 579م "إن الملك ليوفجيلد أختار ابنة سيجبرت ملك الفرنجة زوجة لابنه هرمنجلد، كما اعطاه جزءاً من المملكة لكي يحكمه"⁽²⁾، كما ذكر إن جوستا هذه كانت دائماً معادية تجاه الكاثوليكية، والذي من شأنه تأكيد وصف جريجوري لجهودها في تحويل انجوند⁽³⁾. وقد اشاد جريجوري بانجوند لصمودها على ايمانها الكاثوليكي ضد هذا التعارض الحازم، ثم روى تمرد هرمنجلد ضد ابيه، والذي أيضاً لاحظ اهتدائه للايمان الكاثوليكي، واهمل أي قضايا سياسية أخرى ببساطه.

وقد أشار كلاً من روجر كولنز وإيان وود إلى إن سرد جريجوري لا يتناسب مع المزيد من الادلة التي في متناول اليد، وإن هذه الناحية الدينية

(1) Gregorii Turonensis: Francorum, pp. 243-5;

أنظر أيضاً، الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 80؛ محمد عبده حاملة: ايبيريا، ص 235.

(2) John of Biclaro: Chronicle, p.67.

(3) Crisp: Marriage and alliance, p. 183.

لتمرد هرمنجلد يمكن ضبطها بدون خطورة⁽¹⁾. وإن اعتناق هرمنجلد للكاتوليكية يحتمل أنه أتى بعد سنوات قليلة من تمرده بمساعدة خاله ليندر Leander أسقف مدينة اشبيلية⁽²⁾ والذي ساعده البابا جريجوري العظيم في هذا الاهتداء⁽³⁾. ويشير كولنز أيضاً إلى أن هذا التحويل ربما وضع علامة تحالف دبلوماسي أو تقارب على الأقل مع البيزنطيين. كما يقول أن ذلك التحالف هو ما أثار الملك ليوفجيلد لاتخاذ اجراءات صارمة ضد تمرد ابنه بعد ثلاث سنوات منذ أن بدأ⁽⁴⁾.

وهكذا تحول الأمير هرمنجلد إلى الكاثوليكية بعد تأثير زوجته عليه وأيضاً تأثير خاله ليندر أسقف اشبيلية، وجرى تعميده من جديد وفق المذهب الكاثوليكي⁽⁵⁾، وغير اسمه إلى جان Juan، وأعلن العصيان ضد والده بمساعدة اهالي مدينة اشبيلية وقلاع كثيرة أخرى⁽⁶⁾.

وقد حاول الملك ليوفجيلد في البداية معالجة ثورة ابنه بطريقة سلمية، فقام بعقد مجمع ديني من القساوسة الأريوسيين في مدينة طليطلة عام 580م، وطلب منهم البحث عن وسيلة تيسر للكاتوليك التحول إلى الأريوسية، وفعلاً أعلن المجمع إن الكاثوليك ليسوا بحاجة إلى إعادة التعميد، ويكفى أن يتلفظوا

(1) Collins, Early Medieval Spain, p. 47; Wood, Ian N. "Gregory of Tours and Clovis." *Revue Belge de Philologie et d'Histoire* 63, no. 2 (1985), pp. 259-60

(2) اشبيلية: تقع في جنوب إسبانيا، وقد قام الملك ثيوديجزل Theudigisel (548-550م) بنقل عاصمة مملكته إلي اشبيلية بدلاً من برشلونة وبعيداً عن الاضطرابات التي كانت تمر بها المملكة آنذاك. انظر، خريطة رقم (11)؛ طرخان: القوط، حاشية ص 139.

(3) Paul the Deacon: Langobards, p. 125; Crisp: Marriage and alliance, p. 183.

(4) Collins, Early Medieval Spain, p. 48.

(5) Gregorii: Francorum, pp. 243-5; Paul the Deacon: Langobards, p. 125;

أنظر أيضاً، الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 80؛ محمد عبده حاملة: ايبيريا، ص 235.

(6) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 80؛ محمد عبده حاملة: ايبيريا، ص 235.

بالعبارة التالية حتى يتحولوا إلى الآريوسية وهي "المجد للاب عبر الابن في الروح القدس" ولكن الابن رفض حضور المجمع خشية أن تكون مكيدة وتذرع بمختلف الذرائع⁽¹⁾.

وهكذا نجد إن الأمير هرمنجلد لم ينصاع إلى مطالب والده، ويعلن الثورة في باتيكا Betica، ويطلب المساعدة من ميرو⁽²⁾ Miro ملك السوفي، كما سافر ليندر أسقف اشيلية إلى القسطنطينية وقضى فيها ثلاث سنوات 580-583م لطلب المساعدة من الإمبراطور البيزنطي تيبريوس⁽³⁾ Tiberius (578-582م)، لكنة لم يحصل على شيء. بل إن الملك ليوفجيلد دفع رشوة للسوالي الإمبراطوري البيزنطي في إسبانيا⁽⁴⁾، كما أرسل يخطب ريجونثا Riginth ابنة

(1) John of Biclaro: Chronicle , p.68;

أنظر أيضاً، محمد عبده حتاملة: اييريا، ص 236.

(2) الملك ميرو : تولي الملك ميرو عرش مملكة السوفي بعد ثيودومير Theudemir، وحكم لمدة ثلاثين عاماً، وقد مات ميرو أثناء عودته من حملته لمساعدة الأمير هرمنجلد، وخلفه ابنه Eboric الذي اعترف بسيادة القوط علي جيلقية، ولكن استولى اوديكا Audeca علي السلطة في المملكة فوجد ليوفجيلد ذلك مبرراً لتدخله، وبالفعل أعلن الحرب علي مملكة السوفي وانتصر علي اوديكا، وبذلك زالت مملكة السوفي وأصبحت مقاطعة قوطية..... للمزيد أنظر،

Isidore of Seville : Kings of the Goths, pp. 41-42; John of Biclaro: Chronicle ,p.71;

أنظر أيضاً، محمد عبده حتاملة: اييريا، ص 237-238.

(3) الإمبراطور تيبريوس: كان قائداً للحرس الإمبراطوري وابتدأ بالتبني للإمبراطور جستين الثاني، وقد منحه جستين لقب قيصر، وكان يصرف أمور الدولة في أواخر عهد جستين حتى توفي جستين فتولي عرش الإمبراطورية..... للمزيد أنظر، محمود سعيد عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص 63.

(4) Thompson: The Goths in Spain,p.74;

أنظر أيضاً، كريم عبد الغنى : القوط الغربيين، ص 226.

شلبريك ملك الفرنجة لابنه الاصغر ريكاردو⁽¹⁾، ليضمن حياد الفرنجة وعدم تقديم المساعدة لهرمنجلد⁽²⁾.

وكانت النتيجة النهائية لذلك التمرد أن جمع ليوفجيلد جيشاً وسار لتأديب ابنه، بينما انحاز الرومان الكاثوليك والسويفي إلى جانب الأمير المتمرّد، والتزم الفرنجة جانب الحياد. وحاصر ليوفجيلد اشبيلية التي ابدت دفاعاً قوياً لكنها اضطرت إلى الاستسلام في النهاية بسبب الجوع. وتبع ذلك استسلام مدن أخرى. أما هرمنجلد فقد هرب إلى مدينة قرطبة، وهناك تخلي عنه حلفاؤه، وقبض عليه وجرد من جميع امتيازاته والقباه الملكية ونفي إلى مدينة بلنسية سنة 584م، وفي العام التالي نقل إلى طليطلة ثم اودع في سجن مدينة طركونة⁽³⁾.

وقد بذل الملك ليوفجيلد محاولة اخيرة لاقناع ابنه بالتخلي عن الكاثوليكية، فأرسل له أسقفاً لاقناعه، لكن الأمير رفض، كما رفض تناول القربان في عيد الفصح، فنفذ فيه حكم الاعدام على يد سسبرتو Sisberto سجانة القلعة، إذ لم تفلح القيود والاغلال في حمله على التحول عن عقيدته، واعتبرته الكنيسة الكاثوليكية شهيداً على لسان البابا جريجوري العظيم فيما بعد⁽⁴⁾، بينما رأى آخرون مثل حنا البقلاري إنه لم يكن هناك مبرراً لثورته، وإنه وزجته استولوا على السلطة بطريقة غير شرعية⁽⁵⁾، بينما وصفه ايزيدور الاشبيلي بالمتمرّد⁽⁶⁾، وادخله آخرون مثل المكرم بيده Bede

(1) Gregorii Turonensis: Francorum, pp. 169-70, 243-5.

(2) Thompson: The Goths in Spain, p.74;

أنظر أيضاً، كريم عبد الغنى: القوط الغربيين، ص 226.

(3) محمد عبده حتاملة: ايبيريا، ص 236.

(4) محمد عبده حتاملة: ايبيريا، ص 237.

(5) John of Biclaro: Chronicle, p.68.

(6) Isidore of Seville: History of the kings of the Goths, p.23.

في قائمة الشهداء والقديسين ، وسكت آخرون عن ذكره مثل ديلو Daulo شماس مدينة مريده Merida⁽¹⁾ .

أما عن زوجته انجوند فقد حاولت الهرب إلى مملكة الفرنجة ، لكن البيزنطيين قبضوا عليها وحملوها إلى القسطنطينية ، فمرضت أثناء الرحلة ، فتركوها في افريقية حيث ماتت ، بينما واصل ابنها اثنانجيلد رحلته إلى القسطنطينية⁽²⁾ ، ووصل إلى بلاط الإمبراطور البيزنطي موريس⁽³⁾ Maurice (583-602م) ومات مغموراً هناك⁽⁴⁾ .

(1) محمد عبده حتاملة: ايبريا، ص 237 .

(2) Oman : Dark Ages pp. 139-140;

أنظر أيضاً، الشيخ : الممالك الجرمانية، ص 82؛ محمد عبده حتاملة: ايبريا، ص 237.

(3) الإمبراطور موريس: ولد الإمبراطور موريس عام 539م، وينتمي إلى اسرة متواضعة الاصلحكم موريس (582 - 602) الامبرطورية منذ الرابع عشر من أغسطس عام 582 حتى نوفمبر 602. وقد عُين كوريث إمبراطوري من قبل الامبرطور تيبريوس الثاني، وتزوج قسطنطينا ابنة تيبروس، وأصبح إمبراطوراً بعد أسبوع من رحيل تيبريوس. وكان عهد موريس مليئاً بالحروب غير المنتهية على كل الحدود، وعلى الرغم من تميزه في الحكم إلا أنه تمكن فقط بأن يمنع تفكك الإمبراطورية العظيمة لجستنيان الأول بشكل مؤقت. وبعد فترة قصيرة من تعيينه فانه دخل في حروب ضد الفرس في عام 590، وساعد خسرو الثاني ليستعيد منصبه. وفي المقابل استردت الإمبراطورية البيزنطية أرمينيا، ومنطقة ما بين النهرين الشرقية. وقد تزوج خسرو امرأة تدعى ماريا، يعتقد بأنها ابنة الإمبراطور موريس. كما هاجم موريس الآفار الغزاة بشجاعة ومهارة، وابعدهم خلف الدانوب عام 599م. انظر: عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص 63؛ وفاء عبد الحميد محمد السيد: الإمبراطور موريس (620-582م)، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الاداب، جامعه عين شمس 1988، ص 44، 41.

(4) Oman : Dark Ages pp. 139-40;

أنظر أيضاً، الشيخ : الممالك الجرمانية، ص 82.

ربما استفاد هرمنجلد من الزواج بأميرة فرنجية، والتي أيضاً حفيدة اثاناجيلد، وإن ليوفجيلد قد رتب ذلك للمساعدة في ضمان خلافته الجديدة الغير آمنة، وهو نفس السبب الذي جعل أبنائه ملوكاً في حياته. ويبدو إن الزواج من انجوند ربما عزز وقوى ادعاء ليوفجيلد وهرمنجلد للعرش من خلال جلب دماء السلالة القديمة إلى السلالة الجديدة. وقد جعلها هرمنجلد غاية عندما سمى ابنه اثاناحلید⁽¹⁾.

الآن تزوج هرمنجلد امرأة فرنجية وخلط بها دماء قوطية، وعُين ملك فرعى في الجزء الجنوبي من المملكة، على الرغم من أن شقيقه ريكاردو الذي لم يكن لديه عروس فرنجية في ذلك الوقت عُين في الجزء الشمالي لإدارة سبتمانيا⁽²⁾، إن ذلك لاختياراً مثيراً للاهتمام مع فهم الآثار المهمة لقيمة زواج هرمنجلد الدبلوماسية المحتملة. حيث إن وجدت القضايا الدبلوماسية أو العسكرية أو حتى السلام في سبتمانيا فإنها تقع على عاتق زواج هرمنجلد وانجوند وذلك لا يعنى ارسال هرمنجلد إلى الجنوب وريكاردو إلى الشمال. ومعاملة جوستثا لانجوند تذكرنا بمعاملة أمالريك لكلوتيلدا الصغرى منذ نصف قرن مضى، وأيضاً تجعل هدفنا النظر إلى المشهد السياسي الداخلي، وليس من المشهد السياسي الخارجي. في الواقع ليوفجيلد طبقاً لجريجوري التوري كان قلقاً بشأن رد فعل شلدبرت من سوء معاملة انجوند. ولكن قبل النظر في ذلك فإننا نحتاج إلى النظر إلى رد فعل شلبريك على زواج انجوند، والذي كانت ابنته الصغرى مخطوبة إلى ريكاردو ابن ليوفجيلد الأصغر.

(1) Collins , Early Medieval Spain, p.46.

(2) Gregory of Tours : Franks , P.131.

* ريكاردو وريجونثا:

ذكرنا سابقاً إن الملك ليوفجيلد (568-586م) أرسل إلى شلبريك ملك الفرنجة يخطب ابنته ريجونثا Rigunth لابنه الأصغر ريكاردو (Reccared 586-601م)⁽¹⁾، وذلك ليضمن حياد الفرنجة تجاه ثورة ابنه هرمنجلد⁽²⁾. وقد وافق شلبريك على الخطوبة رداً على ترتيب شلدبرت وبرونهيلد زواج اعتباري مع القوط الغربيين (زواج هرمنجلد وانجوند)، وبذلك رتب شلبريك هو الآخر لزواج مماثل مع ابن ليوفجيلد الآخر من ابنته ريجونثا. ويقدم جريجوري الكثير من التفاصيل حول زواج ريكاردو وريجونثا الذي لم يكتمل مطلقاً.

عندما ذكر جريجوري التوري في البداية خطوبة ريكاردو وريجونثا فإنه ربطها بخطوبه هرمنجلد وانجوند⁽³⁾. وقد ذكرها أيضاً عند وفاة الملك ليوفا عام 573م، ولكن ربما هذه الارتباطات لم تكن في نفس الموعد - حيث جريجوري ببساطة يوفر المعلومات التي يعلمها في غضون ذلك لتكملة سرده. وكانت طريقة التفاوض والخطوبة طويلة جداً في سرده لعام 582م، حيث ذكر جريجوري إن مبعوثي شلبريك أرسلوا على نحو محتمل في العام السابق وعادوا من إسبانيا، وأرسلت الوفود على وجه التحديد حول الزواج المرتقب، وركزوا على مسألة الثروة التي لا ينبغي تجاهلها، وقد أرسلوا بغرض فحص المهر⁽⁴⁾، ونحن نعرف مع ذلك أنه قبل عامان من هذه السفارة، تحديداً في عام 580م أرسل ليوفجيلد

(1) Gregorii Turonensis: Francorum, pp. 169-70, 243-5.

(2) Thompson: The Goths in Spain, p. 74;

انظر أيضاً، كريم عبد الغنى: القوط الغربيين، ص 226.

(3) Gregorii Turonensis: Francorum, pp. 169-70, 243-45.

(4) Gregorii Turonensis: Francorum, pp. 287-8.

مبعوثه اجيلان (Agilanem) إلى شلبريك، ولكن جريجوري لا يمدنا بالسبب⁽¹⁾، وبذلك يقترح إنهما بالفعل كانا على علاقة جيدة.

وقد شهد عام 580م آثار النشاط الدبلوماسي بين ملوك الفرنجة وملوك القوط الغربيين، حيث أرسلت برونهيلد مندوباً إلى إسبانيا، ربما للاطمئنان على زواج انجوند وهرمنجلد الحديث مؤخراً⁽²⁾. وقد حاول ميرو ملك السوفي في جليقية Galicia ارسال مبعوثين إلى جونترام، ولكن اعتقلهم شلبريك أثناء عبورهم من مملكته⁽³⁾. وأرسلهم لاحقاً إلى وطنهم دون أن يروا جونترام. هذا يشير إلى حال الصداقة والتعاون بين شلبريك وليوفجيلد.

وبذلك لم يكن جونترام منافساً لشلبريك فقط، ولكن عدواً لليوفجيلد في كثير من الاحيان على أراضي سبتمانيا. وقد هزم ليوفجيلد ميرو ملك السوفي في نهاية المطاف، واستولى على مملكته في عام 580م⁽⁴⁾. وهناك دليل آخر على علاقة شلبريك الجيدة بالقوط الغربيين، حيث ذكر جريجوري في احداث عام 581م إن مندوبي شلبريك عندما عادوا من القسطنطينية بعد سفارة استمرت ثلاثة سنوات كانت أرسلت إلى الإمبراطور البيزنطي تيربوس، فإنهم اختاروا عدم الابحار إلى مارسيليا⁽⁵⁾ Marseilles المدينة التي يسيطر عليها جونترام، ولكن

(1) Gregorii Turonensis: Francorum, PP.249-50.

(2) Gregorii Turonensis: Francorum, PP.247-8

(3) Gregory of Tours : Franks , P.131.

(4) Isidore of Seville : Kings of the Goths, pp. 41-42; John of Biclaro: Chronicle, p.71;

أنظر أيضاً، محمد عبده حتامله: ايبيريا، ص 237-238.

(5) مارسيليا : مدينة تقع في بلاد الغال، تم تأسيسها من قبل الاغريق سنة 600ق.م، حيث تزوج

احد الاغريق وهو بروتس Protis من جيبتس Gyptis ابنة ملك تلك البلاد، واصبحت هذه

المدينة مركزاً تجارياً أكثر من كونها مستعمرة زراعية. ثم سيطر عليها الرومان واصبحت ضمن

الولاية الرومانية سنة 120ق.م، ثم وقعت تحت سيطرة القوط الغربيين سنة 474م حتى سيطر

عليها الفرنجة. أنظر، محمد عبده حتامله: ايبيريا، ص 147، 217.

إلى اجديا Agde مدينة القوط الغربيين⁽¹⁾، حيث كان السلام والتعاون راسخاً بين شلبريك وليوفجيلد.

المغزى من ذلك كله، إن كلاهما كان لديه عداوه ثابتة مع جونترام، وإن زواج ابنة شلبريك وابن ليوفجيلد ماهو إلا تأكيداً على هذه العلاقة القوية بالفعل بين الملكين. كما ذكر جريجوري زيارة أخرى لمبعوثي شلبريك إلى ليوفجيلد في عام 583م، ولكنه يقول أنهم عادوا بدون نتائج ملموس⁽²⁾. يبدو إن جريجوري كان يشير إلى خطط الزواج، ومن المرجح تماماً أنهم أرسلوا لتسوية قضايا أخرى أو خطط للتعاون في المستقبل بين الملكين، وربما سعي شلبريك بدرجة أكبر لدعم عسكري محدد من ليوفجيلد ضد جونترام، ولكن لم يستطع ليوفجيلد تنفيذه في ذلك الوقت منذ انشغاله بحرب أهلية ضد ابنه هرمنجلد. هذه كل المقترحات المحتملة ويجب أن تظل كذلك، ولكن الحقيقة هي إن شلبريك وليوفجيلد بقوا على اتصال مع بعضهما البعض حتى إن لم يتعلق الأمر بزواج أبنائهم.

وفي وقت لاحق من هذا العام عندما هُزم هرمنجلد وتم نفيه، أتى مندوبي الملك ريكاردو إلى الملك شلبريك ومعهم الكثير من الهدايا وسعوا لمقابلة معه، وكان المندوبون هناك لتأكيد الخطوبة وتسوية تفاصيل الزواج وفقاً إلى اتفاقية سابقة⁽³⁾. هذا قد يشير تحديداً إلى زيارة مبعوثي شلبريك لتفقد المهر أو الترتيبات العامة التي على وشك أن يقررها المندوبون بشأن الزواج. وفي هذه الزيارة قد حُدد وقت معين للزواج، فضلاً عن تفاصيل أخرى للزواج. (يفترض إنها إشارة إلى المهر وهدايا الزواج الأخرى).

(1) Gregory of Tours : Franks , p.145.

(2) Gregorii Turonensis: Francorum, P.295.

(3) Gregorii Turonensis: Francorum, PP.304-5.

ويشير نص جريجوري التوري إلى أن الزواج كان على الأرجح قد حُدد أن يحدث قريباً وتم وضع الترتيبات العامة للزواج، إلا أن وفاة ثيودريك Theodoric بن شلبريك حالت دون ذلك⁽¹⁾، ودعى شلبريك المندوبين للعودة وتأجيل الزواج، حيث لا يمكن الاحتفال بالزواج وهم في حال الحزن على ابنه المتوفي. ثم ذكر جريجوري إن شلبريك الآن يفكر أن يزوج إلى ريكاردو ابنه أخرى (باسينا Basina) من زوجته السابقة اودفيرا Audovera بدلاً من ريجونثا ابنة فريدجوند، ولكن هذا الاقتراح لاقى معارضة من الكنيسة لأنه يخالف القانون الكنسي، حيث كانت هذه الفتاة راهبة بالفعل⁽²⁾.

وينبغي لنا النظر إلى كيفية جهود شلبريك لتأجيل الزواج الذي رفضه مندوبي ليوفجيلد، والآن يبدو أن شلبريك بدأ يتراجع عنه، ولكن تحت الضغوط ربما حاول شلبريك الاحتفاظ بصفقته بعرض فتاة أخرى كعروس لريكاردو، ولكن تم رفض هذا الاقتراح، واضطر شلبريك في النهاية قبول الاتفاق الأصلي. من الصعب القول عما إذا كان سمح بتأجيل الزواج في الواقع، ولكن في وقت لاحق من نفس هذا العام أرسلت ريجونثا إلى إسبانيا.

وقد وافق الموعد المحدد للزواج تماماً مع حالة السياسة الفرنجية الداخلية، حيث أن شلدبرت وجونترام قد استقر نزاعهم تماماً على مارسيليا (معاهدة اندلوت 587م)، وأصبح التقارب بينهما يشكل تهديداً على ممتلكات

(1) Gregory of Tours : Franks , p.162; Crisp: Marriage and alliance, p. 188.

تزوج الملك شلبريك ثلاث زوجات وهما اودفيرا وجالسيونثا وفريدجوند، وكان له من زوجته اودفيرا، ثلاثة أبناء وهما ثيودبرت Theodobert وميروفتش Merovech وكلوفس Clovis، وابتان هما كلودوسندا وباسينا Basina. وله من زوجته فريدجوند خمسة اولاد وابنه واحدة وهما سامسون Samson و كلودوبرت وداجوبرت وثيودريك وكلوثر الثاني وريجونثا. أنظر

Wood: the Merovingian Kingdoms, p. 348.

(2) Crisp: Marriage and alliance, p. 188.

شلبريك في الجنوب، كما إن أتباع كانوا الفرنجة على استعداد تام لتغيير ولائهم من ملك إلى آخر في محاولة لتعزيز مواقعهم، ويكونوا في الجانب الفائز من هذه المنافسة، إذاً الزواج السياسي مع القوط الغربيين، وعلاقات شلبريك الخارجية القوية من شأنها مساعدة شلبريك في الحفاظ على ولاء العديد من أتباعه وعلى ممتلكاته في جنوب الغال.

وبعد فترة وجيزة من وفاة ثيودريك بن شلبريك أرسل ليوفجيلد مبعوث آخر إلى شلبريك، ولكن لم يتوصل إلى موعد الزواج، وذلك ربما بسبب الخوف من إمكانية انتقام شلدبرت بسبب مصير شقيقته انجوند في إسبانيا⁽¹⁾. وربما هذا المبعوث أتى لإعادة اصلاح شروط الزواج المؤجل، ولكن يبدو من المرجح أنه كان قادماً لترتيب نوع من التعاون بين شلبريك وليوفجيلد في وجه التهديد المحتمل من قبل شلدبرت. حيث وطد شلدبرت نفسه في مملكته في هذه المرحلة لدرجة إن جريجوري استطاع رواية تقرير يقول فيه إن شلدبرت كان يشعر بالثقة الكافية في منصبه ليتجاهل الإمبراطور البيزنطي ويعقد تحالفاً مع اللمباردين⁽²⁾. إنه بالفعل يمثل تهديداً واضحاً إلى كلا الملكين، وفي الفصل نفسه ذكر جريجوري إن شلدبرت خطط لغزو إسبانيا على الرغم من هذا لم يحدث مطلقاً.

أخيراً وبعد سنوات من المفاوضات جاء الوقت لإرسال ريجونشا إلى إسبانيا للزواج بريكاردو. فيقول جريجوري إن وفداً كبيراً من القوط جاء لمرافقة الأميرة ريجونشا، كما أرسل شلبريك مع ابنته عدداً كبيراً من العائلات من مقاطعاته، والذين وصفهم جريجوري بأنهم ليس لهم أهل. ولاحقاً أخبرنا إن الذهب، الفضة والحلى وغيرها تملأ 50 عربة⁽³⁾. ويقول أيضاً إن امتعة ريجونشا

(1) Gregory of Tours : Franks ,pl63.

(2) Gregorii Turonensis: Francorum, P.314.

(3) Gregory of Tours : Franks ,pp.163-4.

كانت مثيرة للأعجاب لدرجة إنها أصبحت هدفاً للصوص طوال رحلتها جنوباً وسُرق منها عدة أشياء، على الرغم من الحراسة المرافقة التي قدمها شلبريك لحمايتها من عمها وابن عمها⁽¹⁾. كما يقول جريجوري إن أى شخص بمجرد أن يري عبور هذه القافلة يتذكر بوضوح علاقات شلبريك الدولية مع القوط الغربيين، ثروته العظيمة، كرمهم وحتى سلطته في شكل الحراسة المسلحة التي ترافق العروس. وقد ذكر جريجوري المحادثة العلنية بين وشلبريك وفريدجوند، والتي يجب أن تكون قد خُطط لها في وقت مبكر، فيقول:

"إن الملك شلبريك بعد أن دعى معاً نبلاء الفرنجة وغيرهم من الاتباع المخلصين احتفل بعرس ابنته. وسلمها لمندوبي القوط واعطها ثروة عظيمة. ولكن والدتها أيضاً احضرت كميات كبيرة من الذهب والفضة والملابس لدرجة أنه عندما شاهد الملك ذلك ظن إنها لم تترك شيئاً. فتراه الملكة قلقاً للغاية فتتعطف إلى الفرنجة وتقول لهم: "لا تعتقدوا أيها الرجال إن أي شيء هنا تم أخذه من كنوز الملوك السابقين؛ إن كل ما تروه مأخوذ من ثروتي الخاصة، لأن أكثر الملوك الرائعين انعم علي، كما انني جمعت معاً بعض هذه الأشياء من مجهودي الخاص، ومن الممتلكات التي منحت لي، وحققت مكاسب كثيرة سواء من العائدات أو من الضرائب. وعلاوة على ذلك كان لدي الكثير من الهدايا، وكل ما تروه يأتي من هذه المصادر، ولا شيء من ذلك أتني من الثروة العامة"⁽²⁾.

إنها خطة بارعة يجب أن تكون قامت على وجه التحديد كوسيلة لعرض ثروة شلبريك وكرمه، وبهذه الطريقة تقوم باغراء قادته واتباعه، كما إنها ذكرتهم بأن هذه الثروة لم تأتي من الخزينة الملكية ولكنها ثروة شخصية. وهذا يعنى ضمناً أنه لا يزال هناك ثروة عظيمة تحت تصرف الملك، ولذلك يجب أن يكون شلبريك ملكاً عظيماً وقوياً!

(1) Gregory of Tours : Franks ,pp. 164-5.

(2) Gregory of Tours : Franks ,p.164.

وتتضح طبيعة عملية الزواج مرة أخرى في مراقبة حاشية ريجونثا التي تشق طريقها جنوباً. على ما يبدو إنها لم تريد الذهاب إلى إسبانيا. فبعد أن وصلت تولوز، يقترح جريجوري إنها بدأت تختلق عذاراً لتأجيل السفر⁽¹⁾. وبينما هي هناك تضع الاستعدادات النهائية لمقابلة زوجها المستقبلي وصلها خبر وفاة والدها شلبريك عام 584م. وقد انتهب الدوق ديسدريوس Desiderius قائد شلبريك هذا الوضع للاستيلاء على معظم ثروة ريجونثا⁽²⁾. وقد استعاد جونتtram السيطرة على أراضيه المفقودة وحاول مد نفوذه على كامل مملكة شلبريك⁽³⁾. وفي نهاية المطاف أرسلت فريد جوند شخصاً ليعيد ريجونثا الآن ذليله من تولوز⁽⁴⁾.

إن اقتراح زواج ريجونثا من ريكاردو ربما يبدو على المظهر الخارجي ليكون دبلوماسياً، بل بدافع عسكري، ولكن عندما نبحث عن كذب يظهر أهميته كدليل على قوة شلبريك وأهمية الثروة أكثر، وذلك في وقت كانت فيه العلاقات بين شلبريك وجونتtram وشلدبرت متوترة بالفعل، ونادراً ما يطلب الزواج لتأمين مصالح شلبريك ضد زملائه من الملوك الفرنجة، أو يضمن للملك ليوفجيلد حياد الفرنجة تجاه ثورة ابنه. وإننا بالفعل لدينا العديد من الأمثلة على تعاون شلبريك مع القوط الغربيين عندما كان هناك خطوبته تقريباً، خطوبة وليس زواج، ومع ذلك يمكن أن تخرق. كما أنه ليس هناك سبب كامن يوضح لماذا ينبغي لنا افتراض إن كل التعاون بين الملكين، وحتى تكرار ارسال المبعوثين يجب أن يكون مرتبط بالزواج المقترح بين أبنائهم؟ وللاجابة على هذا السؤال ينبغي لنا أن نعرف أن الملك ليوفجيلد كان يرأس السلالة الحاكمة الجديدة التي حلت مكان اثاناجيلد، ويريد أن يوطد أسرته الحاكمة، كما أنه في نفس الوقت يواجه ثورة ابنه المتمرد. أما شلبريك فإنه مشارك في خضم تنافس قوي مع جونتtram وشلدبرت. إذاً كلاهما يريد هيبه الزواج المرموق بشدة لتوطيد علاقاتهم ببعضهم البعض ضد أعدائهم.

(1) Gregory of Tours : Franks ,p.175.

(2) Gregory of Tours : Franks ,p.175.

(3) Jussen: Spiritual kinship as social practice, pp.102-105.

(4) Gregory of Tours : Franks ,p.185.

ولكن لم يكتمل الزواج قط بعد وفاة الملك شلبريك عام 584م، وبالمطبع أي اتفاقيات دبلوماسية بين شلبريك وليوفجيلد تعتبر بدون فائدة، وكان من الممكن أن تجدد مع خليفته، وإن الزواج من شقيقة الملك الجديد يجب أن يكون زواج دبلوماسي ومفيد مثل زواج ابنة الملك. ولكن ذلك لم يحدث، وكان على ليوفجيلد أن يواجه غضب الفرنجة، فقد حشدوا جيوشهم للثأر مما أصاب الأميرة انجوند شقيقة الملك شلدبرت، وهاجموا ولاية غالة الناربونية Gallia Narbonensis، فقد انقسم جيش الفرنجة إلى فريقين وساروا ينشرون الخراب أينما تحركوا، ثم تقدموا في اتجاه نيمس Nimes وكاركسون Carcassonne، ولكن عندما قتل قائدهم عمت الفوضى بين صفوفهم وهربوا عائدين إلى غالة، كما نجح القوط في الايقاع بهم عدة مرات وهم في طرق العودة. أما الفريق الثاني فقد قام بتخريب الأراضي حول نيمس، يحرقون المحاصيل ويقطعون اشجار الزيتون والاعناب، ولكنهم لم يتمكنوا من دخول مدينة نيمس أو أي مدينة أخرى، كما تكبدوا خسائر فادحة، ويقال أنهم فقدوا خمسة الاف من رجالهم، وأرسل الملك ليوفجيلد ابنه ريكاردو للتصدي لهم، فتمكن من طرد الجيش الفرنجي خارج حدود الولاية، كما تمكن من الاستيلاء على اثنين من القلاع الفرنجية وعاد منتصراً إلى والده⁽¹⁾. وعلى الرغم من ذلك عاود ليوفجيلد مساعدة للسلام وأرسل سفارة إلى كلا من شلدبرت وجونترام، ولكنه لم يحصل على اجابة واضحة لمطالبه، ومن ثم قام ريكاردو بحملة على أراضي الفرنجة، ووصلت اعماله إلى مدينة ناربون واستولى على كميات كبيرة من الغنائم داخل الأراضي الفرنجية، وكانت هذه الغزوة الوحيدة التي أرسلها القوط إلى أرض الفرنجة، ولم يكن الهدف منها الفتح أو الغزو وبدت كما لو كانت حملة تأديبية⁽²⁾.

(1) John of Biclaro: Chronicle, p.71; Gregorii Turonensis: Francorum, PP.393-4; Thompson, Goths in Spain, p.74.

أنظر أيضاً، كريم عبد الغني: القوط الغربيين، ص 226-227.

(2) Gregorii Turonensis: Francorum, P.405; Thompson, Goths in Spain, p.75.

أنظر أيضاً، كريم عبد الغني: القوط الغربيين، ص 227.

* خطوبة ريكاردو وكلود وسندا:

توفي ليفجيلد ملك القوط الغربيين عام 586م وخلفه ابنه ريكاردو (586-601م) على العرش، وكان ريكاردو ابناً لأم رومانية، ولكنه كان على عكس شقيقه هرمنجلد حيث لم يظهر تمرده على الآريوسية في حياة والده، فلما توفي والده خطا خطوات جعلت الآريوسيين يتوجسون خيفة منه، فقد استدعى إليه الاساقفة الكاثوليك والآريوسيين وجعلهم يدخلون عدة مرات في جدال امامه حول اسرار الثالوث المقدس، ويتناظرون في الامور التي تمس صلب العقيدة ويبدو انه اتخذ هذه الخطوة لتهيئة العقول والاذهان للتحويل المنتظر في حياة القوط⁽¹⁾.

ويبدو أن ريكاردو ادرك إن مملكة القوط الغربيين لن تقوم على دعائم قوية ما دامت الفجوة قائمة والانفصال حادثاً بين الطائفة الحاكمة وبين جموع الرعايا بسبب الحاجز الديني والنزاع المذهبي في الوقت الذي كان فيه القوط الغربيون اقل عدداً بالنسبة لمجموع السكان لدرجة لا تكفي للامتزاج بالاهالي أو الاندماج معهم، فضلاً عن إن القوط لم يظهروا أي رغبة لذلك، وادرك أيضاً إنه إذا لم يحدث الاندماج والتزواج فإن مملكة القوط محكوم عليها بالزوال، وبالفعل قضى ريكاردو الفترة بين سنتي 586 و588م يمهد للتحويل الكبير في حياة المملكة القوطية، ثم ما لبث أن اعلن اعتناقه للكاتوليكية، وجرى تعميده على يد خاله ليندر اسقف اشبيلية، وتبعه الجانب الاعظم من شعبه وكثيراً من كونتات القوط وعدد كبير من الاساقفة الآريوسيين⁽²⁾.

(1) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص84.

(2) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص84-85.

وقد ورث ريكاردو موقفاً خطيراً على حدود سبتمانيا لأن جونترام ملك الفرنجة مازال يهدد بالهجوم على المملكة بسبب خسارته في نيمس وكاركسون، ومع ذلك فقد سارع ريكاردو بارسال سفراه الذين يقول عنهم جريجوري أنهم ذهبوا إلى الملك جونترام عدة مرات⁽¹⁾، ولكنهم لم يحصلوا منه على أي وعد بالسلام، بل على العكس ازدادت شقة الخلاف اتساعاً، وقام جونترام بمهاجمة أراضي القوط، وعندما بدأت المعركة لاذ القوط بالفرار⁽²⁾.

بعد تحول ريكاردو إلى الكاثوليكية اعتقد إن ذلك سيكون سبباً مشجعاً وكافياً لاقرار السلام بين الشعبين، وأيضاً بعد أن فشل زواجه من ريجونشا ابنة شلبريك على أثر وفاة والدها حيث لم يكتمل الزواج قط، فبعث ريكاردو يطلب يد الأميرة كلودوسندا Clodosinda ابنة الملك سيجبرت الأول وشقيقة شلدبرت الثاني ملك اوستراسيا، ولكن رفض الملك جونترام مقابلة سفراء ريكاردو قائلاً لهم: "كيف لهم أن يعتقدوا أنني اثق فيهم؟ وكيف لهم أن يأملوا أن نصدقهم وهم من أرسلوا انجوند ابنة اخي إلى المنفى؟، وإنه نتيجة لخيانتهم قُتل زوجها، كما ماتت هي اثناء سفرها الطويل، أنني لن استقبل مبعوثي ريكاردو حتى يمنحني الله الثأر من اعدائي"⁽³⁾. وعندما لم يجد السفراء قبولاً لدى جونترام قصدوا الملك شلدبرت الذي استقبلهم استقبالاً طيباً، وبدأ السفراء يعرضون قضيتهم التي تلخص في تبرئة ريكاردو من التهم الموجهة إليه، وإنه مستعد أن يقسم على ذلك أو بأي طريقة أخرى، كما قدموا عشرة آلاف صولدي، واستمع شلدبرت ووالدته برونهيلد إلى السفراء، وفي النهاية اعلنا بأنهما سيحافظان على السلام والصداقة مع ريكاردو. وقبل أن ينصرف السفراء طلبوا يد الأميرة كلودوسندا، فأعلنا عن ارتياحهما لذلك ولكنهما لا يستطيعان إبداء الموافقة النهائية قبل استشارة جونترام، وعندما عرض الأمر عليه مرة أخرى تمسك برأيه⁽⁴⁾.

(1) Gregory of Tours : Franks ,pp.199,205,211.

(2) Gregory of Tours : Franks ,p.185

(3) Gregory of Tours : Franks ,p.216.

(4) Gregory of Tours : Franks ,p. 216-17.

كانت الأميرة كلودوسندا مخطوبة بالفعل لأوثاري ملك اللمباردين، ولكن عندما أرسل ريكاردو يطلب خطبتها قام شلدبرت بفسخ الخطوبة مع ملك اللمباردين، أما عن دوافع شلدبرت للتخلي عن خطوبة اللمباردين والبحث عن أخرى مع القوط الغربيين تكمن في سياق علاقاته مع الملك جونتtram بعد وفاة شلبريك عام 584م. كما إن زواج شقيقته إلى ملك القوط الغربيين وسيلة لتأكيد هيئته ووضعه، إنها حرب باردة مع جونتtram الذي تبني كلوثر الثاني بن شلبريك وأصبح وصياً عليه. وعلى الرغم من توقيع اتفاقية اندلوت بين جونتtram وشلدبرت عام 587م، إلا أنهم لا يزالون يشعرون بالقلق تجاه بعضها البعض. حيث إن جونتtram يحاول السيطرة على شلدبرت وعلى مملكته، في حين يعمل شلدبرت على ضمان مملكة جونتtram له بدلاً من كلوثر الصغير خليفة جونتtram.

وهكذا بالنسبة لشلدبرت المصاهرة مع القوط الغربيين لا تمثل فقط ارتباط ذو هبة، ولكن ارتباط بعدو خارجي رئيسي للملك جونتtram، إنه ارتباط يمكن القول أكثر هبة من الارتباط مع اللمباردين، حيث أن القوط الغربيين تحولوا إلى الكاثوليكية في الآونة الأخيرة، في حين بقي اللمباردين على آريوسيتهم⁽¹⁾. كما إنه قلما قاد شلدبرت حملات ضد القوط الغربيين، ولكن كثيراً ما ترسل الجيوش إلى إيطاليا، والتغيير في خطط الزواج أيضاً بقي منطقته الرئيسية لمثل هذه الحملات مفتوحة. وإذا امعنا النظر في خطبة ريكاردو وكلودوسندا فإنها تكشف عن دوافع شلدبرت واعتبارات أكثر وضوحاً.

أما بالنسبة لريكاردو نجد إنه يريد السلام مع الملوك الميروفنجيين. كما أرسل مبعوثيه إلى كلاً من شلدبرت وجونتtram الذي كان لا يرغب في السلام مع ريكاردو بحجة الانتقام لمقتل الأميرة انجوند، وهذا ربما يكون جزءاً من استراتيجية جونتtram لإظهار نفسه ملكاً عظيماً وحريص على إثبات نفسه زعيم

(1) Gregory of Tours : Franks , p.211; Paul the Deacon: The Langobards, p.136;

انظر أيضاً، الحويرى: اللومبارديون في التاريخ والحضارة، ص 68.

العائلة الميروفنجية، وذلك بالانتقام لوفاة الأميرة انجوند ابنة شقيقه، ولكن شلدبرت الثاني كان اكثر استعداداً لعقد السلام مع ريكاردو وهذا يكشف عن تخطيطه الخاص. ولكننا نجد أن شلدبرت سمح لجونترام بتولى قضية انجوند في حين سعى لتقوية نفوذه الخاص بصنع السلام مع القوط الغربيين⁽¹⁾. وهكذا رغم الخلافات بين المملكتين نجد الملك ريكاردو لا يزال راغباً في العروس الفرنجية بعد كارثة انجوند.

وقد قدم مبعوثي ريكاردو اثباتاً لبراءته في قضية انجوند من خلال حلف اليمين، ثم عرضوا المال لإنشاء تحالف سياسي بينهم⁽²⁾، عندئذ تم الموافقة على موضوع الزواج. وذكر جريجوري إن مبعوثي ريكاردو ناقشوا إن مثل ذلك الزواج يجب أن يحافظ على السلام الذي يتفاوضون من اجله بين المملكتين⁽³⁾. هذا مثال آخر على التوقعات التقليدية لقرابة الزواج في سرد جريجوري، ولكن تجدر الإشارة إلى إن السلام ثم التحالف كان مؤكداً بالفعل قبل تقدم الموضوع. لقد صُنع التحالف بدون القرابة. ربما بعض الناس ارتبطوا بالمفاوضات املاً في أن يعزز الزواج السلام الذي انشأ حديثاً، ولكن كما نرى كانت هناك اعتبارات أخرى على الأقل هامة على حداً سواء. شلدبرت وبرونهيلد كانوا على استعداد لخطبة كلودوسندا، ولكن قالوا لا يمكن القيام بذلك دون موافقة كبار العائلة الميروفنجية -جونترام-. هذا ربما يكون محاولة لعدم الاساءة لجونترام الذي اختار تبنى كلوثر الثاني الشاب كورثياً له وحرّم شلدبرت.

كما حدث في العام التالي أن جريجوري التوري وآخرين أرسلوا في سفارة من قبل برونهيلد وشلدبرت إلى الملك جونترام، لتسوية بعض المظالم بين شلدبرت وجونترام، واتهم الملك جونترام شلدبرت بأنه انتهك المعاهدة التي

(1) Gregory of Tours : Franks , p.211.

(2) Gregorii Turonensis: Francorum, PP.430-1

(3) Gregorii Turonensis: Francorum, PP. 430-1

وقعها معه في العام السابق (587م). ولكن بعد تسوية قضاياهم طلب مبعوثي الملك شلدبرت من الملك جونتtram الموافقة على زواج كلودوسندا إلى ريكاردو. وقد أعلن الملك جونتtram أنه مستعد على الموافقة على الزواج، إذا ما اثبت ريكاردو براءته في وفاة انجوند، وإذا ما ابقى شلدبرت اتفاقه النهائي مع الملك جونتtram⁽¹⁾.

ورغم موافقة الملك شلدبرت إلا أن الشكوك ظلت بينهما، والدليل على ذلك أن جريجوري التوري ذكر إنه تم ارسال شخصاً يحمل عدة هدايا واحجار كريمة إلى ريكاردو ملك القوط الغربيين من برونهيلد وشلدبرت⁽²⁾، ولكن قبض عليه جونتtram عندما كان يمر من باريس متهماً بإياه بحمل هذه الهدايا إلى جوندفالد Gundovald المدعى للعرش⁽³⁾. ولكن اطلق سراحه بعد أن علم إن الهدايا كانت من أجل الملك ريكاردو⁽⁴⁾. ومع ذلك استمر الملك جونتtram في حربة ضد ريكاردو، وقرر أن ينتقم لموت ابنة شقيقه وتحرك بقواته إلى سبتمانيا ولكنها كانت حملة فاشلة تماماً، حيث تمكنت قوات القوط بقيادة كلوديوس Claudius دوق لوزيتانيا Lusitania أن يفاجيء قوات الفرنجة بالقرب من

(1) Gregory of Tours : Franks , pp.212-3.

(2) Gregory of Tours : Franks , p.220.

(3) ادعى جوندفالد من قبل أنه ابن الملك كلوثر الأول، إلا أن الملك كلوثر رفض ذلك الإدعاء، وأجبر جوندفالد علي الخروج من المملكة، فاتجه جوندفالد إلى إيطاليا، ومنها انتقل إلى القسطنطينية، واستمر هناك حتى جاءت دعوة من احد افراد الاسرة الارستقراطية الفرنجية، فعاد إلى مارسيليا، ولكن لم يجد الامور مناسبة بعد لتحقيق مبتغاه، فعاد إلى احدى جزر البحر المتوسط، وبعد وفاة شلبريك عام 584م عاد ليطالب بحقة في المملكة، واعلن جوندفالد نفسه ملكاً في مدينة ليموجس عام 585م، وعندما علم جونتtram بذلك أرسل جيشاً لأسر المدعى للعرش وانتهى أمره بحصاره في مدينة تور، وقبض عليه جونتtram وقتله. للمزيد أنظر،

Gregory of Tours : Franks , pp. 157,175-6,183.

(4) Gregory of Tours : Franks , p.220.

كاركسون Carcassonne وقتلوا منهم حوالي خمسة آلاف واسروا أكثر من ألفين، ولم يسبق للقوط أن حققوا نصراً أعظم من هذا النصر أو مساوياً له على الفرنجة⁽¹⁾. والقى الملك جونتtram باللوم على شلدبرت الذي عقد معاهدة سلام مع الملك ريكاردو⁽²⁾.

ولكن تجدر الإشارة إن معاهدة السلام ليست نتيجة حتمية لخطوبة ريكاردو وكلودوسندا، كما أنه ليس شرطاً أن يتبع الخطوبة معاهدة سلام. كما إنه في نفس الوقت الذي هُزم فيه الملك جونتtram نجد أن الملك شلدبرت هُزم أيضاً في إيطاليا على أيدي اللمباردين عام 588م⁽³⁾. كلا الجانبين ربما حاولوا بصعوبة بالغة اثبات أنفسهم متفوقين على الآخر، ولكن كلاهما دفع الجزاء.

الزواج المقترح بين ريكاردو وكلودوسندا توقف ذكره في المصادر. وتزوج ريكاردو في نهاية المطاف بامرأة أخرى. كما أن المصادر الاسبانية لم تشير قط إلى خطوبة ريكاردو وكلودوسندا. إنها خطوبة لخدمة اغراض مؤقتة بين شلدبرت وريكاردو، واعطت فرصة لشلدبرت لاثبات نفسه ملكاً عظيماً خاصة مقارنة بجونتtram ضد الذين ناورهم باستمرار في هذه الفترة.

(1) Gregorii Turonensis: Francorum, P. 450; John of Biclaro: Chronicle ,p.74.

(2) Gregory of Tours : Franks , p. 221.

(3) Gregory of Tours : Franks , p.230.

* ثيودريك وارمنبرجا:

توفي الملك جونترام عام 592م، وورث ابن شقيقه شلدبرت الثاني مملكته طبقاً لمعاهدة أندلوت⁽¹⁾ Andelot التي تم عقدها عام 587م بين جونترام وشلدبرت الثاني، وقد عاش شلدبرت بعد وفاة جونترام لمدة أربع سنوات فقط، وتوفي فجأة عام 596م، تاركاً ولدين صغاراً كخلفاء له ثيودريك الثاني (596-613م) الذي استلم مملكة جونترام (برجنديا)، وثيودبرت الثاني⁽²⁾ (596-612م) حصل على مملكه سيجبرت وشلدبرت الثاني (اوستراسيا) السابقة⁽³⁾، وكان يوجد معهم كلوثر الثاني (584-629م) الحاكم بمملكة شلبريك (نوستريا)⁽⁴⁾. واستمر التنافس بين هذه الممالك الثلاثة كما كان من قبل، على

(1) معاهدة أندلوت : تم عقد معاهدة أندلوت Andelot عام 587م بين جونترام وشلدبرت الثاني، وكانت تهدف هذه المعاهدة إلي وضع حداً للخلافات بين جونترام وشلدبرت الثاني، ونصت علي الابقاء علي جميع أموال الكنائس كما هي، كما قررت ألا يقف أي من الملكين شلدبرت الثاني وجونترام بجانب ضد الآخر، كما أكدت تلك المعاهدة علي السلام الذي كان سائداً بين شلدبرت الثاني وجونترام، كما إنها أكدت علي حصول شلدبرت علي جميع أملاك الملك سيجبرت كما كانت قبل وفاته، وجعلت تلك المعاهدة من شلدبرت الثاني وريثاً لمملكة جونترام بالكامل بعد وفاته. لمزيد من التفاصيل أنظر،

Gregory of Tours : Franks , p. 213.

(2) ثيودبرت الثاني: تولى ثيودبرت الثاني (596-612م) عرش مملكة الفرنجة بعد وفاة والده شلدبرت الثاني عام 596م، وقد حصل ثيودبرت علي مملكة سيجبرت وشلدبرت الثاني السابقة (أوستراسيا). وقد انتهت حياته عندما هُزم في معركة توليباك Toilibac علي يد قوات شقيقه ثيودريك الثاني عام 612م. للمزيد أنظر،

Fredegar: The Fourth Book, p.31.

(3) Fredegar: The Fourth Book, p.7.

(4) Fredegar: The Fourth Book, p.5.

الرغم من إن هؤلاء الملوك الثلاثة كانوا لا يزالو قصر في عام (596م)، وقد اقتادتهم المنافسه الداخلية إلى صنع العديد من التحالفات السياسية ضد بعضهم البعض، مع كل واحد من الملوك الفرنجة الآخرين ومع القوى الخارجية أيضاً، كما كان أبائهم واقربائهم الميروفنجيين من قبل. وكجزء من هذه المنافسه، كلاً من ثيودريك وثيودبرت حاولوا استخدام المصاهرات الأجنبية لتأكيد وتعزيز موافقهم، وحشد دعم المزيد من الاتباع لهم.

وقد استغلت الملكة فريدجوند وابنها كلوثر الثاني وفاة الملك شلدبرت الثاني وتقسيم المملكة بين أبنائه، وقاموا بالهجوم على ممتلكات ابنه ثيودبرت الثاني في اوستراسيا، وسيطروا على باريس وعدد من المدن الأخرى مثل شمباني وريميس. ولكن توفيت الملكة فريدجوند عام 597م، وأصبح كلوثر الثاني وحيداً امام منافسية ثيودريك وثيودبرت، حيث كانت فريدجوند بمثابة العقل المدبر للملك كلوثر الثاني.

على الجانب الآخر في مملكة القوط الغربيين تولى عرش المملكة ليوفا الثاني (601-603م) بعد وفاة والده ريكاردو⁽¹⁾، ولكن تأمر ضده النبلاء بقيادة ويتريك Witteric، ودبروا اغتيال ليوفا، واستولى ويتريك (610-603م) على عرش المملكة وحكم لمدة سبع سنوات، وكان ويتريك آريوسياً متعصباً للآريوسية، حاول إعادة الآريوسية ولكنه فشل، وانتهت حياته بالقتل⁽²⁾.

أما عن الزواج، ففي عام 607م أرسل ثيودريك الثاني ملك برجنديا مبعوثية إلى ويتريك يطلب يد ابنته ارمنبرجا Ermenberga⁽³⁾. وحلف المبعوثين

(1) Isidore of Seville : Kings of the Goths, pp. 26-7;

أنظر أيضاً، محمد عبده حتامله: ايبيريا، ص 241.

(2) Isidore of Seville : Kings of the Goths, pp. 26-7;

أنظر أيضاً، ابراهيم طرخان: دولة القوط الغربيين، ص 107؛ محمد عبده حتامله: ايبيريا، ص 241.

(3) Fredegar: The Fourth Book, p20..

القسم بأن ثيودريك لن يتزوج امرأة أخرى انفاً، وعندها فقط سمح لهم بأخذ العروس إلى بلاد الغال. ويُعد هذا القسم ضروري جداً لأن ثيودريك كان لديه بالفعل أربع أبناء من نساء أخريات. أنه وضع يذكرنا بجهود الملك شلبريك للزواج من جالسيونثا. ويقال أن ثيودريك كان سعيداً بعروسته الجديدة، ولكن جدته برونهيلد التي لعبت دور الملكة الأم في بلاطه وكذلك شقيقته ثيوديلّا Theudila عملوا على عدم استمرار هذا الزواج.

كان الملك ثيودريك يريد بالفعل هيئة هذا الزواج، ولكن وجود امرأتين في البلاط لا يرغبون برؤية قوتهم تتضاءل كان سبباً في فشل هذا الزواج. وبالفعل بعد عاماً واحداً من الزواج نجد ثيودريك يرسل زوجته إلى وطنها، ولكن بدون مهرها. ومن ثم نظم ويترك والد ارمنبرجا تحالفاً ضد الملك ثيودريك لهذا التجاهل الصارخ لقسمه. وقد تعهد كلاً من كلوثر الثاني ملك نوستريا وثيرودبرت الثاني ملك اوستراسيا واجيلولف Agilulf (590-616م) ملك اللمبارد بمساعدة الملك ويترك للحصول على انتقامه، ولكن لم يسفر ذلك عن شيء في النهاية. ويعلق فريديجار على فشل ذلك التحالف قائلاً: ربما لأن الملك ويترك مات في نفس العام⁽¹⁾، حيث أُغتيل فجأة سنة 610م في إحدى المناسبات، على يد بعض المتآمرين⁽²⁾.

ويبدو أن هذا التقرير مفيد، حيث سعى الملك ثيودريك إلى زوجة من القوط الغربيين، واستمرت المفاوضات. ونقطة فاصلة في المفاوضات هي إن ثيودريك لن يستبدلها أبداً بزوجة أخرى. كما ذكر فريديجار إن ثيودريك أعلن استقبال عام لارمنبرجا حيث "استقبلها بسرور"، وتم تنصيبها كملكه. لقد كان احتفال يهدف إلى توطيد سلطته وهيئته الملكية نتيجة المصاهرة المرموقة مع القوط الغربيين.

(1) Fredegar: The Fourth Book, p20..

(2) Oman: Dark Ages, p.222;

انظر أيضاً، الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 91؛ محمد عبده حتامه: ايبيريا، ص 242.

ولكن هذا الزواج لم يكتمل قط مع رجل لديه بالفعل أربعة خلفاء محتملين. كما أن تصرفات برونهيلد وثيوديل كانت على النقيض من ذلك، حيث روأ بوضوح إن ارمنبرجا تشكل تهديداً لمكانتهم الرفيعة في البلاط الملكي. كما أن الملك ثيودريك عندما شعر أنه يستطيع الاستغناء عن زوجته، وسواء اقتنع بذلك من قبل جدته وشقيقته أم لا، فإنه قام بارسالها إلى وطنها، ولكنه احتفظ بالشئ الذي يجب أن يضيف لها قيمة إلى حد كبير، مهرها. ويبدو أن احتفاظ ثيودريك بمهرها هو ما أغضب الملك ويترك على الأغلب، ولكننا لا نستطيع الجزم.

وقد ناقش إيان وود إن قيمة العروس أيضاً كانت مرتبطة بدمها الملكي الذي كان سبباً في السباق الكبير حول شرعية أبناء ثيودريك من محظياته وبين ما سوف تنجبه ارمنبرجا⁽¹⁾. كما قال القديس كولومبانوس⁽²⁾ St.Columbanus (543م-615م)، إن الأولاد الذين ولدوا من زواج شرعي هم فقط الذين يمكن أن يعتبروا خلفاء، وإن هذه الأشياء الاخلاقية نعمة من الله⁽³⁾. إن الاشكالية في

(1) Wood, The Merovingian Kingdoms, P.132.

(2) القديس كولومبانوس: هو راهب ايرلندي ولد حوالي عام 543م وتوفي عام 615م، ساهم في تأسيس عدد من الاديرة في جميع انحاء مملكة الفرنجة ولمبارديا ابرزها دير لوكسويل Luxeuil في فرنسا الآن، ودير بويو Babbio في إيطاليا الآن ودر كوريي Corbie، وبسبب جهود كولومبانوس ازدهرت الحياة الرهبانية لدى الفرنجة خلال أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع الميلادي، ويستند معظم ما نعرفه عن كولومبانوس على أعمال كولومبانوس نفسه، وحياة كولومبانوس Vita Columbani التي كتبها جوناس بويو Jonas Of Babbio بين عامي 639 و643م، قضى كولومبانوس بعض الوقت في بلاط برجنديا ولكن تم نفيه من برجنديا علي يد الملكة برونهيلد. للمزيد أنظر،

Wood, The Merovingian Kingdoms, PP.132,140-41;

انظر أيضاً، سمر ربيع عبد الغفار: المرأة في المجتمع الجرمانى، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب جامعة المنصورة 2016، ص35.

(3)Fredegar: The Fourth Book, pp. 23-4.

ذلك إن هذه الأفكار تم تقريرها بعد فسخ زواج ارمنبرجا، ولكن ربما تعكس الأفكار العامة والمخاوف من شأن هذه الفترة. وربما ثيودريك سعى إلى عروس ذات مكانه لا تشوبها شائبة، أميره قوطية بدلاً من الزواج من إحدى محظياته كما حث القديس كولومبانوس. كما أشار إيان وود بأن برونهيلد لم تكن مسرورة من تأويل كولومبانوس، وبدلاً من السماح لحفيدها باكمال زواجه من فتاه ذات مكانة جيدة مثلها، نجدها تقنعه بإعادتها، ثم طردت كولومبانوس من برجنديا.

على الرغم من الهجوم الرباعي المقترح ضد ثيودريك الذي لم يحدث، لكن نجد انتهاء فترة المنافسة الداخلية في مملكة الفرنجة، على الأقل لفترة من الوقت. ففي عام 610م نجح ثيودبرت في انتزاع عدة مناطق من شقيقه ثيودريك⁽¹⁾، ولكن بحلول عام 612م هزم ثيودريك شقيقه ثيودبرت. وربما يرجع ذلك إلى الاتفاق الذي عقده الملك ثيودريك مع الملك كلوثر الثاني، حيث حصل على حياده في مقابل تبادل بعض الأراضي⁽²⁾ وبطبيعته الحال ثيودريك لا يحتاج أن يعطى بعض الأراضي التي وعد بها كلوثر الثاني حتى ينتصر على شقيقه، ولكن بعد أن انتصر ثيودريك على شقيقه، سار بجيشه ضد كلوثر ولكنه توفي فجأة عام 613م⁽³⁾.

(1) Fredegar: The Fourth Book, pp. 29-30.

(2) Fredegar: The Fourth Book, p.29.

(3) Fredegar: The Fourth Book, p.32.

الفصل الرابع

"الزواج السياسي بين الفرجة والمباردين"

- ثيودبرت الأول ووزجارد .
- ثيودوبلد الأول ووالديرادا .
- ألبوين وكلوسندا .
- مشروع زواج أوثاري وكلودوسندا .
- أدلوالد وابنة ثيودبرت الثاني .
- شارلمان ودسيدرانا .

* ثيودبرت الأول ووزجارد:

يتضح مما سبق، أن مملكة الفرنجة انقسمت بعد وفاة الملك كلوفس عام 511م بين أبنائه إلى أربعة أقسام، فأخذ ثيودريك الأول (534-511م) ميتز، وكلودومير (524-511م) أورليان، وشلدبرت الأول (511-558م) باريس، وكلوثر الأول (511-561م) سواسون⁽¹⁾، واشتد التنافس بين هؤلاء الملوك الفرنجة. وكانت هذه الفترة فترة العصر العظيم للمصاهرات السياسية الأجنبية للميروفنجيين⁽²⁾.

وكان الملك ثيودريك الأول شديد القلق لضمان توريث مملكته لابنه ثيودبرت الأول Theudibert I (حوالي 534-548م)، حيث أشارت تصرفاته إلى ذلك. وقد رأينا كيف إن شلدبرت الأول وكلوثر الأول قضوا بلا رحمه على أبناء شقيقهم كلودومير⁽³⁾، وبالفعل عندما مات ثيودريك عام 534م حاولوا الاستيلاء على مملكته من ابنه ثيودبرت، ولكن من سوء حظ ثيودبرت أنه علمَ بنبأ وفاة والده حينما كان في حملته في الجنوب ليسترد أراضيه من القوط الغربيين، تلك التي احتلها كلوفس منهم، وكانوا قد استردوها مره أخرى⁽⁴⁾.

وهكذا نجد أن الملك ثيودريك الأول منح ابنه عدة سلطات تؤهله تولي العرش من بعده، وقد بدأت هذه السلطات المستقلة التي منحها لأبنه منذ أكثر من عشر سنوات، وذلك عندما أرسله ابنه لصد الغزاة الدانيين Danish الذين

(1) Gregory of Tours : Franks , P.54.

(2) Eugen Ewig: "Studien zur merowingischen Dynastie",p.40.

(3) انظر الفصل الثاني "زواج سيجسموند واوستر جوثا".

(4) Gregory of Tours : Franks , P.66.

أغارو على مملكته⁽¹⁾. كما ساعده على توطيد مقدراته الخاصة كمحارب وملك مستقل. ولكن يكون ثيودبرت بعيداً عن مملكه أبيه عند لحظة وفاته، والأكثر من ذلك صعوبة العوده وأخذ ميراثه. وبالفعل عندما مات ثيودريك، علق جريجوري التوري على وفاته قائلاً: "أن شلدبرت وكلوثر سوف يتحدون معاً ضد ثيودبرت رغبة في الاستيلاء على مملكته، ولكن هو من خلال تقديم الهدايا فإنه دافع عن اتباعه وأسس مملكته"⁽²⁾.

وقد أصبح واضحاً في تلك الفترة أهمية الثروة وولاء الاتباع، ولحسن حظ ثيودبرت أن أباه اعطاه فرصه الحصول على كلاهما. فقبل أن يرسله في حملته ضد القوط الغربيين، فإنه رتب له زواجه من الأميرة "وزجارد" Wisigard ابنة "واكو"⁽³⁾ Wacho (حوالي 510-540م) ملك اللباردين في بانونيا، الذي كان أيضاً يسعى لتثبيت وضعه الملكي⁽⁴⁾.

ولكن تغيرت المنافسه الداخلية في مملكة الفرنجة بعد وفاة الملك ثيودريك حوالي عام 534م، حيث كان ثيودبرت في اوائل الثلاثين من عمره، مثل شلدبرت وكلوثر، وأصبحت المنافسه اقل قلقاً مع التحدي الواضح

(1) Gregory of Tours : Franks , P.54.

حيث ذكر جريجوري التوري أن الدنماركيين اغارو علي شواطي مملكة الفرنجة الشمالية (مملكة ثيودريك الأول)، وعندما علم ثيودريك الأول بذلك أرسل ابنه ثيودبرت الذي نجح في القضاء عليهم. أنظر،

Gregorii Turonensis: Francorum, p. 99.

(2) Gregory of Tours : Franks , P.66.

(3) الملك واكو : يعد الملك واكو (510-540) ابن شقيق الملك تاتو Tato، وقد اغتصب العرش من عمه الملك تاتو مما أدى إلي فرار ابن الملك تاتو الذي يدعى هلدكيس Hildechic إلي بلاط ملك الجييداي طالباً العون والمساعدة، الذي قدم له يد المساعدة، وقام هلدكيس بثورة ضد واكو ولكن فشلت.... أنظر:

Paul the Deacon: Langobards, pp.38-9

(4) Gregory of Tours : Franks , P.66.

للمشاركين في الحكم، وبالتالي أكثر مساواة بينهم. وقد حاول ثيودبرت توطيد نفوذه، فقام بالسيطرة على الجزء الشرقي من مملكة الفرنجة، مستغلاً فرصة قيادته لحملات الشرق والجنوب بما في ذلك بروفانس Provence وإيطاليا، وذلك لتوسيع أراضيه، إضافة إلى تفاخره بمنصبه الملكي، وخلق منطقته نفوذ في الشرق مما أدى توطيد سلطته ضد منافسيه⁽¹⁾.

على الجانب الآخر، في مملكة اللومباردين، فإننا ذكرنا سابقاً إن الملك واكو استولى على عرش المملكة بعد الاطاحة بعمه تاتو⁽²⁾، وقد اثبت واكو جدارته في الحكم، إذ استطاع أن ينشر الأمن والأستقرار في أرجاء المملكة، التي بلغت خلال عهده الطويل البالغ ثلاثين عاماً أعلى درجات القوة والبأس، مما جعل زعماء القبائل الجرمانية في المناطق المجاورة يخطبون وده، ويسعون إلى التحالف معه. وعلى هذا الأساس تحالف واكو مع كثير من زعماء الجرمان⁽³⁾، وفي عهد الملك واكو أيضاً انتقل اللومباردين إلى جزء من منطقة "بانونيا" وأصبحوا معاهدين للبيزنطيين⁽⁴⁾. وكانوا مهتمين آنذاك في الغالب

(1) Austrasain Letters, Letter 20 (also 18, 19) Working English translation by Brian Hancock, In Studies in Austrasian politics and diplomacy from Theudebert I to Childebert II, A Thesis in the Department of History at Concordia University 1990, PP,81-2; Roger Collins, Early Medieval Europe 300-1000 (Basingstoke: Macmillan Education, 1990), p.156; Ian Wood, The Merovingian Kingdoms, pp.66-7.

(2) Paul the Deacon : Langobards, pp.38-9; Hodgkin: Italy, vol .V.P. 117; أنظر أيضاً، الحويرى: اللومبارديون، ص 21.

(3) Procopius of Caesarea: History of the Wars, Persian wars, vol .1, (London. 1913), p.265; Hodgkin: Italy, vol .V.P. 119120-; Dudden: Gregory The Great, V. I, p.886-5;

أنظر أيضاً، الحويرى: اللومبارديون، ص 29-30.

(4) Hodgkin: Italy, vol .V.P. 119120-; Dudden: Gregory The Great, VOL. I, p.886-5;

أنظر أيضاً، الحويرى: اللومبارديون، ص 29-30.

بشؤون وسط أوروبا لتعزيز موقفهم ضد منافسيهم القدامى الثورنجين، الهيرولي والجيداي⁽¹⁾.

وفي عام 530م توسع الفرنجة تحت حكم ثيودريك الأول ثم ثيودبرت الأول في وسط أوروبا أولاً ضد الثورنجين في عام 531م، ثم ضد مقاطعات الرومان في "نوريكوم" Noricum⁽²⁾ و"ريتيا" Raetia⁽³⁾ في عام 535 أو 536م، حيث أصبحوا أكثر مشاركة في الصراع بين القوط الشرقيين والبيزنطيين في إيطاليا. وقد خُطبت وزجارد بعد فتح ثيودريك الأول لمملكة الثورنجين مباشرة عندما أصبح الفرنجة واللمبارديين جيئراً⁽⁴⁾.

أما عن زواج ثيودبرت الأول من الأميرة اللمباردية وزجارد حوالي عام 540م، فيتضح لنا من خلال هذه الزيجة، أثر الضغوط الداخليه في مملكة الفرنجة على ثيودريك الأول التي أدت لهذا الزواج، فقد خطب ثيودريك الأول لابنه ثيودبرت الأميرة وزجارد حوالي عام 533م، قبل حملته ضد القوط الغربيين

(1) Crisp: Marriage and alliance, p. 121.

(2) "نوريكوم" مدينة تقع في شمال إيطاليا، وكانت مقاطعة للإمبراطورية الرومانية في القرن الأول الميلادي، وتضم حالياً اجزاء من وسط النمسا وأجزاء من ولاية بافاريا الألمانية. انظر، Encyclopaedia Britannica online

(3) "ريتيا" تقع شمال إيطاليا على الجانب الغربي من نوريكوم وكانت مقاطعة رومانية، وهي حالياً شرق ووسط سويسرا وجنوب بافاريا وسوايا العليا. انظر،

Encyclopaedia Britannica online

(4) استطاع الثورنجين تأسيس مملكة واسعة في عام 500م، امتدت حتى نهر الدانوب. وأرتبط هرمنفريد ملك الثورنجين بعلاقات طيبة مع ثيودريك الأول ملك الفرنجة الذي ساعده في القضاء على شقيقه والاستيلاء على مملكته، في مقابل حصول ثيودريك على نصف مملكة شقيقه، ولكن بعد انتصار هرمنفريد على شقيقه بفضل مساعدة الملك ثيودريك الأول له، نجد أن هرمنفريد يخلف وعده مما أدى إلى إعلان الحرب عليه من قبل ثيودريك الذي استطاع إخضاع مملكتهم للمملكة الميروفنجية في سنة 531م، واصبحت ثورنجا يخكمها دوقات الفرنجة للتفاصيل أنظر :

Gregory of Tours : Franks , PP.54,56-7.

في الجنوب، في حين تزوج ثيودبرت في حملته هذه من امرأة غالورومانية، تدعى "دويترا" Deuteria، والتي كانت متزوجة بالفعل من قبل. ووصف جريجوري لها بمنحها مكانه هامه في بلده جيريسوس⁽¹⁾ Cabrieres، التي حاصرها ثيودبرت في ذلك الوقت، كذلك يمنحها الصفات الطيبة، الحكمه والجمال⁽²⁾. وقد انجذب ثيودبرت إلى هذه المرأة البليغة الذكية والجميلة (التي اجتمعت فيها كل الخصائص المهمة للعروس المحتملة). وعندما أصبح ملكاً احضرها إلى بلاطه وتزوجها⁽³⁾. ولكن بعد سبع سنوات طلق ثيودبرت دويترا، وكان لديه منها ابناً، يدعى ثيودوبلد⁽⁴⁾. وطبقاً لما ذكره جريجوري الثوري فإنه تزوج وزجارد بناءً على رغبه اتباعه الذين وجدوا موقفه مخزى في الواقع. حيث أن ثيودبرت كان يعيش مع المرأة الغالورومانية، وربما كانت من سيدات طبقة النبلاء، ولكنها ليست ذات دم ملكي لتشارك ملك الفرنجة العرش. وعلى الرغم من إنه قد خطب أميرة لمباردية، لكن ليس اللمبارد هم الذين عاتبوا ثيودبرت على موقفه، بل اتباعه الفرنجة هم من فعلوا.

في وسط هذه المنافسة الداخلية بين ملوك الفرنجة، تظهر أهمية هيبه الملك حيث طلب اتباع ثيودبرت من الفرنجة من ملكهم تطبيق زوجته الغالورومانية، وأن يتزوج من الأميرة الجرمانية. ولم يكن ثيودبرت قادراً على تجاهل اقتراحهم، فازداد قلقه في الحفاظ على نفوذه في مملكته ضد اعمامه. ويرجع رفض اتباع ثيودبرت لدويترا بسبب أصولها الغالورومانية، كما إنها لم تكن ذات اصول جرمانية مثل وزجارد. كما ذكر جريجوري عندما ماتت وزجارد فان ثيودبرت لم يرجع إلى دويترا، ولكن تزوج من امرأة أخرى، التي من المحتمل ليست ذات اصول ملكية أيضاً. وعندما وصف جريجوري وزجارد - لم

(1) جيريسوس: هي بلدة في قسم هيرو في جنوب فرنسا حالياً. انظر،

Encyclopaedia Britannica online

(2) Gregorii Turonensis: Francorum, p. 122.

(3) Gregory of Tours : Franks , P.66.

(4) Gregory of Tours : Franks , P.67.

يشير ابدأ إلى إنها لمباردية فقط بل إنها ابنة ملك فعلي⁽¹⁾. حيث وضعها الملكى كان اكثر أهمية لجريجوري وربما لثيودبرت أيضاً وأتباعه الفرنجة كذلك.

ولأستكمال معرفتنا عن هذا الزواج لابد من الرجوع إلى كتاب بولس الشماس مؤرخ اللمباردين الذي كتب مؤلفه في القرن الثامن الميلادي في بلاط الإمبرطور شارلمان، وقد ارتبك بولس الشماس في نقاشه عن الفرنجة الميروفنجيين. فمن مؤلفه نعرف إن وزجارد ابنة الملك واكو Wacho⁽²⁾. ولكن بولس الشماس أشار إلى هذا الزواج وسط مناقشته لمصاهرات الملك واكو الكثيرة فقط، حيث قال:

"وكان لواكو ثلاث زوجات، الأولى تدعى رانكيندا **Ranicunda** ابنة ملك الثورنجيين، والثانية اوستريجيثا **Austrigusa** ابنة ملك الجييداي، وقد انجبت له بتان احدهما تدعى وزجارد التي تزوجت ثيودبرت ملك الفرنجة، والأخرى تدعى والديرادا **Walderada** التي تزوجت جازبلد **Cusupald** ملك آخر من الفرنجة. ، أما زوجته الثالثة تدعى سالينجا **Salinga** ابنة ملك الهيرولي، وقد انجب منها ابنه والتارى الذي خلفه على العرش."⁽³⁾

من الواضح عادات واكو في الزواج من نساء ذات مكانه مرتفعه من بين جيرانه، الذي اسس سلالة ملكية جديدة في المملكة اللمباردية، وهذا من شأنه ان يساعده على توطيد نفوذه بين منافسيه. ويقترح استفان بونا István Bóna : " إن حماية سياسة واكو Wacho زادت قوتها بواسطة المصاهرات الجيدة التي أوجدها لبناته"⁽⁴⁾.

(1) Gregory of Tours : Franks , P.66.

(2) Paul the Deacon: Langobards, p.40.

(3) Paul the Deacon: Langobards, p.40.

(4) István Bóna: The Dawn of the Dark Ages: The Gepids and the Lombards in the Carpathian Basin, Translated by László Boros (Budapest, 1976), p.25.

وهكذا نجد أن الملك واكو تزوج ثلاث مرات ، كما رتب لبناته زيجات هامة أيضاً ، حيث كانوا جزءاً من استراتيجيته الكبيرة لإضفاء الشرعية لحكمه وتأمين سلطته من خلال علاقاته الزوجية المفيدة⁽¹⁾ . ويناقش استيفان بونا ذلك قائلاً: "إن واكو كان قادراً على استخدام علاقاته العائلية لإخضاع خصومه القدامى وتوسيع مملكته". على الرغم من إنه ربما وافق على هذه المصاهرات ذاتها لتكون مفاتيح تحالفاته الهامة مع هذه النتائج السياسية والعسكرية ، فمن المرجح إن واكو استخدام تحالفات الزواج الهامة بنفس طريقة الفرنجة لتوطيد مكانته في مملكته ، باعتبار المصاهرات السياسية مؤثرة ، قوية وهامة للملك.

وقد وصف ولفرام Wolfram هذا الزواج أو على الأقل المشاركة كأنه إيجاد معاهدة بين اللمبارديين والفرنجة⁽²⁾ . لأن اللمبارديين كانوا يعيشون حينذاك في بانونيا ، وإن المغزى أن نرى هذه المشاركة في سياق حروب ثيودريك الأول ضد الثورنجيين.

أما عن حياة وزجارد في بلاط ثيودبرت الأول فإنها مجهولة تقريباً ، ولكن جريجوري التوري لديه القليل ليقوله حول وزجارد بخلاف زواجها ووفاتها ، ولكن عند نقطة واحدة في سرده فإنه يخبر قراءه عن تدخل وزجارد في خلاف بين اثنين من مستشاري ثيودبرت وهما سكندنيوس Secundinus واسترولس Asteriolus الذين نافسوا بعض من أجل محاباه ثيودبرت ، وعندما أصبح استرولس تحت سلطه سكندنيوس فإنه أهانه ، ولكن يذكر جريجوري إن الملكة وزجارد ساعدت استرولس على استعادة مكانته ، وعندما ماتت فقد قتل سكندنيوس استرولس⁽³⁾ . وتشير هذه الحادثة إلى أن وزجارد قد اندمجت في

(1) István Bóna: The Dawn of the Dark Ages, p.25.

(2) Wolfram, The Roman Empire, pp.281-2.

(3) Gregory of Tours : Franks , P.69.

البلاط الفرنجي بما فيه الكفاية لكي تتدخل في هذا النزاع، وكانت محاباتها كافية لتساعد استرولس في البلاط وحمايته من الضرر الجسدي، فكانت عضواً هاماً في بلاط ثيودبرت.

وهكذا نجد أن الخطوبة بين اللباردين والفرنجة ارتبطت بمعاهدة سلام رسمية بين المملكتين، كما يمكن القول أن الملك ثيودبرت شعر بأنه لا يحتاج إلى هذا الزواج لمدة سبع سنوات بسبب وجود السلام بينهما، وهكذا يمكن القول أن الخطوبة ثم الزواج علامة على العلاقات السلمية بين المملكتين. كما أن الملك ثيودبرت اكمل الزواج لأنه أصبح تحت ضغط اتباعه فقط، وليس بسبب أنه يحتاج للتحالف أو السلام مع اللباردين. ثيودبرت تحت ضغط اتباعه تصرف مثل الملوك، وانهى اتفاقه بالزواج من وزجارد، ابنة ملك جرمانى وليست غالورومانية.

وربما نحن نستطيع التعاطف مع موقف ثيودبرت، فقد خطب له والده أميرة، ربما لم يرها قط حتى تزوجها. فقد وقع في حب دويترا التي تملك كل المزايا للزواج الجيد، باستثناء احتياجها للدم الملكي، كما إنه ليس لديه رغبة بتحقيق الالتزام الذي اجبره عليه والده ومستشاريه. كما تجدر الإشارة إلى أن الزواج قد حدث حوالي عام 540م نفس العام الذي توفي فيه الملك واكو. كما توفيت وزجارد نفسها بعد ذلك بوقت قصير، وبذلك أصبح الزواج بدون فائدة.

* ثيودوبلد الأول ووالديرادا:

بعد وفاة ثيودبرت الأول حوالي عام 548م، فقد خلفه على العرش ابنه ثيودوبلد الأول Theudebald I (حوالي 548-555م) الذي لم يبلغ سن الرشد بعد، فكان في الخامسة عشر من عمره، وبعد فترة وجيزة من توليه العرش عندما وصل للعمر المناسب فقد تزوج الأميرة اللمباردية والديرادا Wulderada ابنة الملك واكو. وقد اقتضت إشارة جريجوري التوري في كتابه عن زواج ثيودوبلد من والديرادا في جملة واحدة حيث قال: "عندما أصبح ثيودوبلد رجلاً فقد تزوج والديرادا. . . . ، وعندما توفي استولى كلوثر على مملكته وأرملته"⁽¹⁾.

وقد وافق الملك كلوثر الأول (511-561م) تحت ضغط الاساقفة على عدم الزواج من أرملة ثيودوبلد، واضطر ليعطيها لجاريبلد الأول⁽²⁾ (591-555م) Garibald I دوق بافاريا⁽³⁾ Bavaria. ويجب أن نفهم من تصرفات كلوثر إلى إنها

(1) Gregory of Tours : Franks , PP.78-9.

(2) جاريبلد الأول: وقد وصل جاريبلد الأول لحكم دوقية بافاريا في الفترة من 555 حتى 591م. وهو يقف على رأس أسرة أجيلوفنجس Agilolfings احد العائلات ذات المكانة الكبيرة في أوستراسيا التي حكمت دوقية بافاريا، وخلفه على الدوقية بعد الاطاحة به تاسيلو الأول (591-609م). انظر:

Cawley Charles: BAVARIA, in Medieval Lands database, Foundation for Medieval Genealogy, retrieved August 2012,p.3.

(3) دوقية بافاريا: تأسست دوقية بافاريا في جنوب المانيا في وادي الدانوب، ما بين نهر إن Inn ونهر ليخ lech. وكان لها تنظيمها الكنسي المستقل وقوانينها الخاصة وكان ثيودو الأول Theodo I أول دوقاً لها، وتوفي عام 514م ثم خلفه ابنه ثيودو الثاني Theodo II. وقد وصل جاريبلد الأول لحكم دوقية بافاريا في الفترة من 555 حتى 591م. وهو يقف على رأس أسرة أجيلوفنجس Agilolfings احد العائلات ذات المكانة الكبيرة في أوستراسيا التي حكمت دوقية بافاريا، وخلفه على الدوقية بعد الاطاحة به تاسيلو الأول (591-609م). =

مثل شقيقتها، عروسه ذات مكانه وهيبه كان يرى إنها تستحق أن يرتبط بها، كما إنه استولى على مملكة ثيودوبلد⁽¹⁾.

كما تجدر الإشارة أيضاً إلى أن والدها واكو Wacho قد توفي منذ ثمانى سنوات عند زواجها من ثيودوبلد، وخلفه على العرش ابنه الصغير والتارى Walthari (540-546م) تحت وصاية المحارب أودوين، وكان والتارى آخر حاكم من سلالة والدها، ولكنه لم يعيش طويلاً، إذ توفي بعد حكم دام سبع سنوات، واختار اللباردين بعده أودوين Audoin (546-565م) ملكاً عليهم⁽²⁾، ويعتبر عهده من أبرز عهود مملكة اللباردين، حيث أن العلاقات

= وقد خضعت دوقية بافاريا لحكم الفرنجة منذ عهد بين القصير. واعترف دوقها تاسيلو (748-788م) ببين القصير سيداً وقام بواجباته العسكرية تجاه بين القصير في الحملات التي وجهها الأخير ضد أكتوين 756م، ولكن رغم ذلك كانت سلطة الفرنجة على بافاريا اسمية. انظر: اينهارد: سيرة شارلمان، حاشية ص 83؛

Cawley Charles: BAVARIA, in Medieval Lands database, Foundation for Medieval Genealogy, retrieved August 2012, p.3.

(1) Gregory of Tours : Franks , P.79.

بعد وفاة الملك كلوفس عام 511م انقسمت بين أبنائه إلى أربعة أقسام، فأخذ ثيودريك الأول (511-534م) ريميس، وكلودومير (511-524م) أورليان، وشلدبرت الأول (511-558م) باريس، وكلوثر الأول (511-561م) سواسون، واشتد التنافس بين هؤلاء الملوك الفرنجة، ولكن بعد وفاة كلودومير استولى كلوثر وشلدبرت على مملكته من أولاده الصغار، ونجد أن كلوثر أيضاً بعد وفاة الملك ثيودوبلد أيضاً عام 555م يستولي على مملكته ليصبح كلوثر الأول وشلدبرت الأول منفردين على مملكة الفرنجة كاملة، ولكن بعد وفاة شلدبرت عام 558م فإن كلوثر يستولي على مملكة ليصبح كلوثر الأول ملكاً وحيداً على مملكة الفرنجة بأكملها. انظر،

Gregory of Tours : Franks , PP.54,63.

(2) Paul the Deacon : Langobards,p.40-41; Hodgkin: Italy, vol .V.P. 119;

Dudden: Gregory The Great, Vol. I,p. 86;

أنظر أيضاً، الحويرى: اللومبارديون، ص30.

والروابط بين اللمبارديين وبين الإمبراطورية البيزنطية ازدادت متانة أكثر من ذي قبل، وفي عهده سمح لهم جستنيان بالاقامة في إقليم بانونيا⁽¹⁾، ولكن لم يكن اودوين حتى قريبها. ويبدو أن والتاري هو الذي ساعد في ترتيب هذا الزواج، ولكن وفاته جعلت الزواج بدون قيمة، كزواج تحالف يربط ملكين عن طريق المصاهرة، ويبدو إنه مفيد جداً لملك شاب مثل ثيودوبلد في محاولته تأمين نفوذه ضد اعمامه الكبار ذوي الخبرة.

وقد ذكرنا أن بولس الشماس أشار إلى هذا الزواج أيضاً وسط مناقشته لمصاهرات الملك واكو الكثيرة، ولكن تقرير بولس الشماس عن هذه القضية لا يتوافق كثيراً مع تقرير جريجوري التوري، حيث ذكر بولس: "أن والديرادا تزوجت جازبلد Gusupald (ثيودوبلد) ملك آخر من الفرنجة، الذي كرهها وأعطاها إلى جاريبلد Garibald أحد رجاله"⁽²⁾. هذه الرواية تخلط بين ثيودوبلد الأول وكلوثر الأول، حيث ذكر جريجوري التوري أن ثيودوبلد تزوج والديرادا، وتُعد رواية جريجوري هي الأقرب إلى الصواب، لأن جريجوري كان معاصراً للأحداث، وكان تركيزه على الفرنجة. ولقد كان هدف بولس من مناقشاته عن المصاهرات الفرنجية لبنات الملك واكو هو الإشارة لسلسلة التحالفات السياسية التي قام بها الملك واكو، إلى جانب زيجاته الشخصية الثلاثة أيضاً. كما لم تهدف هذه الزيجات لأي الملكين لإيجاد تحالف سياسي بين مملكتين، إلا إنها كانت لتعزيز التحالفات القائمة وتأكيد سطة حاكم معين من خلال مصاهراته لملك آخر، لقد كانت هذه المصاهرات بمثابة درع حماية لكلا الملكين من منافسيه في نفس المملكة

ويقول ولفرام Wolfram إنه اثناء عهده ثيودوبلد أصبح الفرنجة واللمبارديين " أعداء الداء"⁽³⁾. ففي عام 552م خدم اللمبارديين مع الجنرال

(1) Paul the Deacon : Langobards,p.41; Hodgkin: Italy, vol .V.P. 124;

أنظر أيضاً، الحويري: اللومبارديون، ص30-31.

(2) Paul the Deacon: Langobards,p.40.

(3) Wolfram, The Roman Empire, p.283.

البيزنطي نارسيس⁽¹⁾ وهزموا القوط الشرقيين في معركة تادينو⁽²⁾ Tadino (أو تاجيناي)⁽³⁾. وعلى الرغم من مقاومة الفرنجة في البندقية، فإن أودوين استولى بأذن البيزنطيين على الأراضي الفرنجية في نوريكوم، ريتيا والبندقية شمال إيطاليا⁽⁴⁾، وفي نفس الوقت أيضاً كان يعمل ضد الجيبيداي⁽⁵⁾. في نفس الفترة التي تزوج فيها ثيودوبلد من والديرادا.

(1) نارسيس : ولد نارسيس في أرمينيا، وكان رئيساً للطواشية في الحرس الإمبراطوري، ثم كبيراً لأمناء القصر أو كبير الحجاب، وقد تميز بضآلة جسمه، وبالرغم من ذلك، فإن مقدرته كقائد عسكري كانت افضل من بلزاريوس، واتسمت شخصيته بالحزم، وقد عهد إليه الإمبراطور جستنيان بقيادة جيوشه ومواجهه القوط الشرقيين في إيطاليا وظهر شجاعة عظيمة واستطاع هزيمتهم وجعله ستيان نائباً إمبراطوريا عنه في إيطاليا.. انظر، موس: ميلاد العصور الوسطى، 182-183؛ محروس عبد القدوس سعيد : جوستنيان وسياسة الاسترداد، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب جامعة الزقازيق 1986، ص 31

(2) تقع تادينو بالقرب من جوبيو الحالية في مقاطعة بيروجيا Perugia بإيطاليا . أنظر،
Encyclopaedia Britannica online
(3) Wolfram, The Roman Empire, pp.283-4;
أنظر أيضاً، الحويري: اللومبارديون، ص32.

(4) Wolfram, The Roman Empire, pp.283-4.
لم يأس القوط الشرقيين بعد هزيمتهم في معركة تاجيناي، إذ سرعان ما انتخبوا تياس ملكاً علي إيطاليا عام 552م الذي تحالف مع الفرنجة من أجل مساعدته علي استرداد إيطاليا، حيث أرسل وفدا إلي الملك ثيودوبلد الفرنجي من أجل مساعدته ضد الجيش البيزنطي، وبالرغم من رفض ثيودوبلد إلا أن زعيمى من الالمانى وهما من اتباع ثيودوبلد قد وافقا علي التحالف مع القوط ومقاومة البيزنطيين.. للمزيد أنظر،

Agathias: The Histories , eng . trans , Frendo , (J.), (Newyork . 1975, pp.13-14.
(5) Wolfram, The Roman Empire, pp.283-4;

أنظر أيضاً، الحويري: اللومبارديون، ص32.
في تلك الاثناء، كانت العلاقة قد تدهورت بين اودوين ملك اللمبارد وبين ثوريسند Thorisind ملك الجيبيداي، ووصلت العدواة بينهما إلي طريق يتعذر منه العودة، ووقعت الحرب بينهما وكلاهما استنجد بالإمبراطور جستنيان الذي مد يد العون لاودوين الذي نجح في القضاء علي الجيبيداي عام 554م ... للمزيد أنظر، بروكويوس: الحروب القوطية، ج2، ص211؛ الحويري: اللومبارديون، ص32-34.

وقد حدد يوجين Engen Ewig زواج ثيودوبلد حوالي عام 551م، ووفاته في نهاية عام 555م⁽¹⁾. ولكن نظراً لطبيعة المصادر الغير الدقيقة كما اعترف يوجين نفسه، فإن الزواج يمكن أن يكون قد وقع فيما بين عامي 548 و 552م. وهذا يضع احتمالات بعيدة بأن هدف الزواج خدمة وظائف سياسية أو عسكرية خارجية. مثلما فعل ابيه من قبل، وربما خطب ثيودبرت لابنه الصغير أميرة لمباردية من اجل مساعدته في تأمين مملكته بعد وفاته. ويقال أن ثيودبرت مرض قبل وفاته وذلك اعطاه بعض الوقت لاتخاذ مثل هذه الترتيبات لابنه قبل أن يموت.

(1) Ewig, Die Namengebung bei den ältesten Frankenkönigen, p. 52.

* ألبوين وكلوسندا:

بعد وفاة اودوين Audoin (546-565م) ملك اللمبارديين تولى ابنه ألبوين Alboin (565-572م) عرش المملكة، وفي عهده قرر اللمبارديين الرحيل عن بانونيا، وفي ابريل عام 568م، انطلقت الجموع اللمباردية إلى إيطاليا بقيادة ألبوين رجالاً ونساءً واطفالاً، ومعهم عبيدهم وماشيتهم وعرباتهم⁽¹⁾. واستطاعوا دخول إيطاليا كما اتضح مما سبق، وأسس ألبوين مملكة اللمبارديين بإيطاليا، واتخذ لنفسه لقب (سيد إيطاليا) Lord of Italy⁽²⁾.

وعلى الجانب الآخر، نجد أن التنافس الداخلي بين الملوك الميروفنجيين اشتد على آخره، خاصةً بعد وفاة الملك كلودومير عام 524م، حيث استولى كلوثر وشلدبرت على مملكته من أولاده الصغار⁽³⁾، كما استولى الملك كلوثر أيضاً على مملكة ثيودوبلد وعلى ارملة اللمباردية بعد وفاته عام 555م⁽⁴⁾، وكان كلوثر يهدف من وراء ذلك أن تساعد في المطالبة بمملكة ثيودوبلد ضد أي ادعاءات من شقيقه شلدبرت الأول. وبذلك أصبح كلوثر الأول وشلدبرت الأول منفردين على مملكة الفرنجة كاملة.

في وسط هذا الصراع على مملكه ثيودوبلد حدث زواج كلوسندا Clothsinda ابنة كلوثر من ألبوين أمير اللمبارديين. وهذا الزواج يمكن فقط أن

(1) Gregory of Tours : Franks , P.95; Paul the Deacon : Langobards, p.62;

أنظر أيضاً، الحويرى: اللومبارديون، ص 47.

(2) Hodgkin: Italy, vol .V.P. 162-163; Dudden: Gregory The Great, VOL. I.p. 94-95;

أنظر أيضاً، الحويرى: اللومبارديون، ص 50.

(3) Gregory of Tours : Franks , PP.63-4.

(4) Gregory of Tours : Franks , PP.78-9.

يعود إلى ما بين عامي 556 و 560م⁽¹⁾. وهذا الزواج ليس زواجاً طويلاً لاجل، بما أن كلوسندا ربما توفيت بعد ذلك بوقت قصير، منذ أن ذكر جريجوري التوري وبولس الشماس وفاتها وحقيقة زواج ألبوين مره أخرى⁽²⁾.

وقد أشار بولس الشماس بأن سبب الزواج في الحقيقة، أن ألبوين أراد أن يكتسب اسماً لامعاً ومتميز وتوطيد مكانته كملك مستقبلي⁽³⁾. وهذا يشير إلى أن كلوثر كان متلهف لمصاهرة أمير لومباري ذو هبة، ويجب أن يكون رداً على تحدى شلدبرت الأول على مملكه ثيودوبلد. حتى إذا جاء الزواج بعد عام 558م أي بعد وفاة شلدبرت عام 558م، فإنه مع ذلك لا تزال هناك حاجة لكلوثر لكي يوطد نفوذه على مختلف الشعوب الخاضعة له شرق مملكة الفرنجة، ولشن حرب على الشعوب الثائرة، حيث أن السنوات الأخيرة من حكمه اتسمت بمشاكل مع ثورات الشعوب الشرقية، وأيضاً الارتباط بالبيوت الملكية المرموقة.

تزداد صعوبة فهم هذا الزواج بسبب عدم وجود مصادر كافيه لتلك الفترة، خاصة أن بروكوبيوس أنهى مؤلفه في منتصف حوالي عام 553م. ويبدو أن جريجوري التوري يعرف القليل عن الشؤون الإيطالية. إن ذلك الزواج لابد أنه مرتبط باستيلاء كلوثر على مملكه ثيودوبلد. ويبدو أن كلوثر لا يبحث عن المساعدات العسكرية ضد شقيقه شلدبرت أو ضد السكسون⁽⁴⁾، أو على الأقل

(1) Ewig, Eugen: "Die Namengebung.....",p.55.

(2) Gregory of Tours : Franks , P.95; Paul the Deacon: Langobards,p.49.

(3) Paul the Deacon: Langobards,p.49.

(4) قام السكسون بعدة ثورات ضد الفرنجة، وأستطاع الملك كلوثر الأول إخضاعهم واجبرهم على دفع اتاوة سنوية مقدارها خمسمائة بقرة، ظلوا يدفعونها حتى سنة 631م، وبعد سيطرة كلوثر علي مملكة ثيودوبلد قام السكسون بثورة ضده ورفضوا دفع الجزية، ولكن استطاع كلوثر إخضاعهم مرة اخري... أنظر،

Gregory of Tours: Franks , PP.79,83.

لا شيء مما سبق، ولكن يسعى لتأكيد تفوقه على شقيقه شلدبرت، من خلال اظهار نفسه ملكاً مرموقاً، الذي ارتدى عباءة الملوك الشرقيين السابقين.

وتظهر أهمية هذا الزواج بعد وفاة الملك كلوثر الأول عام 561م، حيث قُسمت مملكة الفرنجة بعد وفاته بين ابنائه الاربعة كما ذكرنا سابقاً، وأصبحت العلاقات بين اللمبارديين والفرنجة عدائية، حيث قام الملك ألبوين بحملة لغزو بلاد الغال وذلك في مطلع 570م، وقام اللمبارديين خلال هذه الحملة بتدمير عدد من البلدان التابعة لمقاطعة بروفانس في جنوب بلاد الغال، وعلى الفور كلف الملك جونترام القائد الفرنجي أماتوس Amatus بالتصدي لهم، واندلعت معركة ضارية بين الطرفين انتهت بهزيمة الفرنجة ومقتل أماتوس، وبهذا الانتصار عاد اللمبارديين ثانية إلى مملكتهم محملين بغنائم طائلة، ولكن دون فرض سيطرتهم على أية أراضي فرنجية⁽¹⁾.

وقد قام اللمبارديين بحملة أخرى في العام التالي 570م، ولكن انتهت بهزيمة فادحة لهم⁽²⁾، وهكذا نجد أن العلاقات بين اللمبارديين والفرنجة أصبحت عدائية إلى حد كبير خاصة بعد وفاة كلوثر الأول الذي كانت تربطه علاقات سلام مع اللمبارديين عن طريق الزواج السياسي، وهكذا نجد أن الزواج السياسي كان له دوراً كبيراً في إحلال السلام بين المملكتين حتى وأن توفيت كلوسندا بوقت قصير بعد الزواج.

(1) Gregory of Tours: Franks, PP.95-6 ; Paul the Deacon: Langobards, pp.96-7.

أنظر أيضاً، سونيا عبد الوهاب غازي: العلاقات السياسية اللومباردية - الفرنجية (570 - 604 م)، مقال بمجلة كلية الآداب - جامعة بورسعيد، عدد 6 لسنة 2015، ص 527.

(2) Gregory of Tours: Franks, P.95-97 ; Paul the Deacon: Langobards, pp.97-8.

أنظر أيضاً، سونيا غازي: العلاقات السياسية اللومباردية - الفرنجية، ص 527-528.

* مشروع زواج أوثاري وكلودوسندا:

بعد وفاة الملك ألبوين حوالي عام 572م، اجتمع المحاربين اللمبارديين لاختيار خليفة له، ووقع اختيارهم على كليفو Clepho (572-574م) دوق برجامو⁽¹⁾ Bergamo، وهو من أصل نبيل ومن أقوى دوقات المملكة⁽²⁾. ومن الملاحظ إنه أساء التصرف في شؤون الحكم، إذ عمد إلى سفك دماء العديد من نبلاء الرومان، وقام بنفي بعضهم إلى خارج إيطاليا⁽³⁾. فلم ينعم بالحكم كثيراً إذا لقي حتفه على أيدي أحد خدمه في حوالي منتصف 574م، حيث كان قد أساء إليه وألحق به ظلماً⁽⁴⁾.

بعد مقتل الملك كليفو 574م ظهرت فترة شغور في المملكة اللمباردية استمرت عشر سنوات (574-584م). واستقل كل دوق في هذه الفترة بالدوقية الخاصة به وانفصل عن السلطة المركزية في العاصمة بافيا، وهو وضع شاذ لا نجده في الممالك الجرمانية الأخرى، وظل العرش اللمباردي شاغراً طيلة عشر سنوات. وفي وسط هذه الفوضى التي عاشها اللمبارديين، انغمس دوقاتهم في

(1) برجامو: هي مقاطعة في إقليم لمبارديا بشمال إيطاليا، وتعد برجامو عاصمة مقاطعة برجامو، تبعد حوالي 45 كم شمال شرق ميلانو، ويحدها من الشمال مقاطعة سوندريو، ومن الغرب مقاطعة ليكو ومقاطعة ميلانو، وجنوباً مقاطعة كريمونا، وشرقاً مقاطعة بريشا. انظر،

Moore : Encyclopedia of Places, p.96.

(2) Paul the Deacon: Langobards, p.86.

(3) Paul the Deacon: Langobards, p.86.

(4) Hodgkin, Italy, V, pp.181-2.

القيام بسلسلة من الحملات الفاشلة ضد جيرانهم الفرنجة⁽¹⁾. وانتهت فترة الشغور هذه في عام 584م، حيث عقد الدوقات اجتماعاً اجمعوا فيه على عودة الملكية، ووقع اختيارهم جميعاً على أوثاري (584-590م) ملكاً عليهم⁽²⁾.

في الحقيقة أن شخصية الملك الشاب أوثاري، بما تميزت به من قوة وحيوية ومقدرة، عادت عليه بشهرة واسعة ألهمت خيال قومه ومشاعرهم، وجعلت الاساطير تحوم حوله. وقد بدأ حكمه بإخماد الفتن والاضطرابات التي سادت قومه، وأوقف الحملات الفاشلة على جارته مملكة الفرنجة⁽³⁾.

وقد انتهت عودة الملكية اللمباردية على يد أوثاري سنوات الفوضى والتشتت التي مرت بها مملكة اللمبارديين واستمرت لمدة عشر سنوات، وانعقدت الآمال عليه في تحقيق إيطاليا اللمباردية الموحدة، ولكن الفرص الحاسمة كانت قد ولت وضاعت. وبذل أوثاري جهداً متواصلاً لتوحيد الأقاليم اللمباردية تحت نفوذه، وذلك باخضاع الادواق الخارجين عليه، خاصة دوقي بنفتيو وسبوليتو، ويقال إنه بعد أن فرغ من تلك المهام، واصل زحفه متصراً خلال المناطق التي تؤلفها هاتان الدوقيتان، ثم اندفع إلى ولاية بروتيوم، ومنها إلى مدينة ريجيو⁽⁴⁾ Reggio الواقعة في أقصى الطرف الجنوبي لشبه الجزيرة

(1) Paul the Deacon: Langobards, pp.100-101.

حيث حدث في عام 574م أن قام الدوقات اللمبارديين بتجميع أنفسهم في جيش عظيم وغزوا الجنوب الشرقي من مملكة الفرنجة، وقاموا بعدة اعمال عدائية في افينون وآرل بعد ان اخضعوها وحاصروا مدينة اكس Aix، وقاموا بعدة اعمال سلب ونهب في مملكة الفرنجة، ولكن استطاع جونترام ملك الفرنجة في النهاية هزيمتهم هزيمة ساحقة جعلتهم يعودون بفلولهم إلى إيطاليا. للمزيد انظر:

Paul the Deacon: Langobards, pp.100-101.

(2) Paul the Deacon: Langobards, p.113.

(3) الحويرى: اللومبارديون في التاريخ والحضارة، ص 66

(4) ريجيو : هي مدينة إيطالية تقع في أقصى الطرف الجنوبي لشبه الجزيرة الايطالية، وهي

اكبر مدينة في مقاطعة كالابريا. انظر، Moore : Encyclopedia of Places, p.649.

الإيطالية، حيث امتطى صهوة جواده، وانطلق إلى غمار البحر، ولمس بحريته عموداً برز من بين الأمواج، وقال "ليكن هذا حد مملكة اللمبارديين"، ويروي بولس أن هذا العمود اطلق عليه عندئذ "عمود أوثاري"⁽¹⁾.

وإذا كان من الثابت أن بروتيوم لم يقدر لها في يوم من الأيام أن تسقط في أيدي اللمبارديين، فالواقع أن هذه الأسطورة ليست إلا رمزاً للأمل الذي كان يداعب اللمبارديين في إخضاع شبه الجزيرة الإيطالية كلها لنفوذهم⁽²⁾. ويرى البعض أن هذه الأسطورة لا أساس لها من الصحة، إذا كان من المستحيل على أوثاري أن يتغيب عن مقره في شمال إيطاليا ويتوغل بعيداً، في الوقت الذي كان الإمبراطور البيزنطي يحث الفرنجة على استئناف الحرب ضد اللمبارديين⁽³⁾.

على الجانب الآخر، في مملكة الفرنجة يتضح مما سبق أن الملك كلوثر الأول (511-561م) انفرد بحكم مملكة الفرنجة عام 558م، ولكن قُسمت مملكته بعد وفاته أيضاً بين ابنائه الأربعة شاريبرت الأول (561-567)، جونترام (592-561)، سيجبرت الأول (575-561) وشلبريك الأول (561-584م)، وبهمننا هنا أنه بعد وفاة سيجبرت الأول عام 575م ورث ابنه شلدبرت الثاني (596-575م) مملكته، الذي أخذ يعمل على توطيد نفوذه في مملكته وتأكيد سلطته في علاقته مع أعمامه.

وقد اتبع شلدبرت الثاني نموذج ثيودبرت الأول وثيودوبلد الأول من خلال مصاهرة الملوك اللمبارديين، الشيء الذي بدأه ملوك الفرنجة

(1) Paul the Deacon: Langobards, pp. 145-6 ; Hodgkin : Italy, V. pp. 236-7 ;

Homes Dudden: Gregory the Great, Vol I, London, 1905, pp. 166-7;

أنظر أيضاً، موس : ميلاد العصور الوسطى، هامش ص 335 .

(2) Oman : Dark ages, p. 193 ;

أنظر أيضاً، موس : ميلاد العصور الوسطى، ص 335 .

(3) Villari : The barbarian Invasions of Italy, Vol II , London, 1902, p. 291 .

الشرقيين ، وبصرف النظر عن زملائه الملوك الآخرين وهو تأكيد هيمنته على الشعوب الجرمانية الشرقية ومشاركته في الحملات العسكرية الإيطالية. وذلك منذ ثيودريك الأول الذي قاد حملة ضد الثورنيجيين، ورتب لزواج ابنه ثيودبرت الأول من اللبارديين الذين كانوا لا يزالون في بانونيا. وثيودبرت الأول أيضاً رتب لزواج ابنه ثيودوبلد ليحذو حذوه، وأكد هيمنته على الشعوب الشرقية في رسالة إلى جستنيان إمبراطور بيزنطة⁽¹⁾. كما أكد أيضاً سيطرته على بعض أجزاء من شمال إيطاليا خلال الحروب القوطية. وأرسل ابنه ثيودوبلد قائده بوكلين Buccelin في حملة كبيرة لغزو إيطاليا. وعندما سيطر كلوثر الأول على مملكة ثيودوبلد في أواخر عام 555م. فإن سنواته الأخيرة اتسمت بمشاكل مع ثورات الشعوب الشرقية، وتزوجت ابنته كلوسندا ألبوين ملك اللبارديين. كما أن سيجبرت الأول لم يرسل حملات إلى إيطاليا ولكن صد غزوتين للآفار⁽²⁾ Avars، وقد اعتاد أيضاً التخطيط ضد الشعوب الجرمانية الشرقية وذلك من أجل الجيوش التي استخدمها ضد منافسة شلبريك. ويتضح لنا من خلال هذه الأمثلة أن هناك بالفعل منذ فترة طويلة تقليد للمشاركة في الأراضي الشرقية والشؤون الأوروبية والشؤون الإيطالية، وقد استمر شلدبرت الثاني في هذا التقليد للمشاركة الشرقية واستخدمه لإظهار نفسه ملكاً عظيماً وقوي.

(1) Austrasain Letters, Letter 20.

(2) الآفار: يرجع الآفار إلى عنصر الترك، وقد أستقروا منذ أواسط القرن السادس الميلادي عند سفوح جبل القوقاز، وذلك علي عهد الإمبراطور جستنيان (527-565م)، وكان أول اتصال بينهم وبين بيزنطة عام 558م وذلك عندما أرسلوا سفارة إلى الإمبراطور جستنيان يعرضون عليه التحالف مقابل اعانة سنوية، وتم بالفعل عقد تحالف بينهم وبين الإمبراطورية في نفس العام. للمزيد أنظر، إسمنت غنيم: الآفار، ص 18-20.

- التحالف البيزنطي الفرنجي ضد اللبارديين :

حاول الإمبراطور البيزنطي تيبريوس الثاني⁽¹⁾ (582-579م) التحالف مع الفرنجة من أجل القضاء علي اللبارديين ، وأرسل الهدايا إلى ملوك الفرنجة من أجل إعلان الحرب عليهم ، ولكن نظراً لانشغاله آنذاك بمحاربة الفرس فإنه لم يتمكن من الاستمرار في ذلك التحالف مع الفرنجة من أجل محاربتهم ، لذا تحمل العبء الأكبر الإمبراطور موريس (582-602م) الذي تبني نفس السياسة وحاول استرجاع النفوذ البيزنطي في شبه الجزيرة الإيطالية⁽²⁾ ، ولجأ إلى وسيلة عملية أكثر نفعاً مما لجأ إليه سلفه الإمبراطور تيبريوس ، إذا أعاد تنظيم الإدارة الرومانية في شبه الجزيرة الإيطالية ، باقامة نظام الاكسارخية ، وبمقتضاه جمع الاكسارخ⁽³⁾ Exarch في يده السلطتين العسكرية والمدنية ، وتعزيزاً لمركزه خلع عليه موريس لقب " باتريكيوس (بطريق واكسارخ إيطاليا) patricius et exarchius Italiae "⁽⁴⁾.

(1) الإمبراطور تيبريوس : هو إمبراطور الدولة البيزنطية في الفترة من 578 حتى 582م ، وقد ارسل إليه رومان إيطاليا سفارة لمساعدتهم لحمايتها من غارات اللبارديين ومعها ثلاثة الاف رطل من الذهب ، و لجأ تيبريوس إلي اغراء اللبارديين بالذهب لوقف هجماتهم على الممتلكات البيزنطية وإذا فشلت هذه المحاولة فيقوم باغراء الفرنجة بالذهب لحثهم على التدخل في إيطاليا وكبح جماح اللبارديين ، حيث كان منهمكاً في حروبه ضد الفرس . وهكذا ظهر عجز البيزنطيين واضحاً عن استرداد هيتهم في إيطاليا . انظر ، الحويرى : اللومبارديون ، ص 63.

(2) Oman : Dark ages , pp . 191-2 ; Reverdy,G: Les relations de Childebert II et de Byzance, in Revue Historique, 1913, pp.61-6,86.

(3) رغم أن القائد نارسيس كان يجمع في يده السلطتين العسكرية والمدنية ، إلا أنه لم يحمل لقب اكسارخ ، إذ أطلق هذا اللقب لأول مرة علي سماراجدوس ، وبمقتضى السلطة العسكرية المخولة ، صارت الفرق العسكرية في إيطاليا تحت نفوذه المطلق ، بإمكانه إعلان الحرب وعقد اتفاقيات اسلام ، وقد بلغت سلطاته المدنية مدى واسعاً ، إذ صار مسئولاً عن الشؤون القانونية والإدارية والمالية ، كذلك كان له حق التدخل في الأمور الدينية ، فيما عدا التصديق علي انتخاب البابا ، هذا وقد أقام الاكسارخات في رافنا ، أنظر :

Dudden : Gregory the Great, I . pp . 180-81.

(4) Thompson , Middle ages , I , p 168 .

واستتبع ذلك بعزل النائب الأمبراطوري لونجينوس سنة 585، وعين مكانة سماراجدوس - أول اكسارخ بإيطاليا - لما اشتهر به من شجاعة ومهارة في التنظيم ولم يكد سماراجدوس يصل رافنا، واستكشف فساد الادارة البيزنطية وضعفها، وحاجته لوقت غير قصير لإعادة الأمور لنصابها، يتهيأ خلاله لمواجهة اللبارديين، فأقترح على أوثاري عقد هدنة بينهما مدتها ثلاث سنوات (588-585) فلم ييخل عليه بذلك ⁽¹⁾.

يبد أن اللبارديين نقضوا الهدنة من جانبهم قبل انتهائها بعام واحد، ذلك أن إيوين Euin دوق ترنت Trent انقض فجأة على ولاية استريا البيزنطية، ولجأ إلى حرقها ونهبها، ثم أعقب ذلك بعقد هدنة قصيرة الأجل مع الاكسارخ مدتها سنة واحدة، ورجع مثقلاً بالغنائم إلى مليكه أوثاري ⁽²⁾. والواقع أن ما حدث لا يعنى أن الاكسارخ قد غض النظر عما قام به الدوق، حيث نجح في سنة 589 في استرجاع ميناء كلاسيس ⁽³⁾ الهام من فروالد دوق سبوليتو، بعد أن ظل في قبضته عشر سنوات ⁽⁴⁾.

وإلى جانب ذلك، أحسن مورييس استغلال فرصة تدهور العلاقات بين اللبارديين وجيرانهم الفرنجة لاغرائهم على محاربة اللبارديين، والحيلولة دون توسعهم على حساب بيزنطة. وبمعنى آخر يمكن القول أن فكرة ضرب اللبارديين بالفرنجة التي سيطرت على ذهن سلفه تيبوريوس ⁽⁵⁾، قد حدث به

(1) Dudden , Gregory the Great ,I . p . 161 ;

انظر أيضاً: الحويرى: اللومبارديون، ص 70.

(2) Paul the Deacon: Langobards, pp . 134 -5;

انظر أيضاً: الحويرى: اللومبارديون، ص 70.

(3) ميناء كلاسيس : يقع ميناء كلاسيس على البحر الادرياتي على مسافة ثلاثة اميال من روما وقد استولى عليه فروالد دوق سبوليتو من البيزنطيين عام 579م. انظر : الحويرى: اللومبارديون، ص 59.

(4) Hodgkin : Italy, V, pp . 246 -7.

(5) Thompson , Middle ages, I , p . 169 ; Oman , Dark ages , p . 192.

إلى التحالف مع الفرنجة، وعقد أواصر الصداقة معهم، بقصد تطويق اللومباردين. وفي هذا الصدد لم يرفض الفرنجة يد الصداقة الممدودة إليهم، خاصة إذا كانت مليئة بالأموال والهدايا، وفي الحين نفسه لم ينس الفرنجة دينهم القديم مع اللومباردين، وبعبارة أخرى لم ينسوا غاراتهم الناهبة المتكررة على حدود مملكتهم الجنوبية⁽¹⁾. ومن ثم سعي الإمبراطور موريس للتقرب من الملك شلدبرت الثاني ملك أوستراسيا للحصول منه على الدعم في محاربة اللومباردين⁽²⁾، ومن ثم تبادل الفريقان - بيزنطة والفرنجة - السفارات، ودارت المفاوضات بينهما حول القيام بعمليات حربية مشتركة ضد اللومباردين⁽³⁾.

وفيما يتعلق باختيار شلدبرت الثاني ملك أوستراسيا دون غيره من ملوك الفرنجة الآخرين للتحالف معه ضد اللومبارد، فيقدم المؤرخ والتر جوفيرت تفسيراً لطبيعة العلاقات التي قامت بين الممالك الميروفنجية وبين مملكة اللومباردين خلال تلك الفترة، فذكر أنه عقب الهزيمة التي لحقت باللومباردين على يد الملك جونتtram عام 572م، فإن الملك جونتtram لم يقم بأي تحركات عدائية ضد مملكة اللومباردين؛ والسبب في ذلك يرجع إلى أنه بدأ يوجه طموحاته ضد مملكة القوط الغربيين أو بالاحرى إقليم سبتمانيا، ومنذ بدء هجماته على هذا الاقليم ظل الملك الفرنجي جونتtram في سلام مع اللومباردين⁽⁴⁾.

(1) Dudden: Gregory the Great, I . pp . 161-2;

أنظر أيضاً: الحويرى: اللومبارديون، ص 71.

(2) Reverdy: Les relations de Childebert II, p.73.

(3) Paul the Deacon: Langobards, p . 126 ;

أنظر أيضاً: الحويرى: اللومبارديون، ص 71.

(4) Goffart, W : Byzantine Policy in The West under Tiberius and Maurice (579-585), in Traditio, Vol. 13, 1957, p.85.

أما مملكة أوستراسيا فكان لها علاقات قوية مع إسبانيا في ذلك الوقت، وزادت قوتها في عام 579م عقب زواج هرمنجلد وانجوند، ومن ثم بدأ في توجيه طاقاته نحو مملكة اللمباردين، خاصة أن مملكة أوستراسيا كان لها سابقة للتدخل في شمال إيطاليا، أما الملكة الفرنجية الثالثة (نوستريا)، فلم يكن لها أي مطامع في الوصول إلى مملكة اللمباردين، حيث كانت بعيدة عن حدود مملكتهم⁽¹⁾.

ومما لا شك فيه، أن الإمبراطور البيزنطي كان على دراية بالأوضاع الداخلية في مملكة الفرنجة، ومن ثم وقع اختياره على شلدبرت ملك أوستراسيا للتحالف معه لطرد اللمباردين من إيطاليا. وعلى أية حال، استطاع موريس أن يغري الملك شلدبرت الثاني بشن هجوم على اللمباردين في مقابل خمسين ألف قطعة من الذهب (صولدي)⁽²⁾. وكان أن عبر الملك الفرنجي جبال الألب في سنة 584م على رأس جيش ضخم، وباغت اللمباردين بهجوم شل حركتهم، جعلهم يتراجعون إلى أسوار مدنهم الحصينة للاحتماء بها، ثم دارت مفاوضات بين الجانبين، انتهت إلى انسحاب ملك الفرنجة من إيطاليا بعد أن نفحه اللمباردين مبالغ ضخمة وهدايا ثمينة⁽³⁾. وعندما وصلت تلك الأخبار لموريس بما حدث، طالب شلدبرت الثاني بإعادة الأموال التي أرسلها إليه، إلا أن شلدبرت تجاهل الأمر تماماً، ولم يرسل أي رد إليه⁽⁴⁾.

(1) Goffart : Byzantine Policy in The West , p.85.

(2) Gregorii Turonensis: Francorum, p. 314; Paul the Deacon: Langobards, p.117;
أنظر أيضاً، الحويري: اللومبارديون، ص 71؛ وفاء عبد الحميد محمد السيد:
الإمبراطور موريس، ص 111.

ذكر المؤرخ توماس هودكن أن القطع الذهبية التي أرسلها الإمبراطور البيزنطي إلى الملك
شلدبرت الثاني تعادل ما يقرب من ثلاثين ألف جنية استرليني . انظر،

Hodgkin:Italy, V ,p. 228.

(3) Gregorii Turonensis: Francorum, p. 314; Paul the Deacon: Langobards, p.117;
Villari , The Barbarian Invasion., II . p. 288. Thompson , Middle ages ,I. p.
169; Reverdy: Les relations de Childebert II, p.67.

(4) Gregorii Turonensis: Francorum, p. 314; Paul the Deacon: Langobards, pp. 117-8

وقد ذكر جريجوري التوري أن شلدبرت شعر بضمان قوته ولذلك لم يرد مطلقاً على الإمبراطور موريس⁽¹⁾. ويبدو أن شلدبرت انتهز هذه الفرصة لعرض قوته ونفوذه لاتباعه، وقد اكتسب ثروة ضخمة من الذهب البيزنطي لنفسه، ومنح الغنيمة لمحاربيه، ثم تحدى الإمبراطور البيزنطي. وفي هذه الحالة عقد شلدبرت التحالف مع حزب واحد (البيزنطيين)، وخرقه من أجل مصلحه أفضل، وأنشأ معاهدة سلام مع عدوه مره واحدة (اللمبارديين).

مما تقدم، يتضح أن الملك الفرنجي شلدبرت الثاني كان الفائز الأكبر من تلك المحاولة البيزنطية لاستعادة الأراضي الإيطالية من أياب اللمبارديين، أما الفائز الثاني فكان اللمبارديون الذين احتفظوا بكيان مملكتهم رغم توضيحتهم بالهدايا الثمينة، ولكن هذه الخسارة اهون بكثير من محو مملكتهم من الوجود. وأخيراً كان الخاسر الأكبر هو الإمبراطور البيزنطي، بل الخاسر الوحيد في تلك اللعبة السياسية، إذ خسر أموالاً طائلة كانت خزانة الدولة بحاجة إليها، كما أنه لم يحقق أي أهداف في الأراضي الإيطالية، ولم يضع في الاعتبار أن الملك الفرنجي إذ إخضع مملكة اللمبارديين فإنه كان سيضعها تحت سيطرته، ولن يقدمها للإمبراطورية البيزنطية كما كان متوقعاً.

أما عن الأسباب التي دفعت اللمبارديين إلى دفع الاموال الطائلة والهدايا الثمينة للفرنجة، فتتلخص في اضطراب الاحوال الداخلية في مملكة اللمبارديين، حيث أنه في الفترة التي تولي فيها أوثاري عرش المملكة، كان عدداً من الادواق اللمبارديين في فترة الشغور، تقربوا من الإمبراطور البيزنطي بل ومن ملوك الفرنجة كذلك، وكان من بين هؤلاء الدوق دركتولف Droctulphe، الذي هرب بعد تولي أوثاري العرش إلى مدينة برسكلو Brescello الواقعة على نهر البو، وتحالف مع البيزنطيين ضد أوثاري⁽²⁾. وكذلك الدوق مينولف Minuloph الذي ساعد الفرنجة خلال حملتهم العسكرية الرابعة

(1) Gregorii Turonensis: Francorum, p. 314; Paul the Deacon: Langobards, pp. 117-8.

(2) Barni, G : La Conquete de l'Italie, Paris, 1975, p.50; Oman, The Dark ages, p.192.

على اللباردين في عبور بعض المناطق الجبلية⁽¹⁾. بالإضافة إلى ذلك أنشغل أوثاري بمشاكل داخلية أخرى وهي ادعاء ابنة ألبوين المسماه ألبوسيندا Albsuindd باحقيتها بالعرش اللباردي بدلاً منه⁽²⁾.

ومع ذلك لم تكن قوة شلدبرت بالدرجة التي تجعله يتجاهل مطالب الامبرطور البيزنطي المستمرة، الذي طالب بإعادة أمواله أو القيام بحملة أخرى ضد اللباردين، وقد ذكر جريجوري إن شلدبرت في العام التالي (585م) أرسل حملة فرنجية ثانية عبرت جبال الألب، بيد إنها سرعان ما انسحبت من إيطاليا مثل سابقتها، بعد أن لوح لها اللباردين بالمال والهدايا⁽³⁾. وهكذا فشلت هذه الحملة أيضاً.

وفي الواقع كان لدي الإمبراطور موريس سبب قوي يجعله واثقاً من إجبار الملك شلدبرت على تنفيذ وعده هذه المرة، وقد ارتبط ذلك بإشاعة وجود الأميرة انجوند شقيقة الملك شلدبرت وزوجة الأمير هرملجند القوطي ببلاط الإمبراطور البيزنطي وأن الإمبراطور يحتجزها عنده، ولكن حقيقة الأمر إن انجوند حاولت الهرب من إسبانيا إلى مملكة الفرنجة، لكن البيزنطيين قبضوا عليها وحملوها إلى القسطنطينية، فمرضت أثناء الرحلة، فتركوها في افريقية حيث ماتت، بينما واصل ابنها اثاناجيلد رحلته إلى القسطنطينية⁽⁴⁾، ووصل إلى بلاط الإمبراطور البيزنطي موريس ومات مغموراً هناك⁽⁵⁾. وقد أشيع أنه تم نقل الأميرة انجوند إلى بلاط الإمبراطور موريس⁽⁶⁾، كما حاولت والدتها برونهيلد

(1) Barni : La Conquete de l'Italie, p.50.

(2) Paul the Deacon: Langobards, p. 49.

(3) Gregorii Turonensis: Francorum, pp. 384-5; Dudden . Gregory the Great, I, p. 162.

(4) Oman : Dark Ages pp. 139-40;

أنظر أيضاً، الشيخ : الممالك الجرمانية، ص 82؛ محمد عبده حاملة: ايبيريا، ص 237.

(5) Oman : Dark Ages pp. 139-40;

أنظر أيضاً، الشيخ : الممالك الجرمانية، ص 82.

(6) Gregory of Tours: Franks, P.216; Paul the Deacon: Langobards, pp. 125-6

مراسلة الإمبراطور البيزنطي موريس من أجل إطلاق سراحها لكن دون جدوى⁽¹⁾، وأعتقد أيضاً الملك شلدبرت إنها لا زالت على قيد الحياة وتعيش في العاصمة البيزنطية؛ لذا وافق مباشرة على طلب الإمبراطور موريس وقام بحملة أخرى على مملكة اللومباردين مقابل أن تعود شقيقته إليه، وأخبر بذلك سفراء الإمبراطور موريس⁽²⁾. وطالما أن الخدعة متاحة في السياسة، فإن الإمبراطور موريس يستحق الثناء عليها لنجاحه في الحصول على مكاسب حقيقية من استغلال قضية الأميرة انجوند شقيقة شلدبرت، الذي سارع بتقديم الدعم لبيزنطة وشن حملات جديدة ضد المملكة اللومباردية.

ويبدو أن موريس لم ييأس من الفرنجة ويصد وجهه عنهم، رغم أنهم تقاعسوا عن الوفاء بما التزموا به، بدليل أنه أرسل سفارة من قبله يطلب انفاذ جيش آخر إلى إيطاليا لغزو اللومباردين، وما لبث شلدبرت الثاني أن جهز حملة ثالثة في حوالي سنة 587، بيد إنها لم تكد تجتاز جبال الألب، حتى دب النزاع داخل صفوفها، ويعود السبب في ذلك إلى أن قبائل الألماي التي انخرطت في سلك هذه الحملة هددت بالتوقف عن مواصلة الزحف، ما لم تحصل على حصة معينة من الغنائم المتوقع الحصول عليها، وما لم تستقل بالأقاليم التي ستنزعها لصالحها، ولكن قادة الفرنجة رفضوا الانصياع لمطالبهم، فانسحبت الأخيرة من الحملة، الأمر الذي ترتب عليه فشل هذه الحملة فشلاً تاماً⁽³⁾.

(1) Gregory of Tours: Franks, P.216; Reverdy: Les relations de Childebert II, pp.67-8.

(2) Gregory of Tours: Franks, P.216; Paul the Deacon: Langobards, pp. 125-6

(3) Paul the Deacon: Langobards, p. 126; Hodgkin: Italy, V, pp. 258-9.

شاركت قبائل الألماي في العديد من الحملات الموجهة إلى شمال إيطاليا، فقد قامت بمساعدة القوط الشرقيين من قبل، وذلك عندما أرسل القوط الشرقيين وفداً إلى الملك ثيودوبلد الفرنجي من أجل مساعدته ضد الجيش البيزنطي، وبالرغم من رفض ثيودوبلد إلا أن دوق الألماي لوثير ويوكلين وهما من أتباع ثيودوبلد قد وافقا على التحالف مع القوط ومقاومة البيزنطيين، فقد كان لقبائل الألماي العديد من المشاركات في الحروب على الشمال الإيطالي.. أنظر،

Agathias: The Histories, pp.13-4.

وفي أوائل صيف سنة 588م أنفذ ملك الفرنجة حملته الرابعة إلى إيطاليا، ولكن أوثاري تمكن من هزيمتها هزيمة ساحقة، أسفرت عن وقوع العديد من الفرنجة قتلى واسرى، فيما عدا قلة ضئيلة استطاعت الفرار بصعوبة⁽¹⁾، ويعلق بولس الشماس على هذه الهزيمة قائلاً: "ما يدهشني إن المؤرخ سيكندوس Secundus الذي كتب الكثير عن المعارك التي خاضها اللومبارديين، أهمل تماماً ذكر أحداث هذا الانتصار الذي أحزه اللومبارديين على الفرنجة"⁽²⁾.

ولعل من أهم الأسباب التي أدت إلى فشل هذه الحملة الفرنجية وانتصار اللومبارديين، انتشار الفوضى داخل صفوفها، وتفاقم النزاع بين قوادها، في الوقت الذي أحس فيه اللومبارديين أن وجودهم بإيطاليا بات مهدداً بالفناء فاستعدوا بالتصدي لهذه الحملة، كما أنهم حاربوا ببسالة، ومن ناحية أخرى، وقع الفرنجة في خطأ كبير، تمثل في احتقارهم لقوة اللومبارديين، الذين لم يتمكنوا من مقاومتهم قبل ذلك. هذا ويعتبر الانتصار الساحق الذي أحرزه أوثاري على الفرنجة أهم حدث في عهده⁽³⁾. ويطلق جريجوري على هذه الهزيمة إنها الأسوأ للفرنجة ويمكن أن يتذكرها أي شخص⁽⁴⁾. والجدير بالذكر أن الإمبراطور موريس أخذ يصب جام غضبه على الأكسارخ سماراجدوس لتأخره عن تقديم المساعدة الحربية للفرنجة، فضلاً عن السياسة الدينية التي نهجها هذا الأكسارخ بإيطاليا، وكادت أن تهدد الكنسية بانشقاق حقيقي، ونتيجة لذلك استدعاه إلى القسطنطينية، وعين بدله رومانوس في سنة 589م⁽⁵⁾.

(1) Paul The Deacon: Langobards, p.137;Hodgkin: Italy, V, p . 260; Reverdy: Les relations de Childebert II, p.78.

(2) Paul The Deacon, Langobards, p.137.

(3) Hodgkin: Italy, V, p . 260 ; Villari: The barbarian Invasions., II . p . 292

(4) Gregory of Tours: Franks, P.219.

(5) Villari , The barbarian Invasions II , p . 292 ;

أنظر أيضاً: الحويرى: اللومبارديون، ص72.

ويرى المؤرخ ديدن Dudden أن سماراجدوس دهمه مرض سنة 589م، استلزم سفره

إلى القسطنطينية. انظر، ؛ 161 p, I, Dudden, Gregory the Great,

أنظر أيضاً: الحويرى: اللومبارديون، هامش ص72.

ومن الجدير بالذكر، أن المؤرخ البيزنطي ثيوفانس Theophanes - الذي يعد أهم المصادر البيزنطية في القرن السادس الميلادي - لم يسجل أحداث تلك الفترة المتعلقة بالحرب بين الفرنجة واللمباردين، إلا قوله عندما ذكر في أحداث السادس من شهر سبتمبر عام 588م اندلعت حرب بين اللمباردين والرومان، ولم يشير إلى مشاركة الفرنجة في هذه الحرب ضد اللمباردين⁽¹⁾.

وقد حاول الملك أوثاري التحالف مع الفرنجة عن طريق الزواج، فأرسل إلى الملك شلدبرت الثاني يطلب يد شقيقته كلودوسندا للزواج، وقد وافق شلدبرت بالفعل على الخطوبة، ولكن للأسف الشديد ما لبث شلدبرت أن نكث بوعده بعد أن وصلته سفارة من مملكة القوط الغربيين تطلب يد شقيقته لملكهم ريكاردو الأول (586-601م)، فوافق شلدبرت. ودفعه إلى ذلك أن القوط الغربيين آنذاك صاروا مثل الفرنجة على المذهب الكاثوليكي، في حين ظل اللمباردين على آريوسيتهم⁽²⁾.

وقد أدى رفض الملك شلدبرت الثاني لأوثاري إلى إشعال نيران الحرب بين اللمباردين والفرنجة، حيث سرعان ما أرسل أوثاري سفارة إلى جارييلد الأول (555-591م) دوق بافاريا الذي يدين بالتبعية لملك الفرنجة يطلب يد ابنته الجميلة ثيودويلندا Theudelinda للزواج، فوافق⁽³⁾. وما أن وصلت أنباء الخطوبة لشلدبرت ملك الفرنجة، وأدرك ماستجره من تحالف بين اللمباردين

(1) Theophanes: The Chronicle of Theophanes The Confessor, Byzantine and Near Eastern History AD 284-813, trans. by Mango, C. & Scott, R., (Oxford. 1997), p.384.

(2) Gregory of Tours: Franks, P.211; Paul the Deacon: Langobards, p.136;

أنظر أيضاً، الحويرى: اللومبارديون في التاريخ والحضارة، ص 68.

وأيضاً الفصل الثالث خطوبة ريكاردو وكلودوسندا.

(3) Paul the Deacon: Langobards, pp.137-8; Reverdy: Les relations de Childebert II, p.75.

والبافاريين، يشكل خطراً على مملكته، ثارت ثائرتة⁽¹⁾. ومن الأسباب أيضاً التي أدت إلي تضايق شلدبرت إن ثيودويلندا كانت مخطوبة له من قبل⁽²⁾.

ويرى البعض أن السبب الذي من أجله طلب أوثاري يد ثيودويلندا كان سياسياً بالدرجة الأولى، ومن شأنه أن يخدم مصالحه، إذا كانت العلاقات بينه وبين الفرنجة أخذت طابعاً عدائياً بعد أن رفض الفرنجة طلبه، الأمر الذي جعله يضع في اعتباره الاستفادة من دوقيه بافاريا المتاخمة لحدود مملكة الفرنجة⁽³⁾، خاصة أن شقيقة ثيودويلندا كانت زوجة إيوين دوق ترنت⁽⁴⁾، مما سوف يهيئ لعقد تحالف مع البافاريين ضد الفرنجة. وهكذا نجد أن أوثاري قد حاول استخدام السلام مع الفرنجة عن طريق الزواج السياسي، ولكن هذه الطريقة فشلت، فتزوج من ابنة دوق بافاريا القريب من مملكة الفرنجة للاستفادة منهم.

وإن كان المؤرخ هودجين يرى أن الدافع القوي لزوج أوثاري من ثيودويلندا، يتمثل في ارتباطها ببيت ليشنجي اللباردي العريق، فهي تنحدر من جهة أبيها إلي شعب الماركوماني المحارب، ومن جهة أمها إلي ملوك اللبارديين القدماء، فوالدتها (والديرادا)⁽⁵⁾ ابنة الملك واكو، الذي حكم مدة طويلة في بانونيا⁽⁶⁾.

(1) Villari: The barbarian Invasions of Italy, II , p . 293 .

(2) Paul the Deacon: Langobards, p.138.

(3) Villari: The Barbarian Invasion of Italy, pp.292-3.

(4) Paul the Deacon: Langobards, pp.104-5.

(5) والديرادا : تعد والديرادا ابنة الملك واكو، وزوجة الملك ثيودوبلد الأول، الذي استولى كلوثر الأول (511-561م) علي مملكته وارملته والديرادا، ولكن كلوثر تحت ضغط الاساقفة وافق على عدم الزواج من أرملة ثيودوبلد، واضطر ليعطيها لجارييلد الأول (591-555م) Garibald I دوق بافاريا Bavaria الذي تزوجها وانجب منها ثيودويلندا الجميلة. أنظر،

Gregory of Tours : Franks , P.79.

(6) Hodgkin : Italy, V,p. 285 .

وكان رداً على هذه الخطوبة بين اللمباردين والبافاريتين أن قام شلدبرت الثاني بانفاذ جيش ضد دوقية بافاريا، الذي نجح في الاطاحة بجارييلد الأول، وعندئذ لاذت ثيودويلندا بالفرار مع شقيقها جندوالد Gundold إلى إيطاليا. ولما بلغت سهل لوجو دي جاردا Lago di Garda الواقع بالقرب من مدينة فيرونا Verona، ارسلت إلى أوثاري تنبئه بوصولها، فأتى من فوره ترافقه حاشية ضخمة، حيث عقد قرانه عليها في 15 مايو سنة 589⁽¹⁾. أما عن مصير جارييلد فإنه غير واضح هل اطيح به فقط؟ أم قتله شلدبرت، ولسنا نعرف هل هناك علاقة بتاسيلو (609-591م) الذي تولى بعده دوقية بافاريا أن لم يكن ابنه، ولكن من المؤكد وجود علاقة وثيقة بينهما.

ونأتي إلى آخر الحملات التي وجهها شلدبرت الثاني إلى مملكة اللمباردين وأخطرها على الإطلاق، ونعنى بها الحملة الخامسة سنة 590م. ويبدو أن الفشل الذي منيت به الحملات الأربعة السابقة، زاد من غضبه ورغبته في القيام بعمل حاسم ضد اللمباردين، ولهذا جهز حملته هذه المرة بعناية فائقة، كما اتفق مع الاكسارخ الجديد رومانوس (596-589) على القيام معاً بهجوم على بافيا عاصمة اللمباردين، والقاء القبض على أوثاري⁽²⁾، ويبدو أن رومانوس أراد أن يثبت وجوده في إيطاليا قبل أن تصل الجيوش الفرنجية، إذا بدأ بهجوم واسع على الأراضي اللمباردية، أسفر عن استيلائه على مدن مودينا Modena وألتينو ومانتوا⁽³⁾.

(1) Paul the Deacon: Langobards, p. 140 ; Reverdy: Les relations de Childebert II, p.75.

(2) Dudden, Gregory the Great, I, p. 162 ; Oman : Dark ages, p. 192 .

(3) Hodgkin . Italy, V p. 271 ; Dudden , I, p. 162; Thompson , Middle ages ,I. p.169;

وفي تلك الأثناء، أخذت الحملة الفرنجية طريقها إلى إيطاليا، وقد جرى تقسيم جيشها الضخم إلى ثلاث مجموعات كبيرة، الأولى بقيادة الدوق أودوفالد Audovald، والثانية تحت زعامة الدوق أولو Olo، والثالثة على رأسها الدوق شدين Chedin⁽¹⁾، ورغم ضخامة هذا الجيش، إلا أنه منذ بداية تحركه يكشف لنا الظروف المختلفة التي تحكمته في توجيهه. إذ كان في الواقع يفتقر إلى التنظيم، ويعوز قواده قوة الشخصية والبراعة، في الوقت الذي كان ضباطه قليلي الخبرة والتدريب، وأبلغ دليل على ذلك، أنه ما كاد هذا الجيش ينطلق من شامبني، حتى يتورط في ارتكاب كثير من أعمال العنف والقتل والفوضى والنهب في ميتز Metz عاصمة مملكة أوستراسيا قبل أن يصل إلى جبال الألب، وكأنه قد جهز للقيام بأعمال عدائية ضد بلده⁽²⁾. ولم يلبث الجيش الفرنجي أن عبر جبال الألب إلى إيطاليا، وأخذ ينهب ويخرب المدن الآمنة الواقعة في طريقه إلى أن توزعت مجموعاته الثلاثة، فعسكر أودوفالد أمام أسوار ميلان، وزحف أولو إلى بيلنزونا Bellinzona، وهبط شدين في وادي الأديج، حيث هدد فيرونا⁽³⁾، وبينما كان أولو محاصراً لبيلنزونا أصابه رمح أراده قتيلاً، فانسحب رجاله من الحصار، وانضموا إلى المجموعتين الأخريتين⁽⁴⁾.

وكان أن اشتبك الفرنجة بقيادة أودوفالد مع اللومبارديين في معركة على الجانب الغربي من بحيرة لوجانو، انتصر فيها الفرنجة، ولكنهم عندما اقتحموا معسكر اللومبارديين فوجئوا به خالياً إلا من مخيمات منصوبة ونار موقدة⁽⁵⁾.

(1) Paul the Deacon: Langobards, pp . 141-2 ;

أنظر أيضاً: الحويرى: اللومبارديون، ص 73.

(2) Gregory of Tours: Franks, p.230;

أنظر أيضاً: الحويرى: اللومبارديون، ص 73.

(3) Gregory of Tours: Franks, p. 230 ; Hodgkin: Italy, V , pp. 267-8: Dudden:

Gregory the Great I. p. 163 ; Reverdy: Les relations de Childebert II, p.81.

أنظر أيضاً: الحويرى: اللومبارديون، ص 74.

(4) Paul the Deacon: Langobards, p . 142 .

(5) Gregory of Tours: Franks, pp.230 -1 ; Hodgkin :Italy,V, p. 268 .

ذلك أن اللبارديين وجدوا أنفسهم عاجزين عن حشود الفرنجة الضخمة التي تساندها القوات الإمبراطورية في إيطاليا، وعندئذ لم يجدوا وسيلة للخلاص سوى إخلاء معسكرهم والاحتفاء بمدنهم المنيعة، بهدف انهك عدوهم وتشتيت قواهم، فأغلق أوثاري على نفسه في بافيا، ولجأ الدوقات اللبارديين إلي تزويد قلاعهم بالمؤن، والانتظار داخل أسوارها حتى ينجلي الموقف⁽¹⁾.

ولعل أهم سبب دفع اللبارديين إلي اتخاذ هذا الاجراء، ما تردد من أنباء عن وصول قوات إمبراطورية لتعزيز موقف الدوق أودوفالد. وكان الاكسارخ رومانوس قد أبلغ أودوفالد أن قوات إمبراطورية في طريقها إليه خلال ثلاثة أيام، وحال وصولها ستعطيه إشارة بإشعال نار من أحد القصور القائمة فوق قمة تل مجاور⁽²⁾، وإذا كان أودوفالد يعلق آماله على هذه القوات، ومضت ستة أيام دون أن تظهر في الأفق الإشارة المتفق عليها، فقد دفعه اليأس من وصولها الي أن يحل معسكره، وينسحب خائباً بقواته إلي بلاده⁽³⁾.

أما جيش شدين، فقد نجح في الاستيلاء على عشر مدن في وادي الأديج، واثنين في فال سوجانا Val Sugana، وواحدة بالقرب من فيرونا⁽⁴⁾. ولكن فيرونا استعصت عليه، إذ استطاعت أن تقاوم الحصار الذي فرضه شدين عليها طوال ثلاثة شهور، قاسى جنده خلالها مناخا لم يألوه، كما أن المجاعات والأوبئة انتشرت بينهم، وفتكت الدوسنطاريا⁽⁵⁾ بالآلاف منهم، وازاء تلك

(1) Dudden , Gregory the Great I, p. 163 .

(2) Paul the Deacon: Langobards, pp. 142-3 .

(3) Gregory of Tours: Franks, p . 231; Dudden , Gregory the Great, I , p. 163 .

(4) Paul the Deacon: Langobards, pp. 143-4 ; Reverdy: relations de Childebert II, p.82.

(5) الدوسنطاريا: أو الزحار الاميبي هو أحد انواع الأميبا الطفيلية التي تصيب امعاء الانسان، وتتغذى علي الغشاء المخاطي للامعاء بإفراز انزيم يذيبه، كما تتغذى على السكريات الدموية التي تنزف منه مسببه مرض الدوسنطاريا، وقد تسير في الدم إلى الكبد وتكون خراجات فيه. وتحدث عن طريق الطعام الملوث، ومن اعراضها الاسهال المزمن المصحوب بنزول دم في البراز، كما تسبب التهاباً في البريتون وتسبب الوفاة. انظر،

إتناميا_الدوسنطاريا <https://www.marefa.org>

المصاعب اضطر شدين الي رفع الحصار، وشرع في الانسحاب من إيطاليا في أغسطس من نفس العام (590م). وفي أثناء العودة سقط العديد من الجند من شدة الاعياء والتعب، واضطر الكثير منهم إلى بيع ملابسه وأسلحته في سبيل الحصول على الخبز، في حين لم يجد البعض وسيلة تخلصه من آلامه إلا بالانتحار، واجمالاً لم يعد باقياً من هذا الجيش إلا قلة قليلة، استطاعت الوصول بمشقة إلى الحدود الجبلية، حيث اختفت عن الأنظار وسط الثلوج⁽¹⁾.

وهكذا انتهت الحملة الفرنجية الخامسة بالفشل، ولم يحقق الفرنجة اهدافهم المنشودة، إذ لم يتمكنوا من الثأر من اللباردين الذين انسحبوا إلى القلاع الأكثر مناعة وتحصيناً، كذلك لم ينجح الفرنجة في القبض على الملك أوثاري المتحصن خلف أسوار مدينة بافيا.

وهكذا فشلت محاولات الفرنجة في القضاء على مملكة اللباردين، تلك المحاولات التي جرت الوبال على إيطاليا، فأفقرت سهولها، ونهبت مدنها وقراها، وتلفت محاصيلها، ووقع كثير من رجالها ونسائها أسرى في أيدي الفرنجة، وكانت هذه آخر حملة فرنجية على اللباردين في عهد الإمبراطور موريس. وهنا نتساءل لماذا فشلت هذه الحملة التي لو نُفذت كما خططت لها، لكان من الممكن أن يكون لها نتائج خطيرة؟ ولماذا لم تصل القوات البيزنطية كما كان متفقاً عليه إلى جيش الفرنجة؟ وهل حقق التحالف البيزنطي الفرنجي الغرض منه أم لا؟

وحقيقة الأمر إن جيش الفرنجة بالرغم من القوة العددية الهائلة، إلا أنه كان يفتقر إلى القيادة الحازمة، الواعية والخبيرة، التي تجبر الجيش على اتباع النظام والتخلي عن عادة التخريب والسلب والنهب بالقرب من مبرز، عاصمة اوستراسيا، وفشلت هذه القيادة اجبار اللباردين على الاشتباك في الحرب والتخلي عن الاحتماء بمدنهم المنيعة، كما أن جيش أولو، بسبب عدم حذر

(1) Gregory of Tours : Franks , pp . 231-2 ; Hudgkin: Italy,V, pp. 268-9 ; Dudden. I, pp. 163-4; Reverdy: Les relations de Childebort II et de Byzance, p.83.

أولو، أصيب برمح من الاعداء ومات، مما ترتب على ذلك من تشتت جيشه، وأن يقال إنه انضم إلى جيش أودوفالد، وجيش هذا الأخير عندما لم يصل الاكسارخ رومانوس انسحب إلى بلاده، وهذا إن دل على شيء، فإنه يدل على أن جيش رومانوس كان له أهمية كبيرة بالنسبة للفرنجة. أما جيش شدين فقد نجح في الحصول على بعض المكاسب، ولكن انتشار الاوبئة والمجاعات قضى على هذه المكاسب، وكثيرون يحملون الاكسارخ رومانوس العبء الأكبر لفشل هذه الحملة، لأنه لم يصل إلى جيش الفرنجة، كما كان متفقاً.

وهنا نلاحظ أن اللباردين لم يتأثروا كثير بسبب حملات الفرنجة، وبمعنى آخر لم تلحق بهم خسائر جسيمة، إذ احتفظ الملك أوثاري بكنوزه سليمه في بافيا، وتحصن الدوقات داخل أسوار مدنهم الحصينة، في حين وقع الغرم كله على السكان الرومان، إذ عاملهم الفرنجة معاملة الأعداء، مع أنهم أتو إلى إيطاليا بغية تخليصهم من اللباردين⁽¹⁾. ونستخلص ذلك من خطابين أرسلهما الاكسارخ إلى شلدبرت يشكو فيهما من عجز الفرنجة في الحرب، ومن معاملتهم القاسية للولايات الرومانية، وشكى الاكسارخ من شدين الذي عقد هدنة مع اللبارد لمدة عشر شهور بدون مشورة الاكسارخ، وترك فرصة الحصول على الغنائم، وسار فجأة خارج إيطاليا⁽²⁾. ويبدو ان الاكسارخ بسبب تصرف شدين هذا شعر بعدم الثقة في الفرنجة، لذلك لم يصل اليهم.

ويتضح مما سبق أن التحالف البيزنطي الفرنجي لم يقم على دعائم راسخة منذ بدايته ولم يحقق الهدف الذي عقد من أجله، إذ كانت تزلزله في الواقع الشكوك المتبادلة بين الطرفين، وإتهام كل منهما للآخر بالعمل لمصلحته⁽³⁾، وينبغي ألا يفوتنا أن مملكة الفرنجة آنذاك كانت تمر بدور انحلال بطيء، الأمر الذي سهل على أوثاري اسقاط عرى هذا التحالف، ومع ذلك، فقد لقي بعض الهزائم على أيدي

(1) Dudden , Gregory the Great, I, p. 164 .

(2) Hodgkin: Italy, V, pp. 271-3.

(3) موسى : ميلاد العصور الوسطى، ص 215 - 216 .

القوات الإمبراطورية بقيادة الاكسارخ رومانوس، فضلاً عن سقوط مدن مودينا وألتينو ومانتوا في يده، واستطاع الاكسارخ أيضاً أن يعيد إلى الامبراطورية مدن بارما وريجيو وبياكزا الهامة، وكان بوسعه أن يواصل انتصاراته على اللمباردين، ولكن انسحاب الفرنجة من إيطاليا لم يضع حداً لها فحسب، بل لم ينقضي وقت طويل حتى عادت هذه المدن إلى حوزة اللمباردين مرة أخرى⁽¹⁾.

وإجمالاً كان التحالف البيزنطي الفرنجي مقضياً عليه بالفشل، بدليل أن أوثاري عمل على قطع جذوره تماماً عندما أرسل سفارة من قبله إلى جونترام ملك الفرنجة وعم شلدبرت الثاني يطلب عقد اتفاقية صلح وسلام معه قبل نهاية صيف عام 590، في الوقت الذي وصلت الأخبار بوفاة أوثاري فجأة في عنفوان شبابه في بافيا في 5 سبتمبر من نفس العام⁽²⁾، ولقد رأى الفرنجة إنه من الأفضل التحالف مع اللمبارد لأن مصالحهم تأييد اللمبارد كحاجز قوى بين الفرنجة والامبراطورية. فقد كان الغرب بالنسبة للامبراطورية ورث قديم، وإن الرومان اعداء لكل الامم الجرمانية يسعون دائماً لضرب احدهما بالآخر بالاضافة إلى أن الامبراطورية لها مطالب في بلاد الغال ليست خافية. لهذا كله ابرمت معاهدة صلح مع خليفة أوثاري - اجيلولف Agilulf - في سنة 591م والفرنجة⁽³⁾.

وهكذا يتضح لنا أن فشل مشروع المصاهرة بين اللمباردين والفرنجة، والتي كان من أسباب عقدها التحالف السياسي عن طريق الزواج، ولكن رفضها كاد أن يكون سبباً في القضاء على مملكة اللمباردين واستكمال الحملات الفرنجة على مملكة اللمباردين التي كادت أن تقضي عليها. ولكن لم يفوز شلدبرت بالكثير من وراء هذه الحملات فقد خسر الكثير من جنوده الذين ماتوا اثناء هذه الحملات. بل ان شقيقته كلودوسندا لم تتزوج ريكاردو ملك القوط الغربيين، فقد فشل مشروع الزواج بين القوط الغربيين والفرنجة أيضاً.

(1) Dudden, Gregory the Great, I p. 165 .

(2) Gregory of Tours : Franks , P. 232; Hodgkin :Italy,V,p. 275 .

(3) Paul the Deacon: Langobards, p. 151 ;

أنظر أيضاً: الحويرى: اللومبارديون، ص 77-78.

* أدلوالد وابنة ثيودبرت الثاني:

توفي أوثاري ملك اللمباردين عام 590م دون أن يترك ولداً يخلفه على العرش، وكادت أن تظهر فترة شغور أخرى في المملكة اللمباردية. ولكن الدوقات اللمباردين كانوا قد أفادوا تماماً من التجربة المريرة التي عاشوها من قبل. وفي هذه المرة تنازلوا عن حقهم في اختيار ملك جديد، وتركوه لثيودويلندا أرملة أوثاري. ويرجع السبب في ذلك إلى أنهم كانوا يجلسون مكانتها ويكونون لها اسمي حب، لحصافتها وخصالها الحميدة، ومن ثم استقر رأيهم على أن تظل ملكة عليهم بمنحها الحق في اختيار زوجاً لها -من بين الدوقات- جديراً بشغل العرش، خلفاً لأوثاري. وكان أن وقع اختيارها على "أجيلولف" الثورنجي Agilulf (590-616م) دوق تورين⁽¹⁾، لما تميز به من قوة وشجاعة⁽²⁾.

والواقع أن أهم ما تميزت به ثيودويلندا آنذاك هو حماسها الزائد للكاتوليكية وترسيخها بين قومها، ولذلك يقترن اسمها بانتشار المذهب الكاثوليكي في تاريخ مملكة اللمباردين⁽³⁾. ورغم جهودها ومثابرتها في هذا الشأن، إلا إنها لم تنجح في التأثير على زوجها السابق أوثاري باعتناقه، بل بلغ الأمر به أن أصدر مرسوماً في ربيع سنة 590م، منع بموجبه تعميد أبناء

(1) تورين: هي مدينة إيطالية تقع في شمال غرب إيطاليا علي الضفة الغربية لنهر البو، وهي عاصمة لمقاطعة تورين، وتعد رابع المدن الإيطالية من حيث المساحة، وتشتهر بالكثير من المباني الأثرية والكنائس، كما إنها مدينة تجارية وثقافية هامة. انظر،

Moore : Encyclopedia of Places, p.748.

(2) Paul the Deacon: Langobards, p.149; Hodgkin:Italy, Vol. V, P. 281; Oman, The Dark Ages, P. 193;

انظر أيضاً: الحويرى: اللومبارديون، ص 77.

(3) الحويرى: اللومبارديون، ص 77.

اللمبارديين على المذهب الكاثوليكي. كذلك فشلت جهودها الرامية إلى اقناع زوجها الثاني أجيلولف بالعدول عن المذهب الآريوسي، مع إنها صاحبة الفضل الأول في وصوله إلى العرش⁽¹⁾.

وعلى أية حال، لم يكد أجيلولف يتبواً عرش المملكة اللمباردية، حتى وجه اهتمامه إلى تعزيز روابط السلام والصداقة بينه وبين جيرانه البيزنطيين والفرنجة. فقام في عام 591م بارسال سفارة إلى بلاط شلدبرت الثاني (596-575م) ملك أوستراسيا وإلى عمه الملك جونتtram أيضاً، وضمت تلك السفارة كلا من إيوين دوق ترنت واجنيلوس Agnellus أسقفها، الذي عهد إليه بصفة خاصة مهمة التفاوض مع الفرنجة حول اطلاق سراح الاسرى اللمبارديين، الذين ساقهم شدين معه في اعقاب حملته على إيطاليا سنة 590م. وكان أن نجحت السفارة في مهمتها، فعقد إيوين اتفاقية صلح مع الملك الفرنجي⁽²⁾، ولقد وافق الملك جونتtram على مطالب اللمبارديين بعدما فرض عليهم جزية سنوية تقدر بنحو 12 ألف قطعة ذهبية، ولقد استمر اللمبارديين يؤدون تلك الجزية حتى عهد الملك كلوثر الثاني (584-629م)⁽³⁾. وقد قدر لهذه الاتفاقية أن تدوم قرناً ونصف قرن، لم يتعكر صفوها إلا عندما استنجدت البابوية بالفرنجة لإنقاذها من خطر اللمبارديين⁽⁴⁾. أما عن أسباب نجاح تلك السفارة، ترجع إلى أن الدولة البيزنطية انشغلت عن اللمبارديين بحروبهم مع الفرس، وبالتالي لم يكن هناك أسباب تدفع الفرنجة لإرسال أي حملات أخرى، أو لرفض يد الصداقة الممدودة إليهم من اللمبارديين.

(1) Hodgkin, Italy, V, pp. 286-7.

انظر أيضاً: الحويرى: اللومبارديون، ص 77.

(2) Paul the Deacon: Langobards, p. 151 ; Hodgkin, Italy, V, pp. 286-7;

Reverdy: Les relations de Childebit II, p.83.

أنظر أيضاً: الحويرى: اللومبارديون، ص 77-78.

(3) Fredegar: The Fourth Book, PP.38-9.

(4) Hodgkin, Italy, V, pp. 286-7;

أنظر أيضاً: الحويرى: اللومبارديون، ص 78.

ومما يجدر ذكره، أن الملكة برونهيلد قامت بدفع الفدية الخاصة بالأسري للمباردين من الذهب الخاص بها، والموجود في خزانها الملكية⁽¹⁾. ولا شك أن تدهور الأوضاع الداخلية وعدم الاستقرار داخل الممالك الميروفنجية، والنتائج عن سوء العلاقات بين ملوك الفرنجة، والتي انتهت إلى نشوب حرب أهلية بينهم، كان من أهم الأسباب التي أجبرت الفرنجة على قبول عقد السلام مع اللومباردين⁽²⁾.

كما قام أجيلولف بعقد اتفاقية سلام مع البيزنطيين لمدة عام، وذلك في عام 599م، تعهد بمقتضاها نائب الإمبراطور بدفع خمسمائة قطعة ذهبية سنوياً إلى اللومباردين⁽³⁾. وقد تم هذا السلام نتيجة جهود البابا جريجوري الأول⁽⁴⁾ Gregory I (590-604م) لإرساء السلام بين الطرفين⁽⁵⁾.

(1) Paul the Deacon: Langobards, p. 151 ; Reverdy: Les relations de Childebert II, p.84.

(2) Oman, The Dark Ages, p.194.

(3) Paul the Deacon: Langobards, pp. 154-5 .

(4) البابا جريجوري الأول: ولد جريجوري الأول عام 540م في أسرة رومانية نبيلة، وظهر نزعة دينية ولا نعرف عن فترة صباه إلا القليل منها أنه تلقى تعليمه علي الطريقة الكلاسيكية التي هي الفنون السبعة الحرة، وقد شغل منصب والي المدينة Praefectus Urbi وهي أعلى وظيفة في مدينة روما، وقد ترك جريجوري هذا المنصب وألتحق بالدير راهباً علي النظام البندكتي، وبعد وفاة البابا بلاجيوس الثاني عام (590م) اندفع سكان روما إلي بوابة الدير مطالبين جريجوري بتولي كرسي البابوية حتى اذعن جريجوري لرغبتهم الامر الذي ترتب عليه ترسيمه لمنصب البابوية في سبتمبر من عام 590م. انظر، وفاء الغزالي: السياسة الخارجية لمملكة الفرنجة، ص 140-141.

(5) Paul the Deacon: Langobards, p. 155; Hodgkin, Italy, V, pp. 415-6.

لم يتدخل البابا جريجوري في إقرار الصلح من تلقاء نفسه وإنما بعد الحاح شديد من قبل الإمبراطور موريس بعد أن أدرك صعوبة ما تعانيه الإمبراطورية البيزنطية في ذلك الوقت من جراء حروبها ضد الآفار والسلاف علي حدود أندانوب إلي جانب ثورات العبيد. أنظر،

Paul the Deacon: Langobards, pp. 154-5 ;

انظر أيضاً: أسامة زكي زيد: اللومبارديون وعلاقاتهم السياسية بالقوى المجاورة في ضوء كتابات بولس الشماس (568-774)، الاسكندرية، ط 1987، هامش ص 34.

يتضح مما سبق إن الملك جونترام توفي عام 592م، وورث شلدبرت الثاني بن شقيقه مملكته، وذلك طبقاً لمعاهدة أندلوت Andelot التي تم عقدها عام 587م بين جونترام وشلدبرت الثاني⁽¹⁾، وقد عاش شلدبرت بعد وفاة جونترام لمدة أربع سنوات فقط، وتوفي فجأة عام 596م، تاركاً ولدين صغيرين كخلفاء له؛ ثيودريك الثاني (596-613م) الذي استلم مملكة برجنديا، وثيودبرت الثاني (596-612م) حصل على مملكته أوستراسيا⁽²⁾، وكان يوجد معهم كلوثر الثاني (629-584م) ملك نوستريا⁽³⁾.

وقد استمر الصراع والتنافس بين هؤلاء الملوك، كما كان من قبل، على الرغم من إن هؤلاء الملوك الثلاثة كانوا لا يزالوا قصر في عام (596)، وقد اقتادتهم المنافسة إلى صنع التحالفات السياسية ضد بعضهم البعض، مع كل واحد من الملوك الفرنجة الآخرين ومع القوى الخارجية كذلك، كما كان آبائهم واقربائهم الميروفنجيين من قبل. وكجزء من هذه المنافسة، حاول كلاً من ثيودريك وثيودبرت استخدام المصاهرات الأجنبية لتأكيد وتعزيز موقفهم الملكي، وحشد المزيد من دعم الاتباع لهم.

وتُعد حولية فريديجار المصدر الرئيسي للمعلومات عن الفرنجة بعد تاريخ جريجوري التوري، الذي ينتهي حوالي عام 590م⁽⁴⁾، ويكشف فريديجار عن

(1) معاهدة أندلوت: تم عقد هذه المعاهدة عام 587م بين الملك جونترام والملك شلدبرت الثاني، وكانت تهدف هذه المعاهدة إلى وضع حداً للخلافات بين جونترام وشلدبرت الثاني، ونصت على الإبقاء على جميع أموال الكنائس كما هي، كما قررت ألا يقف أي من الملكين شلدبرت الثاني وجونترام بجانب ضد الآخر، كما أكدت تلك المعاهدة على السلام الذي كان سائداً بين شلدبرت الثاني وجونترام، كما إنها أكدت على حصول شلدبرت على جميع أملاك الملك سيجبرت كما كانت قبل وفاته، وجعلت تلك المعاهدة من شلدبرت الثاني وريثاً لمملكة جونترام بالكامل بعد وفاته. لمزيد من التفاصيل أنظر،

Gregory of Tours : Franks , p. 213.

(2) Fredegar: The Fourth Book, p.7.

(3) Fredegar: The Fourth Book, p.5.

(4) M. Wallace-Hadrill, ed. and trans., See the introduction of The Fourth Book of the Chronicle of Fredegar.

نفس النوع من الدوافع لتصرفات اجيال ملوك الفرنجة الميروفنجيين السابقين. كما أن وفاة أحد ملوك الفرنجة سابقاً شجعت الملوك المتبقين في محاوله للاستيلاء على أراضي الملك المتوفي، كما حدث عند وفاة شلدبرت الثاني، حيث استولى كلوثر الثاني على باريس وعدد من المدن الأخرى⁽¹⁾. وبعد أربع سنوات (عام 600م)، اتحد كلاً من ثيودريك وثيودبرت لمهاجمة كلوثر الثاني، والدفاع عن أنفسهم وعن ممالكهم، واستعادوا أراضيهم واستولوا على بعض الأراضي من كلوثر⁽²⁾. وقد حُسم ذلك الصراع بواسطة الاتفاقيات وبالطرق التقليدية لتقسيم الأراضي بين ملوك الفرنجة، والتي اعتبرت كلوثر الشريك الأصغر على الرغم من أنه الأكبر سناً. وهكذا نجد أن تلك الفترة صراع وتنافس بين ملوك الفرنجة، تلك المنافسة التي اقتادتهم إلى صنع التحالفات السياسية مع القوي الخارجية ضد بعضهم البعض.

لقد كانت الرغبة في السيادة بين الملوك الميروفنجيين مثل التحالف الطبيعي لأبناء شلدبرت الاثنین ضد ابن شلبريك ولكنها لم تدم. وقد يكون التعاون بينهم بدأ يتفكك على حدا، عندما اجبرت جدتهم برونهيلد لمغادره بلات ثيودبرت إلى بلات ثيودريك في عام 599م⁽³⁾،

(1) Fredegar: The Fourth Book, P. 12.

(2) Fredegar: The Fourth Book, p. 13.

(3) كان السبب في مغادرة برونهيلد لبلات ثيودبرت هو رغبتها في السلطه وصراعها ضد النبلاء، الذين قاموا بتحريض الملك ثيودبرت ضد جدته برونهيلد، مما كان سبباً في العداء بين برونهيلد وثيودبرت الثاني، وانتهى الامر بترك برونهيلد لمملكة ثيودبرت وذهابها إلى حفيدها الآخر ثيودريك الثاني في برجنديا، كما كانت الملكة برونهيلد أيضاً سبباً في ضياع السيطرة علي مملكة نوستريا لكلا من ثيودريك الثاني وثيودبرت الثاني، حيث عملت علي استمرار العداء بين الاخوين وتحريضهم ضد بعضهم البعض، بل إنها ادعت أن ثيودبرت الثاني ليس شقيقاً لثيودريك الثاني بل أنه ابن محظية؛ لذلك ليس من المفروض أن يشاركه في أملاك أبيه... للمزيد أنظر، سعيد محمد طه محمد: مملكة الفرنجة في عهدي كلا من كلوتير الثاني وابنه داجوبير الأول، ص 50-51.

ولكن لا يزال يعمل كلا الملكين معاً ضد كلوثر، وفي حملتهم ضد الغاسقويين⁽¹⁾ Gascons⁽²⁾.

ويُعد كتاب بولس الشماس مصدرنا الوحيد لخطبة ابنة ثيودبرت الثاني إلى الأمير ادلوالد Adaloald (616-626م)، بن اجيلولف ملك اللمبارد، وهي عبارة عن إشارة وجيزه في تاريخ بولس الشماس⁽³⁾، ولكن تناسب بشكل جيد في محيط اوائل عام 604م. فقد ذكر بولس الشماس الخطوبه قائلاً: "في شهر يوليو تم تنصيب ادلوالد ملكاً على اللمباردين خلال حياة والده، وذلك في المدرج الروماني في ميلان Milan، وحضر ذلك مبعوثي الملك ثيودبرت ومعهم "السلام الدائم"، الذي تم تأكيده ورتبوا لخطوبه ابنة ثيودبرت إلى الأمير ادلوالد، وتم تأكيد السلام مع الفرنجة"⁽⁴⁾. وهكذا نجد أن بولس أشار إلى أن الخطوبه

(1) الغاسقويين: أو منطقة غاسقونيا تقع في جنوب غرب فرنسا في المنطقة بين منابع إيبرا le ebre وخليج بسكاي، أما الغاسقويين أو الباسك (البشكنس) Basques هم الشعوب التي قطنت جبال البرانس، ويطلق عليهم بالاسبانية Bascos، أو vascongados، ويطلقون هم على أنفسهم اسم Euskaldunk، يعيشون في إسبانيا وفرنسا في المناطق المحاذية لخليج باسكاي، ويتجمعون في التلال الغربية لجبال البرانس. التاريخ المبكر للباسك ما زال موضوعاً للتكهن، إلا أن المصادر الرومانية تشير إلى وجود قبيلة فاسكوني Vascones في الأراضي المعروفة باقليم نافار. قاوم الباسك القوط الغربيين والفرنجة والنورمان، والمسلمين الذين احتلوا وادي الابر. ودخلوا في منازعات مع الفرنجة والقوط الغربيين علي حد سواء. وفي عام 602م أن أقام الباسك بتمرد ضد الفرنجة، ولكن استطاع كلا من الملك ثيودريك الثاني وثيودبرت الثاني من القضاء علي تمردهم. أنظر،

Fredegar: The Fourth Book ,p.14; Wood: The Merovingian Kingdoms, p.

175; Orton: The shorter Cambridge Medieval History., p. 157

(2) Fredegar: The Fourth Book ,p.14.

(3) Paul the Deacon: Langobards,p.173.

(4) Paul the Deacon: Langobards,p.173.

ليست وسيلة للسلام وإنما لتأكيدده. هذا السلام تم احرازه بالفعل، وكانت الخطوبة حقاً وسيلة لكلا الطرفين لإظهار المصاهرة المرموقة .

يتضح مما سبق إن ثيودبرت الثاني اتبع تقليد ثيودبرت الأول (حوالي 534-548م) الذي كان له علاقات زوجيه أيضاً مع اللمباردين، حيث أن ملوك الممالك الشرقية (اوستراسيا) كان لهم تقليداً طويلاً من التدخل في الشؤون الإيطالية، وقد استخدم ثيودبرت الثاني المصاهرة المرموقة مع اللمباردين لتأكيد نفوذه في مملكة الفرنجة بين منافسيه، وكذلك اجيلولف أيضاً عندما صاهر الفرنجة لتوطيد نفوذه في مملكته لنفسه ولابنه من بعده. وكان رداً على هذه المصاهرة مع اللمباردين أن قام ثيودريك الثاني ملك برجنديا بترتيب مصاهرة له مع القوط الغربيين في إسبانيا، وذلك لتأكيد نفسه اعظم ملوك الفرنجة، ولكي يوطد نفوذه ضد منافسيه أيضاً. وهكذا نجد الدور البارز للمصاهرات السياسية في مملكة الفرنجة وأهميتها في المنافسة بين الملوك الميروفنجيين.

* شارلمان ودسيدراتا:

للحديث عن زواج شارلمان ودسيدراتا لابد من تتبع العلاقة بين مملكة اللمبارديين ومملكة الفرنجة على مدار الفترة السابقة لهذا الزواج، وعرض هذه العلاقة، والحديث ايضاً عن تطور العلاقة بين مملكة الفرنجة والبابوية هذه العلاقة التي كانت سبباً في القضاء على مملكة اللمبارديين.

- العلاقات السياسية بين الفرنجة واللمبارديين:

ظلت العلاقات السياسية بين الفرنجة واللمبارديين سلمية بعد معاهدة السلام التي عقدها اجيلولف ملك اللمبارديين مع مملكة الفرنجة عام 591م، والتي قدر لها أن تدوم قرناً ونصف قرن من الزمان، ولم يتعكر صفوها إلا عندما استنجدت البابوية بالفرنجة لإنقاذها من خطر اللمبارديين كما سوف نذكر⁽¹⁾.

ففي عهد ادلوالد (616-626م) الذي تولى عرش مملكة اللمبارديين بعد وفاة ابيه الملك اجيلولف عام 616م، تحت وصاية امه الملكة ثيودويلندا، نجد أن العلاقة ظلت سلمية بين الممكنتين، حيث أرسل الملك ادلوالد عام 617م سفارة إلى كلوثر الثاني ملك الفرنجة يطلب منه الإعفاء من الجزية التي فرضها عليهم الملك جونترام من قبل عام 591م، ولقد نجحت سفارة اللمبارديين في تحقيق اهدافها بعدما وعد الملك الفرنجي كلوثر الثاني بإعفاء اللمبارديين من الجزية شريطة أن يتم دفع قيمتها لثلاث سنوات مرة واحدة⁽²⁾.

وهكذا يتضح أن اللمبارديين اختاروا الوقت المناسب من أجل طلب الإعفاء من الجزية، حيث كانت الدولة البيزنطية منشغلة عن إيطاليا؛

(1) Hodgkin, Italy, V, pp. 286-7.

(2) Fredegar: The Fourth Book, PP.38-9.

لمواجهة مخططات الفرس الهادفة للهجوم على القسطنطينية، وبالتالي من الصعب أن تقدم بيزنطة أي مساعدات للفرنجة، كما كان يعمل كلوثر الثاني على استقرار الأحوال الداخلية لمملكته بعدما دانت له مملكة الفرنجة بالكامل في عام 614م.

وفي عهد الملك اريولد Ariaold (626-636م) حافظ اللبارديين على علاقتهم الجيدة بمملكة الفرنجة، وتمثل ذلك في مساعدتهم للملك داجوبرت الأول (629-639م) في حربه ضد السلاف في عام 631م⁽¹⁾، راغبين من وراء ذلك عدم تكرار الأخطاء التي وقع فيها ملوك اللبارد الأوائل حينما اكتسبوا عداء الفرنجة. أما الملك داجوبرت من جانبه فقد حافظ على السلام السائد بينه وبين اللبارديين، ورأى أن العداء معهم ليس من مصلحته في شيء، خاصة أن حلفاء الفرنجة " البيزنطيين " كانوا منشغلين بمشاكلهم في المشرق في ذلك الوقت.

(1) Fredegar: The Fourth Book, PP.56-7.

تعرضت منطقة البلقان في عصر الإمبراطور هرقل (641-610م) لهجرات عناصر السلاف والآفار الذين أخذوا يعيشون فساداً في الأرض، وقد اغاروا على منطقة البلقان عام 614م، وقد ساعد كلوثر الثاني ملك الفرنجة الإمبراطور هرقل في صد غزو الآفار والسلاف للقسطنطينية عام 625م، وكان السلاف أو سلاف مورافيا تحت سيطرة الآفار، ولكنهم نجحوا بالاستقلال عنهم تحت حكم ملكهم سامو Samo، وذلك عندما قاموا بثورة ضد الآفار عام 623م بمساعدة كلا من البيزنطيين والفرنجة، وظلوا السلاف يدينون بالولاء للفرنجة نظير مساعدتهم حتى وفاة الملك كلوثر الثاني عام 628م، وبعدما اعتلى ابنه داجوبرت العرش عام 629م حاولوا استغلال وفاة كلوثر الثاني والانفصال عن مملكة الفرنجة، ولكن استطاع داجوبرت القضاء عليهم. للمزيد أنظر،

Fredegar: The Fourth Book, PP.56-7;

انظر أيضاً، وسام فرج: السلاف، ص 145؛ إسمت غنيم: الآفار، ضمن كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى، الاسكندرية 1994، ص 51؛ سعيد محمد طه: مملكة الفرنجة، ص 114-117.

وبعد وفاة اريولد تولى العرش روثير Rothair (636-652م) دوق برسكيا⁽¹⁾ Brescia، والذي تزوج جندبرجا أرملة سلفه، وكان ذلك الملك آريوسياً متعصباً فكان حانقاً على زوجته جندبرجا الكاثوليكية فقام بحبسها في إحدى غرف القصر الملكي حتى تكون بمعزل عن الآخرين، وقد أرسل إليه كلوفس الثاني ملك الفرنجة يطلب منه اطلاق سراحها، وقد وافق على ذلك بسبب العلاقات الطيبة بينهما، وقد كرست جندبرجا بقية حياتها للعبادة واعمال الخير⁽²⁾. وظل روثير يحكم حتى وفاته، وبعد وفاته عمت الفوضى والاضطرابات انحاء المملكة وغرق اللبارديين في الحروب الاهلية⁽³⁾.

ومهما يكن من أمر، فبعد وفاة روثير تولى عرش مملكة اللبارديين خلال فترة لا تزيد عن عشر سنوات أربعة ملوك هم رودوالد Rodoald بن روثير (652-653) الذي حكم خمس شهور وسبعة ايام⁽⁴⁾، ثم أريبرت الأول Aripert I (653-661) دوق استي Asti، وهو ابن جندوالد شقيق ثيودويلندا، ثم خلفه ابنه بركتاريت Perctarit وجودبرت Godebert اللذان حكما معاً، وهو أمر لم يحدث من قبل في مملكة اللبارديين، صحيح أن عادة تقسيم الملكة بين أبناء الملك المتوفي من الحقائق الأساسية في تقاليد الشعوب الجرمانية، وعلى وجه الخصوص الفرنجة، ولكنها بالنسبة لللبارديين كانت أمراً جديداً لم يألفوه من قبل، ويبدو إن أريبرت الأول قد ورث هذه العادة عن الفرنجة، حيث جده كان جارييلد الأول (555-591م) دوق بافاريا التابعة لمملكة الفرنجة، ويبدو أنه ورث عادة تقسيم الملك بين الأبناء عن الفرنجة. وعلى أية حال قد استقر بركتاريت في

(1) برسكيا: مدينة ايطالية تقع في سفوح جبال الألب في شمال إيطاليا في الطرف الأدنى من وادي ترومبيا Trompia، وتبعد عن ميلان مسافة 82 كم شرقاً، وهي عاصمة مقاطعة برسكيا في لمبارديا، واصبحت دوقية لمباردية بعد غزو اللبارديين لإيطاليا. انظر،

Moore : Encyclopedia of Places, p.123.

(2)Fredegar: The Fourth Book, PP.59-60; Hodgkin, Italy ,V, p. 166.

(3) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص250؛ الحويرى: اللومبارديون، ص 103

(4) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص250؛ الحويرى: اللومبارديون، ص 105

ميلان، في حين استقر جودبرت في بافيا. ولكن لم يستطيعوا الاستمرار معاً في الحكم، فاندلعت الحرب الأهلية بينهما⁽¹⁾.

وقد أنتهز جريموالد⁽²⁾ Grimwald (662-671م) دوق بنفتيو هذه الفرصة وأخذ يخطط للاستيلاء على عرش المملكة لإعادة توحيدها من جديد. واستطاع قتل جودبرت واستولى على العرش، ولكن بركتاريت استطاع الهروب إلى قبائل الآفار في سكثيا بمنطقة الدانوب طالباً حمايتهم. وطلب جريموالد من الآفار تسليمه بركتاريت ولكنهم رفضوا، ولكن في النهاية تخلى الآفار عن حماية بركتاريت وطلبوا منه مغادرة مملكتهم، وقد رجع بركتاريت إلى مملكة اللومبارديين طالباً العفو من جريموالد، ولكن هرب للمرة الثانية إلى كلوثر الثالث (673-657م) ملك الفرنجة⁽³⁾. وهنا تجددت العلاقات العدائية بين المملكتين مرة أخرى منذ معاهدة الصلح التي تمت عام 591م.

وكانت النتيجة أن أرسل كلوثر الثالث ملك الفرنجة جيشاً اقتحم إيطاليا من ناحية جبال الالب غير أن جريموالد استخدم الحيلة في صد الفرنجة، إذ تظاهر بالفرار امامهم، تاركاً معسكره في ريفولى غنيمة لهم. وفعلا انطلت الحيلة على الفرنجة، فدخلوا المعسكر الخالي واخذوا إلى الراحة. ومن ثم باغتهم جريموالد، وحدث في صفوفهم مذبحة مروعة لم ينج منها إلا القليل⁽⁴⁾.

(1) Paul the Deacon: Langobards, p. 205;

أنظر أيضاً، الحويرى: اللومبارديون، ص 105-106.

(2) جريموالد : هو ابن جيزولف Gisulf دوق فورم جولي Forum Julii، وبعد وفاة ابيه تولي عمه جراسولف Grasulf امر الدوقية فرحل جريموالد واخيه رودوالد الي بنفتيو Beneventum حيث دوقها اريكيس Arichis الذي توفي وترك ابنه آيو Aio تحت وصاية جريموالد واخيه رودوالد، وبعد وفاة آيو تولي رودوالد، وبعد وفاة رودوالد تولي امر الدوقية جريموالد. للمزيد انظر: Paul the Deacon: Langobards, pp. 188-200.

(3) الحويرى: اللومبارديون، ص 107، 110.

(4) Paul the Deacon: Langobards, p. 216.

انظر أيضاً: الحويرى: اللومبارديون، ص 110-111؛ اسامة زكى زيد: اللومبارديون، ص 34.

ورغم ذلك فإن العلاقات بين الفرنجة واللمباردين تحسنت كثيراً في أواخر عهد الملك جريموالد، وعقدت اتفاقية سلام بين الطرفين عام 671م، كان من أهم بنودها أن يوافق كلوثر الثالث على طرد بركتاريت خارج مملكته. وعندئذ اضطر الأخير أن يغادر مملكة الفرنجة واتجه إلى مدينة كنت⁽¹⁾ Kent بالجزيرة البريطانية في حماية ملك السكسون⁽²⁾.

ظل الملك جريموالد يحكم مملكة اللومباردين لمدة سبع أعوام حتى وفاته عام 671م. وتولى عرش المملكة بعده بركتاريت (688-671م) الذي كان هارباً، وظل يحكم لمدة سبعة عشر عاماً بعد أن أشرك معه في الحكم ابنه كانينكبرت Canincepert (688-700م) منذ العام الثامن لحكمه. وظلت العلاقات بين الفرنجة واللمباردين في هدوء تام طوال تلك الفترة. وظل كانينكبرت يحكم بعد وفاة والده حتى وفاته عام 700م.

وفي عهد الملك ليتوبراند Liutprand (712-744م) ظلت العلاقات بين اللومباردين والفرنجة طبيعية للغاية، فقد كانت تربط الملك ليتوبراند صلات

(1) مدينة كنت : هي مقاطعة في جنوب شرق لندن، تقع بين نهر التيمز والقناة الإنجليزي. وهي من أول المناطق التي احتلها الرومان. من أبرز مدنها ميدستون، كانتبري، روتشستر، ودوفر وهي أحد أهم موانئها. ويُعد فولكستون من موانئها الهامة الأخرى. ولمدينة كانتبري أهمية كبيرة بالنسبة للبلاد، فيعتبر رئيس أساقفة كانتبري هو رئيس كنيسة إنجلترا. تجاور المقاطعة كلاً من شرق سسكس، وسوري، ولندن العظمى، وإسكس. وتقع في وسط نهر تيمز. كما تجاورفرنسا بشكل ضئيل. أتى اسم المدينة من مملكة كنت القديمة الانجلوسكسونية. انظر،

Moore : Encyclopedia of Places, pp.412-13.

(2)Paul the Deacon: Langobards,p.216.

أنظر أيضاً: اسامة زكي زيد: اللومبارديون، ص35.

المودة والصداقة مع شارل مارتل⁽¹⁾ (714-741م) رئيس البلاط والحاكم الفعلي في مملكة الفرنجة. ومما يؤكد على متانة هذه الصلات إن شارل مارتل بعث بابنه بين Pepin عند بلوغه مرحلة الرجولة إلى الملك ليتوبراند، ليقلده سيف الفروسية ويقص شعره طبقاً للعادة الجرمانية، فشملة برعايته، وأعادته إلى وطنه محملاً بالهدايا⁽²⁾.

وفي عام 737م أرسل شارل مارتل مبعوثيه إلى الملك ليتوبراند يطلب منه المساعدة ضد المسلمين بعد توغلهم في جنوب غالة ووصولهم إلى مقاطعة بروفانس، وَاغاروا على مدينة آكس⁽³⁾ Aix وآرل، ولم يتردد ملك اللمبارد في

(1) شارل مارتل: هو ابن غير شرعي لبين هريستال واللد بين القصير، والمؤسس الحقيقي للدولة الفرنجية الكارولنجية، وقد لقب شارل ب مارتل أي المطرقة لانه دحر اعداء الفرنجة، وقد منحه البابا جريجوري الثالث لقب قنصل، كما منحه لقب مطرقة الله Marteau de Dieu، وألتصق به هذا اللقب طوال القرون التالية حتى يومنا هذا. وكان لشارل مارتل اثناء رئاسته للبلاط السلطة المطلقة في مملكة الفرنجة، بحيث لم ينقصه سوى اللقب الملكي. انظر: عاشور: أوروبا، ج 1، ص 148-149، نجاة: حاشية ص 42.

(2) Paul the Deacon: Langobards, p.296;

أنظر أيضاً: الحويرى: اللومبارديون، ص 124.

- من المعروف أن الذكور من أفراد البيت الميروفنجي حرصوا أشد الحرص على أن يجعلوا شعورهم تنسدل على أكتافهم للدلالة على انحدرهم من ميروفنش (اله البحر)، وبالتالي فقد كانوا كهنة لقومهم. وهذا هو السر فيما اشتهروا به من الشعور المتهدلة. وجرى العرف الفرنجي على الاهتمام بشعر الملك الطويل الذي كان لا ينبغي ان يقص إلا إذا فقد الملك سلطانه كرها.... للمزيد أنظر، ديفز : شارلمان، ترجمة السيد الباز العريني، القاهرة 1959، ص 26؛ السيد الباز العريني: تاريخ أوروبا في العصور الوسطي، دار النهضة العربية، بيروت 1968، ص 232.

(3) أكس: مدينة فرنسية تقع في الجنوب الشرقي من فرنسا، علي مسافة 18 ميلاً شمال شرق مارسيليا، وهي مركز ثقافي وتجاري وصناعي هام، وتتميز بالعديد من المباني الاثرية التي ترجع إلي القرنين الثاني عشر والخامس عشر الميلاديين. أنظر،

Moore : Encyclopedia of Places, p.22.

مد يد العون إلى الفرنجة، فجهز جيشه وقاده لمساعدة حليفه شارل مارتل. ولكن يبدو أن المسلمين في هذه المرة ادركوا خطورة استمرار القتال ضد جيوش الفرنجة واللمبارديين معاً فأثروا الانسحاب، ففعل الملك ليتوبراند عائداً إلى إيطاليا⁽¹⁾.

على أن السلام الذي عم إيطاليا لم يدم طويلاً، حيث ثار ترانسمونند دوق سبوليتو على مليكة ليتوبراند في عام 738م. وقد حاول ليتوبراند اخماد ثورته ولكن فر هذا الدوق إلى روما للاحتماء بالبابا جريجوري الثالث⁽²⁾ Gregorg III (731-741م)⁽³⁾. وعندئذ طالب ليتوبراند البابا بتسليمه الدوق، بيد أنه رفض، مما جعل ليتوبراند يغير سياسته الودية تجاه البابوية، ويقف منها موقفاً حازماً، ومن ثم زحف بجيوشه صوب روما، وفي طريقه إليها استولى على مدينتي

(1) Paul the Deacon: Langobards, pp. 29 6-7;

أنظر أيضاً: اسامة زكي زيد: اللومبارديون، ص 35.

(2) البابا جريجوري الثالث: ولد في جريجوري الثالث سوريا، ولا يُعرف تاريخ ولادته على وجه التحديد، وتوفي في سنة 741م. واجه عند توليه المنصب البابوي مشكلة الخلاف حول اللايقونية. وقد بدأت هذه المشكلة عندما بدأ سلفه البابا جريجوري الثاني (715-731م) بشجب تحطيم الإمبراطور البيزنطي ليو الثالث (717-741م) للصور الدينية المقدسة في المجمع الروماني سنة 731م. وقد تلى ذلك مرحلة سلمية قام فيها بتنصير القبائل الجرمانية بتعيينه القديس بونيفاس في سنة 732م لتنظيم الكنيسة الفرنجية. وفي عام 739م، وعندما نهب اللمبارد بطرياركه رافنا في إيطاليا، طلب جريجوري مساعدة الفرنجة. هذا الحادث غير المسبوق أدى إلى تعميق العلاقة في ما بعد بين الفرنجة الكارولنجهين والبابوية. ولم يأتِ للكنيسة الكاثوليكية لإثنى عشر قرناً أي بابا غير أوروبي بعد جريجوري الثالث، حتى انتُخب عام 2013 بابا من أمريكا اللاتينية هو فرنسيس الأول. للمزيد أنظر:

The New Encyclopaedia Britannica, Vol. IV, p. 726.

(3) Paul the Deacon: Langobards, p. 299;

أنظر أيضاً، الحويرى: اللومبارديون، ص 124.

اورتى، بومازو ومدينتين صوب روما في جنوب توسكانيا، وأخيراً وصل روما وفرض الحصار عليها. فاستنجد البابا جريجوري الثالث بشارل مارتل، وأرسل إليه مفاتيح قبر القديس بطرس 739م، وخلع عليه لقب بطريق الرومان. ولكن رفض شارل مارتل التدخل في إيطاليا، إذا لم يشأ أن يدخل في نزاع مع حليفه القديم ليتوبراند الذي مد إليه يد العون في حروبه مع المسلمين، وعرض على البابا أن يتدخل لفض النزاع بالطرق السلمية ولكن البابا رفض، مما أدى إلى سوء العلاقات بين البابوية وبين الفرنجة⁽¹⁾. وكانت النتيجة أن تم حل الخلاف ودياً بين البابوية وبين ليتوبراند، وعقدت معاهدة سلام بينهما مدتها عشرون عاماً.

يتضح مما سبق، أن العلاقة بين الفرنجة واللمبارديين قامت على عدد من التوازنات، الأول كان وفقاً لما تقتضيه مصلحة الفرنجة واللمبارديين أنفسهم، فالفرنجة امتلكوا طموحاً في فرض أنفسهم على ساحة الأحداث السياسية في غرب أوروبا في هذا التوقيت، واللمبارديين عملوا وفقاً لما تقتضيه مصلحتهم الشخصية وحماية مملكتهم من الفرنجة، وهكذا نرى العلاقة بين الطرفين علاقة مصلحة لأحد الاطراف ضد الآخر.

- التحالف بين البابوية والفرنجة :

كان نتيجة الاعمال الحربية المتكررة من اللمبارديين ضد البابوية أن تركت غضباً ومشاعر كراهية في نفوس البابوات ضد اللمبارديون، واخذت تبرص بهم الدوائر وتترقب الوقت المناسب للايقاع بهم⁽²⁾. وقد واتت الفرصة البابوية عندما تولي عرش مملكة اللمبارديين الملك استولف (749-756م) عام 749م، فلم يكد استولف يتبوأ عرش المملكة اللمباردية، حتى بدأ بتنفيذ مشاريعه التوسعية بغرض السيطرة على إيطاليا كلها، فاستولى على كوماكيو Comacchio وفيرارا Ferrara وسقطت رافنا عام 751م، وبذلك فقدت الدولة البيزنطية نهائياً أملاكها في شمال إيطاليا.

(1) الحويرى: اللومبارديون، ص 125-126؛ اسامة زيد: اللومبارديون، ص 42-43.

(2) سعيد عاشور: أوروبا، ج 1، ص 126.

وفي العام التالي 752م حشد استولف كل طاقته وموارده واندفع إلى روما بغية إخضاعها. وقد حاول البابا ستيفن الثاني (752-757)⁽¹⁾ أن يخيف استولف بإنزال قرار الحرمان عليه، والاستنجد بإمبراطور بيزنطة، ولكن ذلك التهديد لم يفلح في تحويل استولف العنيد عن قصده. واستنجد البابا بالفعل بإمبراطور بيزنطة قسطنطين الخامس⁽²⁾ (741-775م) ولكن لم تنجح هذه المحاولة⁽³⁾. وفي هذا الموقف المحرج وجد البابا ستيفن الثاني نفسه مضطراً إلى العمل بسرعة للخروج من هذا المأزق، واتجه بنفسه إلى بين القصير ملك الفرنجة عام 754م.

(1) البابا ستيفن الثاني: تولى البابوية بعد البابا زكريا (752-741م)، وقد قام البابا ستيفن الثاني بزيارة مثمرة للبلاط الفرنجي في السادس من يناير سنة 752م لاعادة تتويج بين ومباركته وطلب المساعدة ضد اللباردين. وعلى بعد ثلاثة اميال من قصره في بونثيون Ponthion، مثل بين القصير دور المرشد لجواد البابا بمسكه العنان وقيادة الحصان حسب الطريقة التي نسبت إلى قسطنطين الكبير Constantine the Great (305-337م) في قيادته لجواد البابا سلفستر الأول Silvester I (314-335م). وقد طلب البابا مساعدة بين الثالث لمواجهة خطر اللبارد، فوعده بين بالمساعدة. انظر، عاشور: أوروبا، ج 1، ص 124-125؛ الحويرى: اللومبارديون، ص 131؛ محمود القيسي: العلاقات الخارجية للدولة الكارولنجية في عهد شارلمان، ص 45.

(2) قسطنطين الخامس: هو ابن الإمبراطور ليو الأول الايسوري (741-717م)، وكان شريكا لابيه في الحكم، تولى قسطنطين الخامس عرش الإمبراطورية البيزنطية عام 741م بعد وفاة ابيه، وقد تميز حكمه بمعادة التماثيل والرموز المسيحية المجسدة مثله في ذلك والده الإمبراطور ليو الثالث، وقد جمع الإمبراطور قسطنطين الخامس مجلساً من أساقفة الشرق في القسطنطينية 754م (المجمع المسكوني السابع)، حرم فيه عبادة الصور والتماثيل، ووصفها بأنها عمل "مفقوت"، وقال إن "الشیطان قد أعاد عبادة الأوثان إلي سابق عهدها عن طريق عبادتها". وفعل قسطنطين الخامس ما فعله هنري الثامن فيما بعد، فأغلق أديرة الرهبان والراهبات، وصادر أموالها، وحول مبانيها إلي أغراض غير دينية، ووزع أرضها على محاسبيه.... للمزيد أنظر، عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص 102؛ الشيخ: الإمبراطورية البيزنطية، ص 136.

(3) الحويرى: اللومبارديون، ص 131.

والتساؤلا هنا من هو بين القصير؟ وكيف وصل إلى عرش مملكة الفرنجة؟

وللإجابة على هذا السؤال ينبغي لنا توضيح دور رؤساء البلاط أو حجاب القصر⁽¹⁾ Major Domus في بلاط الفرنجة الملكي، وكيف وصل بهم الحال إلى تولي العرش الفرنجي والقضاء على سلالة الميروفنجيين. في البداية كانت وظيفة حاجب القصر أو رئيس البلاط يقوم صاحبها بالاشراف على خدم القصر وموظفيه، ولكنها اخذت تسمو تدريجياً حتى أصبحت أهم وظيفة في البلاط الملكي، وصاحبها أهم رجل في المملكة الفرنجية⁽²⁾. وكان من أهم ما شغل هذا المنصب بين الشيخ أو بين اوف لاندن⁽³⁾ Pepin of Landen، الذي شغل رئيس البلاط في عهد الملك كلوثر الثاني (584-626م) وابنه داجوبرت الأول (629-639م)، وخلفه ابنه جريمولد Grimoald، الذي أصبح حاجباً لاوستراسيا (640-656م)⁽⁴⁾. وقد نجح جريمولد في ادارة اوستراسيا مدة سبعة عشر عاماً،

(1) اختلف المؤرخون العرب في ترجمة مصطلح Major Domus المترجم للغة الانجليزية بـ The Mayor of the palace والفرنسية Maire du Palais. فمنهم من يترجمه (بحاجب القصر) أو (حاجب البلاط) أو (ناظر القصر) أو (رئيس البلاط). للمقارنة أنظر: عاشور: أوروبا، ج 1، ص 178-183؛ عبد القادر احمد اليوسف، العصور الوسطى الاوربية، ص 88-92؛ عمران، أوروبا، ص 149-152.

(2) Jeremiah O'sullivan and John Burns, Medieval Europe, New York, 1946., p. 167.
(3) كان فريديجار أول من أشار في حوليته إلى الجد الأكبر لاسرة "بين" بين اوف لاندن، وذلك تحت أحداث سنة 613 عندما ذكر أن بين ذلك كان زعيماً للاستقراطية العلمانية وكان رئيساً لبلاط أوستراسيا، ثم تنازل عن رئاسة البلاط لصهره انسجيز Ansegis (632-639م). وسرعان ما عاد ثانية بعد بضعة اعوام بعد وفاة الملك داجوبرت الأول وذلك سنة 639م، إلا انه توفي في العام المقبل أي سنة 640م.

Fredegar: The Fourth Book, PP.32-3.

(4) ايمان مسعد عبد الرؤوف عبدالله الوكيل: السياسة الداخلية لمملكة الفرنجة في عصر رؤساء بلاط الأسرة الميروفنجية (639-751م)، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب جامعه طنطا 2009، ص 22.

إلا إنه حاول سنة 656م نقل التاج إلى ابنه شلدبرت (Childebert)، فلم يحقق نجاحاً في مشروعه وقتل مع ابنه في السنة ذاتها⁽¹⁾.

وظهر في هذه الاثناء دور حاجب أوستراسيا بينين الثاني أو بين هرسيتال Pepin of Hersital (687-714م) في أواخر القرن السابع، وهو ابن شقيقة جريمولد، واستطاع بينين الثاني بعد اغتيال الملك داجوبرت الثاني سنة 679م من السيطرة على نوستريا وأوستراسيا وبرجنديا. مع ذلك فإن الحاجب ابقى الملك ثيودريك الثالث (673-679م) على العرش النوستوري محتفظاً لنفسه بالسلطة الفعلية⁽²⁾. فهو الذي يأمر بمصادرة الاملاك وتوزيعها وتعيين الحجاب في البلاطات الأخرى. ولم يعد الملوك الميروفنجيون غير اشباح هزيلة ولم يذكروا في المناسبات العامة إلا لماماً⁽³⁾. لكنه لم يجرؤ على أن يتخذ لقب الملك، فابقى في نوستريا ملكاً ميروفنجياً صار يرد اسمه في تواريخ الوثائق والعهود، وصار يظهر أمام الناس في أيام المواكب⁽⁴⁾.

ويصف اينهارد، مؤرخ حياة شارلمان مدى ضعف سلطة الملوك الميروفنجيين مقارنة بتنامي سلطة حجاب القصر بقوله: "لم يعد للملك سوى الاسم، والعقائص من الشعر المتهدل، واللحية الطويلة، يجلس على عرشه، ويعين بالادارة والحكومة، يستقبل السفراء ثم يصرفهم بما لقن من اجابات أو أوامر. أما حاجب القصر فانه، على ما هو معروف، ابقى له اللقب الملكي ووفر له ضروريات الحياة، ولم يكن للملك من الممتلكات سوى ضيعة صغيرة اتخذها مقراً، وليس له

(1) Liber Historiae Francorum, pp.36-15; Orton, The shorter Cambridge Medieval History, Vol .I, P.158 .

انظر أيضاً، ايمان مسعد عبد الرؤوف: السياسة الداخلية لمملكة الفرنجة في عصر رؤساء بلاط الأسرة الميروفنجية، ص 22-23.

(2) O'Sullivan, Jeremiah and Burns, John , Medieval Europe, New York , 1946 , P. 167 ; Davis , A History of Medieval Europe, p.118.

(3) عبد القادر احمد اليوسف، العصور الوسطى الاوربية، ص 79-80.

(4) Pfister , "Gaul under the Merovingian Franks" , P. 127 .

إلا حاشية صغيرة العدد . ويرتحل الملك ، كلما اقتضت الاحوال ذلك ، في عربية تجرها الثيران ، ويقودها راعي بقر على النحو المألوف في عربات الفلاحين . وعلى هذه الهيئة يجيء إلى القصر ، وإلى الاجتماع السنوي للمجلس الملكي ، بينما يتولى الحاجب الاشراف على الادارة ، فيقرر كل ما يتعلق بالسياسة الداخلية والخارجية من أمور⁽¹⁾ . وبذلك ، فقد برزت قوة حاجب القصر وأخذ يمسك بزمام السلطة بعد أن تحول الملك الميروفنجي إلى رمز لا يملك من السلطة إلا الاسم فقط .

تولي شارل مارتل المطرقة (714-741م) منصب رئيس البلاط عام 714م بعد وفاة والده بيبين هرستال ، وقام شارل مارتل بسلسلة من الحروب لتأمين مملكة الفرنجة من ناحية الشرق ، وقام بعدة حملات ضد السكسون وضد الفريزيين وضد البافاريين ، وأوقف الزحف الاسلامي تجاه مملكة الفرنجة ، واستطاع هزيمة المسلمين في معركة تور بواتية سنة 732م⁽²⁾ .

إن الانجازات التي حققها شارل مارتل جعلته بحق المؤسس الحقيقي لحكم السلالة الكارولنجية⁽³⁾ ، وكان صاحب السلطان الفعلي والنظري طيلة

(1) اينهارد : سيرة شارلمان ، ص 44-45.

(2) أطلقت عدة تسميات على هذه المعركة مثل تور ، نسبة إلى مدينة تور القريبة من المعركة ، وبواتيه ، وبلاط الشهداء ، والبرت أو البرتات ، وهي الترجمة العربية لجبال البرانس (البرنيه) Pyrenees . وتعرف المصادر الاسلامية المعركة باسم (وقعة البلاط) أو (غزوة

البلاط) . حول المصادر الاوربية أنظر : 9-291 pp. Oman , Dark ages ,

(3) اختلف المؤرخون في أصل تسمية الكارولنجيين . فيشير احد الاراء ان التسمية جاءت نسبة إلى شارل مارتل ، ويشير رأي اخر إلى ارتباط اسمهم بشارلمان ، بينما يرى فريق ثالث ان التسمية مشتقة من كون ثمانية شخصيات من افراد هذه الاسرة كانت اسمائهم شارل (كارل ، كارلوس) ، وهم شارل مارتل ، شارلمان ، شارل الابن الذي مات في عهد والده ، وشارل الثاني (الاصلع) (ملك الفرنجة الغربيين 843-877 وإمبراطور 875-877) ، وشارل ملك بروفنس (855-863) ، وشارل السمين (ملك الفرنجة 884-887 وإمبراطور 881-887) ، وشارل البسيط (ملك الفرنجة الغربيين 893-923) . وشارل دوق اللورين . للتفاصيل انظر :

Painter, Sidney , A History of the Middle Ages 285- 1500, London, Macmillan & Coltd, 1963, p. 481.

حكمه، ولا سيما في السنوات الأربع الأخيرة . فلم يرشح ملكاً على المملكة بعد وفاة الملك داجوبرت الثالث⁽¹⁾ Dagobert III (711-716م). ومع ذلك، لم يحاول تتويج نفسه، وقسم المملكة قبل وفاته سنة 741م بين أولاده الثلاثة : فعهد إلى ابنه الكبير كارلومان Carloman باوستراسيا وثورنجيا، وإلى بين القصير بنوستريا وبرجنديا وبروفانس، أما ابنه الثالث كريفو⁽²⁾ Crifo فخصص له اقطاعات موزعة بين الممالك الثلاث⁽³⁾ . وبدل تقسيم شارل للمملكة بين أبناءه على أنه كان فعلاً الحاكم الحقيقي في مملكة الفرنجة، إذ كيف له أن يقسم المملكة بين أبناءه وليس هو الحاكم الفعلي للمملكة، كما أنه لم يرشح ملكاً على المملكة بعد وفاة داجوبرت الثالث، ولكنه لم يحاول تتويج نفسه.

بعد وفاة شارل مارتل، قضى بين وشقيقه كارلومان ردحاً من الزمن في إخماد التمردات في بافاريا وصد غارات السكسون، إلى جانب تمرد شقيقهما كريفو الذي انتهى به الأمر إلى السجن. وفي محاولة لمواجهة مطالب العناصر المناوئة والمتدمرة، اتفق بين وكارلومان على اسناد التاج الميروفنجي سنة 743م إلى شلدريك الثالث (743-751م) مع احتفاظهما بالسلطة الفعلية⁽⁴⁾ .

(1) الملك داجوبرت الثالث : ولد في سنة 699م، وتوفي سنة 716م . خلف ابيه شلدبرت الثالث في عرش علي نوستريا وبرجنديا عام 711م، وهو ملك نوستريا وبرجنديا . كان بين القصير يوجه قراراته طيلة فترة حكمه، وقد مات بين في عهده بعد ثلاث سنوات من توليه العرش وخلفه شارل مارتل . انظر،

Wood: The Merovingian Kingdoms ,p.256.

(2) كريفو: كريفو أو جريفون Griffon هو الابن الثالث لشارل مارتل، استعبد من الميراث في البداية وادخل سلك الرهبنة 741م، في عام 747م - بعد اقضاء كارلومان- اطلق بين القصير سراحه فاستعاد حريته، لكنه لم يحفظ الجميل وانضم إلي صفوف الثوار السكسون ضد بين القصير، وبعد ذلك سار بمفرده نحو أكويتين لمحاربة اخيه الذي انتصر عليه وقتل في وادي موريين Maurienne في إيطاليا سنة 752م. انظر، نجاة محمد احمد : السياسة الخارجية لشارلمان لمملكة الفرنجة في عهد شارلمان، حاشية ص 49.

(3) C. Warren Hollister , Medieval Europe, New York , John Wileyson, 1978, P. 68 .

(4) Oman , Dark ages, PP. 268 -9 .

في عام 747م، اعتزل كارلومان شؤون الدولة، فأصبح بين القصر منفرداً في منصب حجابة القصر. وقد اتخذت العلاقة البابوية في عهده طابعاً جديداً. فمئذ أوائل القرن الثامن، فقدت الإمبراطورية البيزنطية كل ما تبقى لها من حق في إدعاء السيطرة على إيطاليا، إلى جانب عدم قدرتها على حماية الكنيسة. تزامن ذلك مع اختلاف جوهري حول العقيدة المسيحية بين الكنيستين الشرقية والغربية. فقد اعترضت الكنيسة الارثوذكسية (الشرقية) على عبادة الايقونات (الصور والتماثيل) التي شجعتها الكنيسة الكاثوليكية. وقد أصدر البابا جريجوري الثالث (731-741م) في سنة 731م قرار (الحرمان الكنسي) ضد اللايكونيين⁽¹⁾. وهكذا، فقد أسهم الخلاف حول عبادة الايقونات في تعميق التباعد بين البابوية والبيزنطيين، وأدى من جانب آخر إلى التقارب بين الفرنجة والبابوية، حيث دعم الفرنجة جهود الكنيسة الكاثوليكية في تشجيع الايقونات.

تزامنت هذه الأحداث مع إدراك بين القصر لضرورة إنهاء الدولة الميروفنجية وعزل الملك شلدريك الثالث. لقد كان بين القصر ملكاً "من الناحية العملية" *de facto*، يطمح أن يكون "ملكاً شرعياً" *de Jure*⁽²⁾. إلا أنه تردد في تحقيق هذا الطموح، الذي يتعارض مع تقاليد الوصول إلى العرش الذي يشترط أن يرتبط بالأسرة الميروفنجية. ولما تعذر عليه هذا الارتباط الاسري، كانت كنيسة روما مخرجاً لتحقيق هذا الطموح. وقد استغل الخلافات بين البابوية والإمبراطورية البيزنطية لعوامل عقائدية وطموحات إقليمية ترتبط برغبة الإمبراطورية البيزنطية في ضم الممتلكات الكنسية في إيطاليا إلى ممتلكاتها الإمبراطورية.

(1) Hollister, *Medieval Europe*, PP. 7071-; Burr :*The Carolingian Revolution*, p. 577 - 580.

(2). Henri Pirenne , *A History of Europe* , Vol . I , New York , Doubleday Anchor Books , 1956, p. 57.

وقد أوردت الحوليات الملكية الفرنجية
 Annales Regni Francorum تحت أحداث سنة 749م أن بين القصير
 أرسل وفداً إلى البابا زكريا⁽¹⁾ Zacharias (741-752) مكوناً من فولارد
 Fulard، رئيس دير القديس دنيس Denis وبورشارد Burchard
 أسقف ورزبورج Wurzboug، للمثول أمام البابا وسؤاله حول
 "من هو الاجدر بحكم المملكة، أهو شلدريك الذي ليس له من السلطة
 سوى اللقب أم بين الحاكم الحقيقي؟" فاجاب البابا زكريا بأن المهيمن
 على السلطات ينبغي أن يصبح ملكاً، وأصدر مرسوماً بابوياً بتعين بين
 القصير ملكاً. كما أوردت الحوليات الملكية الفرنجية تحت أحداث سنة
 750م أنه طبقاً لعادة الفرنجة تم تعيين بين القصير (الثالث) ملكاً، وتوج
 من قبل رئيس الاساقفة بونيفاس، واعتلى عرش الفرنجة في سواسون،
 وذلك بعد أن عزل شلدريك الثالث⁽²⁾ Childeric III (743-751)،

(1) البابا زكريا : ولد في سان سفيرينو في إيطاليا، وتوفي في روما في سنة 752م. وأصبح بابا
 بين (741-752م)، وهو من اصل يوناني خلف البابا جريجوري الثالث في المنصب
 البابوي في عام 741م. كرس حياته للقيام بعلاقات دبلوماسية مع مملكتي اللمبارد
 والفرنجة والإمبراطورية البيزنطية. فعقد السلام مع اللمبارد، وحافظ على علاقات ودية
 مع الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس (741-775م) ونصحه باعادة عبادة
 الايقونات في الشرق. وقد ترجم البابا زكريا (محاورات البابا جريجوري الكبير) إلي
 اليونانية. أنظر،

The New Encyclopaedia Britannica , Vol . X , p. 852 .

(2) شلدريك الثالث: تولى شلدريك الثالث حكم مملكة الفرنجة بعد وفاة الملك ثيودريك
 الرابع (721-737م)، وقد عينه بين القصير على العرش بعد خلو العرش الميروفنجي
 لمدة ست سنوات، ويعتقد انه ابن ثيودريك الرابع، ولكن هناك رأى يقول بانه ابن
 الملك شلبريك الثاني (715-721م). انظر :

Wood: The Merovingian Kingdoms ,pp.290,354.

آخر ملك ميروفنجي. وبذلك، يُعد بين الثالث أول عاهل رسمي للسلالة الكارولنجية⁽¹⁾.

نعود من الاستطراد سريعاً، حيث نجد أن البابا ستيفن الثاني يتجه بنفسه إلى بين القصير ملك الفرنجة عام 754م. وعندما علم الملك بين بقدم البابا بادر باستقباله، وأرسل ابنه شارلمان وجماعة من نبلاء المملكة للقاء البابا

(1) Annales Regni Francorum: dans Monumenta Germaniae Historica, SS. RER (Hannoverae. 1895) ed Kurze, Tome I, PP.810-; Jeremiah O' Sullivan , Medieval Europe., P. 183 ; G.L . Burr , The Carolingian Revolution, PP. 581 , 584 ; C. warren Hollister and Joe w. Leedom , Medieval Europe A short source book , New York , John wiley sons , 1982 , pp. 6768-.

استمرت الاسرة الكارولنجية في المانيا حتى سنة 911م، وفي فرنسا حتى سنة 987م وملوك هذه الاسرة هم: بين الثالث، شارلمان، لويس الثاني (814-840م)، لوثر Lothaire (إمبراطور 840-855م)، لويس الجرمانى Louis the German (ملك الفرنجة الشرقيين 843-876م)، شارل الاصلع Charles the Bald (ملك الفرنجة الغربيين 843-877م وإمبراطور 875-877م)، لويس (إمبراطور 855-875م)، (شارل ملك بروفنس 855-875م) لوثر ملك اللورين (855-869م)، كارلومان ملك بافاريا (876-880م)، لويس ملك سكسونيا (876-882م)، شارل السمين Charles the Fat (ملك الفرنجة الغربيين 877-879م)، لويس الثالث ملك الفرنجة الغربيين (879-882م)، كارلومان ملك الفرنجة الغربيين (879-884م)، شارل البسيط Charles the Simple (ملك الفرنجة الغربيين 893-923م)، لويس الرابع ملك الفرنجة الغربيين (936-954م)، لوثر ملك الفرنجة الغربيين (886-954م)، شارل دوق اللورين، لويس الخامس (ملك الفرنجة الغربيين 986-987م). وقد حكم من هذه الاسرة اثنان وعشرون ملكاً : اربعة في إيطاليا (المملكة الوسطى)، وستة في المانيا (المملكة الشرقية)، وتسعة في فرنسا (المملكة الغربية). وقد انتهت هذه الاسرة سنة 987م، بتأسيس اسرة هيو كابيه Hugh Capet (987-1328م) في فرنسا، التي حكم فيها اربعة عشر ملكاً، أولهم هيو كابيه (938-996م) (987-996م). للتفاصيل أنظر :

Sidney Painter , A History of the Middle Ages , p. 481 ; Encyclopaedia Britannica online; Encyclopaedia International .

ومصاحبه، أما هو فقد استقبل البابا على مسافة ثلاثة أميال من قصره. وهنا تضرع البابا ستيفن إلى الملك بين وقد امتلأت عيناه بالدموع وهو يطلب مساعدته لاستعادة ممتلكاته التي استولى عليها اللباردين، فوعده بين بالمساعدة. وقام البابا بتتويج بين بيده واضفى عليه لقب البطريقية من باب التشریف في يوليو عام 754م⁽¹⁾.

أدى الاعتراف بشرعية حكم بين إلى التحالف بين الملكية الفرنجية والبابوية ذلك التحالف الذي جعل ملوك الفرنجة منذئذ فصاعداً الحماة للكرسي البابوي⁽²⁾، في الوقت الذي انقطعت فيه علاقة البابوية بالإمبراطورية البيزنطية بسبب السياسة اللاأيقونية⁽³⁾ التي اتبعها الإباطرة الأيسورين⁽⁴⁾. وبذلك توطدت العلاقات والروابط بين البابوية ومملكة الفرنجة⁽⁵⁾. وبهذه الخطوة أخذ البابا ستيفن الثاني من بين أساساً للسلطة الزمنية مقابل الاعتراف الاسمي به كملك عام 754م⁽⁶⁾.

ومن المسلم به أن التحالف البابوي الفرنجي كان بداية النهاية لمملكة اللباردين، بدليل أن استولف قد افزعه نبأ التحالف بين البابوية والفرنجة، وحاول اصلاح الأمور ولكن بعد فوات الاوان، إذا لم يلبث أن شن الملك

(1) عاشور: أوروبا، ج 1، ص 124-125؛ الحويرى: اللومبارديون، ص 131.

(2) كرسوفر دوسن: تكوين أوروبا، ص 264.

(3) اللاأيقونية: هي تحطيم الصور ومناهضة عبادتها، وكان الدافع لهذه الحركة هو اعتقاد ديني، وادعي عباد الصور أن مناهضتها أو تحطيمها يعتبر إنكار لحقيقة التجسيد وبالتعية إنكار للعقيدة المسيحية، ونشب نزاع مرير بين مؤيدي الحركتين اجتمع فيه من الاختلافات والدوافع السياسية والفلسفية بل العنصرية أيضاً ما يرجع أصول كثير منها إلى الماضي البعيد. انظر، موس: ميلاد العصور الوسطي، ص 302-303.

(4) دوسن: تكوين أوروبا، ص 264؛ عفاف صبره، الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شارلمان، دار النهضة العربية 1982، ص 39.

(5) Burr, G.L.: "The Carolingian Revolution and Intervention in Italy", in:

The Cambridge Medieval History, Cambridge, University Press, 1964, p.599.

(6) هلستر: تاريخ أوروبا، ص 117.

يبين القصير حملتين عسكريتين ضد اللمبارد بين عامي 755 و 756م⁽¹⁾، ونجح في انزال الهزيمة بالجيش اللمباردي حتى اجلاهم عن المدن التي استولوا عليها منذ وفاة ليتوبراند بعد أن حاصر بافيا عدة ايام، واجبر استولف على احترام البابوية، وإعادة ما اخذه منها من املاك، بعد أن اقسام وتعهد بعدم تهديد البابوية مرة أخرى، فضلاً عن اعترافه بالتبعية لملك الفرنجة⁽²⁾.

ومع ذلك لم تتحسن الأمور إذ استغل استولف خروج الجيش الفرنجي من إيطاليا، وتراجع عن الوفاء بما تعهد به، مما جعل بين يعود مرة أخرى وهزمه أيضاً، وجعله يتعهد بدفع جزية سنوية لملك الفرنجة تعادل ثلث دخله الملكي، فضلاً عن مدينة رافنا وعدد آخر من المدن التي اخلاها اللمبارديون⁽³⁾، في حين توفي استولف سنة 756م. ومن ثم اخذت مملكة اللمباردين في الذبول والانحلال، ولم تعد تمثل خطراً على البابوية، أو تسبب ازعاجاً لدولة الفرنجة⁽⁴⁾.

أما البابوية فقد غدت املاكها أقوى وحده مترابطة في إيطاليا، إذ امتدت من البحر الادرياتي ورافنا شرقاً حتى روما غرباً عبر الابنين، في حين فشلت الملكية اللمباردية في محاولتها توحيد إيطاليا. وهكذا اكتسبت البابوية سلطاناً زمنياً إلى جانب سلطانها الروحي، حتى ظلت عقبة في سبيل الوحدة الإيطالية حتى القرن التاسع عشر⁽⁵⁾.

(1) الحويري: اللومبارديون، ص 135-136.

(2) اينهارد: سيرة شارلمان، ص 44-45؛ الحويري: اللومبارديون، ص 135-136.

(3) موس : ميلاد العصور الوسطى، ص 340؛ عاشور: أوروبا، ج 1، ص 125-126؛ الحويري: اللومبارديون، ص 136.

(4) موس : ميلاد العصور الوسطى، ص 340؛ عاشور: أوروبا، ج 1، ص 125-126.

(5) عاشور: أوروبا، ج 1، ص 126.

عقب وفاة الملك بينن القصير⁽¹⁾ عام 768م جرت المناداة بولديه شارلمان وكارلومان، وكان قد قسم مملكته بينهما قبل وفاته. وكان نصيب شارلمان⁽²⁾ (768-814) هو أوستراسيا Austrasia، والجانب الأكبر من نوستريا Nustria وما يتبع ذلك من الأراضي الواقعة بين نهري اللوار والجارون، ونصيب كارلومان (768-771) كان برجنديا وبروفانس وبافاريا وألمانيا والجزء الجنوبي الشرقي من أكويتين⁽³⁾. وبذلك، كانت حصة شارل ذات أهمية سياسية وعسكرية، لاحتوائها على أهم إمارتين تشكلان الثقل الأساسي للدولة هما: أوستراسيا ونوستريا. ومع ذلك، لم تكن حصة كارلومان قليلة الأهمية، ولا سيما إنه سيطر على الأجزاء الغربية والجنوبية من المملكة.

وترتب على هذا التقسيم إن مملكة كارلومان كان يحيط بها مملكة شارلمان، كما جعل لكل من الأخوين نصيباً من المناطق التي تصل الأراضي

(1) كان لبين القصير إضافة إلى شارل وكارلومان ابناً ثالثاً اسمه بينن، توفي طفلاً، إلى جانب ابنه اسمها جزيلا Gisela توفيت سنة 810م. للتفاصيل أنظر:

Lewis Thorpe, Einhard and Notker the stammerer two lives of charlemagne, London, penguin books, 1971, p. 3.

(2) اسم شارلمان Charlemagne هو تخفيف للمصطلح اللاتيني Carlus Magnus (كارلوس العظيم) الذي استخدم بعد مائتي سنة أو أكثر من وفاته في (أناشيد المآثر الفرنسية) Chansons de - de Geste. ويعني اسم شارلمان وفقاً لاصله اللاتيني (الرجل العظيم). ولذلك ترجم إلى الإنجليزية Charles The Great والفرنسية Charles le Grand وإلى الألمانية Karl der Grosse. ويؤكد المؤرخون الألمان على استخدام اسم كارل بدلاً من شارل أو شارلمان. للمقارنة أنظر:

Lewis Thorpe: Einhard and Notker., P. 1 ; Harold Lamb, Charlemagne The Legend and the man, London, Robert Hale limited, 1955, P.9.

ويشير هالفن إلى أن لقب شارلمان استخدم لأول مرة سنة 841م، أو بعد ذلك بفترة قصيرة، من قبل حفيده Nithard. للمقارنة أنظر:

Louis Halphen, Charlemagne et L' Empire Carolingien, Paris, Editions Albin Michel 1949, P. 57.

(3) Kleinclausz, A: Charlemagne, Paris. 1934, p.3-4.

الرومانية بالأراضي الجرمانية⁽¹⁾. وربما ذلك التقسيم كان رغبة من بينين في أن يهيئ للأخوين ما يحفزهما على الاهتمام بالمصالح المشتركة بينهما، والعمل على إقرار السلام سوياً في بافاريا أو أكويتين، أي أن المهارة السياسية بُذلت لتخفيف المساوىء الناجمة عن التقسيم، وذلك إدراكاً لما ينطوى عليه التقسيم من مساوىء⁽²⁾.

كان كارلومان في السادسة عشرة من عمره بينما كان شارلمان في السادسة والعشرين، وقد ساد بين الأخوين روح العداء منذ البداية، فقد كان كارلومان سريع الاثارة ووقع فريسة سهلة في أيدي المتملقين الذين ذكروا له أنه هو الابن الشرعى لبين وله الحق في أن يحوز كل المملكة، باعتبار أن شارلمان ابناً غير شرعى لبين، ولذا أخذ كارلومان يزعم لنفسه الحق في أن يحصل على كل المملكة⁽³⁾، لكننا لا نؤيد ذلك الرأي، وذلك لأنه يغاير ما تميز البيت الكارولنجي من توريث أملاكهم، فلم يحاول شارل مارتل أو حتى شارلمان نفسه فيما بعد أن يجعلاً لأبنائهم الغير شرعيين نصيباً في الارث الملكي⁽⁴⁾.

تحمل شارلمان بصبر عداء شقيقه وحسده فلم تخرجه تصرفاته عن الاتزان إلى الغضب. وعلى أية حال، فإنهما كانوا دائماً على حافة النزاع والقتال لولا نفوذ أمهما برثراده Bertrada⁽⁵⁾ التي عملت على التوفيق بينهما. وعندما قامت ثورة بإقليم أكويتين، طلب شارلمان المساعدة من شقيقه ولكن رفض كارلومان

(1) ديفز: شارلمان، ص 51.

(2) Oman: Dark Ages, p.330.

(3) اينهارد: سيرة شارلمان، حاشية ص 53.

(4) ديفز: شارلمان، ص 52.

(5) برثراده : وردت برثراده في لacroix باسم برث Berthe وهماثروود Himiltrude وسميت صاحبة القدم الطويلة، لأن احدى قدميها اطول من الأخرى. وهى ابنه كونت لاوون Laon. كانت تصاحب زوجها في رحلاته وحملاته، وكثير ما كانت تسدى اليه النصيح. وقد ورد ذكرها في القصص باسم برتا ذات القدم المفرطح. للمزيد انظر، نجاة محمد احمد: السياسة الخارجية لشارلمان لمملكة الفرنجة في عهد شارلمان، ص 81.

مساعدته، وذلك لأن أملاكه في أكويتين لم يصيبها أي أذى بسبب هذه الثورة، وهنا شارلمان اعتمد على نفسه واستطاع القضاء على الثورة بدون مساعدة شقيقه، وبذلك ظلت أكويتين تعيش في هدوء وسلام ولمدة عقد من الزمان لم تتفجر بها ثورات ذات أهمية⁽¹⁾. وهكذا استطاع شارلمان القضاء على ثورة أكويتين، ولكن لم ينسى موقف شقيقه والتي اعتبرها خيانة⁽²⁾، ومع ذلك بذلت جهود كبيرة للمصالحة بينهما عن طريق والدتهما، واقتنع شارلمان بمصالحة شقيقه إلا أنه رأى أن يحترز منه ويراقبه مستقبلاً خوفاً منه⁽³⁾.

نتيجة هذه الأحداث فكر شارلمان في إقامة تحالف سياسي ضد شقيقه كارلومان وذلك لتطويره من الشمال والجنوب ولذا سعى إلى عقد معاهدة رسمية مع تاسيلو الثاني Tassilo II⁽⁴⁾ (748-788م) دوق بافاريا الذي كان من اتباع والده، وكان قد ثار عليه. كما عمل على محالفة ديسديريوس ملك اللمباردين بإيطاليا، والذي كان يرغب أيضاً في التحالف مع مملكة الفرنجة⁽⁵⁾.

(1) وفاء مختار غزالي: السياسة الخارجية لدولة الفرنجة في العصور الوسطى، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة 2013، ص 109-112.

(2) وذلك لان قانون الفرنجة يقضى بأنه يجب أن يضع الوارثون احقادهم وخلافاتهم جانباً، ويتحدوا معاً ضد عدو الوطن. انظر، ديفر: شارلمان، ص 54-44.

(3) Oman: Dark Ages, p.337.

(4) تاسيلو الثاني : تولى تاسيلو دوق بافاريا الدوقية من 748 حتى 788م، وكان قد اقسم بالتبعية لبيبن ملك الفرنجة فى عام 757م، ولكن لم يقف مع الملك بين تجاه الثورة التي قامت ضده فى أكويتين عام 763م وثار ضده، ولكن فى عام 787 جدد تبعيته لملك الفرنجة شارلمان، وعقد معاهدة رسمية مع شارلمان، ولكن فى العام التالي اتهم تاسيلو بأنه حرض الآفار ضد الفرنجة، فاستدعاه شارلمان الذي قبض عليه واودعه فى احد الاديرة، واصيحت بافاريا من دوقية شبة مستقلة إلى جزء حقيقي من مملكة الفرنجة، وقام بتقسيمها إلى كونتيات اقطعها لاتباعه. للمزيد انظر: اينهارد: سيرة شارلمان، ص 83-85؛

Cawley Charles: BAVARIA, p.9.

(5) Oman: Dark Ages, p.337.

على الجانب الآخر في مملكة اللومباردين توفي الملك استولف في عام 756م، وجرى استدعاء شقيقه راتشيس من دير مونت كاسينو ليخلفه على المملكة، ولكن ديسيريوس (757-774) الذي كان يريد العرش لنفسه، عارض بشدة عودة راتشيس إلى العرش. ومن الجدير بالذكر أن ديسيريوس وجد تأييد قوياً من البابا ستيفن الثاني ومن بين القصير ملك الفرنجة الذي ساعده في الوصول إلى العرش اللومباردي، وذلك بعد أن أخذ منه وعداً بالمحافظة على الاتفاقية التي عقدها استولف سنة 754م، وجرى تجديدها 756م، يضاف إلى ذلك أن ديسيريوس أقسم في حضور ممثل الملك بين القصير في إيطاليا أن يعيد إلى البابا مدن فاينزا، ايمولا، فيراري، بولونيا، انكونا، اوزيمو، واومانا والمناطق التابعة لها⁽¹⁾.

وبالفعل توج ديسيريوس ملكاً في مارس 757م. ولكن لم يكد يتوج حتى كشف عن نواياه الحقيقية تجاه البابوية ومملكة الفرنجة على حداً سواء، ويظهر ذلك واضحاً في إنه إستغل فرصة انشغال الملك بين القصير بمتاعبه في إقليم أكوئين، ورفض أن يسلم البابا الأراضي التي وعد بها باستثناء فاينزا ودوقية فيراري⁽²⁾. فقد سار ديسيريوس على سياسة سلفه استولف، بل ورث عن طموحاته. واعتبر ديسيريوس وفاة بين القصير عام 768م نهاية التدخل الفرنجي في إيطاليا، وفرصة سانحة بالغة الأهمية لتحقيق طموحاته في توسيع رقعته وفرض نفوذه في جميع أنحاء إيطاليا، وتحطيم الروابط المتينة القائمة بين البابوية ومملكة الفرنجة⁽³⁾، ويحرم البابوية من الهبات السخية التي كانت تصلها باستمرار من الفرنجة من جهة أخرى⁽⁴⁾.

من هذا المنطلق، اعتقد ديسيريوس أنه اجتاز مرحلة الخوف من التدخل فيما وراء جبال الالب. ولقد عزم على توثيق المصاهرات السياسية بإقامة

(1) الحويري: اللومبارديون، ص 137-138.

(2) الحويري: اللومبارديون، ص 138.

(3) الحويري: اللومبارديون، ص 144.

(4) الحويري: اللومبارديون، ص 144-145.

مصاهرات عائلية مع الزعماء الكاثوليك المجاورين هادفاً من ذلك الحيلولة دون تقديم هؤلاء يد المساعدة للبابوية. ومحاولة الدخول في علاقات وطيدة مع جيرانه الفرنجة. وسار على تلك السياسة حتى يمتد نفوذه ليصل إلى أقصى شبة الجزيرة الإيطالية. وقد بلغ طموحه مداه حين سعى إلى تحويل المملكة للمباردية القائمة على الانتخاب إلى مملكة وراثية⁽¹⁾.

من منطلق تنفيذ سياسته بعيدة المدى تلك، فإنه وثق علاقاته مع دوقي اللمباردين في سبوليتو Spolete وبنفتيو Benevent إذ زوج إحدى بناته وهي ادلبرج Adelberge إلى اريجيس Arechis دوق بنفتيو، والأخرى وهي ليتوبرج Liutberge لتاسيلو Tassilon دوق بافارييا، أما ابنته الثالثة وهي دسيدراتا Desiderata⁽²⁾ فكان يأمل أن يزوجها إلى أحد ملكي الفرنجة على أن يتزوج ابنه ادلجيس Adalgise من شقيقتيها جيزيلا Gisela⁽³⁾.

وهكذا حاول دسديريوس تطويق روما والأملاك البابوية. ومن البديهي أنه رسم خطط مشروعه بمهارة وإحكام بالغين. فهو لم يستهدف من ورائه دعم موقفه ومكانته لدى الفرنجة فحسب، بل أراد أيضاً أن يقلب السياسة التي اتبعها الفرنجة تجاه إيطاليا في السنوات الأخيرة رأساً على عقب، ولهذا لو كان يبين حياً، لعرف ما يجول بخاطر دسديريوس، وبالتالي أوقف هذا المشروع⁽⁴⁾.

(1) Kleinclausz: Charlemagne, p.7.

(2) دسيدراتا : وردت دسيدراتا في "لاكروا" باسم هيرمنجارد Hermendard بدلا من دسيدراتا، كذلك اعتبرها شقيقة دسديريوس وليست ابنته. انظر: نجاة محمد احمد : السياسة الخارجية لشارلمان، حاشية، ص 82.

(3) الحويري: اللومبارديون، ص 144-145.

جيزيلا: كانت جيزيلا متدينة ومحبة للعلم بعكس ما اشتهرت به بقية اخوات وبنات شارلمان، وكانت تقوم بنسخ المخطوطات في دير Chelles قرب باريس. انظر: وفاء الغزالي: السياسة الخارجية لمملكة الفرنجة، حاشية ص 113.

(4) Kleinclausz: Charlemagne, pp.6-7.

على الجانب الآخر أيضاً بمملكة الفرنجة نجد إن الملكة برثراده والدة شارلمان تعمل على هذا التحالف وتوجهت إلى إيطاليا، وانتهت مساعيها بالنجاح، وباركت هذا المصاهرة وكانت راضيه عنها⁽¹⁾، إذا مارست الأم نوعاً من التأثير الخاص على سياسة شارلمان، ونجحت في تسييره في الاتجاه نحو السلام. وكانت من طبيعة الملكة الأم إنها تجنح دائماً إلى السلام، إذ سعت إلى إقامة سلام عام بين حكام الغرب المسيحي من اللمباردين والبافاريين والبابوية، وتم ذلك بفضل وساطة رئيس دير ستيرم Sturm في فولدا⁽²⁾ Fulda وبعدها تدخلت هي شخصياً⁽³⁾. وبعدها عادت الملكة الأم من إيطاليا التقت بشارلمان في مدينة سيلز⁽⁴⁾ Seltz وسعت الأم جاهدة لتزويجه. واقترحت عليه الزواج بدسيدراتا Desiderata ابنة دسديروس ملك اللمباردين. وفي الوقت نفسه اقترحت أيضاً تزويج جيزيلا الأميرة الفرنجية بابن دسديروس ادالجيس⁽⁵⁾. وقد وافق شارلمان وسعى إلى هذه الزواج هادفاً من ذلك تحصين نفسه ضد شقيقه كارلومان، اضم إلى ذلك انه عقد حلفاً مع تاسيلو دوق بافاريا حتى يستخدمه سهماً في حربه المرتقبة ضد شقيقه⁽⁶⁾.

(1) Calmette, Joseph : Charlemagne Sa vie et son Oeuvre, Paris 1945, p.49

(2) فولدا : مدينة المانية تقع على نهر الفولدا علي بعد حوالي 88 كم من، غالبية سكانها من الكاثوليك، بها اسقفية كاثوليكية وكاتدرائية وكنيسة سان ميشيل وبها دير مشهور بناه القديس بونيفاس سنة 744 م . انظر:

Moore : Encyclopedia of Places, p.292.

(3) نجاة محمد احمد : السياسة الخارجية لشارلمان، ص 81-82.

(4) سيلز: مدينة تقع على ضفاف نهر الراين الاسفل في منطقة الالزاس في شمال شرق فرنسا. تبلغ مساحة هذه المدينة 21 (كم²)، وهي عاصمة مقاطعة كان Cant وتبعد 41 كم جنوب ميتر . انظر:

Moore : Encyclopedia of Places, p.748.

Bouillet: Dictionnaire universel d'histoire et de géographie, p 1741.

(5) لم توافق جيزيلا شقيقة شارلمان علي هذا الزواج، ولجأت إلي أحد الاديرة، انظر

Kleinclausz: Charlemagne, p.8.

(6) Oman: dark Ages, pp.337-8.

والملاحظ إن كارلومان اظهر في كافة المناسبات صداقة حميمة لدسيدريوس، لكون أملاكه تتلاصق مع الأملاك اللباردية لمسافات طويلة، كذلك تبادل الهدايا. ويتضح من ذلك تقدم بروز وفاق سياسي فرنجي لباردي، وفرنجي بافاري⁽¹⁾.

وهكذا يتضح لنا بجلاء توافق مساعي دسيدريوس مع رغبات برثراده التي ارتسمت لنفسها إقامة مصاهرة فرنجية لباردية⁽²⁾، ولكن لم ترق هذه التطورات للبابوية. فعندما سمع البابا ستيفن الثالث⁽³⁾ (768-772م) بهذه الأحداث، حذر الفرنجة من التحالف مع اللبارد، ولكنه كان غير متأكد عما إذا كان شارلمان أو كارلومان الذي يريد أن يتزوج وسارع إلى مراسلتها قائلاً: "لقد امتلأ قلبي غيظاً وفزعاً عندما تواترت الاخبار بأن الملك اللباردي يحاول جاهداً حث احدكما على الزواج من ابنته وهو في حقيقته مشروع من عمل الشيطان وعمل غير شرعي لا تقره الكنيسة، وأنه لجنون كبير أن يرتبط بيتكم الملكي المنحدر من شعب الفرنجة العريق الذي يفوق جميع الشعوب قاطبة بالزواج من الجنس اللباردي الحقيق، وهو عنصر منبوذ وثنى كربه لا وزن له بين الشعوب...".⁽⁴⁾ وهدد بإيقاع عقوبة الحرمان Excommunication، إذا لم تؤخذ تحذيراته بنظر الاعتبار. ومع ذلك، عندما تزوج شارلمان من عروسه اللباردية دسيدرانا ابنة

(1) Kleinclausz: Charlemagne, p.7-8; Calmette: Charlemagne, p.49.

(2) Kleinclausz: Charlemagne, p.8.

(3) البابا ستيفن الثالث: ولد ستيفن الثالث حوالي عام 720م بصقلية، أتى إلي روما في عهد البابا جريجوري الثالث (741-731م) وأقام معه في القديس Chrsogonus حتى أصبح رجل دين علي الطريقة البندكتية، ولكنه أخذ من هذا الدير بواسطة البابا زكريا (752-741م) الذي رسمه كاهناً، وظل ستيفن ملازماً للبابا بولس الأول (757-767م) وهو علي فراش الموت. انظر، احمد محمد: اللومبارديون في إيطاليا، حاشية ص 164.

(4) Gerhard Seeliger, "Conquests and Imperial Coronation of Charles the Great" in : The Cambridge Medieval History, vol. II, Cambridge, The University Press, 1964, p. 596; Oman, Dark ages, P. 338; Kleinclausz: Charlemagne, p.6.

دسيدرئوس ، لم ينفذ البابا ستيفن الثالث تهديداته⁽¹⁾ . إذ انه لم يرى في هذا التحالف سوى خطر يهدده ، والسبب في ذلك خوفه من طموحات دسيدرئوس وصمت شارلمان نتيجة تلك المصاهرة وتأييده لها ، وأرسل البابا خطاباً إلى شارلمان اعترض فيه على الزواج ، وأنه تزوج من قبل ولا يستطيع الزواج مرة أخرى من الأميرة اللمباردية . إلا أن بعض المؤرخين ذكروا إن برثراده اجبرت شارلمان على تطليق زوجته "امودرو" "amodru" . والملاحظ إن الطلاق آنذاك كان مسموحاً به ويمارس عند الفرنجة⁽²⁾ - علماً بأن المسيحية على المذهب الكاثوليكي تمنع الطلاق منعاً باتاً - إلا ان واقع الأمر امودرو لم تكن زوجة شرعية بل كانت محظية⁽³⁾ .

ويبدو أن البابا كان مدركاً لعدم امكانه مواجهة الفرنجة واللمبارد في آن واحد . فخضع للأمر الواقع . لقد أدى هذا الزواج إلى أن يصبح للملك دسيدرئوس موقع متميز في روما . وأخذ دسيدرئوس يحرص على الظهور بمظهر الصديق للبابا ، وتم التغلب على أعداء اللمبارد وأنصار كارلومان⁽⁴⁾ . ومما يدل على محاولة البابوية مهادنة الوضع الجديد الرسالة التي بعث بها البابا ستيفن الثالث إلى شارلمان ، وضمنها ثناء على ملك اللمبارد باعتباره "منقذه وابنه البار" ، الذي أعاد أخيراً ميراث القديس بطرس⁽⁵⁾ .

وتحقيقاً لسياسة المصاهرة التي سارت عليها برثراده ، توجهت إلى بافيا عاصمة اللمباردين لتطلب ابنة دسيدرئوس كزوجة لابنها البكر شارلمان ؛ مما

(1) Seeliger : Conquests and Imperial, CMH.vol .II ,, P. 596 .

(2) ظل الفرنجة يمارسون عاداتهم وتقاليدهم الوثنية بما في ذلك حق الزوج في تطليق زوجته والزواج بأكثر من واحدة ، كحفاظاً على عدم ارتدادهم إلي الوثنية . لذا اغفل رجال الدين الكاثوليك عن عملية الطلاق . انظر : نجاة محمد احمد : السياسية الخارجية لشارلمان ، حاشية ، ص 87 .

(3) Calmette: Charlemagne, p.51 .

(4) Seeliger : Conquests and Imperial, CMH.vol .II , P. 596 .

(5) Seeliger : Conquests and Imperial, CMH.vol .II , P. 596 .

يؤكد بوضوح بالغ الدور النشط للملكة الأم في تسيير أمور شارلمان الشخصية، بل والسياسية أيضاً⁽¹⁾. وعادت الأم ومعها دسيدراتا اللباردية إلى مملكة الفرنجة وإن لم يتم زواج جيزيلا التقية التي رفضت الزواج ودخلت الدير⁽²⁾.

احتفل شارلمان بزواجه في هدوء ودون أي احتجاج مؤثر من البابا الذي هدأت تأثيرته عندما قام دسيدريوس بمعاونته ضد مؤامرة رجال الدين في روما، والتي قيل إن كارلومان أثارها رغبة في عزل البابا. وكان أن تم الزواج في مدينة ميتر في عيد الميلاد عام 770 م⁽³⁾. ومما يسترعى الانتباه إن اينهارد لاذ بالصمت بخصوص هذا الموضوع، ولم يوضح لنا حقيقة الدوافع الكامنة وراء تحالف سيدة مع دسيدريوس، وهل كان ذلك موجهاً ضد كارلومان أم لا واكتفى بالإشارة إلى أن سيده تحالف مع دسيدريوس وأكد هذا التحالف بالزواج من ابنته⁽⁴⁾. وهذا أيضاً مثلاً على إن التحالف كان يتم بالزواج، وإن المصاهرات السياسية كانت تأكيداً للتحالفات السياسية بين الممالك الجرمانية بعضها البعض.

حدثت بعض الأمور قبل ذلك بوقت قصير أجلت القضاء على مملكة اللباردين على يد الفرنجة. فقد حدث بعد وفاة البابا بولس الأول⁽⁵⁾ (757-767م) في 767م أن أصبحت الفرصة مواتية للاستقراطية العسكرية لتحل محل البيروقراطية الاكليروسية التي هيمنت وسيرت آخر بابويين. وقام توتو Toto دوق توسكانيا Toscanie بفرض انتخاب شقيقه قسطنطين للبابوية وهو أحد العلمانيين الذين أنعم عليه في بضعة أيام بكافة الرتب الاكليريكية، وانتهى المطاف بتتويجه

(1) Kleinclausz: Charlemagne, p.9.

(2) ديفيز: شارلمان، ص 56.

(3) Kleinclausz: Charlemagne, pp.9-10.

(4) اينهارد: سيرة شارلمان، ص 115.

(5) البابا بولس الأول: كان بولس الأول شقيقاً لستيفن الثاني، تولى البابوية 757م، وظل في البابوية إلى سنة 767م. والجدير بالذكر أنه أرسل إلى بين القصير ساعة تدور بتروس شهادتها ببلاد الفرنجة لأول مرة؛ مما يؤكد أن الفرنجة كانوا على علم ببعض الساعات منذ عهد بين. انظر،

Bouillet: Dictionnaire universel d'histoire et de géographie, p 1444.

بابا في الخامس من يوليو من عام 767م، إلا أن فريق من رجال الدين ثار على تلك الأوضاع، وتزعم هؤلاء الثوار شخصاً يدعى كريستوف Christophe وابنه سرجيوس - وكان الأول مستشارا للبابا بولس السابق وكان الآخر يشغل منصب أمين غرفة المقدسات في كنيسة القديس بطرس-، وقاموا باستدعاء ملك اللبارديين ديسيدريوس. وبفضل الجيوش اللباردية التي أرسلها ديسيدريوس أن تمكن من الاطاحة بالبابا قسطنطين (767م) وسمل عينية. وفي مستهل عام 768م تمكن الظافرون من تنصيب ستيفن الثالث (768-772م) أحد رجال الدين بابا على البابوية. وأدت هذه الأحداث إلى ارتفاع مكانة كريستوف وابنه سرجيوس اللذان استغلا ضعف البابا ستيفن الثالث واستبدا بالامر وهيمننا على البابوية⁽¹⁾.

استبد الامر بالبابا ستيفن الثالث وحاول أن يقلل من نفوذ كريستوف وابنه، بطلب المساعدة من مملكة الفرنجة، ولكن مملكة الفرنجة كانت تمر آنذاك بفترة اضطراب بسبب النزاع المستمر بين شارلمان وكارلومان حالت دون تدخلهما في شئون إيطاليا، مما جعل البابا يستعين بملك اللبارديين للتخلص من كريستوف وابنه، فعمل ديسيدريوس على استغلال الفرصة وانتهى ذلك بموت كريستوف وإيداع ابنه السجن مع العديد من أنصاره وبذلك انتصر الحزب اللباردي في روما على خصومه دون منازع⁽²⁾، وأعقب ذلك أن أرسل البابا رسالة إلى شارلمان ذكر فيها أن كريستوف وابنه تسامرا على قتله وانه يدين بحياته إلى ديسيدريوس الذي لم يتوان عن المجئ إلى روما لرد الاملاك البابوية⁽³⁾. ولكن عندما طالب البابا ديسيدريوس بإقامة مفاوضات مباشرة لحل النزاع بينهما والتنازل عما اغتصبه من أملاك، رفض المطالب البابوية رفضاً تاماً⁽⁴⁾.

(1) الحويرى: اللومبارديون، ص 139-141.

(2) الحويرى: اللومبارديون، ص 143؛ وفاء الغزالي: السياسة الخارجية لمملكة الفرنجة، ص 154.

(3) الحويرى: اللومبارديون، ص 144؛ وفاء الغزالي: السياسة الخارجية لمملكة الفرنجة، ص 154.

(4) نجاة محمد احمد: السياسة الخارجية لشارلمان، ص 90.

وحدث أن كتب البابا ستيفن الثالث خطاباً إلى شارلمان يشرح له الاحداث الجارية آنذاك حتى يشعره بمدى خطورة ازدياد نفوذ ديسديريوس وخطره على روما والبابوية. وبالفعل أدرك شارلمان خطورة الموقف وما يمثله ازدياد نفوذ ديسديريوس في روما من خطورة على مملكة الفرنجة؛ لذا خلال صيف 771م قام بتطلق زوجته اللمباردية ديسدراتا. فانهار التحالف السياسي الذي تشكل نتيجة هذا الزواج، بل تحول إلى عدااء مرير، وأنهى هذا الطلاق مخاوف البابوية من التحالف الفرنجي اللمباردي الذي يهدد نفوذها في إيطاليا. ويقال أن سبب تطلق ديسدراتا بدعوى إنها مريضة وعافر، وإن كنا في الحقيقة لا نستطيع الجزم بالدافع الذي حدا به إلى طلاقها⁽¹⁾.

تزوج شارلمان من فتاة أخرى هي هلدجارد⁽²⁾ Hildegard⁽³⁾، وبالرغم من غضب أمه وشجارها معه إلا أن ذلك لم يصرفه عن قراره، وكذلك موقف باقى الفرنجة الذين وجهوا له اللوم والتأنيب واعتبروا ذلك خيانة⁽⁴⁾، وظلوا على حبهم لديسدراتا التي كانت في نظرهم الزوجة الشرعية⁽⁵⁾. أما البابا فلم يظهر أي احتجاج على الطلاق الذي يخالف قوانين الكنيسة وربما كان ذلك يوافق أهدافه الخاصة⁽⁶⁾.

(1) اينهارد: سيرة شارلمان، ص 115.

(2) هلدجارد: هي فتاة من اقليم سوابيا الذي يقع بالجنوب الغربى من المانيا الاتحادية حالياً. وكانت فى الثلاثين من عمرها عند زواجها من شارلمان عام 771م. وقد انجبت له اربعة اولاد هم : شارل وبين و لويس ولوثر وخمسة بنات من بينهن : روتروود وبرتثا. وقد استمر زواج شارلمان بها حتى وفاتها عام 783م. انظر: اينهارد: سيرة شارلمان؛ حاشية، ص 116-117.

(3) اينهارد: سيرة شارلمان، ص 116.

(4) ديفز: شارلمان، ص 56.

(5) Oman: Dark Ages, p. 338.

(6) Gerhard Seeliger: Conquests and Imperial, p. 596.

بينما كانت الامور تجرى على هذا النحو أن توفي كارلومان فجأة في زهرة شبابه في مستهل العام الرابع من حكمه 771م، وفي لحظة ما "وصل الوفاق بينه وبين شقيقه شارلمان إلى طريق مسدود لا يمكن إعادته إلى حاله إلا بمشقة بالغة". واندلعت مشكلة كبرى، فالملك المتوفي كان قد ترك أرملة وهى جربرجا وولدين قاصرين، ونتج عن قيام شارلمان باغتصاب أملاك شقيقه لجوء الارملة مع ولديها إلى ديسديريوس لمانصرتها وإرجاع أملاك ولديها المغتصبة، إضافة إلى تطليق شارلمان لابنته كل هذه الامور أججت الحرب بين شارلمان واللمباردين، ونتج عن ذلك بروز المشكلة اللمباردية في الافق⁽¹⁾.

وكان أن مات البابا ستيفن الثالث عام 772 وخلفه البابا هادريان الأول Hadrain I (772-795)⁽²⁾ الذي اشتهر بكرهه الشديدة لللمباردين، والذي ساءت العلاقات بينه وبينهم في هذه الفترة، واستغل ديسديريوس الفرصة التي اتاحت له، وهى لجوء ارملة كارلومان إليه، وقام بتجنيد الجيش اللمباردى كله واتجه به صوب روما، مصطحباً معه ارملة كارلومان وولديها، وحاول ديسديريوس أن يجبر البابا على تتويج ولدى كارلومان ومنحهما بركته حتى يجعل منهما منافساً خطيراً لشارلمان انتقاماً منه لطلاق ابنته من ناحية وليفسد العلاقات بين البابوية والفرنجة من ناحية أخرى، ومن ثم يحقق حلمه في إيطاليا الموحدة تحت نفوذه، لكن البابا رفض لأن ذلك يتنافى مع مصالحه الشخصية في محالفة الفرنجة مما أدى إلى تشديد ديسديريوس قبضته على روما، فعمل البابا على الاستنجاد بشارلمان حيث بعث إليه سفارة يطلب منه إنقاذ الكنيسة والاكسارخية

(1) الحويرى: اللومبارديون، ص 147؛ نجاة محمد احمد: السياسة الخارجية لشارلمان، ص 93؛ وفاء الغزالى: السياسة الخارجية لمملكة الفرنجة، ص 154.

(2) البابا هادريان الأول : تولى البابا هادريان الكرسي البابوي في فبراير سنة 772م، وينحدر من احدى الاسر البارزة في مدينة روما التي احتل افرادها مواقع عليا مدنية ودينية إلى جانب امتلاكها اقطاعيات واسعة ومناطق زراعية شمال المدينة . انظر،

Donald Bullough , The Age of Charlemagne , London ,Elek Books LTD , 1965, P.49 .

مثلما فعل أبوه يبين القصير من قبل⁽¹⁾.

استقبل شارلمان رسول البابا عام 773م، وكان مشغولاً آنذاك بتأمين حدود مملكته الشرقية ولذا رجح اجتناب الحرب في إيطاليا. وحاول أن يتفاوض مع دسيدرئوس حول تسليم الأراضي التي استولى عليها للبابوية، حتى إنه أراد أن يقدم له مبلغاً من المال أربع عشرة ألف قطعة من الذهب إذا أصلح أخطاءه مع البابا، ولكن لم تنجح محاولة شارلمان بسبب تصميم دسيدرئوس على فرض ارادته⁽²⁾.

ولكن الخطر الذي يهدد شارلمان إذا نجح دسيدرئوس في محاولته وأخضع روما فربما أثار المنافسين من أبناء شقيقه. ولذا وجب ان يقرر بالمبادرة إلى السلاح والحرب، وقد جهز جيشين في جنيف يوليو 773م: أحدهما بقيادة عمه برنارد؛ والآخر تحت قيادة شارلمان نفسه. كانت ممرات الجانب الإيطالي محصنة بقوة من قبل دسيدرئوس. وتشير الروايات المتأخرة إلى مجموعة لمباردية أرشدت الفرنجة عبر الجبال إلى إيطاليا بطرق سرية. ومن المؤكد تاريخياً أن شارلمان حرك قسماً من جيشه بطريق غير مباشر، في الوقت الذي كانت فيه المفاوضات مستمرة مع دسيدرئوس، مما دفع الأخير إلى الاطمئنان والتخلي عن تحصين وضعه في الممرات والانسحاب إلى بافيا، بينما التجأ ابنه ادلجيس Adalgis وجربرجا ارملة كارلومان وأبنائها إلى حصن فيرونا Verona⁽³⁾.

(1) الحويرى: اللومبارديون، ص 147-149؛ وفاء الغزالي: السياسة الخارجية لمملكة الفرنجة، ص 154-156.

(2) نور الدين حاطوم: العصر الوسيط، ص 153؛ الحويرى: اللومبارديون، ص 150؛ وفاء الغزالي: السياسة الخارجية لمملكة الفرنجة، ص 156-157.

(3) كارلس ديفز، شارلمان، ص ص 69-70؛

Gerhard Seeliger : Conquests and Imperial, CMH.vol .II , P. 9 ; Bullough :The Age of Charlemagne, P.50 .

ولم يكن شارلمان يعلم بذلك حتى ترك الجزء الأكبر من جيشه على حصار بافيا واتجه إلى فيرونا التي لم تقاوم وسقطت في يده واستطاع ادلجيس الفرار إلى بيزنطة وسُلمت جربرجا وأولادها إلى شارلمان⁽¹⁾. وبقيت بافيا تدافع بقوة. وفي هذه الاثناء أراد شارلمان زيارة روما ليصلي على ضريح القديس بطرس. وتلقى هادريان الخبر بمفاجأة وخوف، غير أنه تماسك واستقبل "حامى الرومان" باحتفال مهيب وبما هو أهل له. والتقى الملك والبابا في كنيسة القديس بطرس، وتبادلا الايمان والضمانات المشتركة، وبعد أن استسمح شارلمان من البابا دخل روما. ثم طلب البابا من شارلمان تجديد هبة ابيه بيبين للبابا في كيرسى Quierzy عام 754م، فأعطاه نيابة رافنا ودوقتي سبوليتو وبنتفتو والبندقية واستريا وكتب صكا بذلك للبابا، ثم عاد إلى بافيا التي استمر حصارها تسعة اشهر حتى فتكت بها المجاعات والأوبئة حتى اضطرت المدينة إلى الاستسلام يونيو 774م، وأخذ ديسيدريوس وعائلته أسيراً إلى مدينة ليبج⁽²⁾. ولم يكتفى شارلمان بضم لمبارديا لمملكته بل أعلن نفسه ملك الفرنجة واللمباردين⁽³⁾.

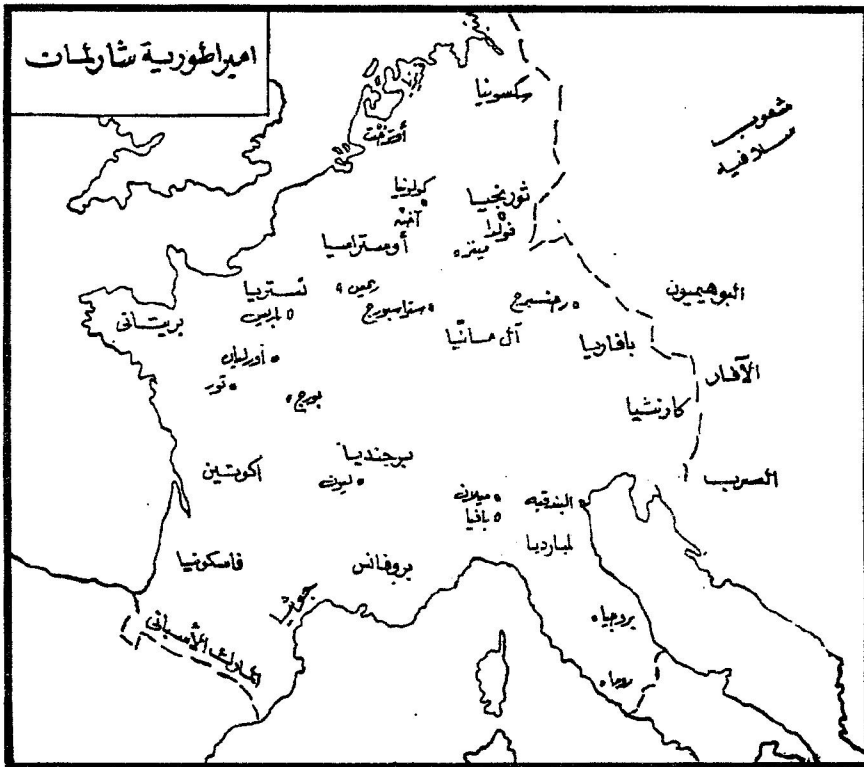
كانت حملة شارلمان على اللمبارد تختلف عن حملة والده بيبين القصير (الثالث). فخلافاً لوالده أرق شارلمان ديسيدريوس بحصار طويل وأجبره على الاستسلام، واعاد للكنيسة كل ما خسرت. وبذلك فقد أخضع عموم إيطاليا

(1) يقال إن شارلمان عثر في فيرونا على أسرة كارلومان، غير إن التاريخ لاذا بالصمت تجاه مصيرها، وإن كان الأرجح أنهم نزلوا بأديرة غير معروفة إذ إن اعدامهم يثير العواطف. انظر: ديفز: شارلمان، ص 73-74.

(2) قام شارلمان بحلق شعر ديسيدريوس وادع مع زوجته دير كوربي Corbey الواقع على نهر السوم في فرنسا حيث قدر لهما أن يقضيا فيه بقية حياتهما. ويقال إن ديسيدريوس هرب مع زوجته عبر جبال الالب إلى بافاريا عند دوق بافاريا حيث قضيا بقية حياتهما هناك. انظر، Oman, Dark Ages, p.347

(3) نور الدين حاطوم: العصر الوسيط، ص 153-154؛ الحويرى: اللومبارديون، ص 151؛ وفاء الغزالي: السياسة الخارجية لمملكة الفرنجة، ص 160-161 لمزيد من التفاصيل عن إمبراطورية شارلمان انظر خريطة رقم (6).

لسلطته . فاستطاع شارلمان بعد ست سنوات من حكمه أن يحقق ما عجز عنه والده بيبين ، وهو اكماله القضاء على مملكة اللمبارد نهائياً ، وضم ممتلكاتها إلى مملكته ، على الرغم من السيادة الاسمية للبابوية عليها .



نقلاً عن: سعيد عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص 156.

الختامة

وبعد ليس الغرض من هذه الكلمة الختامية أن تكون تليخساً لما انتهى إليه البحث من نتائج، وإلا صار الأمر تكراراً لا مبرر له، وإنما أردت بهذه الكلمة أن أعبر عن النتائج التي انتهت إليها والتي أعتقد أنني توصلت إليها.

ولقد اشتمل البحث على العديد من القضايا التي ناقشها الباحث، منها أصول القبائل الجرمانية التي ارجعها معظم المؤرخين إلى المناطق المحيطة بالبحر البلطي وشبة جزيرة اسكنديناوه. كما ناقش الباحث علاقة الجرمان بالإمبراطورية الرومانية تلك العلاقة التي مرت بأدوار مختلفة، حيث كانت في بدايتها سلمية حتى نهاية القرن الثاني الميلادي، ولكن نتيجة الضغوط المستمرة على الجرمان أن بدأ موقفهم السلمي يتغير تجاه الإمبراطورية الرومانية، وفي النهاية انتهت هذه العلاقة بغزو الجرمان لأراضي الإمبراطورية الرومانية وإقامة العديد من الممالك الجرمانية بين ربوعها.

من أهم القضايا التي تناولها الباحث أيضاً، هي نشأة الممالك الجرمانية التي اتخذت عدة مراحل على فترات متفاوتة حتى نجحوا في النهاية تأسيس ممالكهم الخاصة على انقاض الإمبراطورية الرومانية الغربية تارة بالسلم وتارة بالعنف وتارة أخرى بالخديعة. وأن بعض الاباطرة الرومان والبيزنطيين نجحوا في كبح جماح هذه العناصر المتبربرة مثل الإمبراطور ثيودوسيوس الذي نجح بفضل مهارته السياسية في تحويل القوط الغربيين إلى معاهدين أوفياء، وذلك حين هبأ لهم موطناً آمناً في إقليم تراقيا. والإمبراطور زينون أيضاً الذي نجح في إبعاد خطر القوط الشرقيين عن الإمبراطورية الشرقية حين عهد إلى الملك ثيودريك بالتوجه -مع قومه- إلى إيطاليا بهدف تخليصها من أدواكر. وبذلك نجح الإمبراطور

زينون ابعاد القوط الشرقيين عن البلقان، وتخلص من عبثهم، وفي نفس الوقت أكد سلطة الإمبراطورية الرسمية على إيطاليا حيث أن ادواكر قد بدأ في توطيد استقلاله عن الإمبراطورية.

وتناولت أيضاً قضية المصاهرات السياسية بين الممالك الجرمانية في نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس الميلادي، وأن الملك ثيودريك Theodoric (489-526م) قام العديد من المصاهرات السياسية مع العديد من الحكام البرابرة في الغرب من القوط الغربيين، الفرنجة، البرجنديين، الوندال، والثورنجيين وذلك قرب نهاية القرن الخامس الميلادي. وبذلك حاول الملك ثيودريك استخدام المصاهرات السياسية لتأكيد نفوذه وتعزيز سلطته وهيبته ضد منافسيه، ونجح في ذلك إلى حد كبير.

وقد حاول الباحث ايضاح العلاقات بين الممالك الجرمانية في تلك الفترة، تلك العلاقات التي تمثل جانباً منها في المصاهرات السياسية. وقد توقفت تلك العلاقات على عدة عوامل منها المصلحة السياسية لكل ملك من هؤلاء الملوك، فقد اثبتت الدراسة أن كل ملك من هؤلاء الملوك كان مصالحه الخاصة ومخاوفه ومستقبله في المشهد السياسي في اوائل القرن السادس، وكل واحداً منهم يعمل سويّاً مع القوي الخارجية عندما يعتقد إنها مفيدة لسياسته، حيث أن الخلافات والفرص المتاحة لتوسيع نفوذه يمكن تأتي وتذهب في مشاهد سياسية مختلفة، ولا يمكن تحديدها ببساطة على يد شخص تزوج بأخرى. وأن الملوك الجرمان يعرفون كيف تُصنع السياسة والحروب والتحالفات السياسية، وهم أيضاً يعرفون كيفية استخدام الأوضاع ونفوذ الدم الملكي، الثروة والنجاح في المعارك، لتعزيز نفوذهم ضمن محيطهم السياسي الخاص.

كما توصل الباحث إلى نتيجة هامة هي أن المصاهرات السياسية قد تكون سبباً في القضاء على مملكة من الممالك الجرمانية، وهو ما حدث بالفعل مع مملكة البرجنديين، فقد كانت المصاهرة بين كلوفس وكلوتيلدا سبباً في الحرب

بين الفرنجة والبرجنديين، حيث دعت كلوتيلدا أبنائها لمهاجمة البرجنديين انتقاماً لمقتل والديها. فلم تنس كلوتيلدا حجم المآسى والمصائب التي لحقت بأسرتها على يد عمها جندوباد. وفي نفس الوقت تحالف ثيودريك ملك القوط الشرقيين أيضاً مع الفرنجة بسبب مقتل حفيده سجريك، وانتهى الأمر بالقضاء على مملكة البرجنديين. كذلك وضع الباحث مصاهرة شارلمان ودسيدرانا، والتي كانت أيضاً سبباً من أسباب نهاية مملكة اللمبارديين في إيطاليا. وهكذا نرى دور المصاهرات السياسية في القضاء على بعض الممالك.

كما تناول أيضاً قضية المصاهرات السياسية بين القوط الغربيين والفرنجة، فقد حاول الباحث ايضاح العلاقات بين القوط الغربيين والفرنجة عن طريق المصاهرات السياسية بينهما. وقد كانت العلاقات بين القوط الغربيين والفرنجة في تلك الفترة واحدة من حالات العداء بدلاً من السلام، على الرغم من احتمال وجود فترات سلام قصيرة وسط هذه الحروب. كما توصل الباحث إلى نتيجة هامة هي ملوك الفرنجة في تلك الفترة حاولوا تأكيد وتعزيز وضعهم طريق الزواج السياسي مع القوط الغربيين، وذلك من اجل كسب مزيد من السلطة والأراضي والثروة والاتباع المخلصين، والتي من شأنها تحسين وضعه من أجل التنافس الداخلي، فضلاً عن الدعم العسكري في حملاته الخارجية. وهكذا نجد أن تقسيم مملكة الفرنجة أسفر عن صراع كبير بين الملوك المنافسين. كذلك حاول ملوك القوط الغربيين محالفة الفرنجة، مثل الملك اثاناجيلد القوطي الذي رتب زواج سياسي مع كلاً من سيجبرت وشلبريك ملوك الفرنجة من أجل حماية حدود مملكته الشمالية.

ومن أهم القضايا التي تناولها الباحث أيضاً، قضية الأميرة كلوتيلدا الصغرى زوجة امالريك ملك القوط الغربيين، حيث تعرضت للضرب لدرجة النزيف وسوء المعاملة من زوجها امالريك، الذي كان يريد تحويلها من الكاثوليكية إلى الأريوسية، مما أدى إلى اشعال نار الحرب بين المملكتين، تلك

الحرب التي انتهت بمقتل الملك امالريك ، وهكذا نجد ان بعض المصاهرات كان لها تأثير سلبي على بعض الممالك الجرمانية بدلا من إحلال السلام بينهما .

كذلك تناول الباحث دور الأميرة انجوند في التأثير على زوجها الأميرة هرمنجلد ، حتى نجحت في تحويله من الأريوسية إلي الكاثوليكية ، مما كان له دوراً كبيراً في تمرد الأمير هرمنجلد ضد والده ليوفجيلد ، وانتهى الأمر بفشل ثورة الأمير وقتله . ويظهر أيضاً الدور السلبي للمصاهرات في تلك القضية .

ومن أهم القضايا التي تناولها الباحث أيضاً ، دور النساء في تلك المرحلة ، فلقد لعبت النساء دوراً كبيراً في تاريخ الممالك الجرمانية خاصة الملكة كلوتيلدا ودورها في تعميم الملك كلوفس على الكاثوليكية ، كما أوضح الباحث أيضاً دورها في القضاء على مملكة البرجنديين .

ومن جانب آخر أثبت الباحث من خلال الدراسة العديد من النقاط الهامة ، أهمها : الدور الايجابي للملكة برونهيلد في الحفاظ على عرش مملكة الفرنجة لصالح ابنها شلدبرت الثاني ضد مطامع الملك شلبريك ، فغالبية المصادر والمراجع التي تناولت الحديث عن الملكة برونهيلد تركز على الجانب السلبي في حياة الملكة الذي يتلخص دورها في الصراعات التي سادت داخل الأسرة الفرنجية .

ومن أهم القضايا التي تناولها الباحث هي المصاهرات السياسية بين الفرنجة واللمبارديين ، ودورها في عقد السلام والتحالف بين المملكتين ، ذلك السلام الذي لم يستمر طويلاً خاصة بعد التحالف البيزنطي الفرنجي للقضاء على اللمبارديين .

كذلك تناول الباحث قضية التحالف البيزنطي الفرنجي ضد اللمبارديين ، والحملة الفرنجية على مملكة اللمبارديين التي تسببت بالكثير من المعاناة للسكان الرومان في إيطاليا ، إذ عاملهم الفرنجة معاملة الأعداء ، مع أنهم أتوا إلى إيطاليا بغية تخليصهم من اللمبارديين . ومن النتائج التي توصل إليها الباحث فشل

التحالف الفرنجي البيزنطي لم يقم على دعائم راسخة منذ بدايته ولم يحقق الهدف الذي عقد من اجله ، إذ كانت تزلزله في الواقع الشكوك المتبادلة بين الطرفين ، وإتهام كل منهما للآخر بالعمل لمصلحته. ونجح الملك أوثاري في قطع جذور ذلك التحالف تماماً ، عندما أرسل سفارة من قبله إلي جونترام ملك الفرنجة وعم شلدبرت الثاني يطلب عقد اتفاقية صلح وسلام بين المملكتين. وبذلك عاد السلام بين المملكتين.

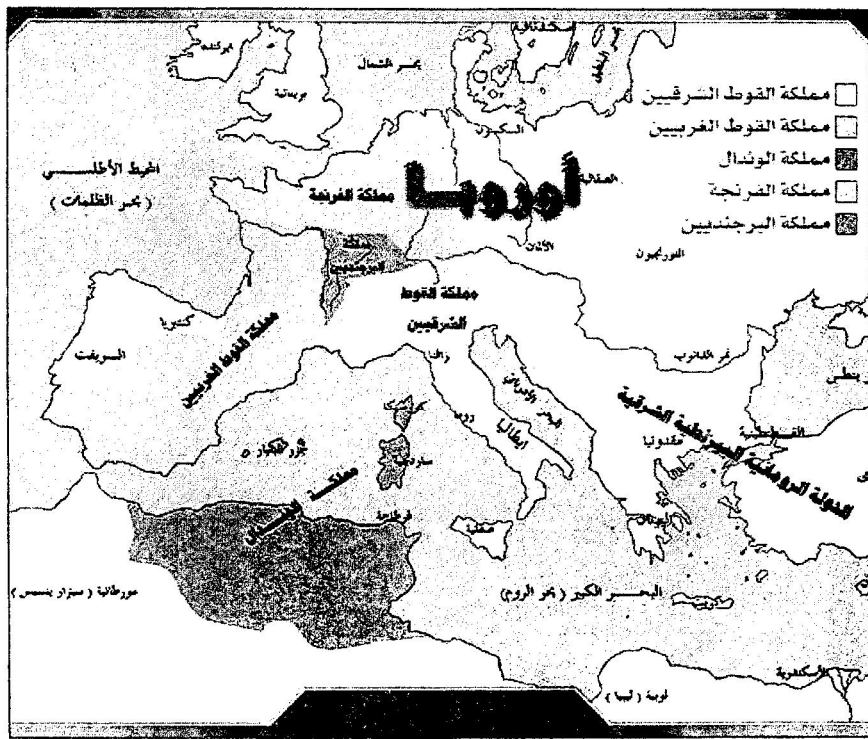
كما أوضح الباحث العديد من مشاريع الزواج ، والتي كانت عبارة عن خطط للتحالف بين الممالك الجرمانية ، كما أوضح دور هذه المشاريع في الحفاظ على التعاون والتحالف بين الطرفين.

قائمة الملاحق والخرائط

ثبت بالمصاهرات السياسية بين الممالك الجرمانية

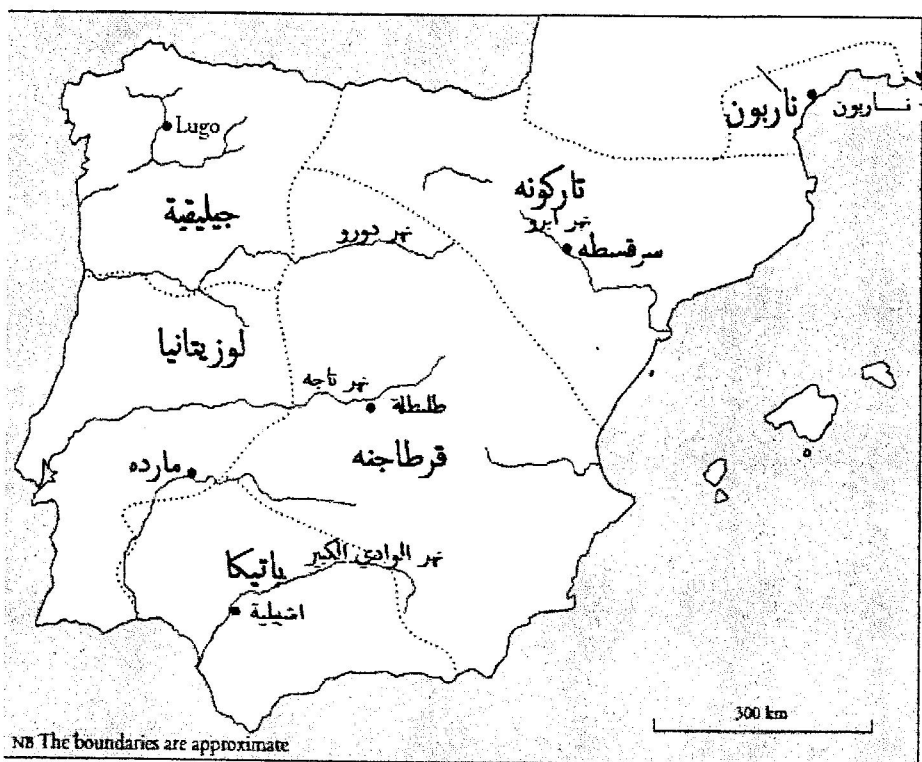
م	المصاهرة	اطراف المصاهرة	تاريخ المصاهرة
1	كلوفس وكلوتيلدا.	الفرنجة والبرجنديين	عام 492 أو 494م
2	ثيودريك العظيم وأوديلدا.	القوط الشرقيين والفرنجة	حوالي عام 493م
3	آلاريك الثاني وثيودوجوثا.	القوط الغربيين والشرقيين	حوالي عام 500م
4	سيجسموند واوستر جوثا.	البرجنديين والقوط الشرقيين	في نهاية القرن الخامس
5	امالريك وكلوتيلدا الصغرى.	القوط الغربيين والفرنجة	حوالي عام 526 أو 527م
6	ثيودبرت الأول ووزجارد.	الفرنجة واللمبارديين	عام 540م
7	ثيودوبلد الأول ووالديرادا.	الفرنجة واللمبارديين	حوالي عام 551م
8	ألبوين وكلوسندا.	اللمبارديين والفرنجة	بين عامي 556 و560م
9	سيجبرت وبرونهيلد.	الفرنجة والقوط الغربيين	عام 566م
10	شلمبريك وجالسيونثا.	الفرنجة والقوط الغربيين	بين عامي 567-568م
11	هرمنجلد وانجوند.	القوط الغربيين والفرنجة	عام 579م
12	مشروع زواج ريكاردو وريجوثا.	القوط الغربيين والفرنجة	احداث اعوام 581-584م
13	خطوبة ريكاردو وكلودوسندا.	القوط الغربيين والفرنجة	احداث اعوام 586-587م

14	مشروع زواج أوثاري وكلودوسندا.	اللمباردين والفرنجة	عام 589م
15	أدلوالد وابنة ثيودبرت الثاني.	اللمباردين والفرنجة	عام 600م
16	ثيودريك وارمنبرجا.	الفرنجة والقوط الغربيين	عام 607م
17	شارلمان ودسيدراتا.	الفرنجة واللمباردين	عام 770م



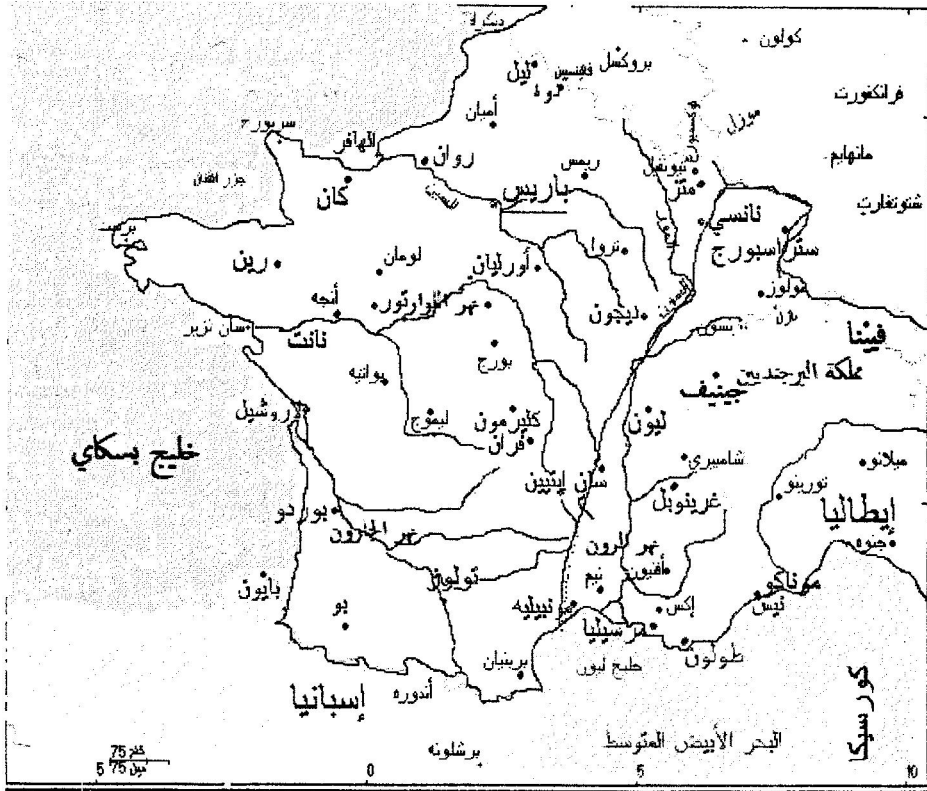
خريطة رقم (7) الممالك الجرمانية في القرن السادس الميلادي

www.n2hr.com/up/uploads/images/n2hrcom-9169f8e5e7.jpg



خريطة رقم (8) أهم المقاطعات القوطية في إسبانيا

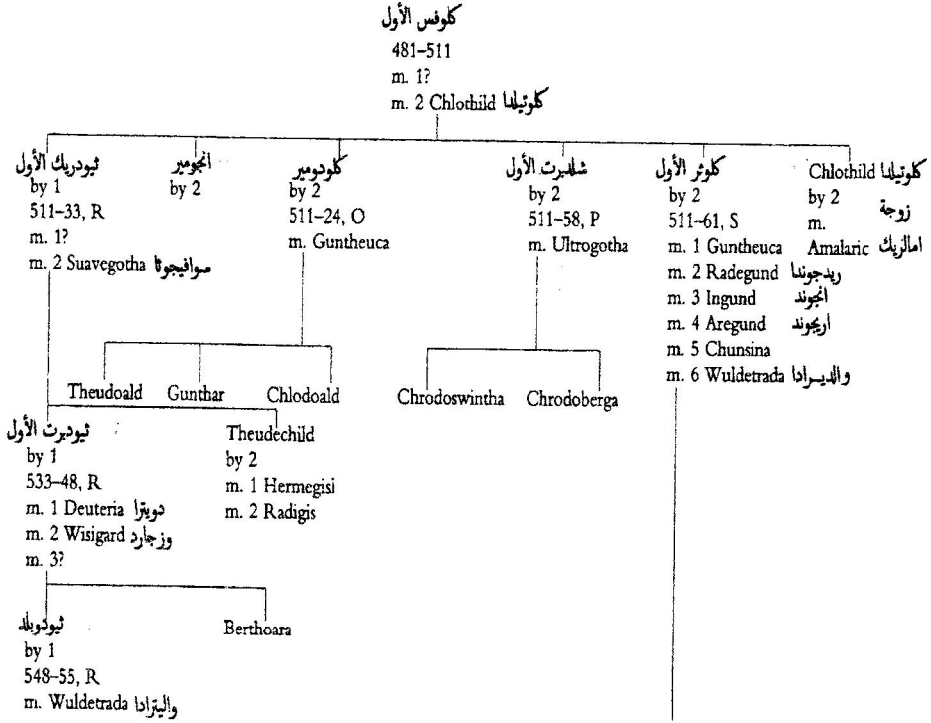
نقلًا عن محمد عبده حتامه : ايبيريا قبل مجئ العرب المسلمين ، ص 203 .



خريطة رقم (9) أهم المدن الفرنسية

نقلًا عن : <https://pbs.twimg.com/media/CM6eQNpVAAAnvzu.jpg>

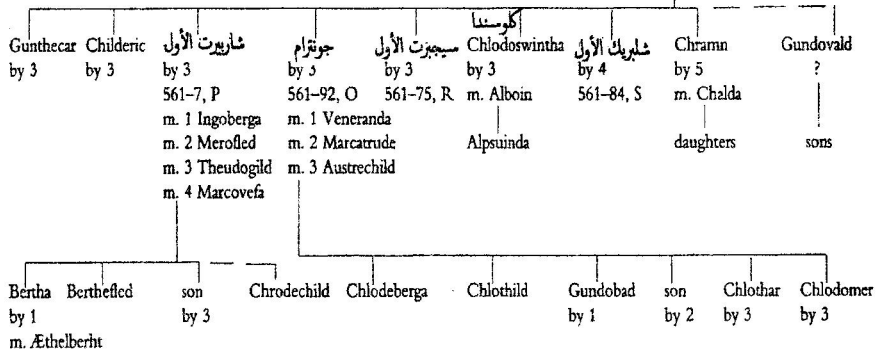
ثبت بأسماء ملوك الفرنجة الميروفنجيين



نقلًا عن : Wood: The Merovingian Kingdoms, p.344.

تابع ملوك الفرنجة المير وفنجيين

كلوثر الأول 511-561



Key

○ Orléans اور لیانز

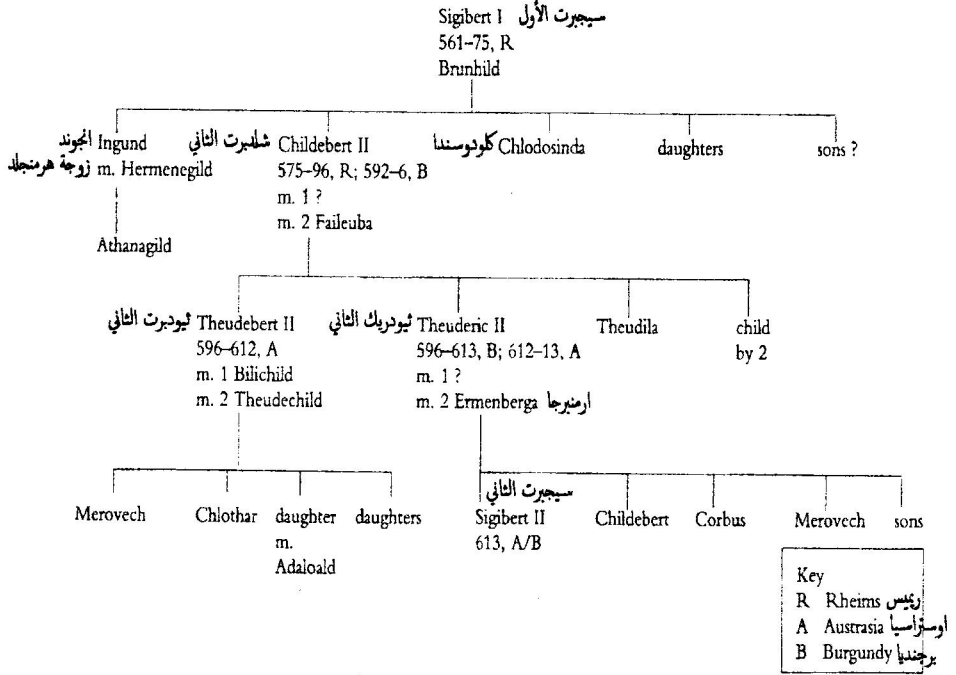
P Paris پاریس

R Rheims/Metz **میتز**

S Soissons سواسون

نقلاً عن : Wood: The Merovingian Kingdoms, p.345.

تابع ملوك الفرنجة الميروفنجيين



نقلًا عن : Wood: The Merovingian Kingdoms, p.347.

تابع ملوك الفرنجة الميروفنجيين

شليريك الأول Chilperic I

561-84, S

m. 1 Audovera

m. 2 Fredegund

m. 3 Galswinth

Theudebert by 1	Merovech by 1 m. Brunhild	Clovis by 1	Basina by 1	Childesinth by 1	Rigunth by 2	Samson by 2	Chlodobert by 2	Dagobert by 2	Theuderic by 2	Chlothar II by 2 584-629, N 613-29, B 613-23, A m. 1 Haldetrude m. 2 Berthetrude m. 3 Sichild	كلوثر الثاني ? by 2
--------------------	------------------------------------	----------------	----------------	---------------------	-----------------	----------------	--------------------	------------------	-------------------	--	------------------------

Merovech
by 1 (?)

داغوبيرت الأول Dagobert I

by 1 or 2

623-32, A; 629-39, N/B

m. 1 Gomatrude

(sister of Sichild)

m. 2 Nantechild

m. 3 Ragnetrude

m. 4 Wulfegund

m. 5 Berchild

et al

شاربيريث الثاني Charibert II

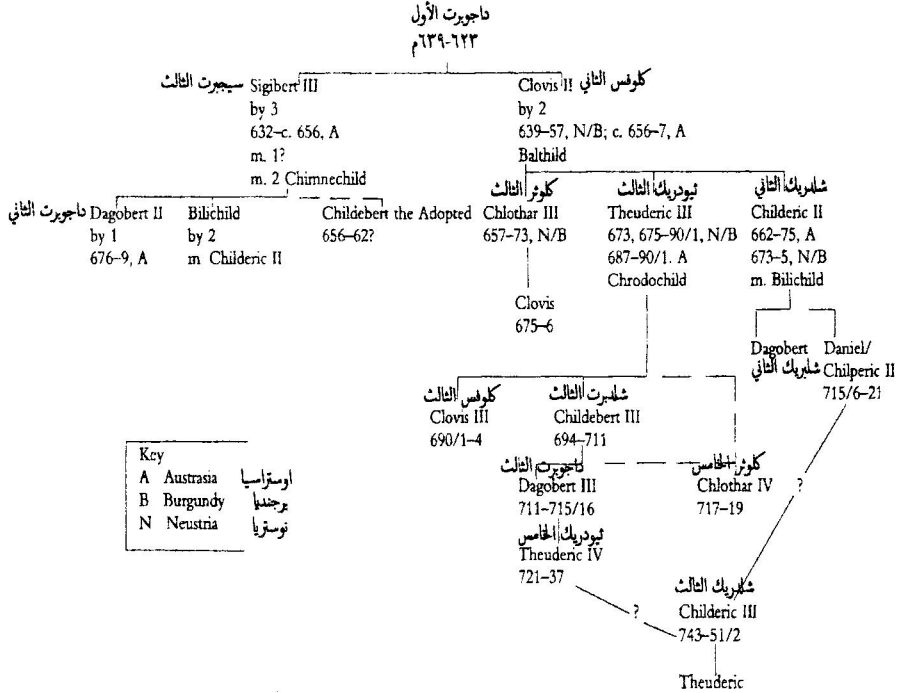
by 2 or 3

629-32, Aquitaine

Chilperic

نقلًا عن : Wood: The Merovingian Kingdoms, p.348.

تابع ملوك الفرنجة الميروفنجيين



نقلًا عن : Wood: The Merovingian Kingdoms, p.349.

الملوك اللمبارد في إيطاليا

٥٧٢ — ٥٦٨	أليسين
٥٧٣ — ٥٧٢	كليف
٥٩٠ — ٥٨٤	أوثاري
٦١٦ — ٥٩٠	أنجيلولف
٦٢٦ — ٦١٦	أدالموند
٦٣٦ — ٦٢٦	أريولد
٦٥٢ — ٦٣٦	روثاري
٦٥٣ — ٦٥٢	رودوالد
٦٦٢ — ٦٥٣	أريبرت الأول
٦٦٢	جودبرت
٦٦٢	بركتاريت
٦٧١ — ٦٦٢	جريموالد
٦٨٨ — ٦٧١	بركتاريت (ثانية)
٧٠٠ — ٦٨٨	كونبرت
٧٠١ — ٧٠٠	ليوتبرت
٧١١ — ٧٠١	أريبرت الثاني
٧١٢	آنسبراند
٧٤٣ — ٧١٢	ليوتبراند
٧٤٤ — ٧٤٣	هلدبراند
٧٤٩ — ٧٤٤	راثسيس
٧٥٦ — ٧٤٩	أستولف
٧٧٤ — ٧٥٦	أسدريوس

نقلاً عن : محمود محمد الحويري : اللومبارديون في التاريخ والحضارة، ص 235.

قائمة المصادر والمراجع

- أولاً : المصادر الأجنبية .
- ثانياً : المصادر الأجنبية المعربة .
- ثالثاً : المراجع الأجنبية .
- رابعاً : المراجع العربية والمعربة .
- خامساً : الدوريات .
- سادساً : دوائر المعارف الاجنبية .
- سابعاً : الرسائل العلمية :
- الرسائل الأجنبية غير المنشورة .
- الرسائل العربية غير المنشورة .

AGATHIAS

- Agathias: The Histories , eng . trans , Frendo ,(J.), (Newyork . 1975)

AIMOINI MONACHI

- Aimoini Monachi Floriaacensis: Gestis Regum Francorum, dans Recueil des historiens des Gaules et de la France, Tome.3, Paris, p. 21-143.

ANNALES REGNI FRANCORUM

- Annales Regni Francorum : dans Monumenta Germaniae Historica, SS. RER (Hannoverae. 1895), ed Kurze, Tome I.

ANONYMUS VALESIANUS

- Anonymus Valesianus: Excerpta Valesiana, recensuit Jacques Moreau (Bibliotheca Scriptorum graecorum et romanorum Teubneriana), Editionem correctiorem curavit Velizar Velkow, (Leipxic. 1968).

AMMIANUS MARCELLINUS

- Ammianus Marcellinus : eng . trans , Rolfe ,(J.c.), (London. 1935)

AUSTRASIAN LETTERS

- Austrasian Letters In Studies in Austrasian politics and diplomacy from Theudebert I to Childebert II, by Brian Hancock, A Thesis in the Department of History at Concordia University 1990.

AVITUS OF VIENNE

- Avitus of Vienne: Letters and Selected Prose, (Translated Texts for Historians, Volume 38) Translated with an introduction and notes by Danuta Shanzer and Ian Wood, (Liverpool University Press 2002).

BAUDONIVIA

- De Vita Sanctae Radegundis libri duo edidit Bruno Krusch, (Hannoverae Impensis Bibliopolii Hahniani MDCCCLXXXVIII), Monumenta Germaniae Historica, Scriptores Rerum Merovingicarum II, PP.358-395.

- Baudonivia. "*The Life of the Holy Radegund*" in Jo Ann McNamara and John E. Halborg, with E. Gordon Whatley, ed. and trans. *Sainted Women of the Dark Ages*. Durham, NC: Duke University Press, 1992: PP.86-105.

CANDIDUS OF ISURIAN

- Candidus of Isaurian : In *The Fragmentary Classicising Historians of the Later Roman Empire*, vol,2, trans, Blockley, Roger C (Francis Cairns.1983), PP.463-473.

CASSIODORUS

- Cassiodorus : *The Letters of Cassiodorus* eng . trans . Hodgkin, (TH.), (London , 1886).

EVAGRIUS

- Evagrius : *The Ecclesiastical History of Evagrius* , eng . trans , Whtby , (M.), (Liverpool . 2000)

FLODOARD

- Flodoard : *Histoire de l'Eglise de Reims*, Trans, M Guizot, (Paris.1824).

FREDEGAR

- Fredegarii et aliorum chronica, In *Monumenta Germaniae Historica Scriptores Rerum Merovingicarum* (Hannoverae Impensis Bibliopolii Hahniani MDCCCLXXXVIII) , edidit Bruno Krusch ,Tomvs II, (Hannoverae. 1888), pp.1-194.

- *Fredegarii chronicon*. English & Latin. *The Fourth Book of the Chronicle of Fredegar*, with its continuations. Translated by J.M. Wallace-Hadrill. Westport, CT: Greenwood Press, 1981.

- *The "Historia epitomata"* *The Third Book of the Chronicle of Fredegar* , by Woodruff , Jane Ellen, an annotated translation and historical analysis of interpolated material, Ph. D. University of Nebraska-Lincoln 1987.

GREGORY OF TOURS

- Gregorii Episcopi Turonensis Libri Historiarum Francorum X, editionem alteram curaverunt Bruno Krusch et Wilhelmus Levison (Hannoverae Impensis Bibliopolii Hahniani MCMLI) Monumenta Germaniae Historica Scriptores Rerum Merovingicarum I.

- Gregory of Tours : The History of the Franks, Translated by Ernest Brehaut, New York: Columbia University Press, 1916.

- Gregory of Tours. The History of the Franks. Translated by Lewis Thorpe. New York: Penguin, 1974.

HUGONIS VIRDUNENSI

- Hugonis Virdunensi: Chronico Virdunensi Hugonis Abbatis Flaviniacensis , dans Recueil des historiens des Gaules et de la France, Tome III, PARIS, PP.353-365.

HYDATIUS

- Hydatius :The Chronicle of Hydatius, Edited with an English translation by R. W. Burgess,(Oxford.1993).

ISIDORE OF SEVILLE

- Isidore of Seville : History of the kings of the Goths, Vandals, and Suevi , Translated From The Latin by Guido Donini and Gordon B. Ford, (Leiden 1970).

JORDANES

- Jordanes. The Gothic History of Jordanes, eng . trans . Charles Christopher Mierow (Princeton University Press, 1915).

JOHN OF BICLAR

- John of Biclaro: Chronicle In Conquersors and Chroniclers of Early Medieval Spain, Trans Kenneth Wolf, (Liverpool 1999).

LIBER HISTORIAE FRANCORUM

- Liber Historiae Francorum, In Monumenta Germaniae Historica Scriptores Rerum Merovingicarum (Hannoverae Impensis Bibliopolii Hahniani MDCCCLXXXVIII) , edidit Bruno Krusch ,Tomvs II, (Hannoverae. 1888), pp.215-328.

MARIUS OF AVENCHES

- Marii Episcopi Aventicensis Chronica: in Chronica Minora Saec. IV. V. VI. VII edidit Theodorus Mommsen (Berolini apud Weidmannos MDCCCXCIII.1898). Monumenta Germaniae Historica. Avctorum Antiquissimorum Tomvs, XI. VOL. II, pp.225-239.

PAUL THE DEACON

- Paul the Deacon. History of the Langobards. Translated by William Dudley Foulke. University of Pennsylvania Press, 1907.

PLINY

- Pliny: Natural History, In Thirty-Seven Books, Translated by Philemon Holland, VOL. I, (New York, 1947).

PROCOPIUS

- Procopius of Caesarea: History of the Wars, Books I and II (Persian wars), In six Volumes, eng. trans Dewing , (H.B.), vol .1, (London . 1913).

- Procopius of Caesarea : History of the Wars: Books 3-4 (Vandalic War), eng. trans Dewing , (H.B.) vol .2. (London , 2007).

- Procopius. History of the Wars in Seven Volumes. Translated by H. B. Dewing. LOEB Classical Library (Harvard UP, 1914).

- The Persian War, eng. trans Dewing, (H.B.), Vol .1, (London . 1992)

- The Vandalic War, eng. Trans, Dewing, (H.B.) Vol .2., (London . 1990)

- Gothic War , eng.trans , Dewing . (H.B.), Vol .5, (London . 1992)

TACITUS

- Tacitus, Germania. Translated by M. Hutton. LOEB Classical Library 35. Harvard UP, 1980.

THEOPHANES

- Theophanes: The Chronicle of Theophanes The Confessor , Byzantine and Near Eastern History AD 284-813, trans. by Mango, C. & Scott , R., (Oxford. 1997).

VENANTIUS FORTUNATUS

- Venantius Fortunatus: Personal and Political Poems. Translated by Judith W. George. Translated Texts for Historians 23. Liverpool: Liverpool University Press, 1995.

- Venantius Fortunatus. "*The Life of the Holy Radegund*" In Jo Ann McNamara and John E. Halborg, with E. Gordon Whatley, ed. and trans. *Sainted Women of the Dark Ages*. Durham, NC: Duke University Press, 1992: 70-86.

JOHN OF ANTIOCHE

- John of Antioche : Fragments , eng . trans , Gordon , (C.D.), in the Age of Attila, Fifth Century Byzantium and the Barbarians, (Michigan . 1960).

MALCHUS OF PHILADELPHIA

- Malchus of Philadelphia : In The Fragmentary Classicising Historians of the Later Roman Empire, vol,2, trans, Blockley, Roger C(Francis Cairns.1983), PP.401-462.

MALALAS

- Malalas , (J.): Chronicle of Malalas , eng . Trans Jeffery (A) , (Melbourne . 1986)

MARCELLINUS COMES

- The Chronicle of Marcellinus Comes : Translation and Commentary, Brian Croke, (Sydney 1995).

OLYMPIODORUS OF THEBES

- Olympiodorus of Thebes: in The Fragmentary Classicising Historians of the later Roman Empire,trans by, R. C. Blockley, Francis Cairns 1983, PP.151-220.

ORIGO GENTIS LANGOBARDORUM

- Anonymus: Origo gentis Langobardorum in Monumenta Germaniae Historica. Scriptores rerum Langobardicarum et Italicarum, Saec.VI-IX, edidit Societas aperiendis fontibvs, (Hannover: Impensis Bibliopolii Hahniani .1988), pp. 1-6.

PRISCUS OF PANIUM

- Priscus of Panium: In The Fragmentary Classicising Historians of the Later Roman Empire, vol,2, trans, Blockley, Roger C(Francis Cairns.1983), PP.221-400.

ثانياً : المصادر الأجنبية المعربة والعربية :

•المورخ المجهول: تاريخ ملوك القسطنطينية، تحقيق وتعليق طارق منصور، تقديم زييده محمد عطا، القاهرة 2008.

• بروكبيوس القيصرى :

-الحروب القوطية، ترجمة عفاف سيد صبره، جزءان، الأول والثاني، القاهرة 1986.

-التاريخ السري، ترجمة صبري ابو الخير سليم، ط 1، القاهرة 2001.

• تاكيتوس : تاكيتوس والشعوب الجرمانية، ترجمة إبراهيم طرخان، القاهرة 1959.

ثالثاً : المراجع الأجنبية :

• **Kazhdan, Alexander.** :The Oxford Dictionary Of Byzantium, in three volumes, 1-3, Oxford University Press (New York 1991).

• **Arnold , (J.J.)** : Theoderic , The Goths and the Restoration of the Roman Empire , (Michigan . 2008)

• **Barbero and Loring**: The Formation of The Sueve and Visigoths Kingdoms In Spain, In The New Cambridge Medieval History, Volume 1, Cambridge University Press, 2008, PP.162-192.

• **Barni, G**: La Conquete de l'Italie, Paris, 1975.

• **Bradley , (H.)** : The Goths from Earliest Times to the End of Gothic Dominion in Spain , (London . 1888).

• **Bóna, István** : The Dawn of the Dark Ages: The Gepids and the Lombards in the Carpathian Basin, Translated by László Boros (Budapest, 1976).

• **Bullough, Donald**: The Age of Charlemagne , London ,Elek Books LTD, 1965.

• **Burr, G.L.**: "The Carolingian Revolution and Intervention in Italy", in: The Cambridge Medieval History, Cambridge, University Press, 1964,

- **Burns . (TH.):** A History of the Ostrogoths , (Indiana . 1992)
- **Bury . (T.B.):**
 - History of the later Roman Empire : from the death of Theodosius I to the death of Justinian , In Two Volumes , Volume 1 , University of Toronto, (New York. 1923).
 - The Invasions of Europe by Barbarian , A series of Lecture , without Numbers of the Pages , (London . 1928)
- **Busnan , Matthew:** A Dictionary of the Roman Empire, (New York 1991).
- **Calmette, Joseph :** Charmagne Sa vie et son Oeuvre, Paris 1945.
- **Carl, Stephenson :** Mediaeval History , New York , Harper Brothers-publishers, 1951 .
- **Charles, Cawley:** BAVARIA, in Medieval Lands database, Foundation for Medieval Genealogy, retrieved August 2012.
- **Collins , (R.):**
 - Early Medieval Europe 300-1000 (Basingstoke: Macmillan Education, 1990).
 - Early Medieval Spain: Unity in Diversity, 400-1000. 2nd ed. New York:St. Martin's Press, 1995.
 - *Fredgar*. Vol. 13 in Authors of the Middle Ages. Historical and religious writers of the Latin West, ed. Patrick J. Geary. (Brookfield, VT: Variorum, 1996).
 - Early Medieval Europe, 300-1000,(New York: St. Martin's Press, 1999).
- **Daly, William W.,** "Clovis: How Barbaric, How Pagan?," *Speculum* Vol. 69, No. 3. (Jul., 1994).
- **Davis, R.H. C.,** A History of Medieval Europe From Constantine to saint Louis, London , Longman , 1988 .
- **Dill, Sir Samuel,** Roman Society in Gaul in the Merovingian Age , London , George Allen &- unwinn LTD, 1926 .
- **Drinkwater, J. F.,** "The Usurpers Constantine III (407-411) and Jovinus (411-413)", *Britannia*, 29 (1998), p. 269-298.

• **Dudden,(H)** : Gregory The Great, In Two Volumes, Vol.I. (London,1905).

• **Ewig, Eugen** :

- "Studien zur merowingischen Dynastie."

Frühmittelalterliche studien 8 (1974),pp. 15-59.

- "Die Namengebung bei den ältesten Frankenkönigen und im merowingischen Königshaus." pp.21-69 In *Francia* 18, no. 1 (1991).

• **George, Anita** :Annals of The Queens of Spain, Vol.1,New York 1850.

• **George, Judith** : Venantius Fortunatus: *A Latin Poet in Merovingian Gaul*. Oxford: Clarendon Press, 1991.

• **Ghosh , Shami** :The Barbarian Past in Early Medieval Historical Narrative , Toronto 2009.

• **Guizot , M** : Collection des Memoires Relatifs A L histoire de France, Paris 1823.

• **Goffart , W:**

- Byzantine Policy in The West under Tiberius and Maurice (579-585), in *Traditio*, Vol. 13, 1957, pp.73-118.

- The Narrators of Barbarian History (A.D. 550-800) : Jordanes, Gregory of Tours, Bede, and Paul the Deacon. Princeton, N.J.: (Princeton University Press, 1988).

• **Gordon,(C.d.)** The Age of Attila, Fifth Century Byzantium and the Barbarians, (Michigan , 1960).

• **Hadrill, J.M.Wallace, ,** Fredegar and the History of France , The John Rylands Library, Manchester.

• **Halphen , Louis:** Charlemagne et L' Empire Carolingien , Paris , Editions Albin Michel 1949.

• **Harold , Mattingly** Harold:Tacitus on Britain& German, Suffolk 1950.

• **Heather , (P .)**

- The Goths , (Blackwell . 1996)

- "Cassiodorus and the Rise of Amal Genealogy and the Goths under Hun Domination "in *The Journal of Roman Studies*, vol . 79 , (1989) PP.103-128.

- **Hodgkin** , (TH.) :
 - Italy and her Invaders , vols .1-5 (Oxford . 1891)
 - Theoderic the Goths, (Newyork and London, 1891)
- **Hollister**, C. Warren:
 - Medieval Europe,New York , John Wileyson, 1978.
 - Medieval Europe A short source book , New York , John wiley sons , 1982.
- **James** , Edward:
 - The Origins of France , Ist ed . , London , The Macmillan press , 1982.
 - The Franks Peoples of Europe. Oxford, UK: Blackwell, 1991.
- **Jussen**, Bernhard : Spiritual kinship as social practice: godparenthood and adoption in the early Middle Ages. Translated by Pamela Selwyn. Rev. and expanded English ed. The University of Delaware Press series, The family in interdisciplinary perspective. Newark, DE: University of Delaware Press, 2000.
- **Kleinclausz**, A: Charmagne, Paris. 1934.
- **Lamb**, Harold: Charlemagne The Legend and the man, London , Robert Hale limited , 1955.
- **Nelson**, Janet L. "Queens as Jezebels: The Careers of Brunhild and Balthild in Merovingian History." *In Medieval Women*, ed. Derek Baker, 31-77. Oxford: Basil Blackwell, 1978.
- **Merrills**, Andy and Richard Miles: the Vandals, Blackwell 2010
- **Moorhead** , (J .) : Theoderic in Italy , (Oxford . 1992)
- **Murray**, Alexander Callander Murray: From Roman to Merovingian Gaul: *a reader*. (Readings in medieval civilizations and cultures,5) (Broadview Press, 1999) .
- **O'Sulillivan** , Jeremiah and Burns, John , Medieval Europe, New York , 1946 .

- **Oman** , (CH.) : The Dark Ages , 476 -918 , (London . 1928).
- **Orton** , C.W. Previte : The shorter Cambridge Medieval History, Vol .I , (Cambridge, 1952) .
- **Ostrogorsky** : History of the Byzantine State. Trans - by Jon Hussey. (Oxford 1968).
- **Painter**, Sidney: A History of the Middle Ages 285- 1500, London, Macmillan & Coltd, 1963.
- **Pfister** , (CH.) : " Gaul under the Merovingian Franks ", in Cambridge Medierval History vol . II , (Cambridge. 1913) .
- **Pirenne**, Henri:
 - A History of Europe , Vol . I, New York , Doubleday Anchor Books , 1956 .
 - A History of Europe from the Invasions to 16 Century , eng . transs Mail , (B .) , (London . 1961) .
- **Reverdy**,G: Les relations de Childebort II et de Byzance, in Revue Historique, 1913, t. 114, pp.61-86.
- **Rouche**, Michel : Clovis (paris : fayard, 1996),.
- **Schmidt** , (L .): "The Visigoths in Gaul" , 412 - 507 , Cambridge Medieval History , (Cambridge . 1911)
- **Seeliger**, Gerhard , " Conquests and Imperial Coronation of Charles the Great" , in : The Cambridge Medieval History , VOL.II , Cambridge, The University Press, 1964 .
- **Sécretan**, Edouard: Le premier royaume de Bourgogne,(Lausanne 1868).
- **Smith**, William : Dictionary Of Greek And Roman Geography,in Two Volumes, Vol-2, (London 1875).
- **Sterns** , Indrikis: The Greater Medieval Historians , Boston University Press of America , 1980 .
- **Thompson**,(Jannes Westfall), the Middle ages 300-1500 , Vol. I, (London .1931) .

- **Thompson , (E.A.):**
 - Goths in Spain , (Oxford . 1969)
 - The Huns , (Oxford . 1996)
- **Thorpe, Lewis, Einhard and Notker the stammerer two lives of chariemagne , London , penguin books , 1971.**
- **Treadgold, Warren : A Concise History of Byzantium,** (Palgrave.2001).
- **Vasiliev, A.A.: History of the Byzantine empire, Wisconsin 1999.**
- **Villari , (P .):**
 - The Barbarian Invasions of Italy , en , .trans , Linda ., v., (London 1890).
 - The barbarian Invasions of Italy, Vol II , London, 1902 .
- **Vyver, A. Van de Vyver , “La Victoire contre les Alamans et la Conversion de Clovis (suite).”, pp. 35-94 In *Revue Belge de Philologie et d’Histoire* tome 16, (1937).**
- **Walter C. perry: The Franks From Their First Appearance in History To The death of King Pepin, (London ,1957).**
- **Werner, Karl Ferdinand: Histoire de France: Les origines (avant l’an mil) (Paris: Fayard, 1984).**
- **Wilson , Emily : The rise of the Carolingians or the decline of the Merovingians?, Academic Essays, Access: History Vol. 2, No. 1.**
- **White, Stephen D.: “Clotild's Revenge: Politics, Kinship, and Ideology in the Merovingian Blood Feud.” In *Portraits of Medieval and Renaissance Living: essays inmemory of David Herlihy*, ed. Samuel Kline Cohn and Steven Epstein (Ann Arbor: University of Michigan Press, 1996).**
- **Wood , (I .):**
 - "Gregory of Tours and Clovis." *Revue Belge de Philologie et d'Histoire* 63, no. 2 (1985): 249-272.
 - "Clermont and Burgundy: 511-534." *Nottingham Medieval Studies* 32 (1988):119-125.
 - The Merovingians kingdoms , 450 - 751 , (London and Newyork . 1991)

- "Fredegar's Fables" in *Historiographie im frühen Mittelalter*, ed. Anton Scharer and Georg Scheibelreiter, pp. 359-366 (Vienna, 1994).

• **Wolfram , (H .):**

- History of the Goths, trans. Thomas J. Dunap (Berkeley: University of California Press, 1997).
- The Roman Empire and its Germanic peoples. Translated by Thomas Dunlap. Berkeley: University of California Press, 1997

رابعاً : المراجع العربية والمعرّبة :

- إبراهيم على طرخان : دراسات في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى (دولة القوط الغربيين)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1958.
- احمد غانم حافظ: الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلي الانهيار، دار المعرفة الجامعية، 2007.
- ادوار بروي وآخرون، القرون الوسطى (تاريخ الحضارات العام)، م 3، ط1، بيروت، منشورات عويدات، 1986 .
- اسامة زكى زيد : اللومبارديون وعلاقاتهم السياسية بالقوى المجاورة فى ضوء كتابات بولس الشماس (568-774)، الاسكندرية، ط1987.
- اسامة ابراهيم حسيب: معركة شالون بين الهون والرومان، 451م، المكتب العربي للمعارف، الطبعة الاولى القاهرة 2009.
- إسحق عبيد : من آلارك إلى جستنيان، دراسة فى حوليات العصور المظلمة، الطبعة الأولى، القاهرة 1977 .
- اسد رستم : الروم، الجزء الأول، بيروت 1955.

- إسمت غنيم:
- إمبراطورية جستنيان، الإسكندرية 1977.
- زواج التحالف في العصور الوسطى (ط1986)، ضمن كتاب دراسات في تاريخ إمبراطورية نيقية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1991م، ص238:209.
- الآفار، ضمن كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى، الاسكندرية 1994.
- السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية 323-1081م، دار النهضة العربية، بيروت 1965.
- بيريل سمالي: المؤرخون في العصور الوسطى، ترجمة: قاسم عبده قاسم، دار المعارف ط2، القاهرة (1984م)، .
- جوزيف نسيم يوسف: تاريخ العصور الوسطى الأوربية وحضارتها، مكتبة شباب الجامعة، الإسكندرية 1988
- جيون، إدوارد: اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة محمد سليم سالم، الجزء الأول، الطبعة الثانية، القاهرة 1997 .
- داهموس، جوزيف: سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى، ترجمة محمد فتحى الشاعر، ط2، القاهرة 1992.
- دوسن، كرستوفر: تكوين أوروبا، ترجمة محمد مصطفى زيادة وسعيد عاشور، مؤسسة سجل العرب، القاهرة 1967.
- ديفز: أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة عبد الحميد حمدي، ط1، الاسكندرية 1958.
- سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ج1، التاريخ السياسي، دار النهضة العربية، القاهرة 1972.

• سيد أحمد على الناصري :

- الرومان من القرية إلى الإمبراطورية، القاهرة 1976 .
- تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى، القاهرة 1991.

• صلاح محمد ضبيع :

- القوط الشرقيون في البلقان 473-488م، ضمن كتاب دراسات في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، المكتب العربي للمعارف، ط1، القاهرة 2014.

- الهون وبيزنطة دراسة في العلاقات السياسية 337-450م، ضمن كتاب دراسات في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، المكتب العربي للمعارف، ط1، القاهرة 2014.

• عبد القادر أحمد اليوسف : العصور الوسطى الأوروبية، المكتبة العصرية، بيروت 1967 .

• عفاف صبره :

- الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شارلمان، دار النهضة العربية 1982.

- الدولة البيزنطية، الاردن، 2012.

• عليه عبد السميع الجنزورى : جريجورى التورى وقيام دولة الفرنجة، القاهرة 1986.

• فشر : تاريخ أوروبا العصور الوسطى، ترجمة محمد مصطفى زيادة و السيد الباز العريني، الجزء الأول، دار المعارف، ط6، (القاهرة 1966).

• كانتور، نورمان. ف: التاريخ الوسيط، قصة حضارة البداية والنهاية، ترجمة وتعليق قاسم عبده قاسم، الجزء الأول، ط5، عين للدراسات والبحوث، القاهرة 1997 .

- محمد عبده حتاملة: ايبيريا قبل مجئ العرب المسلمين ، عمان 1996.
- محمد مرسى الشيخ
- الممالك الجرمانية في اوروبا في العصور الوسطى ، دار الكتب الجامعية ، (القاهرة 1975).
- تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، القاهرة 1994.
- محمد فتحى الشاعر: السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى القرن السادس الميلادى "عصر جوستنيان" ، القاهرة 1989 .
- محمود محمد الحويرى
- اللومبارديون الحويرى: اللومبارديون في التاريخ والحضارة (568-774م)، القاهرة دار المعارف ، ط 1986.
- رؤية فى سقوط الإمبراطورية الرومانية ، القاهرة 1995.
- محمود سعيد عمران :
- المؤرخ جريجوري التورى وتأريخه للملك كلوفس من خلال كتاب تاريخ الفرنجة ، (بيروت 1980).
- مملكة الوندال فى شمال إفريقيا ، الإسكندرية 1985.
- معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، دار المعرفة الجامعية 1986.
- معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، القاهرة 2000.
- موسى: ميلاد العصور الوسطى ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، عالم الكتب ، القاهرة 1967.
- نور الدين حاطوم: تاريخ العصر الوسيط فى أوربة ، دار الفكر 1982.
- هلستر ورن : تاريخ اوروبا ، ترجمة محمد فتحى الشاعر ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة 1988.

• هاري ألمر: تاريخ الكتابة التاريخية، ترجمة محمد عبد الرحمن، الجزء الأول، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة 1963م.

• وفاء مختار غزالي: السياسة الخارجية لدولة الفرنجة في العصور الوسطى، دار الافاق العربية، ط1، القاهرة 2013.

• ول ديورانت: قصة الحضارة - ترجمة محمد بدران، مطبعة لجنة التأليف. والترجمة والنشر (القاهرة، 1965م) مج 3، ج 2.

• ول ديورانت: قصة الحضارة، 5م، ترجمة محمد بدران، القاهرة 1990.

خامساً: الدوريات :

• إبراهيم طرخان: نهاية الامبراطورية في الغرب 476م، مجلة كلية الآداب. جامعة القاهرة. مجلد 20 . ديسمبر 1958 .

• صلاح الأمين عبدالله محمد: البرابرة الجرمان ودورهم في سقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب عام 476 م، مجلة العلوم والدراسات الإنسانية بجامعة بنغازي، العدد الأول - المجلد الثاني لسنة 2014 م.

• عبد الهادي التازي: شمالي أفريقيا و الوندال، 439-534م، المجلة التاريخية المصرية، مج 11 لسنة 1963.

• فاطمة عبد اللطيف الشناوي: معركة سواسون عام 486م، مجلة كلية الآداب جامعة حلوان، العدد 22 لسنة 2007، الجزء الثاني.

• مشتاق طالب حسين الخفاجي: اتيلا ودوره السياسي والعسكري في بناء الإمبراطورية الهونية 406-453م، مجلة كلية التربية، جامعة بابل - (العراق)، ع1، لسنة 2008.

• وسام عبد العزيز فرج: السلاف في شبه جزيرة البلقان و جهود الإمبراطورية البيزنطية لاسترداد سيادتها 1018-591م، المجلة التاريخية المصرية، مج 31، 30، لسنة 1984.

سادساً : دوائر المعارف الاجنبية .

• **Bouillet** , Marie Nicolas : Dictionnaire universel d'histoire et de géographie, (paris 1872).

• **Moore**, W.G, The Penguin Encyclopedia of Places, London,1971.

• **Encyclopaedia Britannica Online.**

سابعاً : الرسائل العلمية :

الرسائل الاجنبية غير المنشورة .

• **Brian**, Hancock , Studies in Austrasian politics and diplomacy from Theudebert I to Childebert II, A Thesis in the Department of History at Concordia University 1990.

• **Crisp**, Ryan Patrick, M.A: Marriage and Alliance in The Merovingian Kindoms, 481-639, A Dissertation sumitted for the Degree of Doctor of Philosophy (Ohio University 2003).

• **Woodruff** , Jane Ellen: The "Historia epitomata" (third book) of the "Chronicle" of Fredegar , an annotated translation and historical analysis of interpolated material, Ph. D. University of Nebraska-Lincoln 1987.

الرسائل العربية غير المنشورة .

• احمد محمد محمود عبدالله : اللومبارديون في إيطاليا(568-774م)،

رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب جامعة حلوان.

• ايهاب صديق العربي : مملكة القوط الشرقيين، رسالة ماجستير غير

منشورة بكلية البنات للأداب والعلوم والتربية جامعة عين شمس 2011.

• سعيد محمد طه محمد : مملكة الفرنجة في عهدي كلا من كلوتير الثاني

وابنه داجوبير الأول (614-638م)، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب

جامعة بنها 2015.

- سمر ربيع عبد الغفار: المرأة في المجتمع الجرمانى، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب جامعة المنصورة 2016.
- كريم عبد الغنى عبد العاطى: هجرات القوط الغربيين ودولتهم في جنوب غالة واسبانيا، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب، جامعة المنصورة 2009م.
- محمد بخيت بخيت محمد: الإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مارقيان دراسة في السياسة الداخلية والخارجية (457-450م)، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب جامعة سوهاج 2013م.
- محمد شاكر محمود: الجرمان، نظمهم وعلاقتهم بالإمبراطورية الرومانية حتى نهاية القرن الثالث الميلادى رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب جامعة عين شمس 1993.
- محمود عبد الواحد محمود حبيب القيسي: العلاقات الخارجية للدولة الكارولنجية في عهد شارلمان (768-814م)، اطروحة دكتوراه بكلية الآداب جامعة بغداد 2003.
- محروس عبد القدوس سعيد: جوستينيان وسياسة الاسترداد، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب جامعة الزقازيق 1986.
- مصطفى الروبي جمعة: الدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور زينون (491-474م)، رسالة دكتوراه غير منشورة بكلية الآداب جامعة حلوان 2013.
- نجاة محمد محمد عبدالله: السياسة الخارجية لمملكة الفرنجة في عهد شارلمان (768-814م)، رسالة دكتوراه غير منشورة بكلية الآداب جامعته بنها 2005.
- وفاء عبد الحميد محمد السيد: الإمبراطور موريس (582-620م)، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب جامعته عين شمس 1988.
- ايمان مسعد عبد الرؤوف عبدالله الوكيل: السياسة الداخلية لمملكة الفرنجة في عصر رؤساء بلاط الأسرة الميروفنجية (751-639م)، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب جامعته طنطا 2009.

الفهرس

6.....	إهداء
7.....	المقدمة
15	عرض لأهم مصادر البحث
65	التمهيد
91	الفصل الأول : "نشأة الممالك الجرمانية في أوروبا في العصور الوسطى"
143.....	الفصل الثاني : "ظهور الزّواج السّياسي في الممالك الجرمانية"
205.....	الفصل الثالث : "الزّواج السّياسي بين القوط الغربيين والفرنجة"
269.....	الفصل الرابع : "الزّواج السّياسي بين الفرنجة واللمباردين"
347.....	الخاتمة
353.....	قائمة الملاحق والخرائط
363.....	قائمة المصادر والمراجع

يُعد موضوع الزواج السياسي في أوروبا العصور الوسطى من الموضوعات المهمة في مجال دراسات تاريخ العصور الوسطى، نظراً لشيوعه آنذاك عند مختلف العناصر التي حفل بها عالم العصور الوسطى، وأيضاً لما له من الصفة الاجتماعية، السياسية والإنسانية. وقد تم استخدام الزواج السياسي لتسوية النزاعات بين القبائل والعائلات النبيلة، ولإقامة تحالفات سياسية، ولتعزيز معاهدات السلام بين ذوي القربى.

وقد لعبت المرأة دوراً ملحوظاً في الحياة السياسية لزعماء الجرمان إذ حفلت علاقاتهم بإقامة تحالفات عن طريق المصاهرة أو ما يعرف بالزواج السياسي. وكان الزواج في الكثير من الحالات وسيلة ذات مضامين اقتصادية وسياسية وسلطوية هامة. فإذا كانت الحروب هي التجلي الأكثر شدة ووحشية لحل المشكلات السياسية ما بين الأسر الحاكمة والدول المتنافسة، فإن القصور التي عُقدت فيها حفلات الزواج والمصاهرات، كانت الوجه الأكثر دبلوماسياً وإنسانياً لحل تلك المشكلات المستعصية.

ولقد شاع الزواج السياسي في العصور التاريخية حتى صارت ظاهرة في أوروبا في العصور الوسطى، وهي ظاهرة تحتاج إلى الرصد والتدوين والتحليل والاستنتاج، وهو ما أحاوله في هذا الكتاب ولكن في فترة محددة في تاريخ العصور الوسطى الأوروبية، في الفترة الممتدة من عام ٤٩٢م حتى عام ١٧٧٠م.

